



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء السادس



منشورات المجلس 2022

أ.د. صالح بلعيد

مناسبة وكلمة

الجزء السادس

2



52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب 575، ديدوش مراد،

الجزائر

الهاتف: +213 23 48 72 79 85

الفاكس: +213 23 48 72 62

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

المجلس الأعلى للغة العربية

رئاسة الجمهورية



مناسبة وكلمة

أ.د. صالح بلعيد

الجزء السادس

(2)

منشورات المجلس 2022

مجلس الأعلى للغة العربية

(الجزء الثاني)

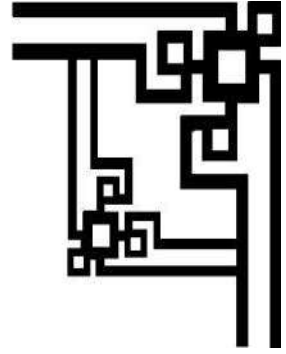
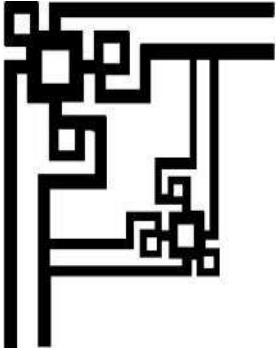
- إعداد: المجلس الأعلى للغة العربية
- قياس الصفحة: 24/16
- عدد الصفحات: 406
- الإيداع القانوني: السادس الثاني 2022
- رقمك: 978-9931298 07-6

52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر
الهاتف: +213 23 48 72 79 85
الفاكس: +213 23 48 72 62
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz

فهرس الموضوعات

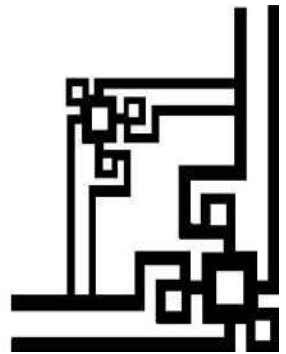
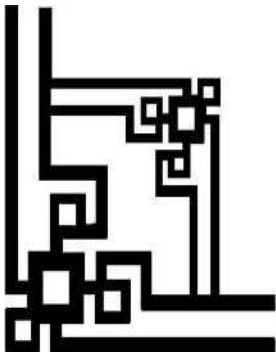
الصفحة	العنوان	الرقم
09	التَّرْجمة والهَيُوتة: أية علاقة؟ وأي تأثير؟	31
17	تدریس اللُّغة الإنكليزية ضرورة وخيار	32
27	في تحسین الأداء لمنظومة التَّربية والتَّعليم والتَّكوين للجزائر الجديدة	33
39	أفكار في عظمة الثَّورة الجزائرية والتَّاريخ الحقيقي والإلهام الأدبيّ	34
51	رسالة نوفمبر	35
61	من الدَّاکرة الوطنيّة	36
71	حقوق الإنسان في الحروب والأزمات	37
81	اللُّغة العربيّة والشَّعر الملحمي، ورسالة ثورة التَّحرير	38
95	قراءة تحليليّة في محاور المؤتمر الدَّوليّ للقوانين والأنظمة والتَّشريعات والسياسات والتَّخطيط اللغويّ	39
115	واقع النشر العلميّ باللُّغة العربيّة في المجالات الدَّولية الرّصينة	40
125	اللُّغة العربيّة وتكنولوجيا التَّحوّل الرقميّ المنجز والواقع والمأمول	41
139	قضايا المدارس اللّسانيّة الحديثة مع مقارنة في المقولات اللّسانية في التَّراث	42
175	اللُّغة الإسبانيّة: النّافذة العلميّة الثّالثة	43
187	المجمع العلميّ العراقيّ واتّحاد المجامع ومآلات المستقبل	44
219	مباحث اللّسانيات العربيّة الحديثة في الدّراسات البيئيّة	45
231	الخطاب الأدبيّ والفنيّ بين إجراءات اللّسانيات ونظريات الأدب	46
240	عبد الرّحمان الثعالبيّ العالم التَّحرير	47
251	مُساهمة اللُّغة العربيّة في الحضارة والثّقافة الإنسانيّة	48
263	واقع البحث العلميّ بالعربيّة: صعوبات، رهانات، مبادرات، إجراءات وحلول	49

277	تجربة كوريا الجنوبية	50
289	موت اللّغة	51
301	العربيّة المعيارية السّاحرة	52
313	اللّغة العربيّة وأثرها الحضاريّ على أوروبا	53
329	اللّغة العربيّة قيمة حضاريّة	54
343	أنست حبّك فاقبلي	55
353	اللّغة العربيّة والهويّة	56
363	اللّغة العربيّة تحتفي بشهرها	57
375	اللّغة العربيّة والتنوّع الثّقافي	58
385	الاعتزاز اللّغوي	59
395	تفعيل مشروع الدّخيرة اللّغويّة	60



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

31



التّرجمة والهويّة، أيّة علاقة؟ وأيّ تأثير؟*



الدّيباجة: لعبت التّرجمة دورًا حضاريًّا وثقافيًّا وعلميًّا بدأ منذ بزوغ فجر التّاريخ البشريّ، ولا زال دورها قائمًا كما كان، وإنّ المُتتبع لتطوّر الحضارات الإنسانيّة، وتنامي التّقدّم العلميّ الإنسانيّ يجد أنّ التّرجمة ظاهرة تسبق كلّ إنجاز حضاريّ لأيّة أمة كانت، لتستمرّ في مواكبة النّمو الحضاريّ. وإنّ البلدان النّاهضة والسّاعيّة للتّحاق بركب التّقدّم، تهتمّ بنقل أسرار التّكنولوجيا والصّناعات والعلوم المختلفة إلى لغاتها؛ لتصبح مُتاحة لأبنائها بلغتهم التي درجوا على استخدامها ولينتقلوا بعد ذلك إلى مرحلة التّفكير والتّطوير وإحراز التّقدّم والسّبق.

ومن خلال هذا، نرى أنّ العالم المتقدّم قد وضع الدّول النّاميّة أمام تحدّيّ صعب، إمّا أن تواكب التّطوّر العلميّ المتواصل أو تندثر، وجعل التّرجمة أسّ بناء الجسور التي يمكن من خلالها عبور الإنجازات البشريّة، والتّواصل مع مختلف الحضارات واللغات للتّغلب على نقائص يشتركها قومٌ، والقومُ الآخرُ قد حلّ كلّ المُشكلات والنّقائص وورّع التّحدّيات، واستكّنه الواقع، واستطاع اللّحاق، ومن ثمّ استشرّف الآفاق باعتماد بريد اللغات، وبابِ المُثاقفة، ونافذة التّفتح والتّلاقح، ونقلِ آثار الحضارات.

ولهذا نرى العالم يهتمّ كثيرًا بالتّرجمة؛ باعتبارها وسيلةً من وسائل التّكامل، وإلغاء الصّراع، وتسنّ الأمم المُتحدّة أيّامًا ذات العلاقة بالمُثاقفة والتّلاقح الثّقافيّ على غرار: 16 ماي= اليوم العالميّ للعيش معًا بسلام + 21 ماي= اليوم العالميّ للتّنوّع الثّقافيّ + 30 سبتمبر اليوم العالميّ للتّرجمة. وهناك ندوات عالميّة كثيرة في

* - أُلقيت الكلمة بمُناسبة انعقاد الملتقى الدّوليّ الموسوم (التّرجمة والهويّة، أيّة علاقة؟ وأيّ تأثير؟) والذي جرت أعماله في رحاب المجلس الأعلى للغة العربيّة، في اليوم العالميّ للتّرجمة. وقد قدّمناه بيوم واحد. وهذا في يوم الخميس 29 سبتمبر 2022م.

ذات المجال من أجل الدّفع بالعالم إلى مَهارات جديدة تُؤدّيها التّرجمة في رحاب إثراء اللغات، والأخذ البيّنيّ من أجل الاستفادة بمنطق رابح رابح.

وإنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة يعيش هذه الأحداث بأريحيّة مُطلقة بما سطره من تخطيط وطنيّ مبنيّ على الآماد الثلاث، وأنجز الكثير من المدوّنات التّرجميّة ولا يزال يُواصل الدّرب مع مجموعات من البحوث في داخل الوطن، ومع المختصّين من خارج الوطن، ومع المنظّمات والجمعيات ومراكز البحوث في شراكات ترجميّة لجعل العربيّة تعرف الانفتاح على تعدّديّة لغويّة مُضيفة بمُواصفات (بيت الحكمة) أيّام مجد العرب في تلك التّرجمات التّظريّة التي جعلت العربيّة لغة عالميّة، وأفادت أوروبا التي تعيش الانغلاق اللغويّ.

ومن خلال الشّراكة البينيّة انطلق أسبوع التّرجمة في 24 سبتمبر إلى 30 سبتمبر مع مركز البحوث في الأنثروپولوجيّة الاجتماعيّة والثّقافيّة في وهران CRASC، ويدوم هذا إلى يوم الجمعة 30 سبتمبر 2022، حيث يقع اختتام هذا الأسبوع. ولقاؤنا اليوم يدخل في إطار الاحتفاء بيوم التّرجمة، ونرى البرنامج مُعزّزاً بوجوه لها نشاط مائز في التّرجمة، كما نقرأ بعض العناوين التي تُعزّز الجانب التّطبيقيّ الذي نريده أن يكون قويّاً؛ لأنّ حاجتنا كبيرة في هذا المجال.

أيّها الحضور، اعلّموا بأنّه لولا المُترجم لما ازدهرت العلوم، ولولا التّلاقح اللغويّ لما حدثت التّهضبات ولا قامت الحضارات، ولهذا عليكم جميعاً مُواصلة الدّرب في إنعاش وتحريك التّرجمة، واستكناه تجارب التّهوض اللغويّ التي عرفتها اليابان وكوريا الجنوبيّة وماليزيا واندونيسيا وإيسلندا والمجر والدانمارك... وإنّ العربيّة تناديكم من أجل إنجاز التّرجمات التي تنقلها إلى الوجود، وإلى العودة إلى زمانها التّليد؛ كلغة علم وحضارة وتنادي جميعاً هلّموا للاهتمام بالمُترجم وهو الكاتب والمُهندس والمُعَلّم والشّاعر والعامل، تعالٍ نرفع شعار التّهوض بمقام التّرجمة تعالٍ لنعيد ماضيها الذي عرّفنا بالشّهنامة، وألف ليلة وليلة. وإنّه التّزام وإلزام علينا تجسيده في الوقت الحاضر للاستثمار في التّرجمة الآليّة؛ وهي السّبيل الوحيد الذي يجعلنا نُعوّض تأخيرنا وأن نقوم بحملات ترجميّة وطنيّة وعربيّة ودوليّة.

وعلينا التّماهي في الأتمتة باستغلال (Optical Character Recognition) = OCR، علمًا بأنّ الحاسوب الآن يعمل على التّعرف الضّوئيّ على الحروف، وهو في مُتناول منظومة الخطاطة العربيّة، كما يمكن ربط العلاقات التّناظرية بين اللغات، والانطلاق من لغات لها السّبق العلميّ في الذّكاء الصّناعي، ومن ثمّ العمل على تحصيل التّكييف العلميّ عبر السّنوات، وصولًا إلى إنتاج مُحرّك بحث عربيّ مئة في المئة.

أيها المُتخصّصون، كان علينا جميعًا العمل على تفعيل العربيّة بما نملك من أفكار الاستفادة من لغات العالم، وربطها مع المؤسّسات التّرجميّة وما أكثرها وتكونون وسطاء نقل الثّقافات والعلوم والزّوايات ومُختلف الفنّون لنحافظ على عربيّتنا التي تحتلّ رتبة مُعتبرة في لغات الأمم المُتحدّة، ونجعلها تنال الاستعمال في مُختلف المُواقع، ولذا لا بدّ من ربط القول بالفعل؛ بإنتاج المناطق (Logiciels) والتّطبيقات الإلكترونيّة في مُختلف مَجالات التّرجمة، وتفعيل المؤسّسات في التّباري بوضع آليات نوعيّة في ضبط ساعة التّرجمة العربيّة في الوقت الحالي في التّرجمات من وإلى العربيّة، والتركيز على اللغات العلميّة العالميّة، واللغات الشّرقية التي تجمعنا الحضارة الشّرقية، وأمّ الحضارة الشّرقية هي اللغة العربيّة.

أيها العاملون العالمون، كلّمكم نعرفون مقام التّرجمة في التّغلب على التّحدّيات التي تواجهها حركة البحث العلميّ في وطننا العربيّ، وكلّمكم تدرّون ما نُعانيه من فجوات معرفيّة في البحوث العلميّة لضعف حركة التّرجمة في أوطاننا، كما نعرفون أهميّة التّرجمة في العصر الحديث، وماذا يمكن أن تفيدها التّرجمة في تلك التّقلات النوعيّة التي ترفع مُستوانا العلميّ والثّقافيّ، وما يمكن أن تقدّمه لهذا الجيل ليعيش حاضره ومستقبله في أمن لغويّ، وفي تواصل قرويّ وطنيّ عالميّ؛ حيث يسهل إيصال العلم من مكان إلى آخر في ثوانٍ معدودة. وهذا كلّهُ بفضل عصر المعلومات الذي أحدث تغييرًا جذريًا على كلّ مَجالات الحياة، وغير مفاهيم واستحدث أخرى، فضلًا عن أنّه أثرى معاجم اللّغة بمُصطلحات جديدة، مثل العالم الافتراضيّ، والذّكاء الاصطناعيّ، والشّبكات الاجتماعيّة، والمُحتويات الرّقميّة

الضخمة. وقد عرفت البشرية نهضةً علميةً لا نظير لها في كلِّ مجالات الحياة؛ بفضل التقانات التي واكبت هذه الثورة المعلوماتية، إضافة إلى الكم الهائل من المعلومات المتداولة على الشبكة، والذي تزايد نسبه يومياً منذ اختراع أول حاسوب. ولهذا أريد تأكيد مسألة الاهتمام بالترجمة الذكيّة، وهي الطريقة الأقوى والأمثل في تكريس الذكاء الاصطناعيّ، واستكشاف القدرات الفائقة للحاسوب لمعالجة اللغات الطبيعيّة آلياً، واللغة العربيّة من اللغات الطبيعيّة، ومن خلال العمل على محاكاتها للقدرات التي يحتويها الحاسوب سوف يحصل فيها صياغتها كلغة طبيعيّة لها قدرات التّعامل مع الآلة.

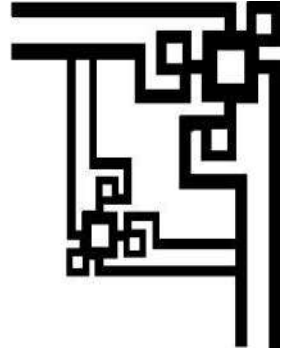
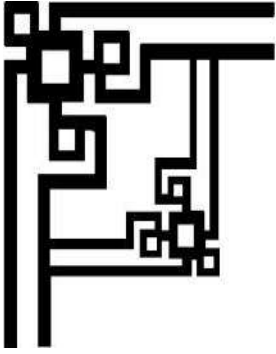
وهكذا أرى أنّ المسألة تعالج من خلال (MT" Machine Translation)، ومن وُضع البرمجيات التّرجميّة الذكيّة على غرار: (Google Translate، Reverso، DeepL، Tradukka، Babelfish، Yandex Translate، Microsoft Translator، Online Translator، Collins، Pons). على الرّغم من وجود ثغرات في التّرجمة في كلّ البرمجيات المذكورة، والتي لا نجدها في التّرجمة الشّخصيّة؛ إلّا أنّ التّرجمة الشّخصيّة يدويّة وتقليديّة بسيطة لا تُساير الكم الذي تحوّزه العربيّة من محتوى عربيّ ضخّم يتجاوز سبعة عشر (17) قرناً من الإنتاج. ولكن لا بدّ أن نكون في مُستوى الحدث المعاصر وفي مُختلف مواقع التّواصل الاجتماعيّ فبمُجرّد تصفّح منشورات بلغة مُختلفة عن لغة بلدك فستجد في نهاية المنشور ترجمة المنشور، حيث سيظهر لك معنى الكلام الموجود في المنشور.

ونجد العديد من شركات تكنولوجيا المعلومات بدأت بإطلاق خدمات ترجميّة حديثة ومُتطوّرة بين مُختلف اللغات، حيث تُوقّر شركة گوگل (Google) الأمريكيّة خدمة ترجمة مُميّزة تُعدّ من الأشهر في العالم؛ نظراً لقدرتها على دعم أكثر من 100 لغة حيّة؛ حيث يمكن للشّخص أن يقوم بالتّرجمة بين أكثر من لغة وبشكل فوريّ، ولقد عمدت شركات التكنولوجيا على تطوير التّرجمة الآليّة وفق برامج الذكاء الاصطناعيّ، وأصبحت لا تعتمد على ترجمة كلمة بكلمة، بل تقوم بترجمة معنى الكلمات بحسب وُرودها في سياق الجملة. كما بدأت شركات

التكنولوجيا بأخذ آراء المستخدمين في الترجمة الآلية التي تُتيحها لهم من خلال الدّكاء الاصطناعيّ، وأصبح بإمكان المترجم تقييم الترجمة، وإبداء رأيه فيها وانتشرت القواميس الإلكترونية السهلة التّحميل على أيّ جهاز، مُسهّلة بذلك ترجمة الكلمات بشكل فوريّ دون الحاجة للاتّصال بالشّبكة.

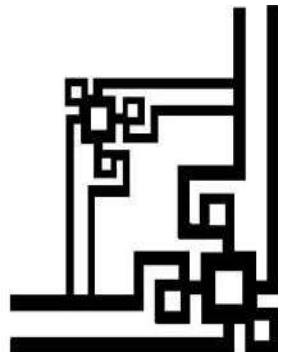
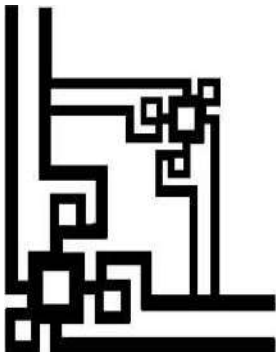
وفي الختام، أقول: إنّه بالرّغم من كلّ هذا التّسهيلات المتّاحة، إلّا أنّ الترجمة الآليّة تحتاج منّا كلّ الدّعم والتّطوير؛ لمزيد من حلّ المضايقات التّقنيّة التي تعيشها كلّ اللغات، وبخاصّة اللّغة العربيّة التي لها من الخصوصيّات ما لها وكلّ خصوصيّة تحتاج إلى برمجيّات، وهكذا ذواليك. ولكن لا نياس عندما نعمل سوف نصل إلى الحلول، وعندما نعمل نكون بلغتنا وهويّتنا وبشخصيتنا، ألا تريدون أن تكونوا؟ وأعلم أنكم تريدون أن تكونوا، فكونوا إذّا كما تصوّركم السّلف الصّالح وستكونون خير خلفٍ لخير سلفٍ.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

32



تدريس اللّغة الإنكليزيّة ضرورة وخيار*



الدّيباجة: إنّنا في عالم تتجاوزه لغاتُ الأقطابِ، وتحصلُ فيه التّحدّياتُ اللّغويّةُ من مواقع عديدة، فلغات لها مقامات العُلا، ولغات تعيش البِدائيّة، ولغات في مَرحلة التّهيّنة اللّغويّة، ولغات تنقرض، ولغات تصيها الهُجّنة، ولغات تتناطح في المواقِع، ولغات سوف تموت... وكلّ هذا والعالم يشهد تقلّصًا في استعمال اللّغات، وسوف يأتي زمنٌ يقضي على الكثير من اللغات، ولا تبقى إلاّ لغات ذات الرّاد العلميّ، والمحتوى الرّقميّ، والتي يحميها مَجْدُها التّليد على غرار ماضيها وحمولتها الدّينيّة والتّراثيّة، وبما لها من امتداد في الزّمان والمكان. وهكذا نرى الصّراعَ اللّغويّ يتنامى من أجل البقاء تحقيقًا للأمن اللّغويّ، علمًا بأنّ أمنَ الهُويات والقوميّات رديف الأمن الغذائيّ والمائيّ. وفي يومنا نرى حربَ اللغات تستفحل في اللّغات الهشّة، وتأتي على دُخرها أو استبدالها. هو صراعٌ لغويٌّ يعيشه العالم في المسائل اللّغويّة.

وهكذا نرى المُختصّين يُقدّمون تصنيفات عالميّة علميّة للّغات بحسب الأهميّة ممثّلة في الانتشار والاستعمال الوطني والعالمي، والجاذبيّة الأدبيّة، والسّهولة التّعليميّة، والعلميّة التّقانيّة، والتواصل الشّابكي والضحّ المعلوماتيّ. وعبر هذه الأشياء نالت اللّغة الإنكليزيّة مواقعَ أوّليّةً أدّت إلى تتويجها بلقب (لغة العالم) وهذا لإحرازها السّبق في مُختلف الميادين؛ وبخاصّة ميدان العِلْميّة لما لها من تحوّل رقميّ كبير، وإفرادها بمجال عالم الإنتاج الرّقميّ في شتّى فنون الحياة العامّة، وبذلك كسّرت الكثير من المعالم التي كانت تتحكّم فيها بعض اللغات التي

* - ألقيت الكلمة بمناسبة إحياء الذّكرى السّتين (60) للدّخول المدرسيّ في 1 أكتوبر 1962م. من تنظيم NCUK ALGERIA، غابة ديكار، دالي إبراهيم، الجزائر العاصمة، في يوم السّبت 1 أكتوبر 2022م.

كان لها ذات يوم المجد العالمي، على غرار اللغة اللاتينية التي نالت مجدها في ما مضى من الزمان، ومن ثمّ تلاشى بريقها، وانتشرت شذوذاً مذر، وخرجت قوميات لغوية لهجية عرفت باللاتينيات.

1. الإنكليزية وقضاء المصالح المرسلة: هي ثالث لغة من حيث عدد متحدثيها الأصليين، بعد الماندرين والإسبانية، ونرى العالم ينحو نحو العولمة اللغوية، بل يسير سيراً حثيثاً نحو الأمركة. فالإنكليزية مفتاح العصر بلغة العصر، وهي لغة (شكسبير/ Shakespeare) على رأي الأدباء، ولهذا نرى الكثير من البلاد الأجنبية عن قطب القطرين - المملكة المتحدة + أمريكا + كندا + إيرلندا + استراليا + نيوزيلندا تترى في تعلّم وتعليم الإنكليزية من أجل التواصل العالمي في ميادين السفر والسياحة، وسهولة الحصول على العمل، وكذلك الوصول إلى الخيارات العلمية والتكنولوجية العالية، ومن موقعها في وسائط التواصل الاجتماعي. ومن خلال ذلك نرى العالم ينشد ودها بتعلمها وتعليمها وقضاء مصالحها بها في مختلف بقاع العالم. ويزداد عليها الطلب بغية الاستفادة العلمية التي تضمنها حمولة هذه اللغة، والتي تُعدّ القطب الأول عالمياً في عدد البلاد المستعملة لها كلغة رسمية، بله الحديث عن موقعها كلغة أمّ في الإنكلوسفر، أضف إلى ذلك توظيفها في الأفلام والبرامج وإنتاج الكتب، واستعمالها في لغة الإعلام.

2. تدريس اللغة الإنكليزية حتمية ضرورية معاصرة: هي لغة مُثاقفة بامتياز تُساعد الفرد في اكتشاف القيم والعادات، وأسلوب حياة الدول الأخرى التي لديها ثقافة مُختلفة عن ثقافة بلده. ولهذا أصبح تدريسها ضرورةً بالنسبة للعديد من البلاد والعباد، ولا يعني هذا التماهي الكلي في الأنكلزة، فهي ليست فرضاً، بل خيار يُراد منها الاستفادة من أجل تطوير الذات، وفي نفس الوقت تطوير اللغة الأمّ، ومن هذا الباب تدخل في باب الضرورة التي لا مناص من تدريسها للحاق بالعصر والعيش في الرفاهية التي تحتكم إليها هذه اللغة، أضف إلى ذلك ما تقدّمه من طرائق وبرمجيات وخدمات للغة الأمّ.

ومن هنا يمكن أن نقول: إنَّ تعلّم الإنكليزية هو تطوير للذات، وتحسين للمستقبل العلمي، وتوسعة للأفاق في مَزِيد من التّواصل المَرِن مع مُختلف الثقافات واللغات، وفتح الأبواب المُتوقّعة وغير المُتوقّعة.

3. الجزائر وتدرّيس اللّغة الإنكليزية: لقد تأخّر بلدنا في الانفتاح على هذه اللّغة العالميّة بعدما أُجْهِضت عمليّة التّحوّل اللغويّ مرتين، ونرى اليوم توجّهًا جديدًا في إطار التّهوض اللّغويّ عبر (الجزائر الجديدة) ومن خلال تعهّدات الأربعة والخمسين (54) للسّيد رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبون) الذي يُراهن على الحدّثة اللّغويّة من خلال ضرورة تدرّيس اللّغة الإنكليزية، وكان هذا الخيار ضروريًا واستراتيجيًا لم يحصل في دولة الاستقلال وعبر السّنوات الماضيّة، وها هو الشّروع الفعليّ في تدرّيسها في السّنة الثّالثة، ابتدائي، بدءًا من سبتمبر 2022م. وتعود بيّ الذّكرى إلى تاريخ مجيد يوم الأوّل من أكتوبر 1962م، وأنا أتأبّط كناشئة صغيرةً بملابس رتّة، قاصدًا المدرسة أوّل مرّة، وأتعلّم أوّل درس باللّغة العربيّة في مادة المحفوظات:

مدرستـي مدرستـي * أنـتِ أمـي وأبـي

هي ذكرى لا تُنسى، والآن نعيش الحدّث الذي جعل القيادة السّياسيّة تأخذ القرار الصّارم بالقوّة النّاعمة. فأنعم به من قرار! وأنعم به من صانع القرار! وأنعم به من الرّجل الرّشيد! وأنعم بالذين اختاروا هذه المناسبة الخالدة، ونُبارك لكم تأسيس (الجمعية الجزائريّة للإنكليزية للعلوم والتّكنولوجيا) وهي مُباردة تستحقّ التأييد في هذا الوقت المجيد، للجزائر الجديدة التي تنتظر المزيد، من مُبادرات تكون في مُستوى التّخليد. فيا صاحب القرار، وأنتم تصنعون الحدث، حيث لا عبث ولا فيث، وأنتم لزام الأمر دون مكث، فقد سجّلتم اسمكم في سجّل يرث وبنيتم مجدّدًا يهتّ، وعلى الجمعيات أن تُراهن على الحفاظ على الورث، وهو ما يمجدّها دون غوث. وها هو اليوم العالميّ للمُعَلِّم يهتّ، فلهم منا كلّ التّقدير المُجَلّ، ولأساتذة الإنكليزية الذين يرفعون التّحدّي كلّ البجّل، فمثيلهم مثل مُعلّمي الاستقلال في السّجل، وبنالكم ما نالهم من مجد مُدلّل.

4. فوائد تدريس اللّغة الإنكليزيّة في بلدنا: من المُسلّم به بأنّ قرار تدريس الإنكليزيّة بدءًا من المرّحلة القاعدية كان بدراسة جادة تربويّة، ووفق تخطيط السّياسة اللغويّة والتّربويّة التي رآها القرار السياديّ الوطنيّ، ولم يكن وليدَ ظرفٍ أو ارتجال، بل كان القرار صائبًا لاستدراك ما فات، ولما لهذه اللّغة من استعمال عالميّ، باعتبارها لغة التّواصل في العصر الحديث، وهي اللّغة الرّسميّة للتّواصل الجويّ والبحريّ، ولها أوّل نافذة في اللغات الرّسميّة للأمم المتّحدة، ولغة الوكالات الدّوليّة بعدد واحدٍ وعشرين (21) وكالة، كما أنّها واحدة من لغتين رسميتين مشتركتين لرواد الفضاء، مع الرّوسيّة، وهؤلاء الرّواد يعملون لصالح محطة الفضاء الدّوليّة، أضف إلى ذلك أنّها تُدرّس في فضاءات عالميّة كثيرة، بل هي تزامم الآن فضاء الاتّحاد الأوروبيّ ذي القوّة الاقتصاديّة الثّانيّة، ونرى الإنكليزيّة تنال مواقع تدريسيّة بقوّة في فرنسا حاليًا، بعدد 156 ماستر سنة 2021م ويشترط التّدريس فيها باللّغة الإنكليزيّة فقط.

وإذا تحدّثنا عن مجال الثّقافة والعلوم فنرى تُخمة كبيرة من المجلّات والجرائد المكتوبة بالإنكليزيّة متوقّرة في بلاد عديدة حول العالم، وهي الأكثر استخدامًا في العلوم "حيث أشار مؤشر الاقتباس العلميّ في 1997 أنّ 95% من مقالاته كانت مكتوبة بالإنكليزيّة، رغم أنّ نصفها فقط أتى من مؤلّفين من بلاد ناطقة بالإنكليزيّة... وفي النّشر يسود الأدب الإنكليزيّ بشكل كبير بـ 28% من كلّ الكتب المنشورة في العالم... ذلك الاستخدام المتزايد للغة الإنكليزيّة عالميًا كان له أثر كبير على العديد من اللغات الأخرى، فأدّى إلى التّحوّل اللّغويّ، بل وحتى موت بعض اللغات... وإلى مطالبات بالإمبرياليّة اللّغويّة. لقد أصبحت الإنكليزيّة نفسها أكثر انفتاحًا للتّحوّل اللّغويّ حيث تصبّ الاختلافات الإقليميّة المتعدّدة في اللّغة ككلّ، أضف إلى ذلك أنّ 80% ممّا يُضخّ في الشّابكة منّتوج إنكليزيّ فقط". ودون أن نتحدّث عن قوّتها العلميّة والاقتصاديّة، وتناقلها عبر الأزمنة من جيل لآخر، وما لها من طرائق الاستحواذ اللّغويّ عبر سهولة تعلّمها، وما تملكه من طرائق التّعليم السّهلة، وما لها من برمجيات التّمكين اللّغويّ في ظرف وجيز، وهذا نحو نُشُدان

اللغة الوظيفية التي تُقضى بها المصالح المُرسلة. هي فتوحات إنكليزية تعمل على تعزيز الجانب العلمي في لغة الباحث، وتسمح له بمتابعة أحدث ما توصلت إليه العلوم الحديثة وزيادة الوصول إلى كثرة مصادر المعرفة حول العالم، وإلى مجموعة مُتنوعة من وجهات النظر المختلفة أو المؤلفة.

هي فوائد كثيرة يجنيها تلامذتنا من تعلّمهم الإنكليزية، وسوف تفتح لهم آفاق تنشيط أدمغتهم، وتكسيهم مزيداً من المعارف والمال في سوق البرنسة، وتُساعدهم على الالتحاق بالمدارس العالمية الكبيرة، إضافةً إلى تلك المتع الأدبية من الروائع الكلاسيكية العالمية في مختلف فنون القول، دون الحاجة إلى وسيط ترجماني قد يشوّه لغة المبدع باللّغة الأمّ. كما تُفيد الإنكليزية المهاجرين الباحثين عن العلم والعمل، وتكسيهم الوقت الحقيقي في قضاء سنوات التعلّم والانغماس اللغوي بأقلّ وقت وجهد، ويكون المهاجر حاملاً لسلاح التواصل اللغوي دون مُشكلة تُذكر.

5. الحُجج العلميّة للاختيار اللغوي لتدريس اللّغة للإنكليزية: يمكن أن نشير إلى بعضها باقتضاب بحسب ما يستدعيه المقام، فهي اللّغة الأقوى والأكثر تحدّثاً في العالم وهي لغة العمل والتجارة الدوليّة، ومُعظم الأفلام بهذه اللغة، كما يرى التربيّون أنّها سهلة التعلّم؛ لما لها من مرونة قواعديّة، وما لها من ارتباط جذريّ كبير باللّغات الجرمانيّة واللاتينيات والكتابة اللاتينيّة المشتركة، وهذا يؤديّ إلى بعض الفهم في الكثير من الأنماط المشتركة.

وهناك العديد من الأسباب التي جعلتها لغة العالم وبخاصّة ما له علاقة بالسياحة والسّفر، وعقد المؤتمرات العالمية، بجانب إقامة البطولات الرياضيّة الكبيرة التي أسهمت بشكل كبير في سرعة انتشارها، وذلك لتعزيز التفاهم والألفة بين الشّعوب. ولهذا من الضّروريّ -نحن الجزائريين- أن نتداعى إلى تعضيد هذا الفعل العلميّ الكبير الذي اتّخذه رئيس الجمهوريّة بمنأى عن كلّ التجاذبات، فكان القرار سياديّاً يحصل في التاريخ المجيد للعهد الجديد. ولهذا من الضّروريّ أن تحصل المُرافقة الكليّة لتدريس/ تعليم وتعلّم الإنكليزية؛ لنعيش نقلاً نوعيّه في العلوم، ونجني مجموعة من المنافع على غرار دخولنا عالم المعرفة وتواصلنا مع

الأخرين بسهولة، وحصولنا على الشهادات العالمية وتحقيقنا المستوى الوظيفي الأفضل، وحسن استعمالنا للغة العالم في الاطلاع على الثقافات المختلفة، ونعيش الحاضر والمستقبل، وهذا ما يريده الشباب المعاصر. ومن خلالكم ندعو الجمعية الجزائرية للإنكليزية للعلوم والتكنولوجية إلى سرعة تقديم أفكار في تجسيد تدريس الإنكليزية، ومرافقة القرار بأفكار تطبيقية عبر مختلف الوسائل التي تصب في هذا الاتجاه، وتعزّد القرار بمزيد من الإنتاج والإبداع في طرائق التعليم عبر المنصات والمدارس وعقد المنتديات، وبعزيزمة تفلّ الحديد عبر التطوع اللغوي، والعمل على تحقيق تبادل الأفكار، لنجاح القرار في أعلى تجليات الإصرار.

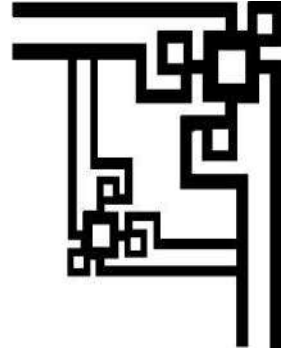
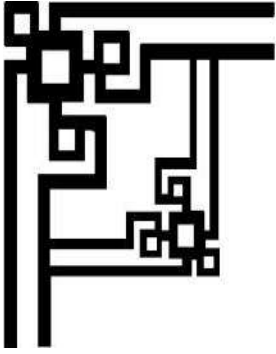
الخاتمة: إنّ هذا القرار الصائب جديرٌ بالتّويه، وهو من مطالب النّخبة الوطنية، والحراك المبارك، ومن مناداة بعض جمعيّات المجتمع المدنيّ، لتدشين الانتقال اللّغويّ في الجزائر نحو عولمة لغويّة، وها قد تحقّق فعلاً، والطّريق تصنعه الأقدام، فمهما ظهرت التّقائض ستأتي الحلول، ولا يعني ذلك الابتلاع اللّغويّ لخصوصياتنا، بل يحصل الحفاظ على الخصوصيات اللغويّة والحضاريّة لمجتمعنا، ولا مشكلة في العيش ضمن الخريطة اللّغويّة الجديدة؛ في حاضر وآفاق العولمة اللّغويّة التي لا تمنعني من ممارسة هويّتي بكامل مُعطياتها، كما لا تحول بيني وبين أداء مناسكي الدّينيّة.

ومن خلال هذه الكلمة، وفي هذه المناسبة بصفتي أكاديمياً أرحّب بهذا القرار التاريخي، وأدعو مُختلف الشُّركاء الاجتماعيين لتتعاضد جهودنا في إنجاح القرار والعمل على تخطيط استراتيجيّ في كلّ مراميه، وعبر كلّ المؤسّسات؛ لأنّ اللغة بصفة عامّة قسيم مُشترك نتحمّله جميعنا. وفي هذا العمل أو اللقاء التّوعويّ الوطنيّ الذي يحبيّ مصالح الوطن في الجفاظ على الأمن اللغويّ والثّقافي، وفي ذات الوقت هناك ضرورة الاهتمام بتعميم استعمال اللغة المُشتركة التي تجمّعنا (اللّغة العربيّة الفصحى) وهي تعرف بعض المُضايقات التّقنيّة في مجال الأتمّة ونداعي من أجل الحلول التّوعيّة الرّقميّة، بمُراعاة المُتغيّرات التي تحفظ لنا المصلحة اللّغويّة في سوق اللغات العالميّ؛ بما يضمن مقام العربيّة في توطين العلوم،

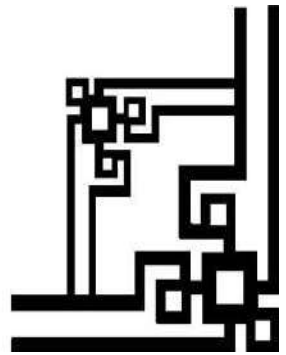
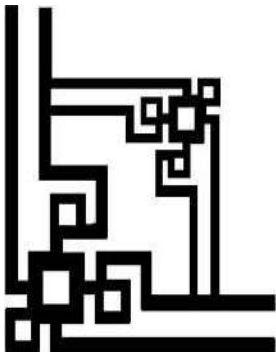
وضمن استخدامها في الثقافة والتجارة والديبلوماسية والنقل، وبإضفاء سيولة الاستعمال اللغوي المرن في لغة الحياة العامة، وهذا ليس بالأمر المستحيل بل هو أمر ميسور التطبيق عندما يكون الجمع بين منتج الأفكار وصانعي القرار سيكون الأمر مضبوطاً في أمن المسار.

وعلينا أن نعمل، ونكون من الذين يقولون ويفعلون، وما أحوجنا إلى إمام فعال، وعلينا أن نتكل على أنفسنا، وما ضاقت السبل وراء باحث جاد. وأهيب بهذا الحضور النوعي، وهي نخبة المجتمع التي يقع عليها العول فأنعم بكم أيتها النخبة! وعليكم حماية هذا القرار بعلمية وصناعة أفكار، وما ضاقت الهمم إذا كان وراءها الرجل الرشيد، وهو موجود يحتاج إلى تعصيد، وتوكلوا على الله، ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 105]. والسلام عليكم أجمعين.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



في تحسين الأداء لمنظومة التربية والتعليم والتكوين للجزائر الجديدة*



الديباجة: إنَّ الغاية من أيّ تحسين/ إصلاح تربويّ هو الوصول إلى إحداث تغيير إيجابيّ وتطوّر نوعيّ في الحصيلة التّربويّة من حيث مُستوى الأداء المدرسيّ ونوعيّة التّنتائج التّربويّة، وقيمة المعارف والمهارات المُبرمجة للتعلّم وأساليب التّسيير، وتحقيق الجودة والفعاليّة. وعلى العموم يقع التّركيز في الإصلاح التّربويّ على نوع المدرسة المراد التّأسيس لها، والانتماء الحضاريّ والنّظر في قضيّة لغة المدرسة ومنهجية الإصلاح والوسائل المُجدّدة للعمليّة والمُدّة الزّمنيّة للتّطبيق.

1. أفكار في التّحسين/ الإصلاح التّربويّ: هي أفكار بصرتُ بها من خلال الممارسة والقراءة في أفعال وأفكار المُسيّرين للمنظومات التّربويّة، ومن تجارب الشّعوب التي نجحت في إدارة منظومتها التّربويّة، ولا أريد أن تقف هذه الأفكار عندي، وأنقلها لأصحاب القرار؛ لإنقاذ التّربيّة الوطنيّة من السّقوط الذي تعانیه على مستوى الارتهاال في المُكوّن والمُتكوّن وفي الأهداف والمناهج وفي صناعة الكتاب المدرسيّ، وكلّ هذه الأشياء أدّت إلى انحدار شاقوليّ للمُستوى اللّغويّ في مرحلة القاعدة، وما بُنيّ على الارتهاال القاعديّ لا يمكن أن يصلح للبناء في مراحل الاستكمال/ بناء أفكار الغدّ، وقطار الجزائر الجديدة. علماً بأنّ هذا السّقوط لم يكن ظاهراً عبر مراحل الإصلاحات التّربويّة منذ سبعينيات القرن XX إلّا بعد إصلاحات 2003-2004 التي أتت بها لجنة الإصلاحات، وتعميم نظام LMD سنة 2012م. ومن هذين الإصلاحين عرفت المنظومة التّعليميّة انحداراً خطيراً أدّى إلى ظهور تجاذبات أخرى بسبب استيراد نماذج تربويّة وضعت ضمن ثقافة ومحيط ولغة أجنبيّة وأريد تطبيقها في

* - الكلمة التي قدّمناها أمام المجلس الوطنيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ والبيئيّ، في المعهد الوطنيّ لعلوم البحار، بتاريخ: 4 أكتوبر 2022م.

الجزائر عنوة دون مُطابقتها للمحيط العامّ وللمرّجعيّات الثّقافيّة والحضاريّة والتّاريخيّة والدينيّة، ولذلك لم تفلح تلك الإصلاحات مُطلقًا في تحسين الوضع اللّغويّ، في الوقت الذي عرفت الإصلاحات السّابقة نتائج جيّدة؛ بسبب سياسة التّطبيق المرّحليّ+ التّطبيق المحيطيّ الضّيق+ التّقييم مع التّقويم+ المرّاجعة في حالة ظهور الفجوة المُخلّة بالإصلاحات+ التّراجع المُطلق إذا كان الإصلاح يُؤدّي إلى تشويه الجيل... وقد أبانت نتائج الإصلاحات عن نتائج مَلْموسة في حسن المُستوى، وتعميم اللّغة المُشتركة، واستعمال الوسائل التّربويّة المُسيرة للوضع...

وأما الإصلاحات التّربويّة للقرن لXX، فقد بخست بضاعة المنظومة التّعليميّة، ولا نريد التّراجع بدعوى العالميّة، وهي دعوى أوروبيّة لا غير، علمًا أنّ بلد (التّشيلي) الذي طبّق نظام LMD لتعويض سنة المُقاطعة الجامعيّة للدراسة تعضيدًا لانقلاب على (سلفادور أليندي/ Salvador Guillermo Allende Gossend 1973م) تراجع عن إلزاميّة تطبيقه، وبدأ ينهار في النّظام التّربويّ في مَقَرّ اختراعه.

وتصحيح الوضع عندنا مُمكن جدًّا، ويُستدرك الوضع حالة ما اتّخذت الدّولة جملة الإصلاحات التّعليميّة/ التّربويّة بتمكين المُختصّين أنفسهم تقديم أفكار الإصلاح دون إفلاءات خارجيّة، ودون التّسامح في المُكتسبات السّابقة؛ وهي كثيرة جدًّا جدًّا، وإلّا نكون قد حكمنا على ذواتنا بالعدم، فلم نكن شيئًا منذ الاستقلال، فهذا لا يقول به إلّا النّاكرون والجاحدون.

ونقرّ بأنّ منظومتنا التّربويّة عرفت تحسينات نوعيّة جيّارة قلّ نظيرها في العالم؛ لأنّها انطلقت من العدم في كلّ الأشياء، ونالت المَطْلُوب القريب من المُمتاز، بالمجانبيّة في كلّ شيء، ومع ذلك لا ننكر أنّ مُضايقات جمّة لا تزال عالقة، وهذا ما أريد رفعه لكي تكون منظومتنا التّربويّة في مُستوى الاستجابة للمُتغيّرات، ورفع كلّ التّحدّيات.

2. التّحسين/ الإصلاح التّعليميّ التّربويّ ضرورة وألويّة: لا ننكر وجود إصلاحات تربويّة، ولكنّها إصلاحات علقّت بها بعض الهنات والارتجال والاختزال، وكانت المدرسة مَخبرًا للتّجارب التي لم تصل بالمنظومة التّربويّة الجزائريّة إلى

المُبتغى، بسبب النظرة المُجتزئة لعملية الإصلاح التربوي التي لم يُمنع فيها الإصلاحيون في سلّم الأولويات، ولم يقع التركيز على المُشترك، بل وقع تفصيل المفصل من غير إدراك للطبيعة الشّمولية لعملية الإصلاح، ولهذا يتجدّد النقاش حول الإصلاح التربوي كلّ نهاية/ دخول مدرسيّ لغياب وعاء المُتوافقات العلميّة أو التربويّة. وأرى المسألة أنّها كرتة ثلج تكبر ولكنها تذوب في الفراغ إذا لم نضع جهودنا في الإصلاح التربويّ على المحكّ، ونراجع مسارنا ونقيّم مُنجزاتنا، ولا مانع في مواصلة عمليّة إصلاح المنظومة التربويّة في أطر معرفيّة واستشراقيّة وسوسيولوجيّة، ويكون مبنياً على إيلاء التربيّة المكانة التي تستحقّها في بناء المُجتمع، على أنّها قطاع مُنتج للمُسيّر وللقائد وللفيلسوف...

مع الانطلاق المبني على منظومة القيم الحضارية والوطنية والتاريخية وكلّ ما يدخل في أصالة المدرسة الجزائرية بحصانة من التّغريب التي تدمّر قيمنا كأمة لها لغة وتاريخ وحضارة وثقافة، وعدم التّماهي المؤدّي إلى المسخ والمسخ، ولا يعني الانغلاق، بل انفتاح في معناه فتح النوافذ لا قلع السّقوف. ومن ثمّ تترى منظومة الإصلاح في مُحتوى الكتاب المدرسيّ وما يحمله من علوم ومعارف وخصوصيات... وفي كلّ هذا لا بدّ أن تطلق ورشات الإصلاح بالاستعانة بالخبرات الوطنيّة والأجنبيّة في حدود تقديم أفكار لا صناعة القرار، والمُهمّ الإفادة من الخبرات في الميدان، وجعلها محلّ دراسة.

وقد يرى البعض من هذه الأفكار نوعاً من الصّعوبة في تطبيقها، ولا أرى ذلك؛ حيث نُخطّط للجيل القادم، والعمليّة تتطلّب سياسة التدرّج المرحليّة ومتابعة سيران التّطبيق الضّيق بالتّقويم والتّقييم والمُراجعات، كما عرفت عمليّة تعميم توظيف العربيّة هذه المرحلة بعد الاستقلال، ونجحت بأريحيّة. ويران القارئ في هذه الكلمات أركّز على البنية القاعدية لما لها من أثر في البنية العليا. ورأيت أن يكون ذلك وفق الخطّة التّاليّة:

أولاً: الهيكلة التّعليميّة العامّة: ويمكن أن نضع لها هذا المخطّط:

1. توفير الجوّ العامّ للتّدريس في كلّ المدارس، دون التّفرقة بين مدرسة حضرية ومدرسة ريفيّة.

2. تعميم التّعليم التّحضيريّ من عمر المتعلّم بدءاً من سنّ الخامسة.

3. إجباريّة التّعليم العامّ في مرحلة القاعدة إلى غاية المرحلة الجامعيّة، وفيها تمفصلات تربويّة بين التّعليم والتّكوين.

4. مجانيّة التّعليم في كلّ المراحل، مع ما يكملها من مجانيّة التّغذية والرّعاية الصحيّة، والبيئة النّظيفة، والنّقل المجانيّ، والدّاخليّة وتوفير أجواء التّسليّة.

5. منّع تامّ للدّروس الخصوصيّة، والعمل على جودة أداء المدرسة العموميّة.

6. العودة إلى نظام ستّ (6) سنوات لمرحلة القاعدة+ 4 سنوات للمتوسّط+ 3 للتّعليم الثّانويّ.

7. تجسير التّكامل بين مراحل التّعليم: مرحلة الابتدائيّ والثّانويّ+ دمج التّكوين المهني في المرحلة القاعدية+ التّعليم العالي والبحث العلميّ.

8 إحياء نظام المعاهد التّكنولوجيّة التي تمّ غلقها. وهذه المعاهد عملت على خلق معلّمين أكفأ لهم صورة الامتياز.

9. تحديد صارم في لغة التّدريس في مرحلة القاعدة بين العربيّة والمزيغيّات وهذا بعدم الخلط بين اللّغة العامّة والمحكيات والمحلّيات، وكيف نُعلي من مقام تدريس اللّغة الجامعة المُشتركة، ونستفيد من تراث المزيغيّات، ويكون تدريسها في مناطقها، حفظاً للذاكرة وللتراث الشّفهيّ، وما له علاقة بقضاء المصالح المُرسلة.

10. ضرورة اعتماد الخيار بين النّظام القديم في التّعليم الجامعيّ: الليسانس+ الماجستير+ الدّكتوراه، ونظام LMD، وهذا في انتظار أخذ القرار السياديّ النّافع لا اتّباع نظام LMD بالإجبار، وقد تراجعت عنه الدّول التي وضعت أول الأمر.

11. التّشديد الصّارم المَبني على العِلْمِيَّة والكفاءة وأعلى الشّهادات والاستعداد الجسدي لكلّ راغب في الانتماء إلى ميدان التّربِيَّة والتّعليم.

12. التّركيز على تكوين المكوّن، وهو العُمدة في كلّ إصلاح تربويّ، وهنا لا بدّ من الرّفْع من مُستوى المُعلّم/ الأُستاذ؛ بوضع شروط الانتساب الصّارمة للالتحاق بسلك التّعليم، مع تثمين جهود المُعلّمين/ الأُساتذة بشكل مُرضٍ.

13. ضرورة الفصل في لغة التّدريس في المرحلة الجامعيّة؛ كي لا نخلق التّخبويّة، أو خلق جيلين بفكر مُختلف في الأهداف والثّقافة والتّصورات، اتّقاء لكلّ القلاقل الاجتماعيّة القادمة؛ علمًا بأنّ جيلًا له لغة مُشتركة يخلق انسجامًا جمعيًّا.

14. لا للانغلاق على العربيّة في الجامعة وفي مراكز البحوث، فاللّغات الأجنبيّة نوافذ ضروريّة؛ شرط ألا تكون هناك لغة أجنبيّة واحدة مُهيمنة، وأن تكون أكثر الوحدات في الجامعة تُدرّس بالعربيّة، ووحدات بلغة القُطب ودون وسيط لغويّ.

15. ضرورة فتح نافذتي: إدراج اللّغة الإنكليزيّة في المرحلة القاعدية، مع بعض الاختيار في نافذة اللّغة الإسبانيّة على طلب الأولياء.

16. ضرورة وضع المنشآت التّربويّة والمهنيّة والجامعيّة في صالح مُؤسّسات أُخرى خارج زمن الدّراسة، وهذا للتّقليل من بناء المنشآت ولا تستغلّ أحيانًا إلاّ جزءًا يسيرًا من الزّمن المُطلوب، دون الحديث عن المُؤسّسات التّربويّة التي لها طول النّفس في العطل.

17. خلق الحركة الدّائمة في جامعات لا تنام، وهذا باستغلال العُطل لفرق وطلاب وأفواج واختصاصات، وخلق حركة دائمة في التّدريس والبحث العلميّ الذي لا يتوقّف عبر فصول السنّة.

. ثانيًا: متطلّبات ماديّة للإصلاح التّربويّ: لا يمكن أن نُراهن على الجودة في المنظومة التّربويّة دون الإغداق الماديّ، وإعادة الاعتبار للمعلّم/ للأُستاذ، ولهذا أرى:

1. ضرورة الرجوع إلى المُعلِّم/ المُفتِّش/ المُدير/ المُشرف التربوي... في كلِّ إصلاح تربوي؛ فهو صاحب النَّجاح في كلِّ عمليات الإصلاح.

2. ضرورة رفع الحكومات ميزانيَّة التَّربيَّة والتَّعليم عامَّة، مع ضَخِّ السيولة الماديَّة في مشاريع الإصلاح التربوي، وما يلحق ذلك من مَعاهد التَّكوين والبحوث التَّربويَّة، ومَخابر اللُّغات والتَّعليميات.

3. ارتباط الإصلاح بشخصيَّة وطنيَّة تربويَّة كاريزماتية مرَّت بمراحل التَّعليم وأثبتت جدارة في كلِّ مراحل التَّعليم، وربط عمليات الإصلاح بمجلس أعلى للتَّربيَّة، ويكون تابعاً لسلطة رئيس الجمهوريَّة، وتكون له سلطة المُراقب لعمليات كلِّ مراحل التَّدريس: مرحلة القاعدة مع التَّكوين المهني+ مرحلة التَّعليم الجامعي+ مرحلة مراكز الاستقطاب.

4. إعداد خطة إصلاحيَّة تربويَّة تُبنى على المراحل الثَّلاث: المُستعجل+ المُتوسِّط المُدَّة+ الطَّويل المُدَّة.

5. تكوين لجنة تربويَّة رقابيَّة مُستقلَّة تُقدِّم تقريرها كلِّ ستَّة (6) أشهر للبرلمان كما تُقدِّم تقريرها السنوي للسَّيِّد رئيس الجمهوريَّة عن مراحل تطبيق خطة الإصلاح ذات الأماذ الثَّلاث.

. ثالثاً: بخصوص المناهج والبرامج: أرى ما يلي:

1. إيلاء الأهميَّة القصوى لمرحلة القاعدة: حيث يكون الإشباع اللغوي عبر المهارات الأربع: السَّماع عن ناطق مثالي+ احتذاء المناويل اللغويَّة العالِيَّة+ كثرة القراءة والحوار والممارسة+ الكتابة.

2. إجبار التَّلاميذ على حفظ بعض النِّصوص+ بعض الآيات القرآنيَّة، وبعض الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة: ليرسخ في ذهنهم الرِّصيد المعرفي اللغوي الذي يُستثمر في مُختلف مراحل الدِّراسة.

3. اعتماد مادة التربيّة المدنيّة، بجعل المتعلّم يأخذ الأخلاق والقيم والتّاريخ والاحتفاء بأحداث الوطن وصنّاع المجد.

4. التّركيز على: المُحادثة+ الحوار+ الصّور اللّغويّة العالِيّة من القديم: شعر/ نثر/ حكمة+ التّدريب على المنطق+ الحساب والرياضيات+ القيم الأخلاقيّة.

5. مرحلة المتوسّط يكون فيها تفصيل في قضايا النّحو+ البلاغة+ مختلف المواد من: تاريخ وجغرافيا وعلوم وبيئة...

6. مرحلة التّعليم الثّانويّ يكون لتعميق العلوم وتدرّيس الفلسفة وتعميق المنطق وما له علاقة بقضايا فقه اللغة في إطار علوم اللغة والبلاغة القديمة، مع تخصيص أقسام للّغات الأُمميّة: الإنكليزيّة+ الفرنسيّة+ الإسبانيّة+ الرّوسيّة+ الصّينيّة، في إطار تبادل المنافع اللّغويّة مع العربيّة في مختلف الوكالات العالميّة. أضف إلى ذلك بأنّ هذا هو نوع من التّهيئة لدخول الجامعة دون عائق لغويّ، فيجد المتخصّص في لغة ما يجعله يتلقّى الدّروس بلغة أجنبيّة بشكل عاديّ.

رابعًا: بخصوص المنهاج والكتاب المدرسيّ: يقتضي البحث العلميّ والتّربويّ أن أوّله بالكتاب المدرسيّ الذي أخرج جيل السّبعينات، وكان مبنياً على النّصوص الطّبيعيّة من شعر عالي الجودة، رفيع البلاغة، ينمي الدّوق، ويبني الرّصيد اللّغويّ. ولهذا أدعو إلى رفع بعض المألّسات في هذا الأمر:

1. لا للجزارة في المنتوج التّربويّ واللّغويّ، فالعربيّة لغة الحضارة الإنسانيّة ليست لغة القوم، بل لغة الكون، كُتبت بها كلّ اللّغات والثّقافات، وخدمها العرب والمستعربون والفرس والمازنغيون. وهنا أدعو إلى الجودة في اختيار النّصوص فقط.

2. تكون الجزارة في الخصوصيات من: تاريخ+ جغرافيا+ أعراف+ قيم+ حكايا الجدّات، وما له خصوصيات البيئة الجزائريّة.

3. ضرورة التّناسف العلميّ في اختيار الكتاب المدرسيّ الذي يستجيب لما تُقرّه لجان المناهج، مع تنوع في المحتوى اللّغويّ والعلميّ، دون إغفال المُستجدّات الحضاريّة، وما يأتي به العِلْم في وسائل العصر.

4. لا مشكلة في توصية لجان المناهج والكتاب باعتماد كتاب/ كتب دعم تكون سندًا للتلميذ/ للطالب مثل الحوليات...

. خامسًا: بخصوص السير العام للمنظومة التربوية: هنا لا بدّ من الحسم في ما يلي:

1. إخراج المدرسة من التجاذبات الحزبية، ويكون بمنع الإضرابات مُطلقًا وهذا ما تُطبّقه بعض الدُول التي سجّلت رقمًا عاليًا في تثمان التّمنية البشرية، ودخول مُجتمع المعرفة.

2. إخراج رجال التّربية من سُلطة مكاسب الأجداد/ الأحزاب، وأنّ التّنافس يكون في من يُقدّم الأفضل، والعول على الشّهادات والمنتوج العلميّ/ التّربويّ.

3. أولياء التّلاميذ شركاء في الاستشارة فقط، لا في صناعة القرار، كما أنّ الجمعيات الثّقافية لا بدّ أن يقع تطهيرها تحت سُلطة الإدارة.

4. الحوكمة الإداريّة تُسند للباحثين والعلماء والمختصّين من الممارسين النّاجحين في تأديّة المهام التّربويّة ويكون عن طريق التّنافس العلميّ الشّفاف.

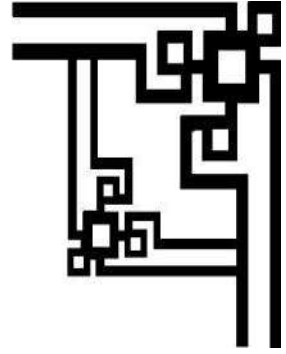
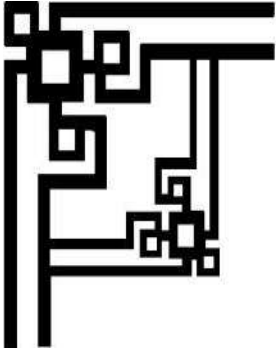
5. كلّ عمليات التّرقّيات وإسناد المناصب سيكون عبر لجانٍ وطنيّة تحت دفتر شروط وطنيّة؛ عمادها العلم والإنتاج وحُسن السّيرة. وأما ما له علاقة بالأقدميّة؛ فيكون من باب التّفاضل بين مُتنافسين (2) مُتساويين في الإنتاج التّربويّ والعلميّ.

6. تخطيط صهارم لمدرسة الجودة والحدّثة التي تعتمد الانطلاق من التّأصيل إلى جودة رهانات العصر في التّحوّل الرّقميّ، ومعطيات مكاسب الذّكاء الصّناعيّ، وخلق التّطبيقات الخوارزمية المُيسّرة لجعل العربيّة في مُستوى اللّغات الأُمميّة؛ وهو الرّهان الذي يجعل منظومتنا تخوض المُعاصرة بخصوصياتنا وثقافتنا، وبما يجعل للغتنا المُشتركة (العربيّة الفصحى) مقامًا في الإبداع التّقاني وفي توطّين المعرفة العلميّة.

الخاتمة: انطلاقاً من حتمية التحسين والتجديد وتطوير الأداء التربوي، ومن أجل اللحاق بركب الدول الرائدة في منظومة التعليم والتربية، ومُسايرة التغيرات التي حدثت في العالم، لا بدّ من رجة إصلاحية جديدة متوافقة مع القطار السريع للجزائر الجديدة والتي ترمي إلى تحسين المردود التربوي في نوعية مُخرجاته، من خلال التغيير التدريجيّ ضمن إطار مجموعة من الأهداف والاتجاهات والمبادئ التي يقوم عليها النظام التربويّ الجديد، وتجنيد كلّ الفاعلين في المجال التربويّ لتحقيق ذلك.

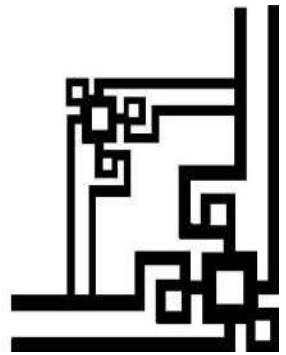
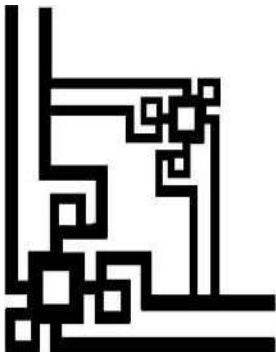
ولهذا أنتصر لتحسين/ لإصلاح التعليم عامّة؛ نظراً للأهمية التي يحتلّها في تحسين وتعديل مسار النظم التربويّة نحو الأفضل، تحقيقاً للجودة الشاملة في المنتج التعليميّ لتلبية حاجات المجتمع. وبات الحديث قائماً حول أهمية الاستثمار في التنمية البشرية، وتكون التربية منبع التغيير الاجتماعي وهي عمدة تحقيق التنمية المستدامة في المجتمع، وعدم تخلفه عن مسار التطور العام. ولهذا من الضروريّ شدّ الهمة وتجاوز بعض الأسوار العامرة بالأسلاك، ونسجّل إسهامنا في دفتر التاريخ الإنسانيّ؛ بضرورة التبيّي السياسيّ للعملياتِ الإصلاحية لمنظومة التربية والتعليم والتكوين للجزائر الجديدة؛ وفق سياسة تعليمية تستمدّ مرجعيتها التاريخية والعلمية والدينية والتراثية والمستقبلية من آمال المجتمع الجزائريّ وتطلّعاته وهويته ولغته.

ولا يمكن أن يتحقّق الإصلاح إلاّ في مشروع مُتكامل أفقيّاً وعموديّاً يتجنّد الجميع لتنفيذه كلّ في مَوقع المسؤولية المناطُ به أداءها، وضرورة شمول التحسين/ الإصلاح في مرافق الدولة، مع المرونة التي يجب أن يحتويها في واقعته، مع ما يتناسب مع طبيعة مُتطلّبات الإصلاح وأولوياته. ولا ندخل في تفاصيل تعود للمُختصين، بقدر ما نريد الاستعداد لتحسين وإصلاح تعليميّ تربويّ هدفه صُنع مدرسة جزائرية عالمية؛ ذات جودة عالمية مُواكبة للتغير المعرفي، ومُستوعبة للمهارات الحياتية.



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

34



أفكار في عظمة الثّورة الجزائريّة

والتّاريخ الحقيقيّ والإلهام الأدبيّ*



الدّيباجة: يجدر بي القول بأنّ اختيار عنوان هذا الملتقى تمّ بنجاح مُهم؛ من حيث الجَمْع بين عظمة الثّورة الجزائريّة التي تحتاج إلى روافد تبليغيّة أدبيّة هذا من جهة، ومن جهة أخرى بين الصّورة الحقيقيّة التي يجب اعتمادها وثيقة تاريخيّة تحمل الواقع كما هو، وبين نظرة الأديب إلى التّاريخ في صورة نقل الواقع بنظرة بلاغيّة تعتمد الإيحاء أحياناً، والتّعميّة أحياناً، والجانب الحسيّ الذي قد يطغى في كثير من المواقف. وهكذا تحلو النّصوص التّاريخيّة في نقلها للمُتعلّمين وهم يحتاجون إلى الخيال والجِناس والتّوريّة؛ لتحريك مهارة تمثّلات اللّغة العربيّة في مقاصدها السّطحيّة أو العميقة، وما يتبع ذلك من مقاصد فنّون الأدب الجامعة بين الواقع والمُتخيّل الذّهنيّ. وهذا ما أراه في هذا العنّوان (الثّورة الجزائريّة بين الإبداع الأدبيّ والواقع التّاريخيّ في المدوّنة النّصيّة المدرسيّة). وقد أتقنتم فنّ الاختيار؛ بتنسيق مع أصحاب القرار، في مُديريّة التّربيّة لما لها من دراية في صُنْع الكتاب المدرسيّ المِنوار.

1. أهميّة الثّورة الجزائريّة: تُعدّ الثّورة الجزائريّة أيقونة المُقاومات العالميّة والنّضال والكفاح لدى الأحرار، فهي التّمودج في كسر قيود الاستعمار، والانعتاق من ريقّة الاستعمار، وذلك ما جعل مَشاعِر الشّعراء والأدباء والقاصّين تنفعلُ إيجاباً في هزّ وجدانهم بما لهم من مِخيال يجعلهم يُبدعون ويزيدون في الإبداع

* - الكلمة التي أعدت للملتقى الوطنيّ حول (الثّورة الجزائريّة بين الإبداع الأدبيّ والواقع التّاريخيّ في المدوّنة النّصيّة المدرسيّة) تنظيماً: مخبر البحث في تعليميّة اللغة العربيّة في المنظومة التّربويّة الجزائريّة، بالشّراكة مع كليّة الآداب واللغات والفنّون بجامعة جيلالي اليابس بالتنسيق مع مُديريّة التّربيّة لولاية سيدي-بلعباس، بتاريخ: 19 أكتوبر 2022.

وذاث الثّورة جعلتِ الكُتابِ يستنطقون النّاتجات الأديبّة التي أشادت بثورة التّحرير وتبعهم الإعلاميون في الإشادة بصُور بطوليّة للثّورة التّحريريّة، وكذا سارت مُختلف الفنّون في تعريّة الفكر الكولونياليّ الذي مَسَحَ الحقيقة. ومن ذلك نجد "تعالّقًا حميميًّا بين الثّورة الجزائريّة والكتابة على تباين أجناسها، ثورة تترك لنا نصوصًا جُعِلت منها حكايات تُروى، وقصائد تُنشد وتُغنى، ومسرحيات تُؤدّى وتُعرض، ولوحات تُرسم. وأكثر من ذلك، حوّلتها إلى ملّحة خالدة، نقشت في الذاكرة الجمعيّة، فتغنّت بها الشّعوب المضطّهدة، وردّدها كلّ عاشقي الحرية على وجه البسيطة".

وهكذا نجد رصدًا للثّورة الجزائريّة في الأدب وفي مُختلف فنون القول. والإشكاليّة هنا، كيف نقلّتها هذه الفنّون إلى القارئ/ المتلقّي، وهل أعملتُ فيها الخدوش، أو زيّفت الوقائع، أو نقلّتها دون تصرّف، وكيف تعاملت معها الكتاب المدرسيّ الأديبيّ، وكتاب التّاريخ خاصّة، وكيف نظرت إليها الدّراسات العلميّة والأكاديميّة، وما هي نظرة المجتمع المتلقّي لهذه النّصوص وهو ينبش في الذاكرة التّاريخيّة، ويقلب البحث عن القيم التّاريخيّة، فهل يجدها صحيحةً وهل يثق في مُختلف رواياتها، أو يرى رؤية الغربلة التي تأتي لتصحيح الوضع الذي ينشأ عن الروايات المغلوطة.

2. أهميّة الكتاب المدرسيّ: يشكّل الرّافد الأساس في المنظومة التّربويّة، وهو المرجع العمدة الذي لا يرقى له أدنى شكّ، ويقع عليه العوّل من قبل التلاميذ في تلقّي المعارف والعلوم بشكل موضوعيّ ومنطقيّ ويربّي مُختلف المهارات بالإضافة إلى ما يقوم به من التنشئة الاجتماعيّة للأجيال، وكما يعمل على تكوين ملّح التلميذ في تمثّلات الهويّة الوطنيّة، وما يقوم به من فرض مُمارسات علميّة وأخلاقيّة لمدايل مضمونه. ولهذا يقع الاهتمام بمحتوى الكتاب المدرسيّ لما يحمل من ثقافة وأنماط سلوك يغرسها في المتعلّم، فهل الكتاب المدرسيّ المعاصر يُراعي مُختلف التّيارات والمتغيّرات ومُستجدات العولمة، ويعطي دفعًا للحراك الجماعي ويقوم على تشجيع التّماهي في نقل التّكنولوجيّة وضرورة الاستفادة من معارف

العصر؛ لأنّ البقاء ليس للأقوى ولا للأذكى، وإنما البقاء للأكثر استجابة للتغيير. وهذا ما يجب أن تتوضّح أبعادها في الكتاب المدرسيّ المعاصر الذي يجب أن تُديره عمليّات آفاق تحسين المنظومة التربويّة والتّعليميّة والتّكوينيّة المُستقبل منظومة جديدة، وكتاب جديد.

ويرى التربويّون أنّ من وظائف الكتاب المدرسيّ في مجال التّاريخ أن يُقدّم المعارف التي تُناسب مُستوى التّلاميذ، ويُركّز على تنمية القيم المرجعيّة من خلال الممارسات لواقعه، وذلك ما يُرسّخ فيه الانتماء الوطنيّ، والانفتاح على العالم. وهذا ما سوف يتحقّق لاحقًا لدى التّلاميذ في الاهتمام بالتّاريخ المعاصر، وتمجيد الماضي بصورة ضمنيّة لمآلات كانت تحملها مضامين الكتاب لحدّ الإشباع. ولهذا يقع الحرص على مضامين الكتب المدرسيّة في التّاريخ، والتي تُنمي التّكوين الفكريّ والمعرفيّ للمُتعلّم؛ بتنميّة ذكائه الاجتماعيّ وحسّه النّقديّ، وتزوّده بالأدوات المعرفيّة والمنهجية لإدراكه أهميّة الماضي في فهم الحاضر.

3. أهميّة حضور النّصوص التّاريخية في الكتاب المدرسيّ: ونبداً الحديث بسؤال وجيه، هل حضر تاريخ الجزائر في الكتاب المدرسيّ الجزائريّ في جيله القديم، أو في الجيل الثّاني، أو في الكتاب المعاصر، وهل في واقع تدريس مادة التّاريخ غير مُجرأ عن غيره من المواد؟ وكيف يتصرّف المُعلّم في الصّور الأدبيّة التي تحملها مضامين الكتاب أو الوثائق أو الروايات التّاريخية؟ وهل الكتاب القديم عمل على إشعاع عظمة الثّورة الجزائريّة، وحمل مضمون التّاريخ الحقيقيّ في صياغة عمليّات الإبداع الأدبيّ الذي يحتاجه التّلميذ؟ تلکم بعض الأسئلة التي تُثار في أهميّة حضور التّاريخ الجزائريّ في الكتاب المدرسيّ؛ لما له من دور في المنظومة والمناهج التربويّة والكتب المدرسيّة، وكيف هو واقع تدريس مادة التّاريخ في المؤسّسات التّعليميّة الجزائريّة، وما مدى دور ومكانة قيمة كتب التّاريخ في تعزيز وتكريس الثّقافة التّاريخية، ونشر الوعي التّاريخيّ لدى الأجيال الجديدة. وهذا ما نحتاجه من قبل أهل الرّأي في إنصاف التّاريخ الوطنيّ الذي يحتاج إلى رعاية خاصّة، وأنا من الذين ينتصرون لمن يقول "التّوبخ على مُنكري التّاريخ".

ولذا من الأهمية أن نتنادى للاهتمام بمادة التاريخ، وتقديمه بمنهج جديد يراعي الجوانب الحقيقية والبلاغية، لا مجرد حفظ وردّ الحفظ فقط، والرفع من معاملته في الامتحانات. وإنّ التاريخ مادة ذات أهمية في المنظومات التربوية العالمية، فلماذا نبخس بضاعته عندنا، أو نجعله من المواد الثانوية، والجزائر ذات التاريخ المجيد، ونحن نعيش العهد الجديد.

وإنّ التوجّه الجديد للمنظومة التربوية يلامس هذه القضايا المهمة، ويعمل على حلّ حللتها بمتوافقات المقرّرات المدرسية التي تعود في أصلها إلى المعلمين والمُختصّين الذين لا يحتاجون أن يوصوا على التاريخ المُشرق للجزائر وتاريخ الثورة التحريرية التي أخذت بألباب المبدعين في الوطن وفي العالم. وإنّ المعلمين وأصحاب القرار هم صنّاع المقرّرات المدرسية، ومقرّري الكتب التي تندرج ضمنها المناهج والمضامين التربوية، والتي تهدف إلى تكوين مُتعلّم مُنسجم مع ماضيه، بعيداً عن إثارة المواضيع المتعلقة بما يمكن تسميته بالتاريخ الأسود أو بؤر الخلاف، فهل يكونون في مستوى ربط المتغيّرات بالثوابت والخصائص.

وكما تعلمون؛ فإنّنا نعيش وضعاً جديداً يستدعي نظرة إعادة حقيقية للتاريخ في مناهجنا التربوية بما يتّجه نحو تعميق نزع الألغام أو التّشكيك أو التّراجع، عن المُتفق عليه، أو مُراجعة التاريخ في كلّ وقت، وهذا غير مطلوب، ونحن في إطار لمّ الشّمل الوطني بما يخدم التاريخ الوطني في أعلى تجلياته. ونحتاج في هذا الظّرف إلى مُرافقة المُختصّين الذين يفتّون في صياغة البرامج التربوية، وفي إعداد الكتب المدرسية للإطارات التابعة للقطاع، وبمُرافقة باحثين وجامعيين يشتغلون في مُختلف العلوم.

4. أسئلة الواقع المُراد الوقوف عندها: هي عبارة عن إشكالات نرفعها للحُضور، وبخاصّة المُحاضرين في رفع التعمية عن حُضور تاريخ الثورة الجزائرية في المنظومة والمناهج التربوية والمقرّرات المدرسية، وكيف هو واقع تدريس مادة التاريخ في مؤسّساتنا التعليميّة؟ وهل البرامج والمناهج المرتبطة بمادة التاريخ نقلت صورة حقيقية عن الثورة الجزائرية وأنصفتها؟ وهل نالت مادة التاريخ مكانة

مَعْقولة بين المواد التَّعليميَّة؟ وهل تجسَّدت عظمة الثَّورة التَّحريريَّة بتاريخها الحقيقيِّ في إلهام أصحاب الأدب والفنون لتشكيل سياج الحيطة ممَّا يمكن أن يُسبِّب القلاقل في المُستقبل؟

هي إشكاليات تستدعي ممَّا إعمال البصر والبصيرة من أجل إحكام النَّظرة العلميَّة في ما يُنقل للمُتعلِّم في المُدونات النَّصيَّة المدرسيَّة؛ باعتبارها تعمل على النَّسخ الذي لا يقبل المَسح أو التَّراجُع أو النَّقد، ولا يعمل على التَّشكيك فيها؛ لأنَّها من صُنْع أصحاب القرار. ولهذا يستدعي ممَّا الواقع التَّدقيق في الاختيار النَّوعيِّ للنَّصوص من ذلك الرِّكام الأدبيِّ والفكريِّ الهائل حول الثَّورة الجزائريَّة التَّموجيَّة، بُغية استجلاء مظاهر الحقيقة التي ينشُدها المُتعلِّم.

وهذا رأي الذي أراه يعمل على كشف مُختلف تجلِّيات الثَّورة الجزائريَّة في الأدب، بضرورة الالتزام بالموضوعيَّة في الطَّرح، والأمانة العلميَّة في الكِتابَة والإبداع الأدبيِّ في حدود التِّزام الصُّور الفنيَّة التي لا تُخَلِّ بالحقيقة، وضرورة إشفاع ذلك بالإحالات والمَرَجِيعات في غاية الدِّقة والوضوح.

والغاية من هذه النَّقطة هي أخذ المَحاذير التي تُثيرها المدرسة الكولونياليَّة من دسِّ المَغشوش في العَسَل، ومن هنا يستدعي الواقع التَّاريخيِّ العمَل باليقظة في تلك الإحصائيات والأعداد التي تُقدِّم من جهات غير رسميَّة، فنجد الكثير منها هي غير صحيحة وما يتبع ذلك من كلام غير واقعيِّ عن الخلافات البينيَّة ذات العلاقات بالتَّصفيات الجسديَّة وهي خارج سياقها، وأحياناً نجد المغالطات حتى من الجهات الرِّسميَّة التي في صالحها الكتمان عن الحقيقة، وذلك ما نعلمه من أحداث 17 أكتوبر 1961م بخصوص عدد الذين أُلقي بهم في نهر (السِّين) فتقول السُّلطات الفرنسيَّة بناءً على تصريح رسميِّ يعود إلى 1998، أن عدد الوفيات أربعون (40) وأنَّ شهود عيان يوثقونها بثلاثمئة (300) حالة.

وتأمَّلوا الخلاف البيِّن بين الخطاب الرِّسميِّ، وبين شهود عيان، ونعلم بأنَّ مجتمعا لا يرى بالعين، بل يرى بالأذن وهي مشكلة تُعدُّ من المَحاذير التي لا بدَّ من الاحتياط لها في الكتاب المدرسيِّ وعدم القياس على الحالات المُنعزلة، ويأتي هذا

من بعض المؤرخين الذين يُوجّهون الرأى العامّ للقضايا البسيطة أو الهشّة لتعميّة القضايا المهمّة، وهو تشويه يُشكّل تمزّقاً في النسيج الجمعيّ للشعب الجزائريّ إذا صدر من كتاب مدرسيّ مُعتمد. ولهذا يجب التّحرّز والتّحرّج في نقل المسائل إلّا بالثّبت العلميّ الدّقيق الذي يستدعي التّوثيق والشّهادة الحيّة التي لا يرقى إليها الطّعن. ومن هنا نرى المسائل التّاريخيّة تُعالج علاجاً خاصّاً حتى وهي في صورة إبداعيّة تُنقل قريبة من الواقع بأسلوب تلميجي واضح.

5. ضرورة إعمال النّظر النّقديّ في المُدونات النّصيّة المدرسيّة: هي نظرة نحتاجها في إطار التّحديث لكلّ وسائل المنظومة التّربويّة التي تُقدّمها (الجزائر الجديدة) بما تراه من مُستلزمات التّحديث، وأنّ القطار الفائق السّرعَة TGV يستلزم سكّةً جديدةً، ولا يمكن الرّكون إلى سكّة قديمة ينحرف فيها القطار السّريع. ولهذا ننظر للمسألة من زاوية استشراف آفاق المُستقبل في تحسين المنظومة التّربويّة بشكل يضمن رؤية جديدة للثّورة الجزائريّة، وتألّفها الحقيقيّ ببنيات حجاجيّة بأقصى حدّ من الموضوعيّة، من غير عواطف، وبنصوص عقلانيّة خالية من الإيديولوجيّة؛ تحقيقاً للاهتمام بالتّاريخ الوطنيّ المُجيد؛ لأنّه الوعاء الذي تشكّلت فيه الشّخصيّة الجزائريّة، وتبلورت فيه عواملُ الهويّة في أبعادها الثّلاث: المُزوجة والعروبة والإسلام. مع ما يتبع ذلك من حضارة شرقيّة، وتفتح على كلّ الحضارات والشّعوب بوصف السّلف "نفتح الأبواب والنوافذ ولا نقلع السّقوف".

وهذا ما يُعزّز صورة التّاريخ الوطنيّ في الكتاب المدرسيّ في الطّور الثّانويّ على الخصوص؛ لأنّ المُتعلّم على دراية بمُتغيّرات الواقع، ويسمّع الكثير عن التّاريخ الوطنيّ، ويقرأ التّضاد، ويتابع الوسائل التّقانيّة المُعاصرة التي ترمي له الصّحيح والمُزيّف، فهل الكتاب المدرسيّ الحالي ينظر لهذه المسائل عندما ينقلها في صورة أدبيّة مُشوّقة، ويلقيها على المُتعلّم الذي لا شكّ يتجاوب معها دون غربة لأنّها من صميم البرنامج.

ومن هنا نُنَاشِدُ أَهْلَ الرَّأْيِ التَّربَوِيِّ أَنْ يَعْمَلُوا عَلَى تَجْسِيدِ وَحْدَةِ المَرَجِعِيَّاتِ الوَطَنِيَّةِ، وَأَنْ يُؤَسَّسُوا لِلوَعْيِ التَّارِيخِيِّ الَّذِي يَقُومُ عَلَى إِضْفَاءِ النِّسْبَةِ التَّقْدِيَّةِ فِي نَقْلِ النِّصُوصِ، بِتَمَثُّلاتِ الدَّوْلَةِ والمُجْتَمَعِ فِي إِطَارِ الانْسِجَامِ الجَمْعِيِّ الَّذِي تَعْمَلُ المَدْرَسَةُ الجَزَائِرِيَّةُ عَلَى تَجْسِيدِهِ.

6. مُحدِّدات تربويّة مُهمّة في هذا الجانب: هي استراتيجيّة أراها تعمل على الرِّبْطِ بَيْنَ أَلْقِ الثَّوْرَةِ الجَزَائِرِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى مَزِيدٍ مِنَ التَّسْوِيقِ، وَبَيْنَ أَهْمِيَّةِ تَارِيخِنَا العَظِيمِ، وَمَضامين النِّصُوصِ المَدْرَسِيَّةِ الَّتِي مِنْ وَاجِبِهَا أَنْ تَحْمِلَ الرِّصِيدَ المَعْرِفِيِّ فِي كُلِّ جَوَانِبِهِ، وَتَكُونُ مُلَبِّيَّةً لِلأَدْبِيَّاتِ وَلِلتَّيَّارَاتِ الفِكْرِيَّةِ، وَلِلإِسْتِراتِيجِيَّاتِ المُرادِ تَحْقِيقِهَا فِي مَلْمَحِ التَّلْمِيزِ رَجُلِ الحَاضِرِ والمُسْتَقْبَلِ. وَهنا نَطْرَحُ بَعْضًا مِنَ الجُزْئِيَّاتِ الَّتِي نَرَاهَا مَخْرُجًا مِنْ بَعْضِ الطَّرُوحَاتِ النَّاقِدَةِ، وَكَذَلِكَ نَرِيدُهَا أَنْ تَكُونَ فِي مَشْرُوعِ مَنظُومَةِ التَّربِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّكْوِينِ لِلجَزَائِرِ الجَدِيدَةِ:

1/6. عَدَمُ تَدْرِيسِ التَّارِيخِ كَوَحْدَةٍ مُنْفَصِلَةٍ عَنِ المَوَادِّ الأُخْرَى، وَبِخَاصَّةِ الأَدْبِيَّةِ مِنْهَا.

2/6. الخُورُجُ مِنَ السَّرْدِ وَالتَّلْقِينِ الَّذِي لَا يُنْبِئُ مَلَكَةَ التَّقْدِ لَدَى المُتَعَلِّمِ.

3/6. اعْتِمَادُ مَنهَجِ تَحْلِيلِ المَضْمُونِ، فِي أَجْرَاءِ مَفَاهِيمِهِ فِي مَقاصِدِ الخُطابِ الجِجَاجِيِّ.

4/6. ضَرُورَةُ إِبرازِ المَرَجِعِيَّاتِ الوَطَنِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالحَضارِيَّةِ فِي اسْتِنطاقِ نِصُوصِ التَّارِيخِ، وَهِيَ فِي الكِتَابِ المَدْرَسِيِّ.

5/6. تَنْبِيهِ المُعَلِّمِ وَالمُتَعَلِّمِ إِلَى مَعْرِفَةِ الفَرْقِ بَيْنَ ظاهِرِ الخُطابِ المَدْرَسِيِّ وَمُحتَواهِ الضَّمْنِيِّ.

6/6. ضَرُورَةُ حُسْنِ التَّدْبِيرِ فِي ظَلِّ المُقارِبَةِ بِالكِفاءاتِ، مَعَ ما يَلْحَقُ ذَلِكَ مِنَ مُتغَيِّراتِ نَعِيشِها فِي العَولَمَةِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ التَّعَامُلُ مَعَ مُعْطِيَّاتِها بِحَسَنِ التَّصَرِّفِ، وَمُراعاةِ الخِصُوصِيَّاتِ.

7/6. تحديث برنامج مادة التاريخ بأدبيات القيم والقِصَص والحكايا وما ينعكس على الواقع من حقائق تطبيقية وموازنات حضارية عرفتها الجزائر عقب الحقب التاريخية التي ترتبط بنوميديا الشرقية والغربية إلى ملوك البربر، وما عرفته من مختلف الدول التي مرت بها، بالتركيز على ثورة نوفمبر 1954م.

7. أهمية حضور الأدب في مادة التاريخ: لا ننكر أن الجزائر أولت الإهتمام بمادة التاريخ لما له من مكانة بارزة في المناهج التعليمية؛ لربط النشء بترائه ووطنه وتراث الإنسانية، ولتحقيق تنمية شاملة تخص شخصية المتعلم، ودوره نحو وطنه وأمتة. وهنا نقول هل في هذه المادة حضور أدبي في متونها السردية وفي توصيل مضامينها عبر مختلف وسائل اللغة العربية التي تعرف الانفجار اللغوي والبالغي لتوصيل المعلومة، ومس شعورهم الأدبي بسجع الكهان، وأدب الفقهاء، وشواهد الشعراء، ورقة التبليغ لمسار الشعور في ذوق المكنون؛ لأن المادة التاريخية كلما طهرت رقت، وإذا رقت رافت، وإذا رافت ذافت، وإذا ذافت فافت، وإذا اشتاقت، وإذا اشتاقت رسخت.

أضف إلى ذلك ما تتطلبه اللغة من جذور تعرف الكُمون والظهور، والتاريخ يستنطقها في حيثيات الأحداث التاريخية متأثراً بمجري اللغة العربية في أبعادها المنطقية أو المجازية أو الحسية وأحياناً في استعمال الوسائط التكنولوجية. ذلك ما يُميط اللثام عن جفاف مادة التاريخ التي لا تُثير الإهتمام أكثر لدى التلاميذ إلا بمسوغات حسية تكمن في أسلوب لغة التوصيل وهي العربية. وندعو صنّاع كتب التاريخ أن ينحوا منحنى التفتّح على الأدب العربي، وتحبيب التاريخ بالأدب العربي، أضف إلى ذلك حُسن التحكّم في الأدب العربي الذي يضيف قيمة للتاريخ؛ وهو يعيش التفاصيل عبر الفعاليات التاريخية التي تزيد للتاريخ ألماً، ولقضاياه أدباً.

وذات الشيء نرومُه أن يكون في ملامسة المواضيع التاريخية في مقررات كتب اللغة والأدب العربي والعمل على إبراز التاريخ المُشرق الذي يعكس وجهًا مُشرقًا من صفحات النضال والإبداع والتفاعل مع الأمم والشعوب، وبناء الحضارة، وعدم الفصل بين المواد التي تهدف إلى تكوين مُتعلّم عضوٍ مُنسجم مع ماضيه

وحاضره. ونحن اليوم أشدّ حاجة إلى إعادة حقيقيّة للتّاريخ والأدب العربيّ والعلوم الإنسانيّة في مناهجنا التّربويّة بما يتّجه نحو تعميق روح التّكامل لا الفصل، ولا تقديس الموادّ ولا تبخيس الموادّ، ولا الميل نحو العلوم البحتة التي تخلق لنا روبات لا تحسن فنّ التّدبير ولا تراعي الإحساس والعُرف ولا فنّ التّسيير.

وترانا ندعو إلى أدبيّة الأدب العربيّ في تدريس مادة التّاريخ لا في مَفهومها الماركسي، بل في مُراعاة الإبداع اللّغويّ العربيّ وهي ميزة العقل، وكان على المُبدع أن يبحث عن سحر اللّغة العربيّة وجمال الإبداع فيها، وفي وسط صُخب الحياة اليوميّة المتغيّرة والتي تسمو بالنّفس وترتقي بعمله الفنيّ في مَفهوم الأدب بمعناه الكبير. وهنا لا بدّ من مُدركات تستنتج من النّظريات اللّغويّة، بحثًا عن النّمودج الأدبي الخالد الذي يليق بالأحداث الخالدة. وهنا يكون البحث عن فنّ المُحاكاة للواقع، وهذا ما يُحقّقه الأدب عندما يستجلي النّصوص التّاريخيّة، ويُحوّلها إلى أحداث تفاعليّة ذات مَنفعة في تطهير النّفوس؛ سعيًا وراء الالتزام الذي يفرضه الأدب في نظرته إلى التّاريخ في مُحاكاة النّظرة الفوقيّة فقط، ونشدان الأفضل والأجمل؛ باعتبار أنّ الفنّون هي التي تخدم الثّورة في حاضرها أو بعد خُمودها، كما يُمْكن العمل على توجيه المُجتمع بَمَنظومة فكرة الواقع وأحداث المُجتمع، وما يُسجّله الأديب من دقائق ينقلها بقلمه في إبداعه بعيدًا عن ذاتيّة التّقل وبمَحض تأويله الشّخصيّ الذي يلتزم تجاه ذاته ونحو مُجتمعها الذي يرى فيه ذاته، وكان عليه التّزام منهجه وسلوكه وعواطفه طوعًا ليكون لسانه في تحقيق وجوده كأديب ينقل الأحداث دون تشويه، بفعل مجاري اللّغة التي تنقل الأحداث بصورة فنيّة يقبلها التّفسير وفق مَسؤوليّة الاختيار اللّغويّ الذي تحتكم إليه اللّغة، وعُضويّة النّاقل لتحقيق وجوده في مَعناها الجمعي.

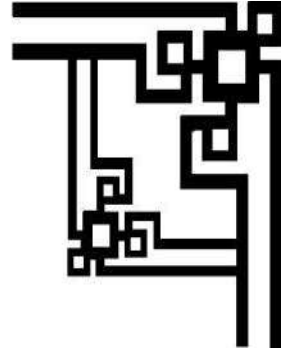
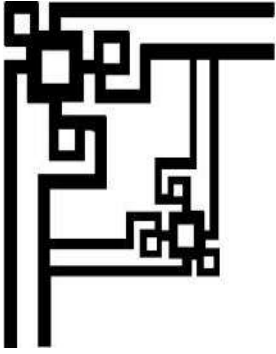
ونرى بأنّ الأديب يحمل رسالة تحقيق نقل الواقع ضمن تحولات حضاريّة تخدم شريحة كبيرة من المُجتمع أو كلّ المُجتمع، رغم أنّه يميل في مهنته إلى المُتعة الفرديّة، لكن في نقل أحداث التّاريخ يكون له موقف مُغاير في العمل على تحقيق المواقف الواعيّة تجاه قضايا المُجتمع مع المُحافظة على الحرّيّة الفرديّة.

الخاتمة: أعتقد أنّ جُملة مُتغيّرات سوف تعمل على تغيير وتحقيق نمطيات عظّمة الثّورة الجزائريّة والتّاريخ الحقيقيّ والإلهام الأدبيّ إلى ما هو أحسن، بما يحصل من الاهتمام الوطنيّ بالذاكرة الجمعيّة والتّاريخ المُشترك واللّغة الجامعة، وما سوف تُبرزه تلك الاهتمامات بتخليد الأحداث التّاريخيّة والحفاظ على ذاكرة الأجيال، وتوصيات القائمين على شؤون التّربيّة والتّعليم بتدريس التّاريخ الجزائريّ لجيل اليوم، وضرورة إسناد الأمور إلى ذوي الاختصاص والكفاءات، والعمل بمناهج العصر، واعتماد التّطبيق بدل التّنظير الذي أُتخِمنّا منه وبه.

نحن بحاجة إلى نصوص ماجدة في عظّمة الثّورة الجزائريّة: نصوص تُلهم القارئ، وتجعله يستسلم للأحداث ويتفاعل معها، بل يُقدّسها، وهذا مطلب نرفعه إلى المُعلّمين في ربط مضمون كتاب التّاريخ بمُتغيّرات حقيقيّة تزيد من ثراء التّاريخ الوطنيّ، في صورة أدبيّة حافلة بالافتخار والعزّة والوجود، لثورة تستحقّ ألف تمجيد، ونحن أوّلَى بها من غيرنا في إيلاء الأهميّة لمنظومتنا التّربويّة في ترسيخ بطولات وقيم جيل الأُمس في جيل اليوم، ومُراعاة مُحتوى المناهج والبرامج التّربويّة في الكتاب المدرسيّ.

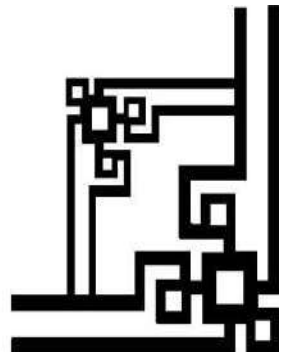
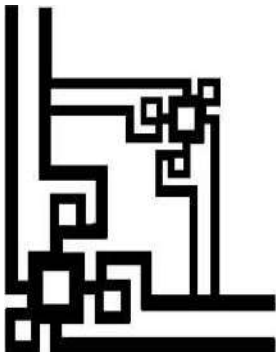
ولا بدّ من نظرة جديدة تأتي منكم أيّها الأساتيد والباحثّة والتّربويّون: من تعزيز المرجعيّات الوطنيّة العامّة في المناهج، وتخصيص مكانة مرموقة للتّاريخ الوطنيّ؛ لأنّه ماضيّنا وحاضرنا ومُستقبلنا، ولا مُستقبل لمن لا تاريخ له، ومن لا تاريخ له لا هويّة له.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

35



رسالة نوفمبر*



الدِّباجة: أيها الجمع الكريم، السَّلَام عليكم جميعًا، وإنَّه لا أجد الكلمات المُعبَّرات عن هذا اللقاء الكبير الذي يُنظَّم في رحاب جامعة (الجيلالي بونعامه) هذا الرِّجل العظيم من القادة التَّاريخيين للمنطقة الرَّابعة ومع ثلَّة من الذين كانوا هنا مَسؤولين: رايح بيباط+ أعمار أو عمران+ سليمان دهيلس+ أمحمد بوكرة+ يوسف الخطيب. هذه المنطقة النَّارية التي تشمل المَتيجة والونشريس والظَّهرة منطقة البارود والرَّناد، منطقة الونشريس العظيمة بعظمة صانعي التَّاريخ المَجيد وهم رُموس ولكثَّم من الخالدين، وبعظمة الشَّهداء الأحياء من المُجاهدين، ومنهم من بيننا اليوم، ولولاهم لما كان هذا اليوم. وهاهم يشهدون احتفالات الجزائر بالدِّكرى الثَّامنة والسِّتين (68) لاندلاع ثورة التَّحرير ضدَّ الاحتلال الفرنسي. وإنَّه ليوم عظيم تنادوا فيه إلى التَّفور، والخروج ضدَّ الاحتلال الذي أوهنَ العظْمَ وأفشلَ الرُّؤوسَ، وأعملَ اليُّوسَ، ويا عَجَبًا كم أَماتَ من النَّفوس!

أيها الكرام، أريد في بداية كلمتي إبداء انبھاري بمنطقة مَليانة التي يعود تاريخها إلى أزيد من سبعة وعشرين (27) قرنًا، مَليانة جبل الزكار التي شهدت حضاراتٍ مُتعاقبَةً بدءًا من الرُّومان، فقد كانت ملجأً لملوك نوميديا، وكانت أعظم مقاطعة موريتانيَّة القيصريَّة، ومع دخول الفاتحين تأسست فيها دول على غرار الدَّولة الرِّسيميَّة، ودخلها المُرابطون، وحلَّ بها المُوحِّدون، وبقي فيها الصَّنهاجي بولوغين بن زيري مؤسس الدَّولة الزَّيريَّة مدَّة زمنيَّة، ومرَّ بها الحماديون، وحطَّ الأتراك في جبالها وسهولها. مَليانة حبِّ الملوك، وحمَّاماتها لا تجفَّ، مَليانة المُتاحف، ومن

* - الكلمة التي أُلقيت بمُناسبة اندلاع ثورة نوفمبر 1954م، بجامعة الجيلالي بونعامه بخميس مَليانة في 26 أكتوبر 2022. تأطير: جامعة الجيلالي بونعامه+ مُديريَّة الخدمات الجامعيَّة عين الدَّفلى+ الولاية الرَّابعة التَّاريخيَّة+ نادي الفنون التَّشكيليَّة+ النّادي التَّاريخي سي أمحمد بوقرة+ مُؤسسة الأمير عبد القادر+ المُنظِّمة الوطنيَّة للمجتمع المدني.

تربتها بُنيّ برج إيقل / Tour Eiffel. مَليانة الموقع الاستراتيجيّ العسكريّ التي صعبت على الفرنسيين دخولها إلاّ بعد إحدى عشرة (11) سنة من غزوهم للجزائر، مَليانة التي ألحق ثوارها الهزيمة بالجنرال بيجو / Bugeaud. مَليانة التي مرّ بها (ابن بطوطة) مرّتين. ولستُ هنا لأسردَ عليكم تاريخَ مَليانة بِقَدْر ما أريد نيلَ البركاتِ من سُكّانها؛ حيثُ أجد نفسي في هذه المنطقة الطّاهرة العفيفة؛ طهارة أهلها وعلمائها وصلحائها، وأراني في حضرة الزّاهد الصّوّفيّ (أحمد يوسف الملياني) و(يحيى الشّاوي) وفي بلاد الشّلف المجاهدة القويّة بعلمائها ومُصلّحها، وفي غليزان الزّوايا وبلاد المشايخ، وفي ناحيّة مازونة بقلب جبال الظّهرة نقف على قبر (يحيى بن أبي عمران المازوني) وفي مَليانة الجبل نجد قبيلة الحوامد من صلحاء مَليانة، وجدّهم (سيدي حامد الشّارف) والقائمة تطول في منطقة تَصُول وتَجول، وبأعلامها ومُجاهديها ترفع القول، وتكبر بِكِبَر قَدْرها الذي لا يَزول.

أيّها الحضور، سُعدت بهذه الدّعوة من قبل النّشيطين الفاعلين من الطّلبة والمجتمع المدني، ومن المؤسّسات الوطنيّة التّاريخيّة المُمَجّدة لتاريخ الجزائر على غرار مُؤسّسة ذاكرة الولاية الرّابعة التّاريخيّة، فأنعمُ من خَلَفِ صالح لِسَلَفِ جامع! ومن مُؤسّسة (الأمير عبد القادر) مُؤسّس أوّل دولة جزائريّة حديثة، وترك آثاره هنا في دار البارود، ودار السّكة، وتُكنات العسكر والمقاومين، وحصون مَليانة فنعيم النّقلة النّوعيّة لزعيم لا يموت، وقد تناسل في شباب اليوم، وكلّهم أمير وكلّهم مُنافع من أجل شُمُوخ الجزائر بلا نَمير. ونراهم اليوم يحملون المُسؤوليّة التّاريخيّة في الاحتفال بالثّورة وصنّاعها. شباب أعلنوها مُنذ الاستقلال لا تنازل عن المُكتسبات، ومزِيدًا من التّجارات، لتحقيق أفكار (حسيبة بن بوعلي) وكلّ الذين قالوا: لا للمستدمر، لا للاحتلال، لا للمَسْخ والمَسْخ.

1. ثلاثي مُترابط: بالأمس قال الكبار: الجزائرُ وطننا، والعربيّةُ لغتنا، والإسلامُ ديننا، هي ترابيّة وطينيّة راسخة في الهويّة الجزائريّة، يحملها شبابُ اليوم في: الوحدة الطّلابيّة، والرّسالة التّوفميريّة، ودعم القضايا الدّوليّة العادلة، لقد تمثّل الثلاثة في هؤلاء الشّباب الذين يقولون: نحن للوحدّة الطّلابيّة فاعلون، وللرّسالة

التّوفمبريّة مُجسّدون، وللقضايا العادلة مُنتصرون، وعلى العهد باقون، ولتضحيات شهدائنا مُحافظون، ولنجاح الثّورة التّحريريّة فرحون. هي تضحيات جسام تجسّدت في الحاضر الهمام، كما تجلّت في مظاهر تلاحم الشّباب الملهام، وكذا الشّأن في تلاحم الشّعب الجزائريّ بجيش وجهة التّحرير الوطنيّ المغوار، وكان عبرةً لجيل اليوم بأنّ سياسة القهر الفرنسيّة أدّت الى نتائج وخيمة، وأرست تفسّي الفقر المدقع والأمية والبطالة وانتشار الأمراض، ولكنّ الرّغبة في الانعتاق والحريّة زادت في مظاهر تصاهر الشّعب الجزائريّ مع الثّوار من خلال جمع الاشتراكات، وما يتبعها من وسائل الدّعم الكبيرة، وكلّ ذلك أدّى إلى إفشال كلّ المُخطّطات وحصل الشّعب على حُرّيته بالقوّة والحديد والنّار، وبالدمّ المُضجّ بالكدّ والشّد والقدرّ المِنوار وبذلك حلّت لذة الانتصار يا شباب اليوم، فهل من اعتبار.

2. شبابُ اليوم: أيّها الشّباب، أنتم الحاضر والمستقبل، سيعود الشّهداء يومًا ويسألونكم عن حفظ الأمانة، وصون الوديعة، فبماذا تجيبون؟ لا شكّ أنكم تقولون: نحن لها، لقد أخذنا مواقفكم البطليّة فدوةً، وحصلت لنا نقلاتٌ نوعيّةٌ، ونحن في احتفاء الجزائر الجديدة بالتّاريخ المجيد والعهد الجديد. ستون (60) سنة من الاستقلال في رحاب رسالة نوفمبر، ونرى الرّافعات والمقاولات، وبناء العِمارات وشقّ الطّرقات، وبناء المحطّات، وزيادة المطارات، ورفع الظّلمات، عن مناطق معزولات... سيفرح الشّهداء، وينامون في أريحيّة تامّة بأنّهم تركوا الخلف الصّالح. سينام الشّهداء، ويرتاح المُجاهدون، ويقولون: نعم الشّبابُ أنتم، هكذا أردنا أن تكونوا، وإلّا لا تكونوا. وقالها (ابن باديس) يا شباب الجزائر نريدكم أن تكونوا وتطمحوا لأن تكونوا للجزائر بُناة، ولعهدكم هامات، ولأندادكم حُماة، فكونوا أو لا تكونوا، ويجب أن تكونوا.

أيّها الشّباب لا تنسوا جيل التّضحيات، ولولاهم لما كنّا جميعًا، لا ننسى ثورة نوفمبر التي جعلتنا جمعًا، بعدما كنّا قِدا، وأصبحنا وُحدة واحدة، وخرجنا من شَدْرَ مَدْرَ، تذرّونا الأحزاب، ولا ندري الشّمال من الجنوب، ويعلم الحضور أنّ نعم اليوم كانت بفضل نضالات ومجهودات بدّلها أجدادنا رغم بساطتهم وفقهرهم

وأميّتهم لكنّهم كانوا مُؤمنين بالانتصار، وأضحوا قدوةً في الانهار، ولهم مواقف بطوليّة أذهلت العدو الغاشم، وأرجعته من حيث أتى خائبًا حائرًا. بالفعل كانوا القدوة بما قدّموا من غالٍ ونفيسٍ؛ كي ينعمَ الجيلُ القادمُ بالحريةِ وبالأمن والاستقرار في ظلّ جزائر حرةٍ ومُستقرّة. فيا أيّها الشّبابُ أخطبكم من خلال مننظّماتكم في أيّة قاعدة كنتم، عليكم المُحافظة على هذه الأمانة: أمانة الجزائر الواحدة المُوحّدة؛ بالعمل والجِدِّ لمُواصلَة تطوير هذا البلد الكبير بِكَبَرِ مَسْؤُولِيهِ وشعبه وعظمة ثورته. وهنا لا بدّ من احتضان رسالة نوفمبر التي تركها الشّهداء والمُجاهدون وضمن استمراريّتها وإيصالها إلى الأجيال القادمة، وحافظوا على رمزيّة الاحتراف باستينيّة الاستقلال بما لكم من الرّفْع والارتقاء برسالة الشّهداء والمجاهدين ضمانًا لاستمراريّتها. وإنّ السّيد رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبون) نراه يعمل بقوة من أجل تسوية ملفّ الذّاكرة الوطنيّة، بتوثيقها والتّاريخ المُختلف أحداثها من خلال تحقيق نقلة نوعيّة في استغلال الرّصيد الوطنيّ من الشّهادات الحيّة حول الثّورة التّحريريّة، وتمكين الشّباب في مَواقِع المَسْؤُوليّة، وذلك ما تمثّل في تنصيب المجلس الأعلى للشّباب، والرّصد الوطنيّ للمُجتمع المدنيّ، ورعاية مُختلف الانتخابات بكلّ مصداقيّة، وما عليكم أيّها الشّباب إلّا التّواصل البيّنيّ في وصفا جامعة لحماية البلد، وأنتم جنوده.

3. الرّسالة المُطلوبة: أيّها الشّباب، هل وصلتْ رسالة نوفمبر؟ وأعددتُم وثيقة التّوريث، للجيل القادم، وإثبات النّية بأنّ نوفمبر سيبقى المحطّة العظيمة من تاريخ الجزائر الكبير والعميق، وأنّ صانعيه من الأبطال الخالدين الذين لا يموتون. هي مَهْمَة عليكم حملها ونقلها لأولادكم لاحقًا، ويبقى في أذنكم رنين ذلك النّشيد (إخواني لا تنسوا شهداكم، ألي ضحاو من أجل البلاد). ولا بدّ أن يحيا بيان نوفمبر، ويكون في المدارس والجامعات، ويُدرّس في مختلف المُوسّسات، وعلى مُختلف وسائل التّواصل الاجتماعيّ، وأن يقع الاعتزاز به في وطننا، ونرفعه للمنطقة العربيّة والأفريقيّة والعالم بأسره لما يحمل في طيّاته من حقوق الإنسان. وكان عليكم أيّها الشّباب الاستثمار في رسالة نوفمبر لتكون محطّة الاهتمام في

التوثيق وكتابة السيناريوهات، وإنتاج الأفلام، وقصص البطولات، وتشجيع التنافس في من يُقدّم الأفضل لتاريخ نوفمبر، والوعول عليكم في صناعة التمجيد اللائق بعظمة التاريخ الوطني؛ تخليدًا للذكرى كي لا يمحوها النسيان.

4. ما المطلوب منكم أيها الشباب؟ ليس المطلوب الإتيان بالعجب، وإنما العمل بوصفة أجدادنا وهي من ذهب، ومن قال غير ذلك فقد كذب، وعليكم أن تكونوا في مواقع تحقيق المزيد من النجاح دون أن تنسحب، ولا تكونوا مقاعد من خشب، يجلس عليكم كل من هبّ ودبّ، وتتبعون أول الركب، وقيمتكم رخيصة مثل عيدان القصب. لا نريدكم كذلك، أين نخوة العرب، أين مَزْحة الغضب غصبة مُضريّة لا تهب، إذا حصل ما ليس من الطّلب، أو ما جاء من أجل الشّغب، فهلا تنتصرون للوطن الذي حملكم أعلى الرّتب، وأعطاكم الكثير دون تعب، وكونوا شبابًا من ذهب، وكذلك يُعول عليكم في كلّ الدُّرب. وأملنا فيكم معقودة دون غُصَب، ونُدرِك أفكاركم لا تخيب ولو في مواقف اللّعب، لأنكم حاملو أمانة الشّهداء بكلّ رَحَب.

5. انعقاد مُؤتمر القمة لجامعة الدّول العربيّة في دورته الواحدة والثلاثين (31) في الجزائر: ولا بدّ في هذا المقام أن نعرج للحديث عن قمة القمم التي تُعقد في هذا التاريخ 1 و2 نوفمبر 2022م، في أرض الشّهداء، نوفمبر 1954 الذي غير المجرى الوطنيّ والعالميّ، وأحدث زلزالًا في أفريقيا، وأوصل صوتَ الجزائر لكلّ القارات وللمؤسّسات العالميّة الفاعلة في اتّخاذ القرار. وكما كان لذاك اليوم أثر، سيكون في هذه القمّة قرارات جريئة لا شكّ؛ بما للجزائر من رصيد تاريخيّ، وقرار سياديّ، ورأي توافقيّ، ولمّ شمل عربيّ، ونجاح قاريّ ودوليّ. وهنا ننتظر العمل العربيّ المُشترك الذي يجمعنا على المآلات باختلاف المنهجيات وهو أمر طبيعيّ في نظرة العرب إلى القضيّة الأمّ (القضيّة الفلسطينيّة) وهي قضيّة جمعيّة، وقد استطاعت الجزائر لمّ شتات فصائلهم، في تأسيس الدّولة الفلسطينيّة، ولمّ الأصدقاء على الوحدّة التي هي خيار استراتيجيّ لا بدّ منه.

ويعمل الرئيس (تبون) على جمع كافة الفصائل الفلسطينية، ويدعوهم إلى وأد أسباب الخلافات في ما بينهم، واللجوء إلى الحوار بدلاً من التشرذم والفرقة والجلوس على طاولة المفاوضات من أجل تعزيز الوفاق الوطني الفلسطيني وذلك للاحتفاظ بالمكاسب التي حققها الشعب الفلسطيني طيلة سنوات نضاله المشروع. وذلك ما تجسّد في اليوم الخالد الثالث عشر (13) أكتوبر 2022م حيث تمّ التوقيع على بيان الجزائر في المصالحة الفلسطينية، والتوقيع على البيان بوضع حدّ للفرقة والشّتات، والعودة إلى استكمال بناء المؤسسات، وإجراء الانتخابات وتكون الجزائر راعية تنفيذ بنود البيان. وهذا لمّ شمل الفلسطينيين، ولا شكّ أنّها بادرة فأل للمّ شمل كافة العرب، وأن تكون قمة الجزائر الواحدة والثلاثين (31) تاريخية في تسجيل الوحدة العربية كاملة، وتكون فاتحة التقارب البيني ثقافياً واقتصادياً وتكتلاً كبيراً.

ولا شكّ أنّ هذه القمة العربية سيكون لها تأثير ونجاح كبيرين، ويبقى أثرها لا يزول، لما سوف تُبديه قيادتنا السياسية في المواقف الثابتة للقضايا العادلة كالقضية الفلسطينية التي توضحّت خريطة الجزائر فيها بخطوط لا تُتجاوز: لا للابتزاز، ولا للتطبيع، ولا للضغوط الخارجية مهما كانت طبيعتها ومصدرها، ولا مساومة في القضايا المصرية أبداً.

وإنّ الجزائر مع القرار السيادي الذي يخرج من قمة الجزائر، والصادر عن قناعات عربية مشتركة. وأبشروا بأنّ هذه القمة قد بلغت مراميها في عودة الوعي لبعض الدول العربية التي غابت عن القاسم المشترك، وسارت في تجزئة المجرء، وظهرت عوامل نجاح الاجتماع على صحن عربيّ واحد، وهو نجاح كبير تحصده الجزائر من هذا الشّمل والحضور القادم وما أُعدّ من أرماة وسائل النّجاح.

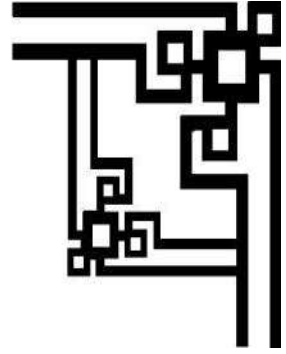
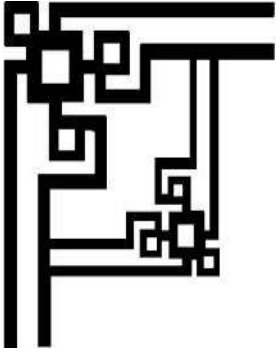
فنبشّر أنفسنا بالحوكمة الجزائرية، وبحسن التّدبير الذي تنتهجه بلادنا من أجل جبر الخواطر، وإعادة اللّحمة العربية لمواجهة التّغول العالميّ دون مخاطر. هي دُروس نستفيدها من هذا اللقاء العربيّ العربيّ الذي نرؤم أن تكون النّخبة وأهل الإعلام في مرافقة عمليات النّجاح لهذا اللقاء التاريخي، ونريدهم نخبة

عُضوةً تنتصر لقضايا الواقع والمستقبل في بناء مَغرب عَرَبِيٍّ كبير؛ يكون جِسْرًا للقاء الضفّتين؛ في إطار تبادل المصالح الاقتصادية العربية الغربية، وفي دولة الخرطوم ومصر دول تحفظ الأمنَ الغذائيّ، وفي عُمان واسطة العُقد لدول آسيا التي تربطنا بها الحضارة الشّرقيّة، وفي بلاد الهلال الخصب أمّنا العسكري من عدوّ لا يُؤتمن جانبه، ودُول الخليج تحفظ القرارَ السّياسيّ بما لها من اقتصاد قويّ، وهو سُلطة القَرار.

الخاتمة: أمّنا فيكم أيّها السّباب كبيرٌ كبيرٌ، زيدونا وُحدة، زيدونا صُعودًا نحو الغُلا، أنتجوا الأفكار النيرة، وترافعوا وارتفعوا عن المهاترات، وكونوا قُدوةً للقادمين، وانقلوا رسالةَ نوفمبر إلى الفاعلين، وثوروا الفعلَ النبيل في أن تكونوا شبابَ التّغيير نحو الأفضل، شبابَ الجزائر الجديدة، شباب تناسل من الأمير وبوبغلة وبومعزة وبوعمامة وفاطمة انسومر وأحمد باي والمُقراني وأمّود والحوّاس وأعميروش وديدوش وباجي مُختار والخطيب...

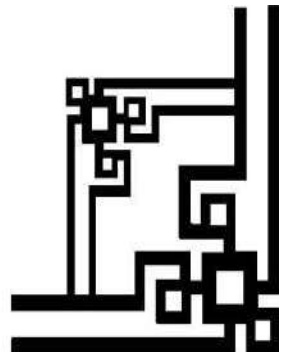
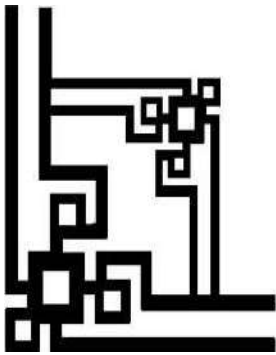
ومن مبادئ ثورتنا كونوا مُنافحين، ولقيادتها مُستمعين مُنقّدين، فهل تكونون؟ بالفعل ستكونون، والحمد لله على دولة الاستقلال أدامها الله، ونعمّ الحمد، وبوركت النّعم. جزاكم الله خيرًا على هذا الفعل الوطنيّ الاحتفائيّ الكبير الذي كنتم فيه فُحول المِهّمة، ودُمتم في خِدْمَة الأُمَّة.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

36



من الدّآكرة الوطنیة*



المقدّمة: إنّهآ لحظة ذكرى وترخّم لشهداننا الذّین قَضَوْآ فی الثّلاثاء الأسود من یوم السّآبع عشر (17) أكتوبر 1961م، وتمرّ واحد وستّون (61) سنة علی قصبآة (موريس پاپون / Maurice Papon) الذی أصدر فی الخامس (5) أكتوبر 1961م، أمرآ بحظر تجوال الجزائريين من السّآعة الثّآمنة مساءً وحتی الخامسة والنّصف صبحآ، واعتبر المّهاجرون الجزائريون وقتها الحظر عنصريآ وتعسّفیآ، ولهذا كان ردّهم الخروج فی مّظاهرات سلمیة مُندّدة بهذا الفصل العنصري، وفی ذات الوقت المّنادآة بالاستقلال.

لقد خرج الجزائريون صبیحة الثّلاثاء من السّآبع عشر (17) أكتوبر 1961م، بعدد مّهول یقرب إلی ثلاثمئة وستین ألف (360000) مُتظاهر، ویخرج الجیشُ الخاصُّ لقمع المّظاهرة السّلمیة بقوّة الحديد، ویرمی بما یقرب من ثلاثمئة (300) من الجزائريين السّلميين المّطالبين برفع الحظر وضرورة الاستقلال فی نهر (السّین) وفی بلد یرفع شعار: (الحریة، العدالة، الأخوة).

ولا یمكنك أن تتصوّر المّشهد، وترى الأجساد تُرمی بالجملة فی مرمیة مائیة من تدبیر فرنسا الكولون، فرنسا التي أنقذها الجزائريون ومن صاحبوهم من أقدام ألمانيا التي حطّت فیها نعال (هیتلر) ودارت حول قوس النّصر / L arc de triomphe، ونظرت لمّستعمرتها الفرنسيّة من منظر برج إیفل / La Tour Eiffel، ونراها تتنكر لما غنمته من مغانم مادیة وذهبٍ وخیرات الشّعوب التي احتلتها بقوّة الحديد، وتُدمرّ مّعظم القارة الأفريقيّة بمسّخ ثقافيّ تابع للغتها وجيشها الفسیفسيّ الجشع للدّم

* - الكلمة التي أعدت لتلقى في بلدية (خميس يسر) بمناسبة اليوم الوطني للهجرة 17 أكتوبر 1961. اللقاء برعاية وزارتي: الثقافة والفنون + وزارة الاتّصال، بتاريخ 31 أكتوبر 2022م.

والدمار والقُتل والتَّهَب والحرق من أجل بقاء فرنسا في ما وراء البحر في قيدها الذي لا ينفك.

فرنسا التي تنكّرت لفعل الجزائريين في مُظاهراتهم السِّلْمِيَّة المُساندة لانتصار الحلفاء على النازيَّة والذي حصل في الثامن (8) ماي سنة 1945م، وفي ذات الوقت يعني نهاية نير الاحتلال الفرنسي، ويُقابلون بالحديد والنَّار، وبرميمهم في سفوح ووديان خَراطة وسطيف وكالملة، ويذهب ما ينيف عن خمسة وأربعين ألف (45000) ضحيَّة هكذا.

إنَّه ليس سهلاً أن تقرَّ تاريخ الجزائر إلَّا وتقف مَهوِّراً ومَشْدوْهاً ومَشْدوْداً لتلك الأحداث التي عاشها الجزائريون في المَحَن والإحْن؛ وهم يُصارعون الموت أيام المُستدمر الفرنسي، وترى أحداث مُظاهرات الجزائريين في 17 أكتوبر التي نظَّمتها جمعية (مسلمو الجزائر FMA) تُجابه بأرمادة من الجيش الخاصِّ في تدخُّلهم الدِّمويِّ. وإنَّها صفحة من أحلك الصِّفحات في تاريخ فرنسا التي تُعمل القتل، وتقمع قواتها المظاهرة دون جريمة تُذكر، وربَّما أنَّ جريمتهم قالوا "لا للحظر، لا للتمييز، نعم للاستقلال، نعم لمسار جبهة التَّحرير الوطنيِّ".

هذا الحدث الدَّامي أخفت فيه السِّياسة الفرنسيَّة جرائم شرطتها المستنفرة ضدَّ العُرْل ومُورست عليه الرِّقابة في وسائل الإعلام، ثمَّ طُوِيَ الحديث عنه نهائيًّا. ومع كلِّ الطَّمس والسِّكوت وإخفاء الضِّحايا كان عنقاً أكثر دمويَّة في تاريخ أوروبا الغربيَّة المُعاصرة حسب المؤرِّخين البريطانيِّين: (جيم هاوس + نيل ماكستر) في كتابهما (الجزائريُّون، الجمهوريَّة ورعب الدَّولة).

وبعد مُرور واحد وستين (61) عامًا تغيب ملامح ومُعطيات الإقرار بالفعل الجريمة، ويغيب الاعتذار، وتنعدم التَّعويضات. هي جريمة عنصريَّة من جرائم الاحتلال الذي أدَّل الجزائريين وخرَّب ذاكرتهم ومَسَحَ أسماءهم، وشرَّد عائلاتهم، وصادر أراضيمهم، وقتل الذي قتل، أليس هذا بجريمة الدَّولة الفرنسيَّة التي لا تزال إدارتها وجمهوريتها الخامسة قائمة؟

أيها الحضور، إنها المجزرة التي تُطوى صفحتها دون تمزيق، وتبقى ذكرى نقف عندها سنويًا للعبرة والاعتبار، والذاكرة لا تنسى، ولتكن درسًا للجيل الحاضر وجيل المستقبل. تكون عبرة لما قدّمه السلف من تضحيات لا تُقدّر، هي التّضحية بالدم، ولا يوجد أعلى من النّفس فداءً للوطن. ونحن الآن أمام هذا الجيل الجديد جيل الاستقلال، وربما أنّ البعض منهم لا يعلمون بأنّ الشّهداء تناسلوا فيهم والشّهداء لا يموتون، وسوف يعود جيل الحركة الوطنيّة في الأُمير وفاطمة انسومر وبوبغلة وبوعمامة وبومرزاق وبومعزة وأمّود وابن باديس والمُقрани، إلى جانب عظماء الثّورة أعميروش والحواس وابن بولعيد وديدوش وحسيبة وبوگرّة، وبحضرة الجميلات الأحياء ويوسف الخطيب، وثلة من المُجاهدين الأحياء، ويسألونكم هل حافظتم على الأمانة؟ هل واصلتم الدّرب؟ ماذا قدّمتم لبلدكم الذي صنعناه جاهزًا وقدّمناه لكم ذات يوم درعًا نفيسًا يُدعى الخامس جويليّة 1962م. كيف تردّون وتعتبرون أيّها الحضور؟ سيكون الرّد باللمّوس، وبما صنعتها أياديكم من المحسوس، وتخرجون من الأمانى والتّواكل دون مَدسوس. وهنا أقصد جيل الشّباب الذي لم يذق ويلات الحرب، شباب أراهم غير مُكتملين في شبابهيم، هم مُتنعمون في مقامهم في المدارس وفي الجامعات وفي المُوسسات وفي مُختلف مناصب القرار. شباب يحلم ويعرف كيف يكون، فهل هو كائن كي يكون؟

1. كلمات للاعتبار: ماذا عساني أقول في الخالدين، هم رُموس في أجسادهم وأحياء في أفكارهم وتضحياهم، وهكذا يولد الكبار بذكاء حادّ ينظر للمستقبل ويرى ما لا يراه غيره. هم كبار في تحمّل المهام وخدمة الشّأن العامّ. وكذلك رسم لهم القدر طريق التّنوير المؤدّي إلى الفلاح، طريق خدمة الوطن فأنعم به من خدمة! وإنّ الخالدين لا يرضون بالمهانة؛ لأنّهم لا يريدون بيع الوطن، وكذلك هم من الأحرار، والحرّ أكثر عطاءً وأوفر حظًا، وهم لا يموتون بما وهبوه من مفتاح إسعاد الآخرين، هم من الأنقياء الأتقياء، ونتمنى أن يتحقّق مُرادهم في أنّ الدّرية الباقيّة مثلهم، ونعرف أنّهم يتسامحون ولا ينتقمون عندما يعودون، بل ينهون ويسعدون، وبذلك يفرحون.

2. كلمة إلى الشباب: أيها الشباب، من لا يشكر الناس لا يشكر الله، كان علينا وعليكم أن نعلم قيمة الشهيد وعظمته في التّضحية، ولولا دمّه لما كنّا الآن في هذا المقام، هذا الذي ضحّى من أجل أن ننعّم، ولو نعلم ما الرّمز الذي قدّمه سنرى أشياء مُرعبة من صنع هؤلاء الشّهداء، وما مسّهم من أضرار، فنرى ما لا تتحمّله قُدراتنا على الاستيعاب. ومع ذلك قالوا: الله أكبر، الله أكبر، في سبيل الجزائر، من أجل أولادنا ليعيشوا في الكرامة، من أجل الوُحدة، من أجل العيش معًا بسلام، تهون كلّ مقدرات الأنام.

فهل تعلمون ماذا قدّم هؤلاء الرّعماء الشّهداء الأحياء؟ هي مِحن، ولكلّ مِحنة آجال وأعمار، وقد انجلت في تدبير الخلف بوصفة السّلف، وقال شباب الاستقلال: نحن لها، وسنكون كما قلتم تابعين لطريقكم السّليم، وقد علّمتنا الطّريقة كيف ننجح: لأننا عشنا بعض الفشل والوهن ومع ذلك رفعنا مُختلف المضايقات، وأسّسنا الدّولة الجزائريّة المُستقلّة. وكان ذلك زمان، وقد حصل في زمانها الاستباق بدل الانتظار، والتّحالف بدل التّناصر والدّكاء بدل الحيلة، والابتكار بدل الاحتكار، والاحتراف بدل الاحتراق، وتمّت الكثير من الأمور باحترافية جعلت البلد يشهد حركة عجيبة في تنصيب الرّافعات وبناء العمارات، وتشديد المطارات، وشقّ الطّرق، ومزيد المُستشفيات، وعدد كبير من الجامعات، والقادم أفضل في كلّ الحالات. ولكن هل تبقون في خمول واثكال على فعل الشباب الأوّل، ولا نريدكم كذلك:

وشرّ العالمين ذوو خمولٍ * إذا فاخرتهم ذكروا الجُودا
وخيرُ النَّاسِ ذو حسبٍ قديمٍ * أقامَ لنفسه حسبًا جديدا

أيها الشباب، إننا نعيش عصرًا مُغيّرًا يستدعي مِنّا التّعامل بسكّة جديدة تستجيب للمُتغيّرات، وعليكم التّحكّم في التّقنيات المُعاصرة واستغلالها في تطوير منظومة الحصول على المعلومة، والعيش ضمن مُجتمع المعرفة، وتجليات اقتصاد المعرفة، وضمن آليات الحوسبة والرّقمنة، والدّكاء الصّناعي، وهذه ضرورات عصريّة تأتي استجابة للرّبط بين الماضي المُغدق والحاضر المُشرق والمستقبل

المبرق، وسيفرح شهداؤنا بما يحققه شبابهم من نجاحات حافظت على أسمائهم وخصالهم، وبالفعل كانوا خيرَ خلفٍ لخيرِ سلفٍ. ونرى الحراك الثقافي يدبّ في كلّ البلديات والقرى، وهذا فعل نبيل يُشار له بتحسين أوضاع المجتمع ومُسايرته للواقع الحديث، بدل العيش في التّمني ونشدان الهجرة والاهتجار والوقت يمرّ، والأعمار تنقضي، والافتخار يكون في الفراغ، وفي دقّ الطّبول الجوفاء:

قل للذي أحصى السنين مُفاخرًا * يا صاحٍ ليس السّر في السّنوات
لكنه في المرء كيف يعيشها * في يقظةٍ أم في عميقِ سُبّات

أيها الشّباب، نريدكم أن تكونوا بما لكم من تواصل وإضافات، ومزيد من قطف النّجاحات، وعليكم الاستثمار في مكامن الأمل الذي يتلوه العمل؛ لتحقيق عبور ناجح إلى شاطئ الإيجابيات المأمولة للتكامل بين التّنظير والتّطبيق. والضروريّ في هذا ارتباطكم باللّحمة المجتمعيّة مع وطنكم، وردّ الأفضال لمن جعلكم تعيشون في نعمة البلد المُفدى، بلد الشّهداء والبركات، بلد الافتخار والعظمة، فأنعم بالشّهداء! وهم الذين جعلونا نعيش في جزائر الحرّية، جزائر الكرامة، وما كان عليكم أن تكونوا من العاقين، فهل ترضون أن تكونوا؟ بلا أدنى شكّ لا ترضون.

إذن تعالِ نصنع خصوصيّة التّواصل والمزيد؛ تعالِ نتواصل في وصفة الأجداد تعالِ نعمل التّفكير في مزيد تمّتين خصوصياتنا المتوافقة مع الحداثة، واستشراف رؤية المستقبل، بوضع سياسة لغويّة حاکمة، ومُؤسّسات مرجعيّة، تجسيداً لإرادة سياسيّة فاعلة، وهكذا تكونون أعضاء في مُجتمعكم الذي ينتظر منكم كثيراً من التّضحيات. والمُخرج هو التّحكّم في العلوم، ومُطاردة الجهل بتلقّي كلّ أشكال العلوم، والانفتاح على اللغات، وبخاصّة لغة العولمة التي نعصد فيها قرار رئيس الجمهوريّة بتدريسها بدءاً من السّنة الثّالثة ابتدائي، وهو خيار وضرورة حضاريّة مُعاصرة، وقرار سياديّ ناجح. وإنّ التّحكّم في لغة التّجارة الدوليّة والسيّاحة والطيران المدني ولغة الفضاء والشّابكة والعلوم والنّانوتكنولوجي، أكثر ضرورة

للخروج من شرنقة اللغة التي تتراجع في عقر دارها، ولا يجب أن يركبنا الجهل المعاصر في عدم التماهي مع تعلّم اللّغة الإنكليزيّة.

أيها الشّباب، وكذلك نريدكم المُنافحة من أجل الوحدّة الوطنيّة، فهي التّكامل الوطنيّ في اختلاف المُنهجيات للوصول إلى وحدة المآلات. فالوحدّة الوطنيّة هي التي تنبّي فينا التّنوّع الثّقافيّ، والقاسم المشترك الجامع، واللغة الجامعة والدّين الواحد، والمذهب الواحد، والمرجّعات الحضاريّة والتّاريخيّة والوطنيّة الواحدة هي التي تجعلنا نبي الوطن بسرعة، في إطار الجزائر الجديدة التي لا تقصي أحداً. وفي عزّ الكلام يسكت الكلام أمام هذين البيتين للاعتبار:

ويجيء دورك بعده في لحظةٍ * إن لم يَجئكَ الذّئبُ تَهَشُّكَ الكلابُ
إن تَأْكُلِ النّيرانُ غرفةً مَنْزِلٍ * فالغرفةُ الأخرى سيُدرِكُها الخرابُ

وهذه الأمور ستكون في مُتناولكم وفي معيشتكم اليوميّة ومُحاكاتكم لإخوانكم وتحقّق عبر المدرسة التي نريدها أن تسبق التّربيّة على التّعليم. إنّ التّربيّة المدرسيّة عماد التّهوض في كلّ البلاد الحديثة التي استثمرت في التّربيّة والتّعليم وأنتجت: صِفْرُ أميّة+ صِفْرُ غشٍّ+ صِفْرُ سقوط العمارات+ صِفْرُ فساد+ صِفْرُ موت مَرَضِيّ العمليات الجراحيّة+ صِفْرُ خمول+ صِفْرُ تأخير... ونتائجها العيش في رفاهيّة عامة، والعيش بطول العمر. هي مُواصفات نستفيد منها ومن التّجارب النّاجحة، وكانت التّربيّة عماد النّجاح وحسن التّدير والحوكمة بفعل التّنوير.

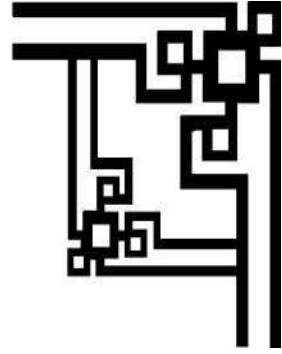
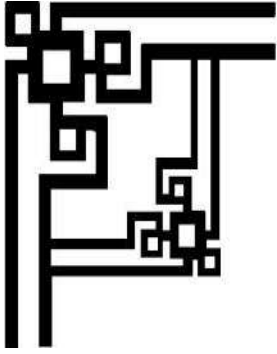
وفي هذا الأمر نرى دور الشّابات أكثر من مُهمّ، وبخاصّة نجد بعض الكليات في الجامعات شبه مُؤنّثة، ولذا على الشّابة/ امرأة الغدّ، صانعة الأجيال أن تلعب دورها في التّربيّة، وفي غرس منظومة القيم والأخلاق؛ للوصول بالوطن المُربّي إلى تحقيق الرّفاهيّة المنشودة. وليس المقصود بكلامي هذا خطاب الوعظ، وهو أنّ المرأة يجب أن تحرص على التّربيّة في مقامات: أن التّربيّة أن تعرف متى تتكلّم، والأخلاق أن تسمّع لمن يتكلّم، والأدب ألا تقاطع من يتكلّم، والدّكاء ألا تصدّق كلّ من يتكلّم... هذا تحصيل حاصل، ولكن أقصد المرأة التي تُكوّن لنا الإناث والرجال

والصُّلحاء والمُعَلِّمين والسِّيَاسيين والمُفَتِّين وكبار الفلاسفة... والنِّساء كما نعرف
مِصانِع الرِّجال، فإذا صَلَّحت صَلَّح المُجتمِع، أَلْم يَنْشَأ البِخاري بِتربِيَّة أُمَّه،
والشَّافعي يَكْبُر بِأُمَّه، وأَحْمَد ابن حَنْبَل من تربيَّة الوالدة، والحافظ بن حجر
العسقلاني من تربيَّة أُمَّه، وابن تيميَّة دَرَب أُمَّه وكانت تُسَمَّى (تيميَّة) والإمام ابن
الباز ربَّته أُمَّه، وهؤلاء كلُّهم أعلام خالدون صنعوا المَجْد والبقاء، وأفادوا الأُمَّة
بسِخاء.

الخاتمة: تِلْكَم كَلِمَتِي أَمَامَكُم أَيُّهَا الحُضُور، وأنا سعيد بلِقياكُم والسَّماع لَكُم:
بِغِيَّة الاستفادَة، وأنا حريص على هذا اللقاء الذي نرجوه أن يدخل في باب
المُحافظة على الدَّائِرَة لِأَنَّ المُناسبة تقتضي ذلك، وهو دين علينا أن نردّه على
شهادتنا ومُجاهدنا الذين جعلونا نرفل في نَعْماء الحرِّيَّة، وجعلوا الثَّورة الجَزائريَّة
أيقونة الثَّورات، وكلِّما تُذكر الجَزائر يُذكر مَلِيون ونصف شهيد، فأنعمَ بهم
وبالمُجاهدين! ونعمَ الحُضُور أنتم في بلدة الصَّالحين والأشراف.

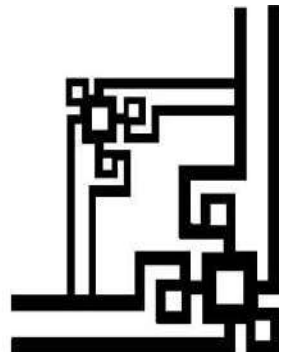
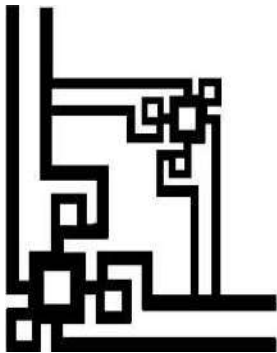
يَسَّر البَلدَة المَعروفَة بِأَغزَر، ذات الخُمسة عُرُوش، وهي البَلدَة المازيغيَّة العامِرة
بالماء، والماء عصب الحياة في بَلدَة يَسَّر الخَيْرَات، والتي تدرّ البركات. في يَسَّر وُلِد
الكثير من الصَّالحين على غرار (عبد الرِّحمن الثَّعالبي) دفين الجَزائر، وبها الرِّاويَّة
العامرة بتراث أشرافها بني مَزغَنَة الذين انتشروا في كثير من بلاد العرب، وبخاصَّة
تونس التي عملت ثعالبة المَنطقة على إحداث عمَلِيات التَّغيير التي حرَّكت النّهضة في
تونس الشَّقِيقَة.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

37



حقوق الإنسان في الحروب والأزمات

بين الهندي النبوي الشريف والمواثيق الدولية*



الشُّكر: من لا يشكر النَّاس لا يشكر الله، كل الشُّكر لسعادة رئيس جمعيّة الإرشاد والإصلاح السيّد الشَّيخ (نصر الدين حرّام) على الدَّعوة لحضور هذا الملتقى، وتمكيني إلقاء كلمة مُوجزة عن هذا الفعل العلميّ، وهو جدير بمشروع إسلاميٍّ مُعاصر، يُقدِّم لصانعي القرار على مُستويات وطنيّة وجهويّة وإقليميّة ودوليّة؛ باعتباره القاسم المُشترك الذي يُمسّ كلّ البشر، مهما كانت أقاليمهم وتوجّهاتهم ومقاصدهم.

ونرجو الخروج بمشروع ترفع عنه الجمعيّة في مُختلف الملتقيات والندوات، بل تعمل على إيصاله لذوي الاختصاص، ويكون موقّع تقدير وتطبيق بدوزنة إسلاميّة مُستجيبة لآليات المشاريع والأفكار المُعاصرة من مُختلف الأديان واللِّغات، ومن مُدونات الجمعيات ذات العلاقة بحقوق الإنسان في الحروب والأزمات. وسعيد أن أكون معكم في هذا الملتقى الذي يتبادل فيها الرّوى التّنظيريّة.

قد تكون منهجياتنا مُختلفة، والمهمّ أن المآلات واحدةٌ لنشكّل قوّة اقتراح في هذا الموضوع الخطير والكبير، ويحتاج إلى تبصّر كبير، وإلى بصيرة نافذة مُتقدّمة لها أفكار استشرافيّة تُقدِّم البدائل التّوعيّة؛ باعتبار مرجعيّتها دينيّة لا يرقى إليها الخطأ.

* - الكلمة التي ألقيت في ملتقى الفكر الإسلاميّ الذي نظّمته جمعيّة الإرشاد والإصلاح الجزائريّة. بفندق نوميديا مدينة الحمير، بتاريخ: 10-11 نوفمبر 2022.

الديباجة: إنّ هذا الموضوع المقترح لمؤتمر الفكر الإسلامي الذي تُنظّمه جمعيّة الإرشاد والإصلاح الجزائريّة يدخل في مسألة حفظ السّلم والأمن الدّولي؛ وهو أحد مقاصد الأمم المتّحدة، ومِن انتهاكات حقوق الإنسان، وأحد أساليب العنف المُشدّب دولياً، والمُعيق للتّنميّة المُستديمة للبشريّة كافة. وعليه؛ فإنّ حماية وتعزيز حقوق الإنسان تُشكل أداة وقائيّة تعمل على تطوير حقوق الإنسان المعيارية؛ كقاعدة سليمة لمُعالجة قضايا بالغة الأهميّة داخل أو بين البلدان، وهذه القضايا يتولّد عنها نزاعات في حالة عدم مُعالجتها سريعاً. ولذلك لا بدّ من معايير عالميّة مُتفق عليها، وإنّ عدم التّقيد بتلك المعايير الدّولية لحقوق الإنسان يُضعفُ جهود صنع السّلام، ويقوّض أركان بناء السّلم والأمان، بل يزيد في استفحال ظواهر العنف والظّلم، وتأخير التّهضة العالميّة، وتعكير صفو العيش معاً بسلام، وما يتبعه ذلك من ظهور مُنظّمات إرهابيّة تعمل على مزيد من الرّهَاب.

أيّها الحضور، إنّ الموضوع يستدعي التّظر إليه من عدّة زوايا، بإعداد برنامج دولي لتجفيف كلّ ينابيع العنف مهما كان شكله، وهنا لا بدّ من تخطيط دولي لمراعاة حقوق الإنسان بحماية قانونيّة لتوفير حماية للمدنيين أثناء الحروب وفي الأزمان والنّوازل على غرار الزّلازل والفيضانات والحرائق... وهذا هو الهدف الذي نروم أن يستنهض هذا الملتمى للفكر الإسلاميّ أُولي الأمر من التّخبة الوطنيّة، ومن المشيخة المرجعيّة بتقديم وصفة إسلاميّة مصحوبة بالحُجج الصّانعة للقرار، أو اقتراح اتّفاقيّة السّلام أثناء النّوازل على نهج القرآن الكريم وعلى هُدَي السّنة الشّارحة للدّين الإسلاميّ، دين النّصيحة والحوار، ولكم دينكم ولي ديني، وأنّ الأرض يرثها عبادي الصّالحون.

وأما المُفسدون فهم من المَعرورين الذين لا يُعتمرون الأرض، بل يُفسدونها. وهنا يقع التّركيز على الخطاب العلميّ قبل خطاب الوعظ في إطار حماية دينيّة وقانونيّة لمن لا وزر له، وأنّ الدّين الإسلاميّ يحترم العزّل بما ليس لهم من قدرات هُشّة؛ كما احترم الشّيخ العجوز الذي ينتهي لديانة غير إسلاميّة، واحترام الكبار والنّساء والأطفال والأشجار والبيوت، ونبذ كلّ ما يعمل على تصحير الأشياء.

ولهذا إخواني الحضور، لا أخفيكم أنه أوجعتني بعض التّزاعات التي نراها ونسمعها لمواطنين أبرياء هُجّروا من بلادهم، ومواطنين يعيشون في العراء، ومواطنين يموتون دون وجه حقّ، ومواطنين يقع عليهم الاعتداء بصندل العسكر... وتأملوا الأمر في فلسطين وسوريّة واليمن والعراق والسّودان ومُسلي الزّوهينگا، والبوسنة والهرسك سابقًا، ورواندا... صُداع وأوجاع وآلام وأنين يركبنا من انتهاك صارخ، فأين حقوق الإنسان؟ ويتعلّل قرار القيتو في التّطبيق في مجموعة من الأعمال الوحشيّة كالتّي رأيناها في (سبرينيتشه) ولا رجع الصّدى لنداءات إنسانيّة، ولا لقوانين وضعيّة، ولا أخلاق دينيّة، وغاب مُعلّق الجرس، فأين مصداقيّة مجلس الأمن؟

1. ما هي حقوق الإنسان؟ على العموم، نرى بأنّ من الفِطرة أثناء خلق الإنسان، ألزم بواجبات يقوم بها وبحقوق يأخذها؛ ويقع تركيزنا في الحقوق المتأصّلة في جميع البشر، مَهما كانت وضعياتهم وألوانهم وقاراتهم وجنسياتهم ولغاتهم... هي الحصول على المساواة دون تمييز وتجزئة، وهي حقوق يجب أن تُحترم من وليّ الأمر للقاصر، وبين الجماعات والتّصرّف فيها بقدر خِدْمَة الجميع، وحماية الحرّيات، وما يتبعه من العيش الكريم.

ويمكن أن نقول إنّها عبارة عن حقوق مُشتركة شاملة تحمي الإنسان في جميع المجالات، وهذا ما نصّ عليه القانون الدّوليّ لحقوق الإنسان من التّزامات تنقيد الدّول باحترامها والتّصرّف بطرائق مَقبولة، والامتناع عن أفعال تُحدّد من الحرّيات وقد تسبّب في المضايقات.

وإنّ تقريها للعصر عبارة عن مُدونة من الحقوق المتعارف عليها دوليًا: الحقوق المدنيّة+ السياسيّة+ الثّقافيّة+ الاقتصاديّة+ الاجتماعيّة+ الصّحيّة+ التّعليميّة... وتشمل مُختلف فئات المُجتمع، وقائمة على معايير تحمي المعني من كلّ أشكال التّمييز أو الإقصاء أو المنع أو القتل...

2. حقوق الإنسان في حالات النزاع: هي واضحة وسهلة، وتظهر في جملة سياق وقوع الحرب، وخلالها تحدث حالات انتهاك صارخة يسود فيها قانون الغاب/ الغلبة للأقوى فقط، وهنا تضع الحقوق بين أرجل العكس، وبنادق الحرب ويغيب القانون، وينعدم الأمن، وتحدث العجائب، فما الحل؟ وهل تنفع الشكاوى؟ وما هي طريقة حماية القانون؟ وهنا لا بد من تدخل المفوضية السامية الدولية لحماية المعنيتين، وتدعيم بعثات رصد مدى احترام مبادئ حقوق الإنسان والتزامات القانون الدولي الإنساني، بهدف تحديد هذه الانتهاكات، ومنعها في المستقبل ومعاينة المتسببين فيها، ونرى هنا الحقوق التي يجب أن تُصان بقوة القانون وما يتبعه من ردع، لإنهاء حوادث المخاوف الجنسية تجاه النساء+ التهجير الإجباري+ هدم البيوت+ الاستيلاء على الأملاك والأصول...

3. حقوق الإنسان في الحروب: بالنظر إلى القوانين والنصوص التشريعية ومضامين اللقاءات العالمية وما نصت عليه الملتقيات... سنلاحظ استراتيجيات وأرمادة من التنبؤات وكلها تُشجّب مختلف النزاعات، وتدعو إلى الوقاية من النزاعات، والتعامل معها وفي بناء السلام وفق ما وقع الاتفاق عليه وطنياً أو إقليمياً أو دولياً وتُجرّم مُنتهكها، بل تجرّمهم إلى محاكم العدل الدولية.

ولهذا فإنّ هذا الموضوع عندما يُثار عندنا فإنّ المطلوب منّا تأكيد تطبيق المتفق عليه وتحسين المنجز، وزيادة وضع محاذير للوقاية أكثر من لاحقٍ من النزاعات والخلافات التي تأتي على الأشياء الهشة من مثل: العزل والكبار والنساء والدمار الشامل... وأنّ لهم الحقوق المراد تطبيقها في التنازل والأزمات حفاظاً على أرواحهم التي يُراد لها أن تعيش، وأن تُصان بمختلف القوانين الضاغطة على المعتدين.

فما هي سُبل الوقاية في سياق النزاعات:

1/3. تدعيم المبادرات التي تأتي من الحكومات/ الجمعيات/ المجتمع المدني/ الأفراد.

2/3. رفع مُساءلات بكلّ تعديّة إلى الجهات العادلة للمُحاكمة علناً.

3/3. رُفِعَ عرائض على تعديّات سابقة بخصوص تجريم الأفعال المخلة بعدم احترام حقوق المدنيين أثناء النزاعات، وتقديم المسببين للعدالة، وأنّ الإجرام لا يموت بالتّقدم.

3/4. تطوير آليات توجيهيّة حول حماية الضّحايا والشهود ومُشاركتهم بتعزيز المؤسّسات القضائيّة.

3/5. الضّغط على صُنّاع القرار لوضع استراتيجيات الوقاية للأزمات المُستجدة أو التّخفيف منها أو الاستجابة لها، بما في ذلك الأزمات الإنسانيّة والنزاعات.

3/6. مواصلة تطوير أنظمة إدارة المعلومات بخصوص الإنذار المُبكر عبر منصّات استكشافيّة تحدّ من كبر حجم الكارثة.

3/7. دعوة الأمم المتّحدة لوضع ميكانيزمات ضاغطة على المعتدين، وإدماج حقوق الإنسان في عمليها، وتطبيق القانون، والامتثال لسياسة بذل العناية الواجبة في مُراعاة حقوق الإنسان.

3/8. تقديم وصفات الحماية، وتوسيع الحيز المُتاح للجمعيّات/ المُجتمع المدنيّ، وطرّح حقوق الإنسان في سياق المخاوف العالميّة الطّارئة.

4. الوصفّة الإسلاميّة: ويجب توصيل هذه الوصفّة، وهي من لدنّ حكيم وليست صناعة بشريّة يمكن أن يكون لها خلل. هي وصفّة مُتكافئة بين أداء الواجب والمُطالبه بالحقوق، وصفّة تُعدّ تعمير الأرض خلافة ضروريّة، وزرع شجرة لغيرك صدقة جاريّة، والسّلم أمان وتعمير واستثمار، وإزهاق نفس واحدة بغير حقّ قتل للبشر كافة... هي وصفّة نموذجيّة تعمل على التّغيير الإيجابيّ المؤدّي إلى توصيل السّلم والأمن الدّوليين وحقوق الإنسان، والارتقاء بهما وفق مؤسّسات دوليّة تراعي جوانب التّطبيق. هي وصفّة تعمل على منّع الإبادة الجماعيّة+ الوحشيّة الجماعيّة+ التّطهير العرقيّ+ التّصديّ للفشل في منّع الجرائم+ دعم العاملين على العمل الخيريّ، وجمع المحتجيات للمعنيين+ الوعيّ والوعظ بآثار المُخزبين والمُسخطين والمُجرمين+ عقاب المُعتدي في الدّنيا والآخرة.

وكان علينا توضيح هذه الصّور الحيّة لحماية حقوق المَدنيين أيام الحروب بوصفة إسلاميّة بتحديث أجرتها بما يُناسب العصر؛ كأن يقع العوّل على مواثيق أمميّة أثبتت نجاعتها، واللّجوء إلى مَجلس الأَمْن للتّحقيق والفصل والمنع، ولجان الحكّماء والعقّال في تقدير الأمور وعلاجها، وهو ما يقرب إلى لجنة المحكّمة الجنائيّة الدّوليّة (ICC).

أيّها الجمع الكريم، إنّ الطّريق طويل للوصول إلى تحقيق تطبيق الوصفة الإسلاميّة، ولكن لا نياس عندما تكون النّوايا خالصة لوجه الله، صادقة في توقيف آليات الدّمار والقتل وانتهاك حقوق الإنسان، وما يجري في بعض بلاد العرب والمُسلمين يحتاج إلى اعتبار ووقفات جادة، وإلى صدق مع النّفس في ظلّ المتغيّرات التي تعرفها الدّول، وما نجم عن معول الهدم والقتل والدّمار.

واليوم نرى ضرورة أن نكون، ويكون لنا مَوقع في خريطة القرار، وأن نُشكّل القُطب المؤثّر في القرار الأمميّ، بوصفة صادقة تعود إلى منهاج الله تعالى، وبخاصّة مع تصاعد الحركات الإسلاميّة التي تتخذ الحروب وسيلة للمُواجهة، والضّحايا هم المُسلمون المُسلمون.

ولهذا تستدعي الحاجة صياغة المُجتمع الإسلاميّ على مسيرة الأصول، وهي حقوق الإنسان في الإسلام وهي ليست منحة ملك/ رئيس/ أمير/ مُنظّم لتظاهرة ما... والتي لا تقبل التّعطيل أو الحذف أو التنازل هي وثيقة إلهيّة صادقة، وهبة للعيش بكلّ أمان بما لها من واجبات ونيل حقوق. ومن خلالكم ندعو أهل الرّأي والمشورة، وأهل الاختصاص ومن أعضاء جمعيّة الإرشاد والإصلاح، والمجلس الإسلامي الأعلى، وجمعيّة علماء المُسلمين الجزائريين، وعميد جامع الجزائر لصياغة وثيقة تخصّ احترام حقوق الإنسان في الحروب، بمرجعيّة إسلاميّة، وبفقه ديننا الحنيف، وسنة نبيّنا الكريم. ويكون التّركيز على وجهة نظر مُتفق عليها بمرجعيات دينيّة دقيقة تضمّنها هذه الوثيقة، وتُرفع إلى من يُهمّه الأمر ولعلّ ذلك ما يعمل على مزيد من تهدئة الأوضاع، ويكون مبدؤها في التّطبيق من الدّول العربيّة والإسلاميّة التي تشهد القلاقل.

5. معالم الوصفة الإسلامية: تتحقق عبر قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ آل عمران 104. والإسلام دين سلمٍ وسلامٍ، وخيرٍ وعدلٍ وفضيلةٍ وتعاونٍ وإخاءٍ وتطهيرٍ وتفضيلٍ وتعميرٍ واستبصارٍ واحترامٍ للسَّلالة البشريَّة ونصيحةٍ وسنَّةٍ مُطهِّرةٍ قائمةٍ على الفطرة... ويُرفع البيانُ المُستمد من القرآن والسَّنة النَّبويَّة الذي لا يقبل التَّعطيل أو الاعتداء لتحقيق المدخل الصَّحيح لحقوق الإنسان، ولُجتمع لا امتياز فيه ولا تمييز، مُجتمع المُساواة والتَّمتُّع بالحقوق والتَّكليف والواجبات، وهو الذي يقول ﴿ولقد كرَّمنا بني آدمَ وحَمَلناهم في البرِّ والبحرِ ورزَقناهم من الطَّيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممَّن خَلَقنا تفضيلاً﴾ الإسراء 70.

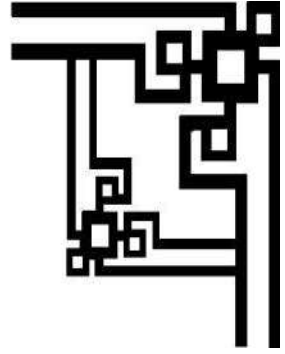
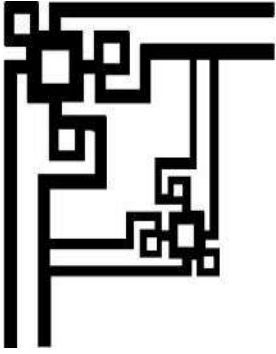
ويكون الدِّفاع المُحاجج مُسلَّحًا بمآلات الدِّين الإسلاميِّ في بناء مُجتمع يحظى بحماية من القهر والكبت والإذلال والاستعباد. مُجتمع تنشده الوصفة الإسلاميَّة بتحقيق كلِّ الحقوق: حقَّ الحياة والعيش + حقَّ الكرامة والعدالة + حقَّ التَّزام شريعة الله من حقوق + حقَّ الحرِّيَّة + حقَّ المُساواة + حقَّ توزيع الثَّروات بالعدل بين المواطنين + حقَّ استغلال الأرض وتعميرها + حقَّ اللِّغة + حقَّ الدِّين + حقَّ العدالة + حقَّ ردِّ العدوان + حقَّ الجهر بالسَّوء لردعه + حقَّ الدِّفاع عن الحقِّ + حقَّ الغيرة + حقَّ حبِّ الوطن والدِّفاع عنه + حقَّ التَّمكُّن + حقَّ الفرد في مُحاكمة عادلة + حقَّ عدم أخذ الغير بجريرة غيره + حقَّ الاستقلال بالمسؤوليَّة + حقَّ الحماية من التَّعسف والتَّعذيب + حقَّ حماية العرض والسَّمعة + حقَّ الهجرة أو اللِّجوء + حقَّ الأقليات + حقَّ الانتخاب والمُشاركة السياسيَّة في الحياة العامَّة + حقَّ التَّفكير والتَّعبير والاعتقاد + حقَّ التَّستر على السَّر + حقَّ الدَّعوة + حقَّ التَّمكُّن + حقَّ الدِّفاع عن النَّفس + حقَّ عدم السَّكوت عن الحرام والإجرام والاحتكار + حقَّ الدِّفاع عن الحلال + حقَّ التَّجارة + حقَّ منع الدَّعاية وما يدخل في التَّشهير والإساءة + حقَّ الخصوصيات + حقَّ مصلحة الأُمَّة + حقَّ المِلْكِيَّة الفكريَّة + حقَّ العمل + حقَّ الزَّواج + حقَّ تربيَّة الأَوْلاد تربيَّة أخلاقيَّة سليمة + حقَّ الطَّلاق بشروط + حقَّ الوالدين + حقَّ الزَّوجة + حقَّ الإنفاق على الزَّوجة + حقَّ السَّكن + حقَّ الجار + حقَّ الأَوْلاد + حقَّ

الميراث+ حقّ التعلّم... حقّ وحقّ وحقّ تُجمع على حقوق، فما أكثرها، والأحقّ أن نعتبر منها الكثير بأنّ للإنسان حقوقاً كثيرة، ويحتاج أن يعيش مُكرّماً في بيته وفي وطنه بأداء الواجب، وأخذ الحقوق وقد نصّ عليها الإسلام، وشدّد في تطبيقها، وهي لا تقبل التأجيل أو التّجزئة أو تبريرها وفق الحالات الطّارئة إلاّ لدواعي الأولويات.

الخاتمة: إنّ القضيّة إخواني تكمن في مُطابقة الفعل للقول، وهذه الوصفة الدّقيقة تحتاج إلى خطاب واقعيّ مُتدرّج؛ يكون مشفوفاً بالقرآن والحديث ورأي الصّحابة وأهل الفقه، وتحتاج إلى مرجعيّة ومُشيخيّة لها مُدوّنات وتأثير في المُجتمع. والحمد لله أنّ أمتنا تملك المُؤسّسات التي تُنّافح من أجل هذه العريضة أمام المُجتمع الدّولي، وتكون سنداً للإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، وربّما تكون وثيقة إسلاميّة بارزة في حقوق الإنسان عامّة. بلهّ الحقوق أيام الحروب والتّراعات والخلافات البيئيّة، وما يتبعه من خصومات قد يطول حلّها إذا لم تكن هناك قوانين ومرجعيات يُحتكّم إليها.

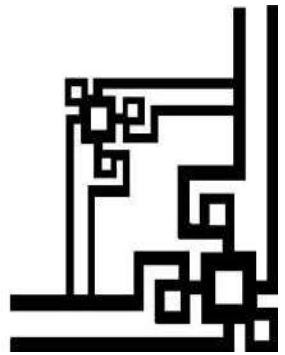
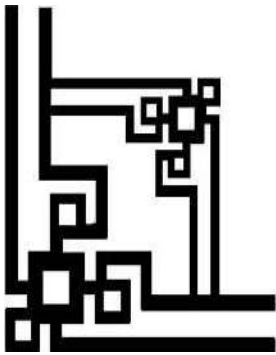
وإنّ ما قلته من خلال هذه الكلمة قد يكون مُساعدًا فاعلاً لتوسيع هيكل القانون الدّوليّ لحقوق الإنسان "... من خلال سلسلة من المُعاهدات الدّوليّة لحقوق الإنسان، وغيرها من الصّكوك المُعتمدة منذ عام 1945. وشملت على اتّفاقيّة منّع ومُعاقبة جريمة الإبادة الجماعيّة (1948)، والاتّفاقيّة الدّولية للقضاء على جميع أشكال التّمييز العنصريّ (1965)، واتّفاقيّة القضاء على جميع أشكال التّمييز ضدّ المرأة (1979)، واتّفاقيّة حقوق الطّفل (1989)، واتّفاقيّة حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (2006) وأمور أخرى.

ونأمل أن تخرجوا بوثيقة مرجعيّة قد تحتفي بها الأمم المُتحدة في اليوم العالميّ لحقوق الإنسان في العاشر (10) ديسمبر من كلّ سنة. وأتمنّى لكم التّوفيق والنّجاح، وأنتم جديرون بتحقيق المَطْلُوب، ووفّقكم الله لخدمة العباد والبلاد، ودُمتم ذخراً للأمة. والسلام عليكم جميعاً.



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

38



اللغة العربية والشعر الملحمي، ورسالة ثورة التحرير*



الديباجة: لا يمكن تغييب الحديث عن (سعيدة) التاريخ، وأنت في حضرة بلدة وجدت ما قبل التاريخ، ويشهد على ذلك كثرة المغارات والمخابئ والرسم الحجريّة، وهي دلالة على أنّ (سعيدة) عرفت العديد من الحضارات منذ عصور ما قبل الميلاد. وحسب (ابن خلدون)، فإنّ البربر أوائل ساكنة (سعيدة) ومرّت بها شعوب وأقوام؛ بعضهم لم يتركوا إلاّ آثار الرّسوم، وبعضهم أسّسوا ممالك ودولاً على غرار مملكة (تيمرت 704م-858م)، وقد عرفت تطوّراً وحضارة في جميع الميادين. دخل الفاطميّون المنطقة في القرن العاشر الميلاديّ في عهد الخليفة الفاطميّ المنتصر (1036-1094)، ومن ثمّ جاء المرابطون، ثمّ المؤخّدون الذين استقروا في (سعيدة) في فترة 1147-1269، وجاء الزّيانويّون وبَقُوا إلى غاية 1550 بدخول العثمانيين للشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وكمعظم مُدن شمال الجزائر وقعت (سعيدة) تحت الحكم العثماني، وضُمَّت إلى بايلك مُعسكر (1701-1791) تحت حكم الأغا.

هو تاريخ مجيد عندما نعلم ما قامت به هذه المنطقة التاريخيّة المُقسّمة بين ولايتين تاريخيتين: الخامسة والسادسة، وما أنجزته من مُكتسبات من معارك: عين المانعة+ تيرسين+ مُنجز الحركة الوطنيّة مُمثّلة في (الشيخ بوعمامة) التي تمّت مُبايعته هنا. (سعيدة) المعارك الكبرى للثورة التّحريريّة: معركة الخلايفة+ جبل لخضر+ معركة ميمونة+ معركة أولاد خالد+ معركة المرجة+ جبل بوعتروس+ حاسي العبد... وأما كرونولوجيا الأحداث فهي كثيرة جعلت المنطقة تطلب الموت من أجل أن تُوهب لها الحياة.

* - الكلمة التي أعدت لصالح جامعة الدكتور مولاي الطاهر بسعيدة. تنظيم الاتحاديّة الوطنيّة للمُجتمع المدني، بتاريخ: 12 نوفمبر 2022م.

(سعيدة) العظماء مُمثلة في الشهيد الدكتور (يوسف دمرجي). (سعيدة) المعالم والمواقع التاريخية: عين مداعي+ مغارة واد سعيدة+ الموقع الأثري تمزغين يوب. (سعيدة) الزوايا وتحفيظ القرآن، وبلاد الشيوخ والصالحين والمصلحين، والذين عرفناهم من أهل الفلاح، وهم كثر، ونشير إلى زاوية (مؤلاي الطيب) قدس الله روحه، وإلى العلماء والفقهاء أمثال: با حاج+ ولد الصديق يحي+ ميلود خنفوسي+ الحاج علي زراري+ العلامة الحاج أحمد حدو...

(سعيدة) جودة الصناعات الجلدية، وحلاوة ماء سعيدة.

1. المقدمة: في هذه المناسبة التاريخية المجيدة، والجزائر الجديدة تشهد متغيرات نوعيّة على مختلف الصُّعد، وكان على المجتمع المدني مرافقة هذه التغيرات الإيجابية وتأمين جهد السيد رئيس الجمهورية (عبد المجيد تبون) لمواقفه التغيريّة في الاهتمام بالذاكرة الوطنيّة؛ بترسيم الثامن (8) ماي يومًا وطنيًا للذاكرة وإعادة الطابع الوطنيّ إلى صحنه القديم حسب وصفة الأجداد، في ثلاثي مُتراكب: المُرُوغة والعُرُوبَة والإسلام، وما يلحق ذلك من نهضة لغويّة في الاعتزاز اللغويّ، فمازيفيتنا لا تُلغي تجدّرتنا في الحضارة الشّرقيّة، والانتماء العروبيّ الفخريّ، بما وضع من تصاهر لا يمكن الفصل مُطلقًا.

وها قد عُدنا إلى مواطن الأصالة التي هي أعرافنا، وهي التي تُعطي لنا قيمة ومكانة بين شعوب العالم. ها هي الجزائر الجديدة تشهد نموًا اقتصاديًا لم يحصل في ما مضى من الزّمان وما له علاقة بمشهد الوُحدة الوطنيّة، ولم الشّمل الوطنيّ، وشمل الفلسطينيين في بلد الشّهداء، وجمع كلمة العرب على سواء. مُنجزات نفتخر بها في مجال الدّيبلوماسيّة التي يشهد لها بالمرجعيّة، ودخولنا أسواق العالم في مجال التّجارة والتّواصل، والوقوف ندًا للندّ أمام الكبار. هي الجزائر الجديدة التي يقودها صاحب الحوكمة الرّشيدة السيّد الرّئيس، وهي سيرة رجلٍ ناجحٍ في الماضي والحاضر فأنعم به من رئيس!

2. الثّورة الجزائريّة من خلال الملاحم الشّعريّة: لقد نطق الشّعْر والأدب الشّعبيّ ومُختلف فنّون القول حاملين ملاحم كبيرة مُمّجّدة لثورة عظيمة تستحقّ الخلود:

جزائرياً مَطْلَعُ المُعْجَزَاتِ * وَيَا حِجَّةَ اللَّهِ فِي الْكَائِنَاتِ
شَغَلْنَا الْوَرَى، وَمَلَأْنَا الدِّنَا
بِشَعْرِنَا تَلَهُ كَالصَّلَاةِ
تَسَابِيحِهِ مِنْ حَنَائِ الْجَزَائِرِ

ملحمة كبيرة تبلغ الألف بيت، ليست على غرار تغريبة بني هلال، أو سيف بني ذي يزن، أو ملحمة عنتره، أو ملحمة الزّير سالم، أو ملحمة كلكامش، أو أساطير هوميروس، هي مسيرة تاريخيّة في جانبها الحربي، وقد أمتزج فيها الواقع بالخيال في مَشَاهِد لا يمكن وصفها دون العاطفة النّاطقة بالحقيقة. ونجد فيها حبّ تُمجيد البُطولة، والشّوق إلى أحداث الثّورة، وإلى سِير الأبطال المُجاهدين الشّعبيين، باعتبار أنّ الملحمة تُدبج للأبطال التّاريخيين، وتتناول إنجازات بطليّ تاريخيّ أو تقليديّ أو شخصيّة يتمتّع بصفات عقلية أو جسديّة لا تُصدّق. هي ملاحم وطنيّة شعريّة فيها تُمجيد البسالة والأفعال العالِيّة والشّجاعة والشّخصيّة وكلّ ملحمة تتميّز بالعظمة والأناقة والنّبيل، وكانت اللّغة العربيّة والأدب الشّعبيّ مَحْمُولها لوصف الأحداث وصفًا مَلحَميًا حَامِلًا شُحنة العاطفة والفاجعة مَعًا بُغية التّفاعّل مع الحدث ليقع التّأثير والانفعال.

3. الثّورة الجزائريّة: هو مَجْد تليد، تشمخ به الجزائر وتستزيد، بما لها من تاريخ مديد، ونحن نحتفل بستينيّة الاستقلال بميسم (تاريخ مجيد وعهد جديد) وفي هذه السّانحة كان علينا أن نتجنّد كلّ من مَوْقعهِ: طلبة ومُجتمعًا مَدنيًّا وأساتذة وباحثين ومَسؤولين ومُنافحين وفنّيّين وصحافيين، ذُكرًا وإِنثًا، أبصعهم وأكتنعهم؛ كلٌّ حسب اختصاصه؛ لتخليد مآثرنا الكبيرة والمهمّة، وبخاصّة ثورة التّحرير الماجدة، ونحن نعيش ذكرها الثّامنة والسّتين (68) هي أيقونة الثّورات بما لها من امتداد عبر الزّمان، وقد تجاوز صيْها المكان. هي ثورة وليست حَرْبًا ولا

مَعْرَكَة، ثورَة لِأَنَّهَا غَيَّرَتْ مَجْرَى الْأَحْدَاثِ. وَقَدْ خَلَّدَتْهَا تِلْكَ الْمَلَا حِم الْكَبِيرَة الَّتِي تُذَكَّرُ بِهَا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَحَيْثَمَا وُلَيْتَ: بِلْد الْمَلِكِيُون وَنِصْف الْمَلِكِيُون شَهِيدًا، بِلْد الْمُعْجَزَات بِلْد الْاِفْتِخَارِ وَالْتَارِيخِ، بِلْد قَهْرِ الْحَلْفِ الْأَطْلَسِيِّ، وَكَانَ يَمْلِكُ السَّلَاحَ الْقَوِيمَ، وَلَكِنَّهَا أَحْشَابٌ أَمَامَ عَزِيمَة الْجَزَائِرِيِّينَ الَّتِي لَا تَلِينُ. جَزَائِرُ الشَّهْدَاءِ الَّتِي رَمَتْ الْعَدُوَّ الْجَائِمَ خَارِجَ أُسْوَارِهَا، بَعْدَمَا عَشَّعَتْ مَدَدًا فِي سَاحَاتِهَا، وَمَا كَادَ يَخْرُجُ إِلَّا بِالْحَدِيدِ وَالثَّوْرَة الْعَارِمَة الَّتِي لَمْ تَحُدَّ عَنْ رِسَالَتِهَا فِي قَطْفِ الْاِسْتِقْلَالِ بِالْقُوَّةِ وَالتَّارِ وَبِالْبَارُودِ وَالتَّرْنَادِ.

هِيَ أَمَّ الثَّوْرَاتِ وَمَرْجِعِيَّةُ الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقِ الْاِحْتِلَالِ، بِمَا لَبِيَانُ نَوْفَمْبَرِ 1954 مِنْ بَسَاطَةِ الْعِبَارَاتِ، وَدَلَالَاتِ الْمَعَانِي وَالْمَالَاتِ، وَكَانَ الْبُرْهَانُ الَّذِي خَلَّدَ ثورَة الشَّجْعَانِ، بِتَجَنُّدِ الرِّكْبَانِ. وَهَذَا مَا سَوْفَ يَقُولُهُ أَهْلُ الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْمُدُونَاتِ الَّتِي نَالَتْ الْأَصْدَاءَ، وَبَعْضُهَا كَانَتْ الشَّعْلَة الْحَمَاسِيَّة الَّتِي دَفَعَتْ الْجَمَاهِيرَ لِلْغَلِيَانِ، وَمُسَانِدَة جِهَة التَّحْرِيرِ بِمَا لَهَا مِنْ بِيَانِ، وَزَغَارِيدِ مِنْ كُلِّ مَكَانِ.

4. نَمَاذِجٌ مَلْحَمِيَّةٌ شَعْرِيَّةٌ: لَقَدْ عَبَّرَ الْمُبْدِعُونَ الْجَزَائِرِيِّونَ عَنْ قِدَاسَةِ ثورَة التَّحْرِيرِ الْمَجِيدَة، وَجَسَّدُوا مَوْقِفَهُمْ مِنْ خِلَالِ الْوَاقِعِ وَالتَّارِيخِ الْحَقِيقِيِّ بِشَعْرِ ذِي مَرْجِعِيَّةٍ دِينِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ وَحَمَاسِيَّةٍ وَحَضَارِيَّةٍ وَثورِيَّةٍ تَحْمِلُ شِجْنَةَ الْمَشْهَدِ التَّعْبِيرِيِّ الْقَائِلِ: لَا تَقُلْ نَحْنُ قَلِيلُونَ فَمَا تَضَعُفُ الْقَلَّةُ مِنْ جُنْدِ الْإِلَهِ، وَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَة غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ. وَيَقُولُ الْمُجَاهِدُ (أَحْمَدُ سَحْنُونُ):

وَطَنِي يَا مَهْبِطَ الْوَحْيِ وَيَا * فَلَكَ الْحُسْنَ وَيَا مَهْدَ صَبَايَا
وَإِذَا مِتُّ شَهِيدًا بِالَّذِي * لَكَ فِي قَلْبِي فَقَدْ نَلْتُ مَنَايَا
وَيَسْنَدُهُ (مُفْدي زَكْرِيَاءُ) فِي مَلْحَمَتِهِ:

وَتَسَامَى كَالرَّوْحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * سَلَامًا يَشِيْعُ فِي الْكُونِ عِيدًا
وَامْتَطَى مَذِيحَ الْبَطُولَةِ مِعْرَاجًا * وَوَأْفَى السَّمَاءِ يَرْجُو الْمَزِيدَا

ونرى تفاعل (مُفدي) في تشبيهه نوفمبر ببدر:

وحدّثنا عن يوم بدرٍ مُحمّد * فقمنا نُضاهي في جزائرنا بَدْرًا
ولما انطلق الرّصاصُ كان الجهاد والنّضال، وكان الشّعْر رديف المأل، وهذا
المُجاهد (مُحمّد الشّبوكي) يُبدع في منظومته:

جزائرنا يا بلاد الجدود * نهضنا نُحطّم عنك القيود
ففيك برغم العدا سنسود * ونعصّف بالظلم والظالمين

حضرت النّصوصُ الشّعريّةُ في توصيف الشّوق للحرية، ونبذ الاستعمار
والاستخراب، ولهذا لا بدّ من ثورة لا تُبقي ولا تذر، ثورة التّغيير، استكمالاً
للمقاومات الشّعبيّة. وتأتي ثورة نوفمبر الخالدات؛ مُعلنة عدم التّراجع طلباً للحرية
وسار الشّعراء في ذات المنوال؛ حيث إنّ الجزائر استُعبدت بالسّلاح، وبه يتقرّر
مصيرها للفلاح. ويقول (أبو القاسم خمّار):

سِرْ بالجزائر فالطّريق ضياء * وتراها حريّة حمراء
وأنشد مع الأبطال في آفاقها * أرواحنا تفديك يا بيضاء
سنظّل نرعد باسمك كما * قصفت به من قبلنا الآباء

إنّما ثورة الوهج التي أشعلت اللّهب، وألهمت الشّعراء في أن يكونوا سدنّها
بكلماتهم المشحونة برموز الوطن؛ فنجد أسماء الجميلات+ عميروش+ ديدوش+
بن بولعيد، وشارات رمزيّة لأماكن النّار: الأوراس+ جرجرة+ وهران+ متيجة+
الونشريس+ الصّحراء... حضرت الثّورة النّوفمبريّة بقوة في شعر شعرائنا، ومَن
يطّلع على تلك الدّواوين سيجد زخمًا من الشّعْر الثّوري، ومن التّعابير المُعجميّة
الثّائرة والرّافضة للاستعباد، وتحمل الدّواوين موسيقى الحماسة المُجلجلة عبر
صُور البلاغة وتعايير وترانيم تحمل الهمس والرّقة في معاني الحزن والأسى.

وفي مَوَاضِعِ التَّعْذِيبِ والبَطْشِ، نَقَرًا مَعَانِي الحِمَاسَةِ والقُوَّةِ والتَّحَدِّي،
ويَقُولُ (السَّائِحِي):

وثننا فلا تطمعي في النَّجَاة * وثرنا فلا تحلمي بالبَقَا
حلفنا سنمحق كلَّ الطَّغَاة * ولا بدَّ للشَّرِّ أن يُمْحَقَا
وحقَّ الجَزَائِرُ أرضَ الجَدُود * وأبنائها الأقوياء الأَسُود
وحقَّ الدِّمَاءِ وحقَّ العَهْدِ * لسوف تُرْفَرَفُ هذِي البَنُود

هي مَجْمُوعَةٌ مِنَ الدَّوَاوِينِ المَشْحُونَةِ بِلُغَةِ العِبَارَاتِ النَّازِفَاتِ، تَكْتَحِلُ بِهَا عِيُونُ
القِرَاءِ، وَتَنْفَتِحُ عَلَى جَمَرَاتِ الغَضَبِ بِ (قِسْمًا بِالنَّازِلَاتِ المَاحِقَاتِ نَحْنُ هُنَا) فَلَنْ
نَرُكِعُ لَصِرَاصِيرِ القَهْرِ إِلَى غَايَةِ الِانْتِصَارِ. تِلْكَ مَلَاحِمٌ كَبِيرَةٌ تَرَكْتَ أَثْرًا وَشَخَّنْتَ
هَمَمًا، وَأَلْهَبْتَ حِمَاسًا فِي قَلْبِ كُلِّ جَزَائِرِيٍّ بِأَنْ يَكُونَ أَوْ لَا يَكُونَ. وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ
يَكُونَ تَجْسِيدًا لِلْمَقُولَةِ الخَالِدَةِ (نَكُونُ خَيْرَ خَلْفٍ لِخَيْرِ سَلْفٍ). هِيَ ثُورَةٌ مِنَ صُنْعِ
الكِبَارِ: كَبِيرَةٌ بِكَبْرِ الكِبَارِ، هِيَ إِلْهَامٌ رَبَّانِيٌّ بِالثُّورَةِ، صَوَّرَهَا الشُّعْرَاءُ قَائِلِينَ:

كَمْ أَتَيْنَا مِنَ الخَوَارِقِ فِيهَا * وَهَرْنَا بِالمُعْجَزَاتِ الوُجُودَا
وَأَنْدَفَعْنَا مِثْلَ الكَوَاسِرِ نَرْتَا * دِ المَنَائِيَا وَنَلْتَقِي البَارُودَا
مِنْ جِبَالِ رَهِيْبَةٍ شَامِخَاتِ * قَدْ رَفَعْنَا عَلَى ذُرَاهَا البَارُودَا
وَشِعَابِ مُنْمَعَاتِ بَرَاهَا * مُبْدِعِ الكَوْنِ لِلوَعَى أَخْدُودَا
وَجِيُوشِ مَضَّتْ يَدَ اللّهِ تَز * جَمَاهَا وَتَحْمِي لَوَاءَهَا المَعْقُودَا
وَمِنْ كَهَوْلِ يَقُودِهَا المَوْتِ لِلنَّ * صَرَفْتَفْتَكْ نَصْرَهَا المَوْعُودَا
وَشِبَابِ مِثْلِ النَّسُورِ تَرَامِي * لَا يَبَالِي بِرُوحِهِ أَنْ يَجُودَا

لَقَدْ كَانَتِ الثُّورَةُ التَّحْرِيْرِيَّةُ حَدَثًا عَظِيْمًا، وَقَدْ عَكَسَ الشُّعْرُ أَبْعَادَهَا، وَطَبَعَتِ
الثُّورَةُ التَّحْرِيْرِيَّةُ مَسِيرَةَ الأَدَبِ الجَزَائِرِيِّ الحَدِيثِ، بِحَسِّ ثُورِيٍّ مُنَاسِبٍ، يُؤرِّخُ لَهَا
وَيُدَوِّنُ أَحْدَاثَهَا بِنَغْمَاتِ الإِبْدَاعِ وَصِدْقِ المِشَاعِرِ، وَكَأَنَّهُ سَلَاحُ فَتَاكٍ يَعْضُدُ
البِنْدُوقِيَّةَ وَيَعَايِشُهَا فِي لَهِيْمِهَا بِصُورَةِ الِاتِّزَامِ وَالإِلْزَامِ. ذَلِكَ هُوَ الأَدَبُ المُلْتَزِمُ بِقَضَايَا

مجتمعه، وعلى الشعراء معاوضة مجتمعاتهم، في القضايا المشتركة، وما يخص همومها بإبداع يرقى بعظمة المشترك، وبخاصة ثورة الاعتناق.

إنه شعر ثوري ساير ثورة نوفمبر، وذاب فيها وانصهر، وشب على لظاها واحترق، وزاده علاقة بها وفيها، وبذلك فتح الأبواب الموصدة على حقيقة الجهاد. وكان للثورة فضل تطوير الأدب بمضمونه الشعري الذي فجر بحور الشعر، ومد في قضايا فقه العربية بمستجدات الراهن، وما كان ليتأتى له ذلك لو لم تُعبد الثورة التحريرية طريق التطوير في المعجم الجديد المثري بأدب صادق صافٍ؛ يحمل كلمات ثورية رصينة مشعةً بألفاظ حمراء بدم الشهداء.

هو تلاقٍ وامتزاج بين القلم والثورة في فيض اقتران الشعر بلحظات المقاومة والاستبسال. وهكذا ثورة عظيمة بعظمة صانعيها، وقد وقف الشعر إلى جانب العظماء؛ على اعتبار أن الكلمة لا تقل شأنًا عن عمل الرّشّاش؛ فهي الدرّة المتهوّجة لغالبية الثورات، وعندما ترتبط بالأحداث الضالّية الجليلة، وتجتمع بذلك روعة الشعر، يصبح القلم المبدع ثوريًا؛ فينال أعذب الأوزان، ويزينه البيان، وإن من البيان لسحرًا، ومن الثورة لعظمة وإذا التقى الاثنان حدث العُجبان.

قد أسهم الشعر في تدوين التاريخ، بشكل مباشر أو غير مباشر، وحركت المأساة قرائح الشعراء، فجاهروا في شعرهم بنقمتهم، وبدعوتهم إلى الكفاح من أجل الحرية والاستقلال. ويظهر المجاهد الشاعر (محمد العيد آل خليفة) بنشيدته الرائع:

من جبالنا طلع صوت الأحرار * ينادينا للاستقلال

فهذا النشيد دعوة لاستنهاض الهمم، لما يحمل في ثناياه من مفعول السحر والعزيمة واقتحام الصعاب، إما النصر أو الاستشهاد. هو حماس فياض يُغذيه الشعر في المجاهد أو المستمع، ويلبي نداء الوطن لا بد أن تنتصر.

وفي هذا المجال نجد (مُفدي) ينظر لهذه الثورة على أنّها أمر الحقّ، والله لا يُجِبُّ الظلّ وعليه فأمرُ الشعب أمرُ الله:

وقال الشعب: أمرك ربّي * وقال له الربّ: أمرك أمري

والشاعر هنا يُظهر استجابة الشعب لِقَدَر خالقه، لأنّ المُجاهد لا يخرج للقتال إلاّ ويُكَبِّر (الله أكبر). وبذا نجد الثورة الجزائرية تستمدُّ قُوَّتها من الاتكال على الله، وسمود المقاومين الأشاوش في معارك البُطولة سواء في السهول أو في الصّحاري أو في الهضاب. هو الشّعر الذي رافق الأماكن والمناسبات، وحفظ الذاكرة في مسيرتها المُقاومة؛ داعيًا إلى وَحدة الجزائر، ومُواكبًا مُختلف المُستجدّات.

فاسأل (نوفمبر) عن بنهما إنّهُ * أدري بثورتهم على الأورام
يا ثورة التحرير أنتِ رسالةٌ * أزليّةٌ إعجازها الإلهامُ
الشعبُ أنتِ ضميره وصوابهُ * والجيشُ أنتِ دماغه العلامُ

وهنا تتعلّل لغة الكلام، لأقول: بأنّ شعراء الجزائر تحدّثوا عن ثورة نوفمبر الخالدة، بكلّ ذلك الشّعر الحامل لمعاني القداسة، وجسّدوا ذلك في أشعار بديعة. وأقف فلا مُستزيد، وأنّ المناسبة تستدعي الاقتضاب.

أنتقل إلى مقام الثورة التحريرية خارج شعراء الجزائر، وأقصد شعراء العرب الذين عبّروا بصدق عن إعجابهم ببطولات الثوّار والشّهداء والمُجاهدين. وقد تركوا دواوين كبيرة تحمل نبرة التّحدّي والمُساندة والإعجاب.

5. الثورة الجزائرية في شعر شعراء العرب: كم من مُدونات وأشعار كثيرة عبارة عن ملاحم نظّمها الشّعراء العرب في ثورة لها بعدها العربيّ والعالميّ، فنجد قاماتٍ شعريّة كبيرة أمثال (مُحمّد مهدي الجواهري) في عينيته ذات المئة (100) بيت يعبّر ثورة الجزائر مُنى الأُمّة العربيّة التي تقف صفاً واحداً في دعمها:

الشعبُ أنتِ ضميره وصوابهُ * ولا أنتِ بالوتر لم يشفع
ولكن مُنى أمة والصّميم * وذوّب حشاشتها أجمع

وهكذا نرى في شعر إخواننا العرب يُدبّجون ملاحمهم بذكر أبطال الثّورة فنجد من شعراء العراق من يُنظّم قصيدة عنوانها (عميروش ذئب الجبل) ويقول فيها:

ماتَ وفي عينيه شيءٌ من لهيب المَركه
ماتَ ووهران سماءٌ لم تزل مُحلّولكه
ماتَ على السّفح وحيدًا يحضن البريق
في مُقلتيه يُسكب الحريق
عميروش عميروش هل تسمع الجيوش؟

تهبط في معاقل الأوراس والتّلول
ونجد الشّاعر السّوري (محمّد الحريري) يرصد حانة فرنسيّة فجّرها جزائريّ:

وتدور الكأس والرّأس يدور * وتنادى واحد بين الحضور
من هم الثّوار حتى يملأوا منّا القبور * آه لو جاءونا لنلقاهم هنا
آه لو.. ثم تنادؤا: أيّها السّاقى اسقنا
قطرة من أمننا
لست تدري ما بنا

لحظةً وانتثر المقهى وطارا * إثرها قنبلة جاشت دمارا
بثّها زئدٌ خفيف الأنملة * قد تهاوى من زُكى مُشتعله

هو شعر كثير وكبير قيل في الثّورة الجزائريّة من قبل إخواننا العرب الذين دعّمونا وأمّدونا بالسّلاح والمدد والكلمة السياسيّة في المحافل الدّوليّة، وما نالته الثّورة من تأييد وتشجيع بالكلمة المشحونة بقوة التأثير في الجماهير في السّاحات وفي الإعلانات وفي جمع التّبرعات.

وكانت الخطابة سلاحًا مؤثّرًا في التّجنيد وقد بلغت أوجها في الوطن العربيّ بما تحمل من لسان بليغ مؤثّر وفاعل، إلى جانب الشّعر الذي له مقاماته الخاصّة، وكلاهما يعمّلان على الدّافعيّة الجماهيريّة وعلى التّشجيع المغنويّ، مع ما يتبع ذلك

من القنوات الإذاعية التي لها الصوت الأجش والأقوى لتوصيل رسالة الثورة الجزائرية، وما أدراك من الثورة الجزائرية وكيف كان يُجلجل صوت (عيسى مسعودي+ أحمد سعيد...) من خلال أثير (صوت العرب من القاهرة) وإذاعة الجزائر من تونس.

6. كلمات للشباب الحاضر للاعتبار: إذا كان الزعماء الشباب الذين استشهدوا من أجل هذا الوطن تركوا لنا المجد وهم أحياء لا يموتون، فهل نعتبرون من هذا الفداء، ومن تقديم الأعلى من أجل الآخر، وهذا الإيثار ليس سهلاً، فماذا أنتم فاعلون لهذا البلد؟ ليس من باب المحال إذا قلت لكم: عليكم حفظ الوديعة ومواصلة الرسالة، وعلى خطى الأجداد اتركوا الأثر، وزيّدوا عليه الصّدر؛ فإذا لم تتركوا الأثر كنتم زائدين بالهدر.

فأين موقِعكم من ذكائكم الذي أخذتموه من المدرسة؟ وأين التربية التي تلقيتموها من الأسرة والشارع والمسجد والجامعة والمخبر. وعلّيكُم أن تطرحوا على أنفسكم أسئلة الحاضر: هل أسهمتُم في مشروع فكريّ أو علميّ أو بيئيّ تنتفعون منه وتنتفعون الناس؟ أين أثركم في قافلة المبدعين الناجحين، وهل كنتم فاعلين؟ وهل سهرتم من أجل خدمة الشّان العامّ؟ وهل سايرتم دولتكم في مشاريعها، وكنتم لها مُعاضدين؟ أين دوركم في الحراك الثقافيّ والعلميّ والمدنيّ والمطلوب منكم في مسيرة الجزائر الجديدة التي تنتظر منكم التآلق والحضور في مسيرة التّجديد للعهد الجديد؟ تَلْكُمْ بعض الإسقاطات الموضوعية التي تنتظرها الدولة من الشباب العضويّ في علاج مُختلف التّحدّيات التي نروم أن نحملها معاً في إنتاج الأفكار، وتقديمها لمن يصنع القرار.

فيا أيّها الشباب أنتم الحاضر والمستقبل، والشباب عماد الوطن، ويقع عليه العول في مسيرة التّشديد، وحلّ المضايقات، والتّضحية في كلّ آن وحين، والعمل بفقهِ المُعاملات الواقعية، وبالثقافة النّاعمة التي تسهّل الصّعب، وتعلو لفقّ الغمة والتّعمية، ولا تنحو منحى المعجزة، بصيغة (اذهب أنت وربك فقاتلا) الشباب أنتم والخير فيكم، والعزيمة منكم، اشتدّي أزمة تنفّجي، وما انفراجها إلّا

على أيديكم ونعلم أنكم جاهزون، ولأقوالكم مُنجزون، ولمهامكم قادرون. هي العزيمة التي تنتظركم، فكونوا لها أو لا تكونوا، فالكبار عندهم كلّ الأمور نالت مَواقِعها، وكما قال المتنبي:

على قدر العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصّغير صغارها * وتصغر في عين العظيم العظائم

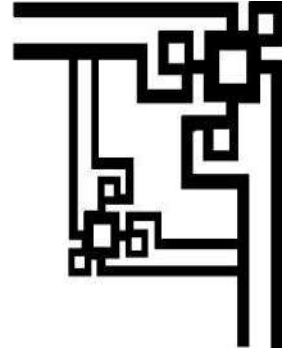
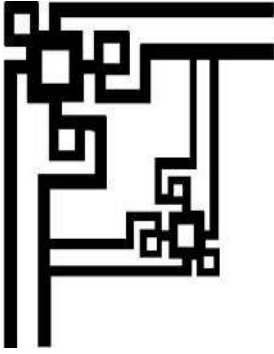
الخاتمة: ويمكن لمّ شمل هذه الكلمة في إنصاف الشعراء أنهم اهتموا بالثورة الجزائرية بلغة تجمع بين البساطة والرّصانة، وقد ساند الشعر الثورة بقاموسه وعباراته وتدققاته اللغوية، وجمعه بين خطابي الشعر والتّاريخ؛ بما أحرزه من مُتوافقات بُطوليّة ممزوجة بالشّهامة والرّجولة. تركت عظمة الثّورة قريحة الشعراء تُبدع في بثّ الرّوح الوطنيّة وتقويتها والتأثير في المسار النضاليّ، هي ثورة تاريخيّة لا تموت، فأنعم بها من ثورة! وأنعم به من نوفمبر! وكان نوفمبر فعلاً:

تأذن ربك ليلة قدر * وألقى السّتر على ألف شهر
ولعلّ صوت الرّصاص يدوي * فعاف اليراعُ خرافةً حبر
وتأبى المدافع صوغ الكلام * إذا لم يكن من شواظ وجمر
نوفمبر غيرت فجر الحياة * وكنت نوفمبر مَطْلَع فجر

شغلنا الوري، وملأنا الدنا

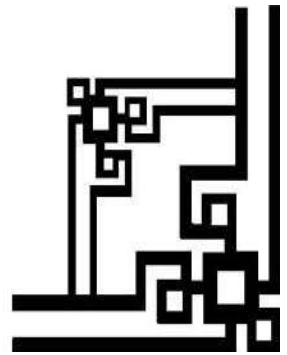
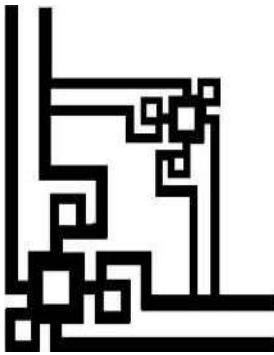
بشعر نرتله كالصّلاة

تسايحه من حنايا الجزائر



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

39



قراءة تحليلية في محاور

(المؤتمر الدولي للقوانين والأنظمة التشريعات والسياسات والتخطيط اللغوي)*



الديباجة: أيها الجمع الكريم، تغمّرنى السعادة وأنا في بيتنا العربي المشترك (جامعة الدول العربية) مع إخواننا العرب لمناقشة قضايا حساسة تعود إلى اللغة العربية والتربّية، ونعلم بأنّ أمثال هذه القضايا لها أثر في المحيط العامّ، فإذا قوّمناها فنغلق المقاهي والسجون ونصلح الشعوب. ونجد أنفسنا حاضرين في هذا المحفل لمناقشة القوانين والأنظمة والتشريعات والسياسات والتخطيط اللغويّ؛ من أجل نشر الوعي اللغويّ من جامعتنا العربية التي ترفع هذا الشعار، ونحن مُقبلون على لَمّ شمل الأمة العربية في كلّ القضايا، وهي من قضايا الأمن العامّ.

واللغة العربية من الشّأن العامّ، فهي إذًا من الأمن اللغويّ والتربويّ والثقافيّ، وما أحرانا أن يقع الفصل في قضايانا المصيرية، وبعضها عالقة منذ سنين، وبخاصّة قضية اللغة العربية التي أنصفتها الجامعة العربية بالقوانين ولكن دون تطبيقها في كلّ البلاد التي تنضوي تحت إمرة جامعة الدول العربية. هي أرمادة من القوانين والوثائق ونصوص القيمم العربية، وما أقرته الجامعات والمجالس العليا والمؤسسات ذات العلاقة... ولكنّها عبارة عن ركام من الورق الذي ليس له رجع الصدى للأسف.

ومن خلال الورقات التي نُرسلها نأمل أن تكون خلاصتها في يد الأمين العامّ لجامعة الدول العربية (أحمد أبو الغيط) ليُرافع بها في لقاء الجامعة العربية الذي يحصل في الجزائر في 1 و2 نوفمبر 2022م، ويصدر عنها بيانٌ بمسّى (بيان الجزائر

* - الكلمة التي أعدت للمؤتمر الدولي للقوانين والأنظمة والتشريعات والسياسات والتخطيط اللغويّ. والذي ترعاه جامعة الدول العربية، بتاريخ 13 - 15 نوفمبر 2022م. في مقرّ جامعة الدول العربية، جمهورية مصر العربية. القاهرة.

بخصوص استعمال اللغة العربيّة) وهذا أملنا، ونحن نعقد الملتقى بعد انعقاد دورة الجامعة، ولكنّ المداخلات تصل قبل الدّورة.

وفي هذه الدّيباجة لا أريد أن أحدثكم باستفاضة عن فعاليات المجلس الأعلى للغة العربيّة بخصوص النّصوص ذات العلاقة بأمر تطوير اللغة العربيّة، وما نالته من تطبيقات تقانيّة، والأعمال التي أنجزها المجلس في مجال تعميم استعمال العربيّة، وتلك المشاريع الكبرى التي حَمَلَهَا لتحقيقها، وقد جزّأها على الأمد التّلاث: سريع+ متوسّط+ طويل، واستطاع أن ينتج فيها الكثير من الموضوعات تخصّ تطوير العربيّة تطويراً حديثاً، وتلك النّجاحات التي لقيها في الشّارع الجزائريّ بخصوص الاهتمام بالمواطنة اللغويّة، وبالهيويّة والذّكرة الوطنيّة، بقدر ما أريد حمل الأمانة المشتركة في حسن تدبير سياسة عربيّة مشتركة؛ بغية الوصول إلى تحقيق مهام (الجامعة العربيّة) التي وُضعت لتجمعنا في مختلف القضايا، وبخاصّة القضية اللغويّة التي يفترض ألاّ نختلف في الأهداف ولو ختلف في المنهجيات.

وغيري الوصول إلى المشترك الجمعيّ، وسوف أحدثكم عن محاور الملتقى التي صيغت بإتقان، ومن خلال هذا اللقاء أُعيدُ الأفضال لذويها، فإنّ القائمين على تقديم مشروع هذا المؤتمر كانوا على مستوى الدّراية والتّدبر في إتقان الإشكاليّة المعروضة أمامنا، بما حملته من محاور وآليات خوض ميادين العربيّة التي تحتاج إلى تنفيذ، لا إلى الحديث عن القول غير المرتبط بالفعل، وتلك هي المشكلة التي ما استطعنا الخروج منها، ولم نع العبرة من التّجارب العربيّة النّاجحة، ومن ربط القرار السّياسي بالتّطبيق الفوريّ، وربط المشاريع بالمتابعة إلى غاية التّجسيد.

المقدّمة: إنّه لمن دواعي الشّعور بنجاح أوليّ هذا اللقاء العلمي أن ترعاه (جامعة الدّول العربيّة) في ظلّ ما تُقدّمه هذه الجامعة للأمة العربيّة؛ من مشاريع اقتصاديّة واجتماعيّة، وفي هذه المرّة تنظر إلى الجانب اللغويّ والثّقافي؛ بإنجاز مؤتمر دوليّ حول القوانين والأنظمة والتّشريعات والسياسات والتّخطيط اللغويّ. ونحن في أشدّ الحاجة إلى ضبط آليات لغتنا المشتركة (العربيّة) وهي لغة الأمّ ولغة

الأمة العربية، ولغة الكون، وتناقش آلياتها في رحاب (جامعة الجامعة العربية) التي ننتظر منها القرار الإلزامي الملزم والصّارم الذي يعمل على تعميم استعمال اللغة العربية في مختلف مناحي الحياة اليومية؛ وبخاصة تدريس العلوم والتّقانات الحديثة.

إنّ كلّ دساتير الدّول العربيّة تنصّ على دسترة اللغة العربيّة لغة وطنيّة ورسميّة بنصوص ظاهرة "العربيّة لغة رسميّة، وأنّ الدّولة تعمل على حمايتها وتطويرها واستعمالها في مختلف مجالات الحياة" "تظّل اللغة العربيّة اللغة الرّسمية للدّولة"... ولقد ذُكرت اللّغة العربيّة في كلّ الدّساتير العربيّة في المقدّمة أو في الدّيباجة بعد التّنصيص على أنّ الإسلام دين الدّولة، يعني إبراز المشترك بأنّ الدّين والوطن واللغة العربيّة عناصر مؤسّسة للهويّة الوطنيّة المشتركة؛ بمعنى أنّ المشترك لا يتجزأ، وهو تكامل بين الدّالات الثّلاث: لغة الدّين + لغة الدّولة + لغة الدّنيا، مع إبراز الإسلام كمؤشّر ديني على التّنوع الاجتماعيّ والتّاريخيّ العربيّ، وهو عنصر مهمّ لفهم جانب من جوانب الواقع الدّيني والسياسيّ العربيّ الحالي والواقع اللغويّ؛ فإنّ ما لا يُفهم به الواجب فهو واجب.

ومع هذه الدّسترة وأرمادة القوانين والمراسيم، وحملات جمعيات المجتمع المدني الرّافعة لمطالب حماية وتعميم استعمال العربيّة؛ فإنّ اللغة العربيّة تشهد في بعض البلاد العربيّة تراجعاً وانتكاساً وضِعفاً في أدائها، وعدم استعمالها في مجالات الحياة اليوميّة كما نسمع ونقرأ عن بعض الخروقات للدّستور، وما يتبع ذلك من حروب اللغات بما نراه من امتدادات خارقة للعُرف العربي الذي يُقدّس لغة القرآن، واشتعال الحرف اللاتيني في شوارعنا باللّغة الإنكليزيّة/الفرنسيّة، وفي وسائل التّواصل الاجتماعيّ نسمع التّلهيج الذي يُضعف من قيمة العربيّة الفصحى، أضف إلى ذلك مجموعة من الفراغات المسكوت عنها خوفاً، وتحتاج إلى تحديد وردّ فعليّ إيجابي من مثل: العربيّة لا تصلح إلّا للدّين وخطاب الجنائز/ العربيّة الفصيحة لا تُمثّل الواقع اللغويّ العربيّ في كلّ أقطار العالم العربيّ/ ضعف العربيّة العلميّ/ غياب السّياسة اللغويّة والثّقافيّة والإعلاميّة/ عدم وجود

تخطيط لغويّ عربيّ مشترك/ ازدياد كبير لأنصار اللهجات المحليّة/ تدريس اللغات الأجنبيّة في مراحل التّشريب اللغويّ... غزو لغويّ باستعمار لغويّ بعيد عن المنطق وأهلها هم صانعوه. وضعيات لغويّة غير طبيعيّة لبعض البلاد العربيّة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نرى وضعيات لغويّة أجنبيّة تزداد اشتعاليّاً، ولا نرى للعربيّة ذلك الألق والازدهار الذي نرومه أن يكون.

وهذه من الأشياء التي تحتاج إلى علاج نوعيّ مُقنع من المُختصّين الذين يُنتجون الأفكار لصاحب القرار، وهو المطلوب مِنّا كباحثين نعمل بتفانٍ دون انتظار القرار السّياسي؛ لأنّ القرار يصدر طوعاً عندما نُحقّق الرّكّام المعرفيّ والعلميّ بالعربيّة، وعندما نعمل على تحقيق الأرضيّة المعرفيّة التي تُثري العربيّة بدل أن نقف مكتوفي الأيدي ومنتظر القرار الذي يعمل على التّعريب؛ دون وجود قاعدة معرفيّة من المفاهيم والمصطلحات وفقه اللغة والنّحو واللسانيات، ومنجزات من قبل المعاجم والقواميس والأدلة الوظيفيّة التي تكون قاعدة القرار النّاجح. أضف إلى ذلك معطيات الرّاهن في التّقانات الحديثة وفي إنتاج الخوارزميات ومتطلّبات الحوامل الإلكترونيّة التي هي لغة العصر، مع ما يتبعها في مسائل الهندسة اللغويّة والحوسبة.

1. اللغة العربيّة استعمال: يقول فقهاء اللغة "إنّ أيّة لغة وَضِعَ واستعمالٌ فإذا تعارضَ الوضعُ مع الاستعمال: فالاستعمالُ أولى". ومن هنا؛ فالقضيّة يمكن اختصارها بأنّ ما توصف به العربيّة من ضعف/ نقص/ تخلف/ عجز في جيناتها... كلّه من سَقَط الكلام؛ باعتبار العربيّة لم تُرمَ في الاستعمال فكيف ينمو فيها المصطلح ويتوحّد، وكيف تتطوّر وهي تعيش في سجن داخليّ في بعض بلدانها، وكيف نحكم عليها بالفشل دون أن نستعملها، فهذا حكم ورأيّ مخالفٌ للمنطق. إنّ العربيّة تقول لنا: استعملوني، ومن ثمّ احكموا على مُخرجاتي، أطلقوا حريتي؛ فأنا أتدبّر أموري، اجعلوني في يد الرّجال الرّشيدين الذين يعملون على تطويري ازموني للشباب يحتضونني، مكنوني من التّوظيف فسوف ترؤنّ الجمال والعلم

والتألق. أنا لستُ لغةً عاجزةً، والعجز فيكم، أنا لغة لي مواصفات لا توجد مجتمعة في أية لغة إلا في فقط وفقط.

2. اللغة العربية وإدراك القيمة المعنوية: إنَّ معيار نجاح اللغة وقيمتها يعتمدان على قدرتها على استيعاب التّقدّم العلميّ، واستعدادها للتّنافس، وانتزاعها الأسبقية خارج بلدانها، والعربية في ذاتها تملك مُقومات البقاء والتّطوّر والتّنافس والازدهار وتحتاج إلى تمكينها من استعادة مكانتها وموقعها على الخريطة العربية أولاً، ومن ثمّ في البلاد الإسلاميّة ثانيًا، وعلى مستوى العالم ثالثًا، وحمائتها وخدمتها والاعتزاز بها رابعًا. ولخدمة قيمتها المعنوية والوجودية؛ علينا خدمتها كلغة تواصل يوميّ لا كلغة حفظ التّراث، علينا العملَ على المحافظة على العامل النّحويّ في إطار التّعبير الوظيفيّ للغة، بحيث يُتلاغى بها لا لغرض الوقوف على حركات أواخر الكلمات؛ بل الاستناد إلى الأغراض التّخاطبية حفاظًا على مستويات اللغة: مبنى + معنى + وظيفة.

إنّ العربية تحتاج منّا أن نجعل منها لغةً تُنسج على منوال صحيح، مرتبط بالحمولة الخطابية السّليمة، في إطار السّعي لانتحاء سمت كلام أجمل اللغة في صورتها الطّبيعيّة، كما قال السّكاكي 626هـ "....أعلم أنّ النّحو هو أن تنحو معرفة كيفية التّركيب فيما بين الكلم؛ لتأدية أصل المعنى مُطلعًا بمقاييس مُستنبطة من استقراء كلام العرب بقوانين مبنية عليها".

إنّ اللغة العربية قيمة تاريخية كبيرة لها الامتداد في الزّمان وفي المكان وتحتاج إلى إجراء عمليات التّحويل التي تُتيح الفرصة للمتعلّم في تنمية ثروته التّعبيرية والأسلوبية، كما تحتاج إلى تعزيز قدرة المتكلّم الانشائية في إنتاج جُمَل لم يكن لها سبقٌ سماعها، علمًا بأنّ النّاس يتخاطبون في ما بينهم ليعرف السّامع غرض المتكلّم ومقصوده، فهل عملنا على فتح هذه القيمة العلميّة التي توقّرها أنماط ومجاري الكلام للتّعبير عن المعاني بصورة مبسّطة، وبلّغناها بسهولة في عمليات التّربية والتّعليم. وهل نقلنا النّحو العربيّ من صورة حفظ الشّواذ إلى احتذاء مسالك ومجاري كلامية للتّعبير عن معاني المتحدّثين في خطاب ينسجم مع

الطريقة الطبيعية للمتحدثين في اكتساب اللغة، وتحدد وظيفة النحو بناء على أوجه التعليق والتنظيم المتعارف عليه في المعاني الذهنية. هي فراغات كنا نودّ من المنظومات التربوية العربية الاستثمار فيها في الكتابة التخاطبية، وفي حلّ مضايقات تعليم العربية الذي لا ينتهي إلّا بعد عمُرٍ طويل، وهذا عجزٌ في أهلها الذين لا يعرفون كيفية تبليغها وظيفيًا. وعليه؛ فإنّ تعلّم النحو مهمّ في خدمة تعلّم اللغة وتعزيز قيمتها ومهاراتها، ولكن ليست القيمة في ما تحمله قواعد التعليم بل في ما يستعمل في المحيط، باعتبار اللغة محاكاة للمُحيط.

3. اللغة العربية تاريخ ومجد: وهذا ما يحتاج منّا إلى تبليغ وتفعيل وتحيين آلياتها، ومسارها العالمي أيام علميتها وعالميتها، وأيام المجد السليم، بما بقي لها وفيها من رسوم العصور المزهرة في الأندلس وآسيا الوسطى، وبلاد السند، ومن تلك المناطق الأوروبية التي أُفيدت من العربية وتكرّرت لها، بل أخذت علومها وطوّرتها وتبنتها من إبداعها. هذا المجد عجز أهل العربية أن يحملوه وينيروا به أهل الحلّ والعقد الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وكما يقول الشّاعر:

كم قائل يا ليته ما قال * خلط الكلام فأخرج الأحوال

وتبقى الآثار لا تزول رغم ما عرفته العربية من ركود وسُبات عمّر خمسة (5) قرون، وما انتهى إليه أهل العربية إلى تابعين بعد أن كانوا متبوعين، والتابع يفقد دوره وحقوقه ومجده. والعبرة الآن بالحاضر وليس بقصر الحمراء، ولا بقرطبة وغرناطة، ولا بهو قمارش، ولا بالبرج العربي، ولا بقنطرة الوادي، فقد نالت صروف الدهر بوابة قصر النّاصر، ولا أحد يعود إلى ذلك الزّمان، إذا كان حاضرنا تبعانًا.

بأربع فاقت الأمصار قرطبة * منهنّ قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان والزّهراء ثالثهما * والعلم أعظم شيء هورابعها

ويقول (بيير غوري / Pierre Gory) الحائز على جائزة نوبل 1903م "لولم تُحرق كتب المسلمين لكنّا اليوم نتجوّل بين المجرّات" ومع هذا لا يشفع لنا الماضي العريق

بحاضر غريق، ونريد نظرة جديدة في تفعيل المجد الذي نروم أن ينقل للأجيال للعبارة بأن اللغات دُول، وكذلك الأمم دُول، والحضارات دُول ولكن يمكن أن نعود بما لنا من ركيزة سعود وصعود، وأن الحضارات تأخذ عن بعضها، فكذاك الحضارة العربيّة الإسلاميّة لها صفة المجد والخلود.

سنعود بما هو مُتاح، وبمبادرات تَتاح، وعلينا اغتنام الفرص، فلا مُستحيل في هذه الحياة المُستحيل في القُعود والخوالف، وتخيّل أحلام الجمود. ويجب العلم بأننا نعيش الألفيّة الثالثة بما لها من تحدّيات، فهل لغتنا في مستوى الرّهان برفع التحدّيات. وهنا لا تفيد الرّهاء؛ وهي في سفح جبل، ولا يفيد كان أبي. وتفيدنا ثورة الموريسكيين في منطق الانتصار للحضارة العربيّة الإسلاميّة التي كانت مجدًا أثيلاً. هي عبرة لأولادنا بأننا كُنّا، وقد وضع (طارق بن زياد) يده على طليطلة وحاز على كنزها الثمين، وتركنا بصماتنا، وكانت العربيّة لغة التّدرّيس والعلم والأخذ، وتشهد تلك القُفوش على التّاريخ المجيد.

ونسعى من خلال أمثال هذه الملتقيات تبليغ رسائل إلى المتنكّرين في الاعتراف بالواقع اللغويّ الذي يحتاج إلى تثوير للعودة إلى تراثنا المجيد، وهو غنيّ وثرّي بما له من قواعد أصيلة، مع كبح الحنين إلى الماضي، وقوام العمل هو البحث عن المزيد، والاعتبار بما يستشهد به عن الماضي السّحيق بما له من إيجاب.

4. منجزات العربيّة حاليًا: ومع ما توصف به العربيّة من تخلف، وما تعجز عن ملاحقة اللغات، وما تعرفه من فراغات قانونيّة، وما تعيشه من بعض السّهلا، لا نخفي أنّ العربيّة بعد 2012م أصبح لها مكانٌ عالٍ كلغة كونيّة. لغة رسميّة في ثلاث وستين (63) دولة في العالم، لغة قديمة يتواصل ماضيها بحاضرها، وهذا لا يوجد إلاّ في العربيّة التي لها امتداد سبعة عشر قرنًا، وهي لغة الماضي والحاضر والمستقبل بما تراه الدّراسات المستقبلية أنّها من اللغات التي لا يأتي عليها الانقراض، وسوف تنال مواقع متقدّمة في لاحق من الزّمان.

هي لغة لها المستقبل بما أحرزته من مشاهد ومقامات، فلا نعدم ذلك التّطوّر الذي أصبحت فيه لغة ذات مرجعيّة تاريخيّة لها ماضيها المُشرق، وعطاؤها المُطلق

في العطاء قبل الأخذ، وها هي اليوم تعرف الانطلاقة في وقت الحاجة فنرى ما تحقّقه إعلاميًا بشكل مطّرد، وما تحرزه استعمالاً... فثمّة آثار إيجابية لتدريس اللغة العربيّة الفصحى باستخدام علم الصّوتيات، وهو ما يتمسّى مع أحدث الأبحاث في علم القراءة، كما نشهد تقليل الشّرخ بين اللغة العربيّة الفصحى واللهجات المختلفة، وأنّ الصّعوبة في تعلّم العربيّة الفصحى بدأت تقلّ، وهناك تحسّن نوعي في الأداء اللغوي...

هي نتائج نوعيّة تحرزها العربيّة يوميًا، وتنال فيها مقامات العُلا، وهذا من بشائر التّحسين الذي يقوم المُخلِصون على أداء أدوارهم اللغويّة في هذه اللغة المشتركة التي تمدّ يدها لتطويرها. وعلينا أن نبعث فيها الأمل، فلا نُسوّد الأمور، فهناك خطّوات جبّارة مُنجزة على الشّابكة، وهناك وجود آلاف المواقع والمعاجم الإلكترونيّة، ونرى نجاح مناطق التّدقيق الإملائي والترجمة الآليّة، والمحلّل الصّرفي، وقواعد البيانات المعجميّة، والمشكّل الآلي وبرامج المرّمز الآلي، وبناء المعاجم المتخصّصة، وكذلك إنتاج معاجم للكلمات الأكثر تداولًا في اللغة العربيّة، وبناء حقائب تعليميّة في مختلف الميادين، ونشهد منجزات في المتون والأدلّة الوظيفيّة... وهذا يؤكّد متانة وقوّة موقع هذه اللغة علميًا واستعمالًا وتدريسًا، والذي يجعل منها لغة العصر الحديث، كما كانت لغة العصور الغابرة.

وإنّ لقاءنا اليوم في هذا المؤتمر الدّولي نروم من خلاله البحث عن القلائل التي تعيشها العربيّة في أوطانها، والعمل على حلّها وسدّها، وتقديم البدائل التّوعويّة لصاحب القرار؛ علّه يبحث فيها ويعرضها للقرار السياسي السيادي الملزم الذي يأتي من خلال مؤتمرات القمم العربيّة للملوك ورؤساء وأمراء الدّول العربيّة لحلّ هذه القضايا العالقة، وإنزال العربيّة مكانتها كلغة رسميّة تكون لغة التّدريس في كافة المراحل التّعليميّة، لغة البحث، ولغة الحياة اليوميّة، والسّير بها في تطوير المجتمع العربيّ نحو التّنميّة المستديمة التي لا تكون بغير اللغة المشتركة الوطنيّة والرّسميّة، ولم يثبت أنّ أمة في العالم تقدّمت باللغة الأجنبيّة، وهذا ما هو مُجسّد في كلّ الأمم التي تُعزّز مكانة لغاتها.

وفي هذه النقطة نريد استنهاض وعي النخبة العربية لتعي دورها الريادي والتوجيهي في تفعيل المجتمع العربي بالقوة الناعمة بالتدبير وحسن التسيير والتوصيات والإنتاج والإبداع، وتقديم الحلول من أجل النهوض بالعربية، فأين هذه النخبة العربية التي يُعَوَّل عليها لخدمة المواطنة اللغوية؟ أين هذه الخميرة التي لا تَفْعَل فعلها في مجتمعاتها؟ أين النخبة العربية القادرة على الخلق والإبداع والمشاركة الفاعلة في الحياة اليومية؟ أين النخبة الوطنية التي تجعل من شعها تابعاً لفكرها، خادماً لمفاهيمها وقيمها وإيديولوجياتها، مستهلكاً لتصوراتها؟

نحتاج نخبة عُضُوية تكون لها توجهات وطنية في هويتها الحضارية التي ورثتها عن أجدادها، حضارة شرقية؛ قوامها الإسلام، ولغتها العربية. نحتاج من العاملين على تطويرها امتلاك العلم، وأن يعملوا على تحويل أفكار الحضارة العربية الإسلامية إلى أدوات واعدة، وقفزات حضارية نوعية، من شأنها إخراجنا من ضيق التخلف، إلى فسحة الحضارة والتّمدّن. وعلى النخب العربية كامل الوعي بتحمّل مسؤوليّة السّكوت على فرض اللغات الأجنبية في واقع لا يقبلها، وهو واقع إيديولوجي خارج التّغطية وإرادة الجماهير العربية، لأنّ اللغات الأجنبية كلغات ممارسة يومية ولغات التّدرّيس والإدارة هي إحداث صراع لغويّ سياسيّ يؤدّي إلى تعطيل التّنميّة في كلّ أوجهها بله الحديث عن الجانب الرّأسمال الرّمزيّ القيميّ اللسانيّ وهو ما يؤكّد الوجود والأصالة والتّميّز والماضي والحاضر والمستقبل، وأين النخبة التي تستنهض المجتمع لوعيّ لغويّ منتصرٍ للغته التي هي قراره السياديّ والقيميّ والأخلاقيّ.

5. الجامعة العربية بين المطرقة والسندان: إنّ الجامعة العربية تنظيمٌ قوميّ شاملٌ لتحقيق آمال الأمة العربية في وُحدتها وتقدّمها، حيث قامت بجهود تربيويّة كبيرة في السّاحة العربيّة منذ أكثر من سبعين (70) سنة، وقامت بجهود معتبرة في معالجة مختلف الاتّجاهات التّقدّميّة، وعملت على إعداد الاستراتيجيات القوميّة، وإقرار المواثيق والمعاهدات بهدف التّنسيق بين البلدان العربيّة في تحقيق خططها التّنمويّة، وبخاصّة التّربيويّة منها؛ إذ نظّمت العشرات من اللقاءات ذات العلاقة

بالتربية والتعليم، ودعت إلى تنظيم توحيدى شامل لمنظومة التربية عن طريق الإدارة الثقافية في الأمانة العامة للجامعة، وعبر اللجان الثقافية والمؤسسات التابعة لها، بغية تحقيق أرضية مشتركة ووعي لغوي قومي.

ونقول بأن الجامعة العربية بذلت جهودًا في المجال الثقافي والتربوي بما قدمته من أفكار في العمل العربي المشترك. وهنا يأتي السؤال عما قدمته الجامعة العربية في تحقيق التوحيد التربوي بين الدول العربية، وماذا قدمت من عمل في مجال تفعيل منظمات العمل العربي المشترك، وهذا محل نقاش يجب أن يفتح بشفاية تامة؛ لأن هذه المؤسسات يمولها الشعب العربي من ضريته، فهل كانت الجامعة العربية ومؤسساتها في مستوى خدمة لغته؟

وهذا ما سوف نظهره مخرجات هذه المؤسسات، فبعضها تحتاج إلى دعم وتشجيع، وبعضها تحتاج إلى غلق فوري. ولكن ما يجب وعيه بأن للجامعة العربية دورًا كبيرًا في كافة المجالات، وبخاصة التربوي والثقافي، فوجود الجامعة العربية في حد ذاته دور توحيدى شامل، ومن الأهمية كذلك الوعي بأهمية العمل المشترك بين الدول العربية من أجل بناء حضارة عربية تقوم على العلم والتكنولوجيا، وضرورة التوحيد التربوي من أجل توحيد الأهداف التربوية والمناهج والنظم التعليمية، وإعداد المعلمين والإدارة التعليمية، والتشريعات التربوية، ونظم التقويم والامتحانات. والتوحيد الذي أدعو إليه تقوم عليه الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية؛ لتوحيد الرؤى في مستقبل التربية والثقافة العربية، وتنسيق الجهود التي تبذل من جهات عربية كثيرة، فهي شتات تحتاج إلى توحيد في الأهداف بما نص عليه ميثاق الوحدة الثقافية العربية.

وفي هذا المجال، نرى الجامعة العربية تعيش بعض الثغرات المفصلية في صلاحياتها التي تعوزها القوانين الصارمة بين الممكن والمقبول، وبين الممنوع والمحظور، فراها لا تتعامل مع المستجدات، ولا مع الحكومات العربية بمنطق القانون، بل بمنطق التوسل، أضف إلى ذلك عدم معالجة رفع معوقات التوحيد التربوي، بإنجاز أرصدة لغوية مشتركة لتوحيد لغة التلميذ، والبحث عن المشترك

العربي بعيداً عن السياسات القطريّة الضيقة، والبحث عن فاعليّة دور الجامعة العربيّة في مجال حرية البحث التّربويّ، وعدم معالجة ضعف الإرادة السياسيّة العربيّة، وعدم الاستعداد لمواجهة العولمة الثقافيّة دون اختراق إيديولوجيٍّ أو إفراغ هوياتيّ...

تلكم بعضاً من العدميّات التي تنعى بها جامعة الدّول العربيّة أنّها مؤسّسة غير فاعلة، وأنّها تعمل على العيش والهدوء دون الانتصار للمصلحة العربيّة المشتركة، وبخاصّة في المجال اللغويّ. وكان من الضّروريّ العمل على سياسة علميّة عربيّة تطبيقية مرسومة بأهداف الأقطار العربيّة التي تنتظر الكثير من جامعة الدّول العربيّة، فهي القطار الذي ركبناه جميعاً، وهي سفينة النّجاة التي تحتاج إلى رجل رشيد يُحسّن التّوجيه والحوكمة والحكامة والتّدبير. وهذا أملنا في تفعيل مؤسّسات العمل العربي المشترك، ومؤازرتها للقيام بأدوارها المطلوبة.

6. الجامعة العربيّة وخدماتها للغة العربيّة: لا يمكن أن نخفي تلك الاجتهادات والتوصيات التي عملت الجامعة العربيّة على محكّ السّندان الصّلب من أجل نيّل العربيّة مقامها كلغة رسميّة تحتاج إلى توظيف وتدريس وممارسة دائمة في كلّ مناحي الحياة، هذا على مستوى التّنظير، وتبقى أنّ جملة التوصيات الصّادرة عن القمّم العربيّة لم تخرج من إطار الأقوال لعدم وجود آليات تنفيذيّة تضمن وجود القوانين على أرض الواقع، فهي قوانين/ توصيات/ مقترحات مع إيقاف التّنفيذ. ومثل هذه القوانين التي وضعت من معظم الدّول العربيّة بمصطلح: حماية اللغة العربيّة+ قانون اللغة العربيّة+ قانون تعميم استعمال العربيّة... ليست سوى ديكور لحفظ ماء الوجه فقط، لكن الواقع يُنافي تماماً ما وُضعت لأجله؛ إذ لا تزال العربيّة غائبةً عن معظم المؤسّسات العامّة، دون الحديث عن غيابها شبه المطلق في المؤسّسات الخاصّة.

ونرى أغلب التّشريعات التي تنصّ على حماية اللغة العربيّة كلاماً على كلام، فنرى الواقع اللغويّ يدعو إلى الخجل، والازدواجيّة تنخر المجتمع العربيّ، ونرى بعض التّراجع عن مكتسبات سابقة كنّا نفتخر بها في ما مضى، والآن بدأ النّخر

ينالها. صعوبات جمّة لا يمكن حصرها في هذه الكلمة بأنّ اللغة الرّسميّة خارج التّواصل والتّفاعّل، وخارج السّياق الرّسميّ في الحياة اليوميّة. لغتنا الجميلة أصابها في الوقت الحاضر الوهن والفسل من بعض حُرّاسها، فكيف بحال هذه اللغة التي كانت حاملة أمجاد حضارات الشّرق كلّه ولغة الفردوس الضّائع.

وإنّ ما ننتظره من الجامعة العربيّة أن تنتصر للقوانين، ولتلك الجهود القطريّة لحماية اللغة العربيّة، وتقوم بإجراءات قوميّة في هذا المجال، على مستوى مؤسّسات العمل العربيّ المشترك، والتي يُفترض أن تكون حارسةً للهويّة، حيث تُعدّ اللغة الموقّوم الأساس لهذه الهويّة، ومرتكزها المعرفيّ الحافظ لملامح الإنسان العربيّ، وفكره وشخصيته ومصالحه.

وأودّ من أصحاب القرار أن يصنعوا لنا تطبيقًا مُلزماً لما أقرّته قمّة دمشق في قرار 435 بتاريخ 2008-3-30م، وهذا يكفي لحلّة الوضع اللغويّ، والذي ينصّ صراحة على "وضع الخطط والسياسات اللغويّة لتمكين اللغة العربيّة والحفاظ عليها من التّحدّيات التي تواجهها في ظلّ العولمة". ويا حبذا أن يُستتبع بما أطلقت عليه الألكسو "مشروع التّهوض باللغة العربيّة للتّوجّه نحو مجتمع المعرفة"، وفي هذا المشروع أهداف مائزة حول وضع سياسة لغويّة قوميّة، وتخطيط لغويّ قويم، وفيه إنزال العربيّة سياقها الرّسمي.

وما أتحدّثه من هذا المؤتمر التّأكيد على متابعة ما يقترحه المحاضرون في مجال المؤكّد المضمون منذ زمان؛ من أنّ العربيّة كائن حيويّ، وجسر معرفيّ ممدود للتّواصل، ومعبّر مهمّ للتّنمية المستديمة، ولا غنى عن العربيّة اللغة الأمّ؛ فهي مُسترسل البناء والإصلاح والتّأصيل والاستشراق. كما أدعو المسؤول الأوّل عن جامعة الدّول العربيّة إلى دراسة حوصلة ما يقترحه الخبراء، والعمل على تشكيل لجنة عربيّة؛ تعمل على متابعة تنفيذ قرارات الجامعة العربيّة بخصوص ما أُقِرّ عبر القمم العربيّة، وما سوف يُقرّ في القمم اللاحقة.

وهذه اللجنة تحتاج إلى تمكين لتجسيد المقترحات التي تنصّ على تطوير اللغة العربيّة، وتوطين المعرفة بها، ونشرها عبر المناهج التّربويّة والتّعريب والتّرجمة والتأليف والنّشر مع ما يستوجب هذا كلّ من توفير موارد بشريّة وماليّة لتنفيذ برامج إصلاحها. كما أدعو زملائي في هذا اللقاء إلى تغيير منهجيّة العمل من أجل تطوير العربيّة وضرورة اتّباع الخطاب المؤالف الذي يلغي مصارع السّوء.

فمن المدافع الشّرس من أجل مقام العربيّة، إلى المُهاجم النّاعم الحامل للأفكار، وليس المُهاجم الذي ينهال على الجميع سبًّا، ويجبرهم على الخضوع رغماً؛ بل المُهاجم الذي يتسلّل بكلّ رفق، ويفرض نفسه بكلّ هدوء. مُهاجم يدعو إلى الإسهام في حلّ المضايقات اللغويّة، مُهاجم يعبّر بالعربيّة إلى آفاق جديدة تتجاوز التّحدّيات، مُهاجم مبادر ينأى عن المهاترات، ويدعو إلى حلّ المشترك المتمثّل في اللغة العربيّة الجامعة التي تعيش الفقر التّقاني. مُهاجم يدعو إلى الاتعاظ من نجاح الأمم في تدريس مختلف العلوم بلغاتها، ولا مشكلة في ذلك. مُهاجم يحمل خطابًا تفاؤليًا عن اللغة العربيّة بعيدًا عن فتح الأزمات وخطاب اليأس، وما له علاقة بالاندثار والخطر.

مُهاجم يعتدّ بالقوانين بخصوص تعميم استعمال العربيّة، ويضيف البدائل التّحسينيّة حول اعتماد العربيّة لغة أساسيّة في كافة الجهات الحكوميّة وغير الحكوميّة، وضرورة التّزام الوزارات والأجهزة الحكوميّة والهيئات والمؤسّسات العامّة باستعمال العربيّة في اجتماعاتها ومناقشاتها، وفي جميع ما يصدر عنها من قرارات ولوائح تنظيميّة وتعليمات ووثائق وعقود ومراسلات وتسميات وبرامج ومنشورات وإعلانات مرئيّة أو مسموعة أو مقروءة، وغير ذلك من معاملات. مُهاجم من النّوع الجديد في حسن التّعامل والرّفق مع المنافين للمشارك اللغويّ بتحبّيب وترغيب العربيّة لهم، ودعوتهم للمشاركة دون غرامات ومتابعات قضائيّة بل بتقديم المساعدة لكسب ودّهم، وهذا ما تقتضيه المصالح المرسلة في واقعنا العربيّ. مُهاجم يفهم مستلزمات الحماية اللغويّة ويدرك التّحدّيات المشتركة ومختلف الصّعوبات بين التّشريع والتّنفيذ.

7. المجلس الأعلى للغة العربية والجامعة العربية: إنّ المجلس من الجهات الحكومية والأهلية المدعوة للمشاركة وحضور هذا المؤتمر، وهو عضو نشيط في مختلف المنظّمات التي تنضوي تحت جامعة الدول العربية. يُنجز مشاريع لغوية مع الألكسو، ومع اتحاد الجامعات العربية، ومع اتحاد المجامع اللغوية العربية ومع أكاديمية التّنال العربي، ومع مختلف المؤسسات ذات العلاقة باختصاص العمل على تطوير اللغة العربية.

وليدست المرّة الأولى التي يُسهم فيها المجلس مع أنشطة جامعة الدول العربية، بل له سبق فتح مشاريع مع مختلف الشركاء الفاعلين، وهي مشاريع منجزة يمكن استكناها من خلال موقعه www.hcla.dz، ومن مواقعه في الفسبكة والتوترة التي فيها كلّ نشاطات المجلس يوميًا، كما يمكن تحميل كلّ المنجزات المنشورة بالمجان. إنّ المجلس مؤسّسة غير ربحية، ومن خلاله أدعو أهل الحلّ والعقد أن يُنزل المجلس مع المؤسسات الحكومية منزله الرّسمية على غرار المجامع العربية والمؤسسات الثقافيّة التي تدخل في المنظمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم، وأن يكون عضوًا يدعّم بالمشاريع التي تنجزها هذه المؤسسات، ويتعهّد بنوعية المنتج، واحترام دفتر الشّروط. كما يدعو المجلس أن تكون هذه اللقاءات العربية الحكومية من تسيير المؤسسات الحكومية فقط، ولا مانع أن تكون الجمعيات الثقافيّة/ اللجان الخيرية/ الجمعيات الرّبحية... ومهما تكون مُسمّياتها تكون أعضاء لتقديم الأفكار لا لتسيير الجلسات.

إنّ للمجلس الأعلى للغة العربية في الجزائر استراتيجية وطنية وعربية بخصوص تطوير العربية، وله دور سياسيّ في مسألة تعميم استعمال العربية في الجزائر، باعتباره تابعًا لرئاسة الجمهوريّة؛ يُنتج الأدلّة الوظيفيّة ذات العلاقة بتعميم استعمال العربية في الجزائر. وللجزائر تجربة فدّة وناجحة في التّعريب في سبعينيات القرن الماضي، وكان لها الصّدى الإيجابي، ويمكن تحديث تلك التجربة وإخضاعها لمحكّ الاستعمال، وننظر النتائج.

ومع ذلك، فإنّ المجلس الأعلى يعدكم بنجاحات كبيرة في صالح العربيّة من خلال مبادراته ومشاريعه مع اتحاد المجامع العربيّة، ومع مكتب تنسيق التّعريب ومع الإيسيسكو واليونسكو، ومع قطر والإمارات وعمان والأردن والسّودان وتونس وموريتانيا والشارقة والمركز التّربويّ للغة العربيّة لدول الخليج... ومنجزاته العلميّة نيّفت 400 عنوان بين مجلاته الثّلاث (اللغة العربيّة+ معالم للتّرجمة+ العلوم والتّقانة) وهي مجلاته مُعترف بها دوليًّا، وفي الشّبكات العالميّة، إضافة إلى منجزات في المعاجم والقواميس والأدلّة والملتقيات والأيام الدّراسيّة والمننديات والنّدوات والجوائز... وهي في الموقع يمكن تحميلها بالمجان. دون أن نتحدّث عن خدماته للعربيّة خارج مواطنها، وفي ذلك أنجز اتّفاقيات مع تركيا+ ماليزيا+ الصّين+ فرنسا إضافة إلى الشّركات الوطنيّة مع المجتمع المدني والبرلمانيّين ومختلف الجمعيّات التي تعمل على حماية اللغة العربيّة، ويتابع مختلف الأنشطة بتعميم استعمال العربيّة عند غير الفطريّين...

الخاتمة: تلکم خلاصة أفكار بصّرت بها وأنا طالب، ومن ثمّ مَسْؤُول عن المجلس الأعلى للغة العربيّة، وأقدّم المشاريع التّنويريّة لتطوير العربيّة، فكفانا وعظًّا وخطاب مُرافعات دون تطبيق، وكفانا مُقترحات لا تنال التّطبيق، وكفانا التّواكل دون العمل الصّحيح من أجل أن نكون بالعربيّة أو لا نكون. وكفانا الإغداق المالي على مُؤسّسات لا توكّلنا الخبز، ولا تحلّ مشاكلنا اللغويّة. مُؤسّسات فارغة ميّته، دون روح فيها، والأحرى أن تُغلق والاستفادة من الرّبع الذي يذهب في الوهم بمسعى المشاريع الكبرى، ومصروفات الدّخائر اللغويّة التي لم نر منها الانفجار، ورأينا سراب بقيعة، وكلامًا أجوفًا في طبل كبير.

ولا نعدم تلك المشاريع الجيّدّة، والأحرى أن تُثمّن تميمًا مُرافقًا للجهد، فأمامنا مشاريع في المتون اللغويّة؛ وتحتاج إلى تجسيد، وهي من القضايا العالقة التي تحلّ مختلف المسائل اللغويّة، دون أن ننسى أنّ العربيّة الآن لغة عالميّة تحتاج منا حسن توظيفها، والعمل من أجل تنمية المحتوى الرّقمي في الشّابكة. وهذا يدخل في ضرورة تفكير الجامعة العربيّة في تغيير نمط المشاريع الجديدة، وتُسدّد

لأصحابها، وتحتاج إلى مُتابعة من جامعة الدّول العربيّة، كما تتطلّب ضرورة ترشيد التّفقات.

وفي المُحصّلة، ما بال (الجامعة العربيّة) التي تسكت عن سوء تجسيد هذه المشاريع، ولا تزال بعض المشاريع تُراوح في الأفكار دون تطبيق، وما بال (الجامعة العربيّة) تسكت عن وجود مؤسّسات دون روح، وغياب العلم والإنتاج و(الجامعة العربيّة) تضحّخ فيها السيولة الماليّة والتي لا تحتاجها المؤسّسات الفارغة.

التّوصيات:

1. دعوة الأمين العامّ لجامعة الدّول العربيّة إلى استصدار قرار إلزاميّ بتعميم استعمال العربيّة من خلال قمة الجزائر نوفمبر 2022م.

2. ضرورة أخذ القرار بصورة جادّة، مع ما يتبعه من تنصيب لجنة عربيّة مشتركة لها صلاحيات مُراقبة، ومُتابعة تجسيد المُتفق عليه، تحت حماية قانونيّة من قبل أصحاب القرار الذي يصدر من قمة الجزائر.

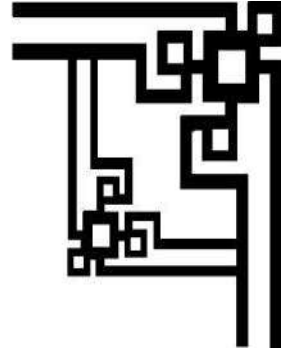
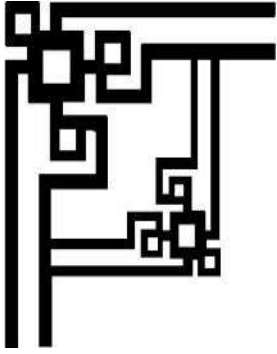
3. العملُ على تشريع قوانين تنظيميّة جديدة تُراعي المُستجدّات، وتُترجم بنصوص مُلحقة، وينصّ فيها على الإلزاميّة في استعمال وتعميم العربيّة في العلوم وفي التّكنولوجيا، وعلى التّعريب التّدرجي الذي جُرب في بعض البلاد العربي وأتى بنتائج جيّدة، ويكون فيها الطّابع الرّسميّ للدّولة الوطنيّة من خلال المُشترك العربيّ الذي ينصّ على حماية وتطوير العربيّة. وفي هذه النّقطة علينا أن نماذج من تجربة سورية+ السّودان+ الأردن+ الجزائر، وأن نخضع لدراسة الجدوى، واستخلاص النّقاط الإيجابيّة التي تكون قاعدة لتعريب حديث مضمون النّجاح.

4. تصحيحُ وضع اللغة العربيّة تجاه عدم/ سوء تطبيق آليات الدّساتير في المجال اللغويّ، وانتهاج القُرب اللغويّ؛ بربط العربيّة بمحيطها الاقتصاديّ في سياق العمل على جعل المنتج اللغويّ العربيّ الذي يُرضي متطلّبات السّوق اللغويّة العربيّة.

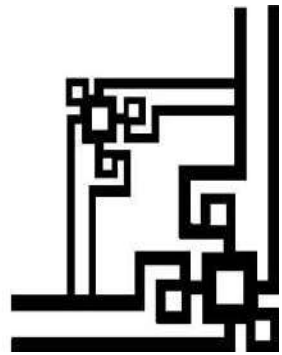
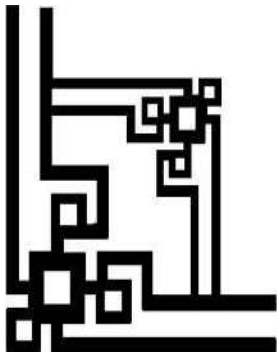
5. إنشاء مَرصد عربيّ للمتون اللغويّة العربيّة التي تكون الحَلّ الأوفى لكلّ مُتعلّقات العربيّة في مجال الاستعمال والتّعليم. ويتعهّد المجلس بتقديم هذا المشروع بمختلف حيثياته، ويقدمه لمن يهّمه الأمر، كما يلتزم برعايته العلميّة وفي حدود الزّمن المطلوب.

6. العملُ على تفعيل السّياسة اللغويّة العربيّة؛ بما يستجيب للمشترك اللغويّ مع التّخطيط المرحليّ الذي يُراعي المُستجدات في الرّصيد اللغوي الوظيفيّ وبخاصّة في مرحلة القاعدة اتي نحتاج إلى رصيد مشترك يكون في الكتاب المدرسي العربيّ، بغية توحيد لغة التّلميذ. ومن ثمّ ضرورة التّماهي في عالم الرّقمنة والحوسبة السّحابيّة، وفي امتلاك مُحركات بحث عربيّة، مع الذّكاء الصّناعيّ القارئ للصّورة OCR وتحويلها إلى قراءة بنظام Word.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



واقع النّشر العلميّ باللّغة العربيّة

في المجلّات الدّوليّة الرّصينة*



الدّيباجة: إنّ العالم يصغُر، والمعرفة مَطروحة في الطّريق، وأصبحت تُتاح للجميع، والعلم الذي كان يوجد في الكتاب فقط أصبح موجودًا في المجلّات وفي الأقراص وفي مُختلف الحوامل المُعاصرة، وهذا بفضل النّشر الإلكترونيّ الذي يتوسّع يوميًا عبر تبادل العلوم والمعارف وجعلها متاحةً عالميًا؛ وبخاصّة في عصر العولمة والشّابكة. ويقع التّركيز في هذه الكلمة على المجلّات المُحكّمة التي تنشر الأبحاث والدراسات العلميّة في عدّة مجالّات علميّة. وهي المجلّات المُصنّفة عالميًا بما لها من مُعامل التّأثير، ولجنة تحكيم بمُواصفات علميّة مُرتبطة بوجود أعضاء هيئة التّحكيم والتّقويم والاستشارة المُستوفين الشّروط الأكاديميّة المنصوص عليها في المجلّات العالميّة المُحكّمة، وبالخصوص المجلّات الإنكليزيّة؛ والتي فرضت مُلخصًا باللّغة الإنكليزيّة، وما له علاقة بقضايا التّنميط الدّوليّ والتّهميش بنظام APA.

1. معنى النّشر العلميّ: عمليّة يتمّ من خلالها جعل البحث العلميّ مُتاحًا ومُتوفرًا للجميع من خلال إحدى وسائل النّشر المُحكّمة من أجل تحقيق الفائدة العلميّة. وبعبارة أخرى هو حصيلة مُخرجات الباحث وهي النّتائج التي تمّ التّوصّل إليها. كما يطلق عليه الآن النّشر الإلكترونيّ/ الرّقميّ وهو نشر الأبحاث العلميّة عن طريق استخدام الحاسوب في كتابتها ونقلها للعامّة في جميع أنحاء العالم واستخدام الشّابكة.

* - أُلقيت المُحاضرة أمام طلاب الدّراسات العليا، لصالح طلاب الدّراسات العليا، جامعة تيزي-وژو، بتاريخ 14 نوفمبر 2022م. كليّة الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربيّة.

ويمكن تعريف النشر العلمي الإلكتروني بأنه الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال عن بُعد في إتمام الخطوات التي تحتوي عليها عملية النشر العلمي، وهذا الشكل من أشكال النشر العلمي يتم بالأخذ عن الأبحاث والكتب المنشورة بشكل تقليدي، أو يكون للأبحاث التي لم تنشر من قبل وتمت كتابتها إلكترونيًا.

إنّ النشر العلمي يمكن أن يمسّ المجالات المحكّمة/ غير المحكّمة، ولكن هناك مزايا يكسبها صاحب المقال عندما ينشر أبحاثه في المجالات المحكّمة والتي لها الصّفة الدّوليّة؛ حيث يكسبه ذلك مَطامح التّرقية وتحسين مَهاراته العلميّة، ومُلاحقة الجديد في عالم النّشر العالميّ، كما يجد صفة الانتشار لاسمه ومقاله والشّهرة العلميّة؛ حيث يعود له الكثير من المهتمّين، وعن طريقه يمكن أن تحصل له مجموعة من فُرص الشّراكات العلميّة أو المِنح أو العمل ضمن فريق أو في فتح المشاريع الكبرى.

2. أهميّة النّشر العلميّ في المجالات العلميّة المحكّمة: إنّ عمليّة النّشر في المجالات التّمطيّة العلميّة التي أُقرّت بموجب اتّفاقيات/ برمجيات هي مُفتاح ضمان الجودة والشّهرة وحماية الحقوق الفكريّة والنّشر الآمن، والمصدقيّة العلميّة. ولهذا نجد المجالات المُعتمدة مَسؤولةً عن تحقيق غايات نشر العلوم، وتحقيق الطّموحات التي يسعى لها النّاشرون والمُحكّمون والمُستشارون على اعتبار أنّ مِصدقيّة المقال يكمن في هذه اللجان العاملة على توجيه البحث والعمل على نشره في نطاق دوليّ لينال صفة الانتشار.

وهي نقطة مهمّة بأنّ نطاق النّشر يكون في المدى الجغرافيّ الذي تنشره المجلّة؛ لأنّ المعروف أنّ المجالات العلميّة تخرج من المراكز البحثية والجامعات ودور النّشر، وتنال الأمتداد الدّوليّ، وتعمل على تقديم خدمات لشريحة كبيرة غير مَحليّة. أضف إلى ذلك ما يحصل من بناء علاقات مع الباحثين الدّوليين المهتمّين في مجال المقال المنشور، وهذا قد ينتج عنه تطوير دراسات مهمّة من خلال التّعاون بينهم.

ولهذا نجد أنّ النّشر العلمي فرصة للباحث وللجامعة/ المؤسّسة التي ينتهي إليها، ولأختصاصه. أضف إلى ذلك مسألة في غاية الأهميّة وهي لغة النّشر، وفي الحقيقة لا توجد لغة مقبولة ولغة مرفوضة؛ بقدر ما يوجد الوعاء العالمي للغة العولمة التي لها محلّ كبير، بل من واجبات الفروض.

3. المَجَلات المُحكّمة وشروط النّشر فيها: في العادة تشترط كلّ المَجَلات سلسلة من قواعد النّشر، والمَجَلات المُحكّمة أخذت جملة من القواعد المُعتمدة في المَجَلات غير المُحكّمة، وأضافت أشياء أخرى. ولسنا هنا بصدد ذكر الشّروط، بقدر ما نذكر بضرورة وجود هيئة تحرير، ومُستشارين، ولجنة تحكيم وتضع في شروط الكتابة مجموعة من الضّوابط حسب اختصاص المَجلة. والقاسم المُشترك أنّها تتقيّد بسلسلة تضعها في الصّدارة لاحترامها من الباحثين، كما تنصّ مُعظم المَجَلات أنّها تنشر البحث إذا نال قبول لجنة التّحكيم، وليست مُلزّمة بما يحمله المتن من مَعلومات، أضف إلى ذلك أنّ المقالة المرفوضة ليس من حقّ صاحبها الطّعن في لجنة التّحكيم. ويمكن أن نشير إلى مُتضمّنات افتتاح مُعظم مقالات المَجَلات وهي مثل:

1- الاسم والعنوان، رقم الهاتف، البريد الإلكتروني.

2- وضع مُلخّص بلغة النّص؛ يوضّح أهميّة الموضوع، والأسباب التي دفعته للكتابة فيه.

3- وضع مُلخّص بالإنكليزيّة ليكون له موقع العالميّة.

4. وضع الكلمات المُفاتيح.

ويمكن أن نضيف بعض الشّروط التي نطلبها للمُستكتبين في مَجلاتنا المُصنّفة في نظام ASGP ويقع التّنصيب على أصالة البحث ولم يسبق نشره، ولم يكن من مُستلّ من عمل سابق، وأن يكون البحث قيمة مُضافة تجاه الموضوع المطروح، وأن يكون البحث المُعدّ للنّشر العلميّ الدّوليّ مُوجّهاً للمَجلة دون مشاركته مع غيرها، ويتحمّل الباحث عواقب مُخالفة هذا الشّروط، كما تكون كتابة البحث

بالعربية، ومُلخّصه باللغتين: العربية والإنكليزية، ويُرسَل في ملف بصيغة Word وبحجم صفحة الطباعة A4 ويتسابق مُتوافق مع مُتطلبات المِجلة من حيث خطّ Simplified Arabic، ومُراعاة التّسيق بين العنواّن الرّئيسيّ والعناوين الفرعيّة والنّص، دون إغفال التّسيق والتّدقيق بخصوص الصّور والجداول والبيانات مع دلالة دقيقة علميّا.

ويلحق هذا ما له علاقة بكتابة البحث بأسلوب علميّ، وتجنّب الأخطاء الإملائيّة واللّغويّة، مع التّحرّز والتّحرّج في قضايا الاقتباس والملكيّة الفكريّة، والإشارة إلى المصادر والمراجع، وضرورة اتّباع منهجيّة البحث العلميّ في كتابة الأبحاث وتقسيماتها، مع ذِكر الأدوات التي اتّبعها الباحث في جمع البيانات وعيّنات البحث والحدود الزّمنيّة والمكانيّة للبحث. وهذه المنهجيّة تتضمّن: أسباب اختيار البحث+ إشكاليّة البحث+ فرضيات البحث+ منهجيّة البحث+ مُقدّمة البحث+ بنيّة البحث+ الدّراسات السّابقة+ الميزة العلميّة للبحث+ النّتائج والاستنتاجات+ الخاتمة+ المراجع.

4. برمجيات النّشر العلميّ: تعتبر برمجيات النّشر الحرّ / free publishing software أحد الحلول التي تُساعد على النّشر والتّقليل من أعباء تكلفة المنتج المنشور، والتي تمكّن النّاشرين من استخدامها، ونسخها، ودراستها وتعديلها، وإعادة توزيعها بقليل من القيود أو بدون أيّة قيود، بالإضافة إلى حريّة دراسة وتعديل الشّفرة المصدريّة للبرنامج، ومُشاركة المُجتمع بالتّعديلات. ونستعرض هنا بعضًا من أهمّ برمجيات نشر المُحتوى المُفتوحة المصدر والتي لم يتم تناولها في الأدبيات العربيّة، حيث ركّزت بعض الأدبيات العربيّة على أنظمة مثل نظام (جرينستون/GrenStone) وهو البرنامج الذي تدعّمه المُنظمة العالميّة للتربيّة؛ والذي تمّ تطويره وتوزيعه بالتّعاون مع (اليونسكو/ UNESCO) وجمعيّة (هيومان إنفو/ Human Info) غير الحكوميّة في بلجيكا، وهي جمعيّة عالميّة تعمل في مجالات التّنميّة والعمل الإنسانيّ، وتركّز على التّعليم والصّحة والأمن الغذائيّ وسُبُل العيش والإغاثة...

وعليه، سيتمّ التّطرق إلى البرمجيات التّاليّة:

1. برمجية (SOPS) SciX Open Publishing Services: هي نتيجة لمشروع بحثي مُمولّ من الاتّحاد الأوروبي، كان مُتوفراً بحرية بموجب أنّه مفتوحة رخصة المصدر. وجاءت النّسخة الأولى من البرنامج في مارس 2004 بهدف تطوير الخدّمات على الشّابكة بما يسمّح بالنّشر العلميّ وتبادل المعلومات... وتسمح البرمجية بنشر المحتوى العلميّ لأشكال مُتعددة من الوسائط الإعلاميّة مثل:

- المحفوظات والأرشيف الشّخصيّ؛
- الأرشيف والمحفوظات المؤسّسيّة؛
- المجلات الإلكترونيّة؛
- وقائع المؤتمرات الإلكترونيّة.

2. برمجية Open Journal Systems: للانتقال إلى صناعة المحتوى الرّقبيّ، وكان لا بدّ من تأمين المتطلبات التي تتيح إنجاز هذه المهمّة وفق معايير عالميّة. وقد شهدت سنة 2014 العديد من المبادرات العربيّة التي تُدعم المحتوى ونُسخهم في سدّ النّقص في نسبة وجود المحتوى الرّقبيّ العربيّ على الشّابكة والذي لا يُمثّل إلّا 3%، وهي نسبة قليلة نظراً للإقبال الكبير للعرب والمُسلمين لقراءة المحتوى العربيّ على الشّابكة. أضفّ إلى ذلك نُشُدان العرب دخول مُجتمع المعرفة الذي يتطلّب صناعة المحتوى الرّقبيّ العربيّ بكلّ ما يحمله من تراث وفكر وعلوم وآداب وفنون وثقافة ودراسات وأبحاث وكُتُب ودراما ولهجات...

وتعدّ هذه البرمجيات خاصّة بكتابة البحث العلميّ بأحدث الأدوات والبرمجيات التي تُساعد في إنشاء ورقة بحثية/ مقالة/ أطروحة على الحاسوب، وذلك باستخدام أدوات مُتخصّصة في فنّ الكتابة الوصفية والتحليلية، ومُعالجة النّصوص والرّسوم البيانيّة، حيث يساعد استخدام مثل هذه البرامج على ترتيب النّصوص وتنسيقها كما تُوفّر ميزات التّدقيق الإملائيّ والحفظ التلقائيّ، وإضافة المُعادلات والرّموز الرّياضيّة بطريقة مُيسّرة، فهي بذلك تسهّل العمل وتوفّر الجهد

وتنظّم الفكر. وهنا علينا فقط أن نختار البرمجيات الخاصة بالكتابة والمتاحة في السوق، وليس سهلاً ذلك إلا بالتعرّف على مختلف البرامج المتوفرة للكتابة ودراسة خصائص كلّ منها بشكل جيّد، واختيار الأنسب والأسهل. ويمكن الحديث باقتضاب عن أكثر البرمجيات الخاصة بكتابة البحث العلميّ.

1. Microsoft Word: إنّ برنامج Word هو الأكثر استعمالاً في معالجة مختلف أنواع النصوص، ويُستخدم في كتابة وتنسيق الأبحاث بمختلف أنواعها وذلك لما يحتوي عليه من أدوات بسيطة وقابلة للاستعمال. وأهمّ مميّزاته: إمكانيّة تعامله مع مختلف أنواع النصوص والملفات مهما كان حجمها+ كتابة النصوص بلغات متعدّدة+ إعداد صفحة الكتابة مثل ضبط الهوامش، واتّجاه الورقة، وقياس الورق، وخيارات الطّباعة+ وضع نمط مُعيّن على المُستند لتحديد: لون وحجم ونوع الخطّ+ إدراج صُور وأشكال بيانيّة ومُخطّطات هيكلية وجداول+ حماية المكتوب وحفظه بكلمة مرور+ مُعاينة المكتوب قبل الطّباعة.

2. برمجية LaTeX: تُستخدم للكتابة الأكاديميّة في الوثائق التّقنية أو العلميّة والأكثر صلاحاً في الرياضيات والإحصاء والهندسة والكيمياء والفيزياء والاقتصاد. وأهمّ مميّزاتها: مجانيّة+ أداة لإعداد المُستندات للمواد المُعقّدة والمتعدّدة اللغات+ تُدعم ميزة إخراج ملف PDF+ تُحافظ على ترتيب وتنسيق التقارير والتّعديل+ إمكانيّة الإضافة والتنسيق على كافة المُستند+ الاشتغال على مختلف أنظمة التشغيل ولا سيّما Windows 98/95/2003/XP+ العمل على التّدقيق الإملائيّ والمُرادفات+ تدعيم عارض DVI+ العمل على إدراج الاستشهادات والمصادر.

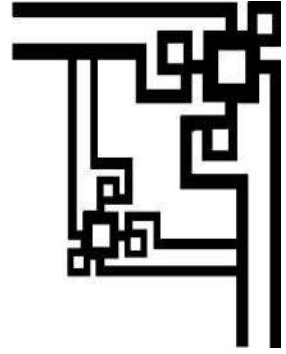
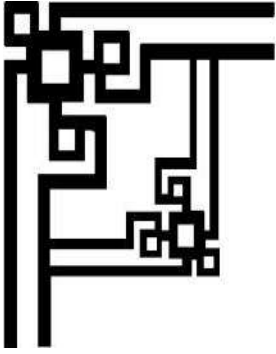
3. برمجية Overleaf: من محرّري برمجية لغة LaTeX تُستخدم لكتابة وتحرير ونشر الوثائق العلميّة، إضافة إلى صنع قوالب للمجالات الرّسميّة، وروابط إرسال مباشرة. وأهمّ مميّزاتها: تقديم ميزة إسهام مجموعة واسعة من النّاشرين العلميّين في الكتابة+ سهولة المُشاركة على رابط سرّي ومُشاركتها+ المُعاينة والنّظر في علاج الأخطاء بسرعة+ إمكانيّة عاليّة في الحماية. وأهمّ مميّزاتها: المُساعدة في كتابة وتنسيق الأبحاث العلميّة؛ بما له من كتابة المُعادلات الرّياضيّة والحسابات

الجبريّة، وحساب التفاضل والمصفوفات، ورسم الدّوال. ورغم أنّها ليست مجانيّة، إلا أنّ مزاياها جيّدة تستحقّ الدّفْع.

وهناك الكثير من البرمجيّات التي تسهّل كتابة الأطاريح العلميّة على غرار: endnote ، smart-edit ، open office ، Scrivener ، grammarly. ولذا على الطّالب أن يختار البرمجيّة التي تُدعّم بحثه وفي مجال الاختصاص ربّما للوقت وصدق المعلومة، والتّعامل التّقنيّ وهو من مُتطلّبات العصر الحاضر. ونعلم أنّه لا توجد وصفة دقيقة لاختيار البرمجيّة المطلوبة، ولكن علينا العمل بطريقة التّجريب في برمجيّة قريبة، ومقاربتها بمدى توافقها مع البحث/ الأطروحة ونختار الأكثر استعمالاً وانتشاراً مثل برنامج Scientific Workplace.

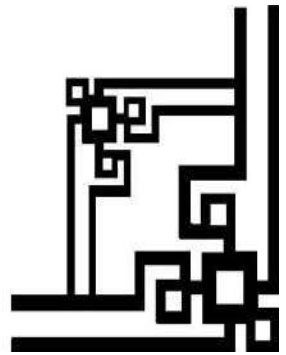
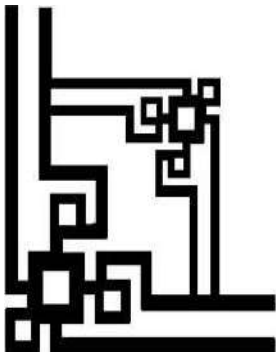
ومن ثمّ يتمّ إدراج مُستكمالات البحث المطلوب توفّرها، وإذا أبانت عن المُطابقة سنستمرّ، وإلا يقع التّعديل أو التّراجع عن استعمال البرمجيّة. هو مبدأ من مبادئ الوصول إلى الكشف عن قالب تقانيّ تنظيميّ يُمكن اعتماده في كتابة المقال/ البحث/ الأطروحة... وسوف تكتشف أشياء كثيرة بالمراس، وليس من الضّروريّ أن تكون البرمجيّة وفق بحثك مئة بالمئة. والمهم في الانغماس التقانيّ أنّه يُكسبك معلومات لم تكن في مخزونك في ما مضى، ومن خلال ذلك سوف تُصبح مُتمكّنا في استعمال تقنيات الجديد في مجال البرمجيّات التي تُساعدك على النّشر ويمكن الاطلاع عليها وعلى شروطها من خلال زيارة الموقع الإلكترونيّ الخاصّ بها.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

41



اللغة العربية وتكنولوجيا التحوّل الرقميّ

المنجز والواقع والمأمول*



الدّيباجة: نشكر القائمين على هذا المؤتمر الافتراضي الذي يتناول قضايا جدّ مهمّة في تطوير العربيّة، ويُرَكِّز على التحوّل الرقميّ الذي بدأت العربيّة تتماهى فيه، ومن خلال الرّقمنة والحوسبة، وقد أضحت العربيّة تنال مواقع عالميّة لما لها من طواعيّة ذاتيّة في بنيتها الداخليّة، وما لها من واقع ينظر للمواقع؛ وهي الآن من لغات الكون السّت، وتحتاج إلى نيل التّطابقات اللغويّة، وخوض الرّقمنة السّحابيّة. ومع كلّ النّقائص البسيطة؛ نراها بدرجات مُتفاوتة مُسايِرَةً للتّطوّر الرقميّ، ومُندمجةً في قضايا التّقانة الحديثة بما تناله في نطاق الذّكاء الصّناعيّ، ومُدْمجات مُحرّكات البحث الذي تعرفه اللغات الطّبيعيّة.

ولا نخفي بأنّ ما تعرفه العربيّة اليوم في مجال الرّقمنة هي خطوات جدّ مُتقدّمة جعلتها تنال مواقع علميّة مُسايِرَةً للعصر، ومُلاحِقةً للغات العلم. وكلّ هذا ما كان ليحصل إلّا بفضل جهود الباحثين الفقهية اللغويّة والمعلّوماتيّة، وما يتناوله العلماء المُعاصرون من مَوَضعَات العصر على غرار هذه المُحاور التّسعة التي يطرحها ملتقانا هذا على نخبة عالمة من الباحثين في تطوير اللغة العربيّة، ونروم تحقيق أهدافه بوعي لغويّ جديد؛ يُحقّق للعربيّة مكانةً علميّةً كلفّة مُنتجةٍ للمنصّات والتّطبيقات، ولغةٍ لها مستقبل واعد إذا أُحسِن تديرُها بمشروعات على الآماد الثّلاث، والتي تعمل على تخطيط تكنولوجيا الاتّصال في مجال التّعليميات وفي الهندسة اللغويّة وفي البحوث الدّاعمة للتّطوّر التكنولوجيّ، وكلّ

* - المحاضرة التي تُلقى عن بُعد لصالح كلية الآداب بجامعة الوصل بدبيّ. في المؤتمر الدّولي الثّاني للغة العربيّة. بتاريخ 16 و17 نوفمبر 2022م.

ما يعمل على تطوير البحث العلمي بما يسير مع الحوسبة والرقمنة السحابية التي تفرضها المتغيرات التكنولوجية.

1. التحوّل الرقمي: رأيت ضرورة الحديث عن لبّ هذا الملتقى وهو (التحوّل الرقمي) والذي يعني النقلة الرقمية المعاصرة التي تعمل على نقلة نوعية لكلّ لغة تسير النقلة الذكيّة في مجال الحوسبة، كما تقضي على لغات لا تُنتج/ لا تُسائر هذه التحوّلات في مختلف حقول المعرفة، وأنّ العربيّة لها نصيب وافر من هذا التحوّل الرقمي من حيث الكمّ، وهذا ما يُلاحظ في البدء من وسائل التواصل الاجتماعيّ المكثّف رغم مُزاحمة العاميات؛ وهي منقصة في ذات العربيّة، أضف إلى ذلك عدم سيطرة المكتبات الرقمية على الوفرة الورقية من تراثنا المخطوط وما يُلاحظ من بعض الآثار السلبية في مدارج التّجديد اللغويّ الابتكاري... ولكن يجب العلم بأنّ مُعوقات كثيرة عبارة عن تحديات لما تدخلها العربيّة بمشاريع القرن، ولهذا تحتاج حاليًا إلى موازنة لغوية في المبني والمعنى، وفي الأصول والقواعد، وفي الأبنية والأوعية، وفي الاصطلاح والأخيلة.

وهذا ما يُحقّق لها النقلة الرقمية التي تجعلها لغةً متوازنةً تدخل في شروط التطوّر اللغويّ الطبيعيّ الذي ينفذ إلى العمق؛ فيكون تأثيره على اللغة العربيّة قويًا ومُتغلغلًا ومُستمرًا. ولهذا أقول: إنّ العربيّة تحتاج إلى الانضباط اللغويّ الذي يحكم مساراتها العلميّة؛ وهي مهْمَتنا -نحن القائمين- على تطويرها والحفاظ على مناعتها وصلابة بنياتها الداخليّة. ومن هنا نحتاج إلى ضبط أمورها اللغوية بحركة البحوث الابتكاريّة التي تُعلي مقامها علميًا بمسارات تجديدها وتحديثها لتمكينها من التكيّف مع المتغيّرات، وللوفاء بمُتطلّبات التطوّر اللغويّ القائم على الأسس القويّة، والمُستندة إلى العناصر الأساس التي تعمل على إغنائها وإنمائها.

وما يجب علمه أنّ تطوّر اللغات في ظلّ التحوّل الرقميّ أسهم إلى حدّ بعيد في تحديث نطاق اللغات عالميًا، كما جعلها مُندمجةً في شبكة المعلومات للغات الطبيعيّة التي تأخذ وتعطي بحسب الخصوصيات الفقهية دون أن يُؤثر ذلك سلبياً على المبني اللغويّ والخصوصيات؛ وقد استفادت من ذلك العربيّة، وهذه

حقيقة نقولها. ومع كلّ هذه الحقائق لا يعني أنّها تستوعب آليات الرقمنة بشكل طوعي، أو لها منطاقيات ذكيّة مُستقلّة عن اللاتينيات، أو لها برمجيات وخوارزميات تجعلها مُتطوّرة بحُكم الكمّ الشّابكي، بل إنّ ما يجعلها تتجدّد وتنال مواقع التّحوّل الرّقمي هي المدارس والجامعات ومراكز البحوث والمبادرات الجماعيّة ووسائل الإعلام المُختلفة، وهذا من مُتطلّبات الرقمنة / digitization.

وعلينا التّماهي والبحث في رذم الفجوة الرقميّة في تعليم العربيّة من خلال ماضيها وواقعها ومأمولها؛ لأنّ العربيّة لها خصائص لا توجد مُجمّعة إلاّ فيها، فلها الفُرادة اللغويّة؛ فهي الوجود العربي الإسلامي الشّرقيّ والمُرتبط بثقل الوجود اللغويّ الشّبكي، وهي قضية دعامة التّراث والمُتون ولغة القرآن، وتأكيد الانتماء والهويّة، ومن هنا كيف نعمل على تضيق الفجوة الرقميّة لرسم ملامح تطويرها، وكيف نُحوسها ونحلّلها تحليلًا علميًا دقيقًا بأدوات ومُحرّكات البحث والمُعاجم...

هي مآلات بحثيّة آنيّة ومُستقبليّة لردم الفجوة الرقميّة التي تتطلّب جهودًا مُكثّفة ومُبرمجة من جهات عدّة، وتتطلّب الكثير من عمليّات التّنسيق والمُتابعة الحيثيّة وإعادة نظر مُستمرة، وتكثيف المُعالجة الآليّة بحوسبة ذكيّة في قراءة بصوريّة لكلّ الرّسوم العربيّة، ولكلّ المُدونات التي أضحت شتاتًا. وكان علينا تنسيق الجهود لوضع مُدونة العربيّة تُعرّف وتمتاز بها على غرار اللّغات العالميّة، وبخاصّة أنّ العربيّة بما لها من مليارات الكلمات المُستعملة والتي تولد من جديد لطواعيتها الاشتقاقية، فهي المُحيط العجب الذي أضحى دون استغلال، ولا يكون ذلك إلاّ ببناء ماسح ضوئيّ عربيّ يتعرّف على خصائصها، ويسمّح بتحويل النّصوص المُصوّرة إلى نصوص رقميّة يمكن فتحها بناشر إلكتروني، والاجتهاد في كلّ ما له علاقة بالمحلّلات الصّرفيّة والنّحويّة والمشكّل الآلي والكتابة الآلية من سماع النّص، واستحداث مُحرّكات بحث عربيّة تتفهم خصائصها بشكل طبيعيّ...

ولا نعدم أنّ هناك جهودًا من قبل بعض الدّول العربيّة، ومن شركات تستثمر في العربيّة، فهناك الصّراف الآلي، والإعراب الآلي، والتّشكيل التلقائي، ومُدونات الشّعر والحديث، ومُدونات التّأصيل للغة العربيّة، وهناك بناء قواعد البيانات

المُعجميّة... وكلّ هذه الجهود تحتاج إلى تحيين ونمذجة لتطوير المحتوى الرّقميّ العربيّ، وما أحوجنا إلى تعامل آليّ مع العربيّة، وإلى نمذجة كلّ ما يوجد في المكتبات العربيّة، وتحقيق المشاريع الكبرى المُبشّرة والتي بدأت نتائجها تترى وما تقوم به المنظّمات العربيّة في مجال التحوّل الرّقميّ في بناء مُحركات البحث العربيّة، وما يقوم به مركز جمعة الماجد بالإمارات في رقمنة المخطوطات، وتبقى هذه الجهود شتاتاً ما لم تعرف التنسيق والمتابعة والتّحديث.

2. أهميّة التحوّل الرّقميّ/ Digital Transformation: في الأصل هي عمليّة تحويل نموذج أعمال المؤسّسات الحكوميّة/ شركات القطاع العامّ/ الخاصّ إلى نموذج يعتمد على التكنولوجيات الرّقميّة في تقديم الخِدْمات، وتصنيع المُنتجات، وتسيير الموارد البشريّة. والذي يهتمّنا في هذا الملتقى كيف نستفيد من هذا التحوّل في صناعة العربيّة بتقديم خِدْماتها للفطريين ولغير الفطريين، وتكون لغة يُطلب ودّها في الاستعمال وتحقيق مَوارد الرّبح الماديّة والمعنويّة، ويصبح لها سوق العرض والطلب.

وكيف السبيل إلى ذلك؟ تلکم هي الأشياء التي نروم إبداء الرأى لمن يصنع القرار في صياغة استراتيجيّة رقميّة انطلاقاً من تشخيص الوضع اللغويّ الراهن، وتحديد الفجوة بين القدرات الرّقميّة الحاليّة، وما يجب أن تكون عليه في المُستقبل، ثمّ العمل على تنفيذ الاستراتيجيّة من خلال تخصيص الموارد اللازمة سواء كانت ماليّة/ بشريّة/ تجهيزات/ آلات، ومُراقبة تنفيذها والتّقييم المُستمرّ لنتائجها. ولهذا يعتبر التحوّل الرّقميّ فرصةً للابتكار في العربيّة لتصبح طاقةً مُنتجةً للمال، ومِشكاةً تنير لنا دروب الظلام لصياغة طرائق تربيّة جديدة تنقلنا من الفوضى إلى المنهج الأكثر تنظيمًا، ويكون ذلك بإعداد استراتيجيّة الأعمال اللغويّة كتجارة تبادل المنافع بين اللغات، وصياغة حركات النّجاح على طريقة الخوارزميات الرّياضيّة بأقلّ جهود في المنطوق وفي المكتوب. ولا شكّ أنّه سوف ينجم عن ذلك تحديث العربيّة بما يتوافق مع التّطوّرات التّكنولوجيّة الحاصلة، وتعزيز كفاءتها في سهولة تعليمها وتعلّمها، وتخفيض نسبة الأخطاء وتحديث

مَجالاتها، وبناء مُدُوناتها ومَعاجمها في مُختلف المجالات، وتدخل العربية سوق اللغات بزاٍد يعزّز من رصيدها المعرفي.

3 السبيل الأقرب إلى ردم الفجوة الرقمية: سيكون مُنطلقنا من أنّ اللغة وضِع واستعمالٌ، ولذا تحتاج العربية إلى استعمال وتمكين في العلوم، وإلى الخروج من التبعية اللغوية، ولا بدّ من تدريس العلوم بها وفيها؛ مُواجهة هذا الاتّساع، ومُسايرة ركب الحضارة والمُستجدات العلمية والفكرية بالعربية التي نغمس فيها أنفسنا، وأن تتكاتف جهود الأفراد ومُؤسّسات المُجتمع المدني والحكومات العربية لمُواجهة اتّساع هذه الفجوة في ربط القول بالفعل، وإجراء خطوات مُحدّدة تستهدف إصدار التّشريعات التي تُواكب التّحوّل الرقمي، وإنشاء مُؤسّسات عربيّة لجمع شتات البحوث النَّاشئة التي تحتاج إلى توحيد كلّ المُدُونات، مع تنسيق جهود المُجامع اللغوية العربية والمُجالس اللغوية العليا، وحثّها على سرعة الإنجاز. وعندما تتكاتف هذه الجهود يمكن أن نصل إلى حلّ الكثير من القضايا العالقة في ذات العربية، وبذلك يكون لها حضور في جميع الميادين، وسيحصل فيها رُفَع درجة الاهتمام برقمنة الإرث الثقافيّ والحضاريّ للمُجتمعات العربية.

وأمام هذا، فالعربية بحاجة إلى مُجابهة التّحدّيات في واقعها الذي يصلها بماضيها وبمُستقبلها، ولهذا من الضّروريّ في المُنتلق رفع الأمية الرقمية، مع ما يصحبها من عمل حثيث لردم ضعف البنية التّحّية للشّابكة، وإغنائها في جانب الموسوعات والمصادر المفتوحة/ MOOCs (Online Courses Massive Open) ... هي تحدّيات/ عقبات علينا العمل على تجاوزها بمشاريع كبرى؛ وهي السبيل للقضاء على مُؤثّرات المُحتوى العربيّ كلغة للعلوم والمعارف، وكلغة الوسائط الإلكترونيّة، ولغة تصميم وصناعة المُعاجم لتوليد المُصطلحات وتوحيدها. وبات من الضّروريّ مَسألة مُوجّهات التّفاعل الحاصل بين اللغة العربية ووسائط التّفنّية وتطبيقاتها المُختلفة، والقيم الجديدة التي نشأت عنها، فهل عملت هذه التّقانة على الصّناعة المُعجميّة؟ وهل مكّنت مُستعمل العربية من استعمالها في البرمجيات والتّمثّلات الذّهنيّة بشكل سهل؟ وهل نعيش الثّقافة الرقمية على غرار لغات الأنداد؟

4. العربية وضرورة الوعي بالتطوّر الرقميّ: لقد فرضت التكنولوجيا سيطرتها في كلّ شيء وبشكلٍ واضح، وكان للغة العربية نصيب بسيط من هذه السيطرة فاعتمدت مجموعةً من أدوات تكنولوجيا المعلومات، ومع ذلك نلاحظ ضعفها أو نقص استخدامها أمام ضرائرها المعاصرات، ولهذا نقول لسنا في الطّريق السليم للتعامل مع التطوّر الرقميّ التكنولوجي؛ وهذا يُشكّل عائقًا لجذب المُستخدمين لها، وتفرض ضرورات العصر مزيديًا من الدّراسات الأكاديميّة التي تتحدّث عن تأثير التطوّر الرقميّ في اللغة العربية، وطرح أسئلة حول قُدرة اللغة العربية على المحافظة على قيمتها عند الأفراد المتأثرين بهذا التطوّر الرقميّ.

وهذا كلّه يأتي ضمن وعيٍ لغويّ بقُدرة اللغة على التّعايش اللغويّ الدّاتي وعلى مُسايرة الرّقمنة. ومن المُهمّ تعزيز دور التّفكير اللغويّ الواعي والرياديّ الذي يستثمر في المواقع الإلكترونيّة العربية، وفي البرامج الرقميّة المصمّمة باستخدام اللغة العربية، وغيرها من الوسائل الأخرى التي تُساعد على بقاء اللغة العربية في نافذتها الخامسة أمميًا، والوعي بقدرتها على مُواكبة كافة التّأثيرات النّاتجة من النّموّ المُتسارع للتطوّر الرقميّ.

وهنا علينا الاستثمار في التّربيّة والتّعليم بإنتاج تطبيقات مُصمّمة لحلّ المُشكلات التّعليميّة التّعليميّة، وهذا ما ينبغي أن نشير إليه بأنّ التكنولوجيا الرقميّة ترتبط بتحقيق مكاسب تعليميّة مُتطوّرة ونافعة، وذات أثر خلال أشهر معدودات، وتعمل على تقديم حلول تمارين الرياضيات من الإملاء وحلّ المُشكلات...

وتعتبر التّقنيات الرقميّة أدوات لدعم البرامج التّربويّة في مختلف مراحل التّعليم، وما يجب مراعاته هو الاستخدام الفعّال للتكنولوجيا الرقميّة الحاملة لأهداف التّعلّم والتّدرّيس؛ أي تكنولوجيا جديدة تعمل على تحسين التّفاعلات بين التّدرّيس والتّعلّم. وما يجب وعيه كذلك أنّ هناك مُضايقات في هذا التّحوّل الرقميّ ولكن التّماهي في هذا التّحوّل سوف يشكّل لنا ثورة رقميّة كبيرة تحلّ لنا

كلّ مشاكل العربيّة لما لهذا التحوّل من انعكاسٍ إيجابيّ في مناحي الحياة المعاصرة وكمّظهر من مظاهر التطوّر التكنولوجي المطرد والتدفّق المعلوماتي اللامتناهي.

وانّ هذه الرقمنة فتحت إمكانيات غنيّة وواعدة، وفرضت إعادة تحديد مُعمّق لدلالات ومآلات الواقع والمستقبل. وكلّ هذا يحتاج منا إلى استراتيجيّة واحدة تناسب كلّ العاملين على خدمة العربيّة، والاستثمار القويّ في تصميم وتطبيق برامج التحوّل الرقميّ، وإلى إمكانيات مؤسّسيّة كي نتمكّن من تخطيط سياسة التحوّل الرقميّ الذي يتطلّب حشد الإلزام والالتزام، ودمج هذه الاستراتيجية لتحقيق التوافق بين السياسات التكميليّة المتعلّقة بالمنافسة والمهارات، وحشد مختلف الشراكات مع المجتمع المدني والقطاع الخاصّ.

5. المنجز والواقع والمأمول: هي ثلاثيّة لا انفكاك بينها؛ بتعبير أنّ الحاضر لا يكون إلاّ بمنجز مُحقق سابقًا، وأنّ الواقع يتطلّب نُشْدان حركة العولمة في التحوّل اللغويّ، وأنّ المأمول مُرتبط بالحاضر الموعود؛ والذي يتشكّل في حدث مُتكامل ينشد التغيّير نحو الأفضل.

وهكذا تتطوّر اللغة في مدارج التّضح والكمال إذا ما سارت مع خطوات التطوير من ذبوع وانتشار، وتجديد وابتكار، وهذا ما يجعل حاضرها ثابتًا وصحيحًا، ومُستقبلها يسير نحو التّضح والتّفوق. وهذا ما يحقّق للغة المأمول في النّقلة النوعيّة وهي من مُنجزات الحاضر.

ولا نعدّم القول بأنّ واقع التحوّل الرقميّ في العالم العربيّ عرف الكثير من الانتشار، ونجحت الكثير من الشركات العربيّة في سوق اللغات، بميزات تنافسيّة التي اعتمدها في قضايا التحوّل الرقميّ، ومع ذلك هناك الكثير من العقبات التي تحول دون تحوّل رقميّ نوعيّ يكون في مُستوى العربيّة كلغة أُمميّة وكونيّة، وهذا هو المطلوب من نظرة استشرافيّة في الحوسبة، وتسريع وتيرة المشاريع ذات العلاقة بالمهارات والوظائف الرقميّة والإبداع الحوسبيّ، وهو تحوّل جاد نروم كسبه من خلال ما تتوقّر عليه الأمة العربيّة من مخزون بشريّ شاب، ويمكن تفعيله للخروج من العطالة التي جعلته يعيش الهرم في شبابه.

ولا بدّ من عدم بخس العمل العربيّ في ما تحقّق من التحوّل الرقّميّ؛ وهذا يعني هناك جاهزية جديدة للأفضل في المشاريع التي تنتظر التّجسيد. وهذا هو المأمول عندما تكون أمثال هذه اللقاءات التي ننظر فيها إلى تقديم علاج الهنات، والاتّفاق على المُشترك العمليّ بخصوص اللّغة التي تجمعنا، وهي حاضرنا ومُستقبلنا، ولم يثبت أنّ أمة تقدّمت بغير لغتها ويجب ان نعيّ هذه المسألة، ونعتبر في ذات الوقت.

ولكي نحقّق المأمول علينا رفع مُضايقات الأُميّة بكافة أنواعها، وبناء شبكات قويّة ضخمة للنّشر والتّوظيف وتحقيق الأمن اللغويّ بشكل يكون لنا مكان في خريطة العولمة، وما أحوجنا في هذا الوقت إلى إشراك الجامعات العربيّة التي تنتج النّخب، مصحوبة بإنتاج الأفكار وصناعة مُجتمع المعرفة، وما يتبع ذلك من النّشر الإلكترونيّ، وكل ما يعمل على حفظ الكتاب أو المخطوط العربيّ، ويجعله في حوامل إلكترونيّة حديثة تعمل على قراءته وتحويله ونشره، وتصحيح هناته. وهذا لا يكون إلاّ بمُستقبل منشود في الاستثمار في الخوارزميات، وما له علاقة من مواقع مُتخصّصة في كلّ فرع من العلوم، وفيها معلّومات مُوثّقة؛ تزيد من ردم الفجوة المعرفيّة التي نعيش بعض أبعادها، كما تفسح المجال لانتشار للثقافة العربيّة من أن تنال موقعًا بين الثقافات العالميّة.

إنّ المأمول يتحقّق بالمبادرات والمشاريع الاستراتيجية العربيّة في مجال الرّقمنة وإثراء المحتوى العربيّ الرقّميّ الذي يتطلّب جهودًا مُضاعفة، وتمويلًا قويًا؛ وإصلاحًا عميقًا في المنظومة التّعليميّة التي تُعدّ قاعدة النّجاح المُستقبل موعود وهو نوع من الاستثمار المُربح على المدى البعيد.

ولهذا لا بدّ من رقمنة كلّ محاورنا الحضاريّة للمحافظة على الذاكرة التّراثيّة، وتعريف الأجيال الجديدة بها؛ لأنّهم الحاضر والمُستقبل، وكيف لا يقع الاستثمار في هذا الجيل الذي يُتقن فنّ الرّقمنة، وهو الذي يُعوّل عليه في زيادة المحتوى الرقّميّ، وبناء مُحركات بحث عربيّة للتّعاملات الإلكترونيّة مع تعريب أسماء النّطاقات العالميّة التي نشغل مَعها، ونحن أعضاء فيها، وندفع أمّوالًا من أجل أن

تخدمنا بلغتنا، وهذا مأمول من أصحاب القرار تجسيده في مختلف المؤسسات العالمية.

ليست هذه النقاىص بما يخلّ من وضعنا الضّعيف في الرّقمنة، بل نريد انفتاحًا واستشراقًا واستثمارًا في لغتنا المشتركة (العربيّة الفصيحة) وهي بنك معلوماتنا وخرّان تراثنا، وأمل الخروج من ضعفنا. وإنّ المُستقبل كفيل بأن يسجل علينا أنّنا ما توهمنا ولا أصابنا الوهن، بقدر ما يمكن أن نقول عملنا الجهد في النّقلة المشهودة نحو تحوّل للمعرفة والابتكار، وهي خطوة عربيّة مَطلوبة استدرارًا للتأخّر؛ وسيكون ذلك عندما تصدق النّيات، وتشدّ العزائم، ويلتقي السّياسي مع المثقّف في قواسم مشتركة تخدم مآلات واحدة بمنهجيات مختلفة.

وإنّ العرب اليوم يحتاجون أكثر من أيّ وقت إلى التّماهي في الرّقمنة، بَمَلامح التّنميّة البشريّة المُستديمة مُمثلة في الجوانب الاقتصادية والتكنولوجيّة والابتكار وعماد هذا كلّه تمكين المُجتمع العربيّ من اكتساب المعارف العلميّة واستثمارها بالعربيّة، وبخاصّة الشّباب الطّامح الطّافح الذي ينشد المُستقبل الأفضل وينظر إلى تحقيق الأمن السّياسي والثّقافي والمائيّ والبيئيّ والاجتماعيّ، ومتطلّبات الرّعايّة الصّحيّة وضرورة العمل بفقهِ التّغيير الذي يأتي بإطلاق المُبادرات التي تنشد الحوكمة، واستهداف التّطوير المُستمرّ الذي يجعل ولوجنا سهلًا للعالم الافتراضيّ، ونكون من المُسهمين فيه في مَراحل التّعليم المُتقدّم باقتدار وبلغة عربيّة بما لها من ثراء المبني والمعنى، وما تستطيع أن تصنعه في الصّناعة اللّغويّة الرّقميّة، وتوليد المُحتوى الجديد والمُبدع في كلّ نشاط عربيّ ينشد البديل النّوعيّ.

ما قبل الخاتمة: لا يمكن الاستفاضة في هذا الملتقى للحديث عن فوائد التّحوّل الرّقميّ، ونحن مُجبّرون على التّماهي فيه، وإلّا سنخرج من خريطة جغرافيّة العالم، وتخرج لغتنا بسليبيّة يحكم عليها بالفناء، بقدر ما نروم من المُحاضرين لتقديم أفكار في مَهارات الرّقمنة، وفي سياسات الاقتصاد الرّقميّ وفي بنية أساسيّة تنافسيّة للاتّصالات وصناعة تكنولوجيا المعلومات والاتّصال. ولهذا ندعو المُحاضرين والمُتابعين إلى اقتراح أفكار لقيادة عمليّة هذا التّحوّل، وتشجيع

قيام صناعة مَحليّة لخدمات تكنولوجيا المعلومات، والاتّصال بالعربيّة لتدعيم منظومة التّحوّل الرّقميّ الحيويّة.

وأنادي من خلالكم سمو صاحب الفضل العالم الباحث (جمعة الماجد) أن يعمل على إنشاء مؤسسة عربيّة مقرّها جامعة الوصل، بمُسمى (المؤسسة العربيّة للمُحتوى الرّقميّ) ويرعى برامجها في التّحوّل الرّقميّ، وتكون هذه المؤسسة قيمة مُضافة تدعيميّة لمؤسسات جامعة الدّول العربيّة، ومهمّتها اقتراح برامج عمل للتّغيير التّكنولوجيّ، وتجسيد مشاريع كبرى في الرّقمنة، وإنشاء المُدونة اللغويّة العربيّة؛ وتكون قيمة مُضافة لمشروع القرن: (المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة بالشارقة+ معجم الدّوحة). وأرى أن إنشاء هذه المؤسسة بحوكمة رشيدة من سموّه؛ سوف نقضي على التّردّد في هذا التّحوّل، ونسدّ الفراغات التي تعانيها العربيّة في المُدونات والبرامج والمعاجم العامّة والخاصّة، وفي بناء برامج تعليميّة للكلمات الأكثر تداولاً، وسيحصل التّحوّل الإيجابيّ في مسألة التّشكيل والتّرميز والمعيرة والتّرجمة الآليّة، وما له علاقة بالتّعلّم الإلكترونيّ والحكومة الإلكترونيّة، وتبادل البيانات بين اللغات بصيغة (رابح رابح).

وأرى أنّ هذه المؤسسة لو تقوم ستكون حلاً لضعف نسبة المُحتوى العربيّ على الشّابكة، وتكون مفتاحاً لمشكلة تذبذب صناعة المُصطلحات والشّبكات الدّلاليّة العربيّة، ويكون القضاء التّامّ على مُضايقات تقنيّة في مجال التّشفير والتّرميز لنظام الكتابة العربيّة، بل يتعدّاه إلى مسائل مُتعلّقة أكثر بالتّحليل التّحويّ والدّلاليّ والتّرجمة الآليّة والدّكاء الاصطناعيّ.

وعلينا الرّهان، وحشد التأييد لإنشاء هذه المؤسسة (المؤسسة العربيّة للمُحتوى الرّقميّ) والتي تبني المعايير العلميّة، وتخرج من المعايير الكلاسيكيّة التي لم تثمر إلّا على سراب بقية. هي مؤسسة أتصوّرها هيئة عربيّة عالميّة تحشد طاقات علماء الأُمَّة في علاج المُضايقات الرّقميّة، وما له علاقة بالتّعرّف الضّوئيّ على المحارف، وتختصّ بإنشاء المُدونات العربيّة في كلّ المجالات وتقديم خدمات للعربيّة لأهلها ولغير أهلها، كما تعمل على إنشاء أسماء النّطاقات العربيّة ضمن

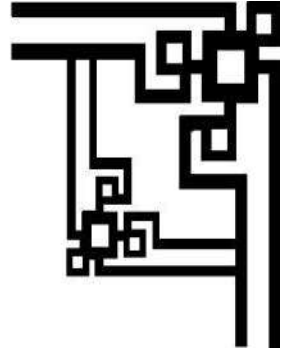
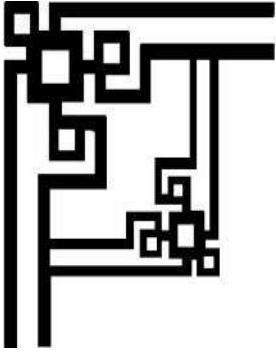
مجموعة لغات العلم التي تعترض العربية في الكتابة= يسار يمين وهي بالأحرى تخصّ موقعها كلغة لها مواصفات= يمين يسار، لا توجد في اللغات اللاتينية المنتجة للبرمجيات والدكاء الصناعي، وهذه من خصوصيات التي تحتاج إلى علاج نوعي ثابت دون المرور على نطاق اللاتينيات، أضف إلى ذلك الامتداد التاريخي والزمني والمكاني وأهرام من المكانز التي تحتاج إلى رقمنة، وهناك العائق الذي يُضعف من وجود العربية في الشّفرات الرقمية عدم وقوع الصّائت على الصّامت.

الخاتمة: هو اقتراح أرفعه لكم، وإلى صاحب القرار، ونأمل أن ننتج الحلول الواقعية العاملة على مُلاحقة العربية للمُستجدّات، والعمل على تحقيق نسبٍ مثوية في البداية ولو ضعيفة، والمهمّ تعالٍ نُبادر لننتج الأفكار لصاحب القرار. ولا يخيب ظنيّ أمام علماء يتشقّعون لهذه المبادرة التي نأمل أن تكون في بلد الإمارات العربية المتحدّة الذي يعمل على خدمة العربية، ويشجّع كلّ المبادرات التي تكون قيمة مُضافة للعربية؛ ويعطي كلّ القيمة الحديثة للعربية اللغة المانعة الجامعة لغة الماضي المجيد، ولغة الحاضر التليد، ولغة المُستقبل السديد.

المصادر والمراجع:

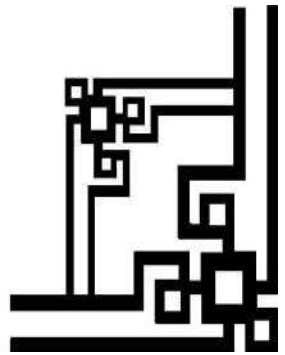
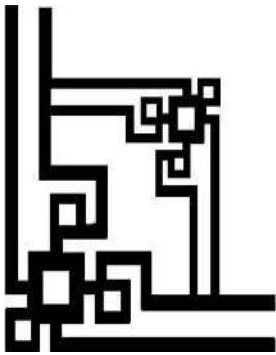
1. العرب وتحديات التحوّل نحو المعرفة والابتكار، مَعين حمزة+ عمر بزري. بيروت: 2020، منشورات مُؤسّسة الفكر العربي.
2. الفجوة الرقمية. نبيل علي.
3. الثّقافة العربية وعصر المعلومات. نبيل علي.
4. الرقمنة وتقنياتها في المكتبات العربية. نجلاء أحمد ياسين.
5. الرقمنة. سعد صلال.
6. موقع Google.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

42



قضايا المدارس اللسانية الحديثة

مع مقارنة في المقولات اللسانية في التراث*



الديباجة: أشكرُ جامعةَ الوصلِ بإمارةِ دبيّ في الإمارات العربية المتحدة على هذه الاستضافة عن بُعدٍ لإلقاء محاضرةٍ عنونها (قضايا المدارس اللسانية مع مقارنة في المقولات اللسانية في التراث) ويمتدّ الشكر إلى الطلبة والمتابعين لهذه الندوة المتخصصة. ولا أخفيكم أنه كثرت الآراء والأفكار حول هذا العنوان؛ حيث وقع الخلط بين أفكار المدارس اللسانية، كما تعددت وجهات الرأي، وكلّ يرى رأيه وله آليات فهم الموضوع بالأرضية المعرفية التي يحتكم إليها.

كما لا يمكن أن أخفي ما يحمله العنوان من قضايا كثيرة وكبيرة ومتداخلة، وكلّ قضية لغوية أو مدرسة لسانية تحتاج إلى محاضرة مُستقلة، فكيف يمكن تعقيل هذه القضايا في محاضرة واحدة، ولكّني رجعت إلى كتّاباتي أيام التّطلاب، ووجدت بعض ما أنشده من محاضرات سبق أن دونت ولخصت بعضها. ومن ذلك أحاول إيجاز القول والتركيز على الأهم من القضايا والمدارس ذات الشهرة والمُضيفة. وأدلي بكلمتي بما بصرتُ به من أفكار، وما وَعَيْتُهُ من دروس في اللسانيات العربية والغربية من خلال الاطلاع على أعمال المدارس اللسانية، وما لخصته من معلومات كثيرات حول كلّ مدرسة، ومن ثمّ التّظن في بعض القواسم المشتركة التي حدثت بفعل المنطق الذي لا يحتاج إلى تبرير، أو بفعل التأثير أو بعامل الأخذ والعطاء وفق مقتضيات الحضارات واللغات التي تأخذ من بعضها البعض، أو بمقولة (ابن خلدون) "الغالب مولىً أبداً بالاقْتداء بالغالب في شعاره وزيّهِ ونخلتِهِ وسائر أحواله وعوائده".

* - ألقىت المحاضرة عن بُعد، أمام طلبة وأساتذة قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوصل في الإمارات العربية المتحدة. بتاريخ 18 نوفمبر 2002م.

ولذا بدا لي بأن تكون مُحدّات هذا الموضوع وفق ما يلي:

المُقدّمة: يَجْدُرُ بي الحديث عن مُحدّات بعض المُصطلحات ذات العلاقة بالموضوع؛ وهي (المدرسة اللسانية): وتعني مجموعة من المفاهيم تتبناها طائفة من اللغويين، وتجمعهم كلمة سواء ووجهة نظر واحدة للغة، ومنهج قد يكون مختلفًا، ولكن المآلات واحدة في معالجة الظواهر اللغوية. وهي عبارة عن نظرية أو إطار معرفي عام، يتخذ سندًا لمعالجة البحث اللغوي. وتقرب إلها دلاليًا كلمة (الحلقة) وهي مجموعة من الناس ترتبط في ما بينها برابطة معينة؛ بمعنى جماعة متعودّة على الاجتماع معًا، وهي محدودة في عددها ومجال اهتمامها، كما ترتبط بمكان مُحدّد على الأغلب.

و(النظرية) مجموعة من الآراء والأفكار وربّما الفرضيات التي تُعتمد في دراسة اللغة بصورة منطقيّة مُنظمة تقوم على تفسير الظواهر اللغوية. ويطرح بعض المعاصرين مُصطلح (علم اللسانيات) باعتباره يخضع للتجربة والملاحظة، ويميل نحو القوانين الصارمة التي تُحددها اللغة. وكلمة (علم) هي أساس تمييز الدراسة اللغوية عن غيرها، وأوّل ما يُطلب في الدراسة العلميّة، اتباع منهج موضوعي تنطلق منه الفكرة التي يبحث عن تحقيقها. واللّسانيات هو "العلم الذي يدرس اللغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومُعاينة الوقائع بعيدًا عن النزعة التعلّيميّة والأحكام المعياريّة".

1. في معنى اللسانيات الحديثة: إنّ اللسانيات هي الدراسة العلميّة الموضوعيّة للسان البشريّ، لما له من قوانين عقليّة يقتضيها التّواصل المبني على المُستعمل من اللغة، وما يقبل القياس. ويقول (أندري مارتيني / André Martinet): "... إنّ اللسانيات هي الدراسة العلميّة للسان البشريّ. وإنّ السّمة المُميّزة في اللسانيات المُعاصرة هي (البنويّة) التي كرّست دراساتها لوصف نظام اللغة انطلاقًا من ذاتها؛ من حيث إنّه ذات قوانين وقواعد وظيفيّة. وقد انطلقت من مُحاضرات اللّسانيات العامّة للسانيّ (فرديناند دي سوسير / Ferdinand De Saussure) ومن أعمال مُشتركة لمدرسة پراگ، ومن ثمّ تفرّعت إلى عدّة تيارات/مدارس بنويّة.

ولقد تأسست اللسانيات العامة على ملاحظة الوقائع اللسانية، وامتنعت عن أن تفترض اختياراً من ضمن الوقائع باسم بعض المبادئ الجمالية أو الذهنية؛ يعني دراسة موضوعية تخضع للملاحظة والتجريب، ولها مستويات أربعة: صوتية و صرفية ودلالية ونحوية، وهذه المستويات تُشكل الإطار العام للغة. ولها منهج يدرّسها في جانبها السكوني (زمن مُحدّد) أو جانبها الحركي (مُتغيّر/ تاريخي) ومَنهج في جانبها: المقارن/ التّقابل. وإنّ اللسانيات تعتمد دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها، كما قال (سوسير).

إنّ اللسانيات البنوية تعتمد الوصف، ولكن لها الجانب العلمي في منظومة التّواصل، ولها مُصطلحاتها ومعالماها التي تحدّدت في الثنائيات المعروفة: الدياكرونية والسانكرونية+ الدال والمدلول+ اللسان والكلام+ استبدال وتوزيع/ المحور الأفقي والمحور الرأسي. ولقد عرفت اللسانيات العامة مدارس عديدة وسوف نتعرّض لآليات كلّ مدرسة لمعرفة بعض قضاياها ونقاط التّقاطع في ما بينها، ومدى الاستفادة التي حصلت بينها.

2. المدارس اللسانية المعاصرة: كانت البنوية أولى هذه المدارس المعاصرة وقد اهتمّت بوصف نظام اللغة من حيث حَمَلُها للقوانين والقواعد الوظيفية، وقامت بتحليل بنياتها الداخلية للوصول إلى استكناه أصلها أو تطورها. ولقد قامت مدرسة جنيف/ السويسورية في دراستها للغات على منهج جديد يستند إلى أسس مُحدّدة ويتسم بسمات مخصصة للغة على أنّها نظام من العلامات اللغوية، يرتبط بعضها ببعض في شبكة من العلاقات المترابطة الحاملة للمعنى/ القيمة. ونظراً لما لها من اجتماعية فتدرس في حدّ ذاتها ولذاتها، بالابتعاد عن الأغراض غير اللغوية.

1/2. مدرسة اللسانيات البنوية الأوروبية/ Structuralisme: عُرِف القرن العشرون عند اللسانيين بأنّه قرن البنوية؛ حيث وقع الاهتمام بالدّرس اللساني؛ بمقاربة جديدة مُتوافقة مع وظيفة نظام اللغة من جانب الوظيفة الاجتماعية؛

باعتبارها بناءً هندسيًا مُتشابك الوحدات ذات الاستقلال الداخلي، وتحدّد العلاقات بينها بعيدة عن العناصر الخارجية.

وبدأت البنيوية تنال الانتشار في عدّة أماكن إلا أنّ المؤسس الأوّل كان مع (سوسير) في مدرسة (جنيف) ثمّ بعد ذلك في أمريكا مع (بلومفيلد/ Bloomfield) في التّوزيعيّة. وإنّ البنيوية هي التي جعلت اللّسانيات علمًا موضوعه اللسان واللغات الطّبيعيّة، وقد جسّدها (سوسير) من خلال كتابه (Cours de linguistique générale) في أنّ اللّغة نظام/ Système ترتبط الأجزاء في علاقة تُؤدّي المعنى في ترابطها، وكلّ كلمة يُصيها التّغيير تُؤثّر على الكلّ، وفيها يكتفى بالوصف المُجرّد والتصنيف النّمودجي لِوحدات اللّغة، وتحديدًا داخل نظامها، وأنّ اللّسانيات فرع من السّيميولوجيا/ La Sémiologie الذي يدرس علم العلامات/ Signe بمُختلف أنظمتها التّبليغيّة المُوظّفة في المُجتمع دون معيارية مُحدّدة مُفترضة، بل تحصل دراسة واقع الاستعمال اللّغوي؛ باعتبار اللسان ظاهرة اجتماعيّة، يمكن دراسته دراسة علميّة مُستقلًا عن استعمال الأفراد، ولذا هناك فرق بين ثنائيّة: اللّغة والكلام.

كما عملت هذه المدرسة على دراسة المُدونات الكلاميّة المُستعملة، واهتمّت بالعلاقات الشّكليّة/ الصّوريّة بصورة مُغلقة، وانفتحت على بعض الميادين؛ وبخاصّة الأنثروبولوجيّة، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، والسّيميائيات، والنّقد الأدبيّ، وعلم النّص، والتّداوليّة. ونشير بأنّ البنيوية عرفت تشقّقات خرجت عن السّوسيريّة لما لها من أفكار جديدة لم يكن يراها (سوسير) على غرار أفكار حلقة/ مدرسة براغ+ أفكار (چاكسون)+ (فان ديك)+ (بنقنست)...

2/2. مدرسة اللّسانيات البنيوية الأمريكيّة: قامت على أفكار ثلاثة من اللّسانيين وهم: (فرانز بواز/ Franz Boas) + (إدوارد ساپير/ Edward Sapir) + ليونارد بلومفيلد/ Leonard Bloomfield) وخالفت في بعض أبعادها المدرسة البنيوية الأورپيّة في المنهج المتّبع في الدّراسة والمادة المدروسة؛ فاللّسانيات الأورپية انطلقت من الفكر اللّغويّ القديم، واستمرّ حتى القرن التّاسع عشر الميلاديّ، وأما

اللّسانيات الأمريكيّة بدأت من الأنثروبولوجيا؛ باهتمامها بتدوين وتصنيف اللّغات الهندية الأمريكيّة بتبنيّ اللّغات المنطوقة، دون النّظر في المنطق والمعنى في تفسير الظواهر اللّغويّة، والتركيز على دراسة كلّ لغة كما هي مُستعملة في مكان وزمان مُعيّنين، وهذا أسلوب الوصفيين.

كما نقرأ في أبحاث المنظرين لهذه البنيويّة أنّها تبنت دراسة الظواهر حسب الأولويّة؛ وما لا يمكن مُشاهدته من أمور اللّغة بطريقة موضوعيّة تؤجّل دراسته إلى حين تطوّر المعرفة العلميّة، ولهذا قلّ اهتمامهم بالتركيب، كما تجاهلوا الدّلالة؛ لأنّها غير خاضعة للمُشاهدة. ولقد اتّجهت البنيويّة الأمريكيّة نحو اللّسانيات البنيويّة الشّائعة؛ باعتبار أنّ اللّغة عمّل اجتماعيّ تواصلّيّ في تمثيل للتّجربة الواقعيّة، وفي ذات الوقت إنتاج تاريخيّ؛ فهي عرضة للتّغيّر والتّطوّر الذي يصيها في مُستوياتها الأربعة. واستكمالاً لمبادئ البنيويّة بصفة عامّة، نشأ علم اللّغة الوصفيّ/ علم اللّغة البنيويّ، الذي ازدهر مع (ساپير) وأعمل فيه الجانب العقليّ، والعالم (بلومفيلد) الذي انتصر للمذهب السلوكيّ، وكان له أثر في تكوين نظريته.

ونرى هذه الأبحاث الجديدة تعالج اللّغات القديمة على غرار اللّغات الهندية من منظور المنهج الماديّ؛ وهو منهج يفسّر السلوك البشريّ، وهو الأكثر ملاءمة للفحص الموضوعيّ المنضبط للسلوك اللّغويّ، على أساس مُعالجة علميّة مبنية على الملاحظة والوصف، أي على تحديد توزيع الوحدات اللّغويّة، وهذا باعتماد منهج التّوزيعيّة "وانصبّ عملهم على الوحدات الصّرفيّة والنّحوية لأنّها قابلة للملاحظة والوصف على نحوٍ علميّ موضوعيّ دقيق، واستبعدوا المعنى من الدّرس اللّغويّ لعدم قابليته للوصف الموضوعيّ". ولهذا علينا الحديث عن النّظريّة التي تبناها (بلومفيلد) والمسمّاة بالتّوزيعيّة.

3. المدرسة التّوزيعيّة: يعدّ (إدوارد ساپير/Edward Sapir) المُمثّل المنهجيّ للتّوزيعيّة، المُنتسب بأفكار السلوكيّة/Behaviorisme، وبالخصوص آراء (واطسون/ Watson) مُؤسس المذهب السلوكيّ في علم النّفس، وإلى جانبه العالم (ليونارد

بلومفيلد/ Leonard Bloomfield) الذي عمل على تفسير الحدث الكلامي من منظور السلوك فقط، ونادى لدراسة اللغة دراسة علمية ومستقلة بمنهج مادي، وفق المؤثر والاستجابة، مثل اعتماد الفيزياء والكيمياء في تفسير الظواهر على تنابعات العلة والأثر؛ برفض تفسيره الظواهر باعتماد المنهج الذهني/العقلي.

وقد قسم تحليله العقلي بالسلوك البشري في أحداث سابقة للحدث الكلامي، وذات الحدث، وعمليات الحدث لاحقاً. ومن خلال ذلك اعتمد في تحليله على توزيع الوحدات اللغوية للفونيمات في تسلسلات فونيميّة، والمورفيمات في مجموعة المورفيمات، وتتم عملية التوزيع عن طريق الاستبدال. ومثل لذلك ومثل ذلك في كيفية توزيع الأوراق في اللعب يعمل على تغيير اللعبة والنتيجة. وعلى العموم نرى هذه المدرسة/النظرية لم تُعطِ أهمية للمعنى الذي عدته ثانوياً، ومن خلال ذلك انصبّت عليها الكثير من النقود العلمية. ويمكن تلخيص مبادئ هذه المدرسة في الآتي:

1/3. اللغة مادة قابلة للملاحظة المباشرة، وهي نظام من الأصوات الإنسانية.

2/3. دراسة المعنى قد تعوق الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم السلوك

اللغوي

3/3. ضرورة وضع تصوّر جديد للفونيم.

4. المدرسة الوظيفية: ما يجب العلم به هو أنّ الوظيفية تأسست من قولها "إنّ بنية اللغات الطبيعيّة لا يمكن أن تُرصد إلا إذا ارتبطت بوظيفة التّواصل" وبهذا ندرك أنّ النّظريات اللّسانية تدخل في إطار لسانيّ غير وظيفيّ. لقد تأسست سنة 1926 من نخبة من اللّغويين من مُختلف الجنسيات على غرار: (ماتيزيوس/ Mathesius + ترنكا/ Trenka + هافرانك/ Havranek) تشيكويون. و(تروبتسكوي/ Trubetzkoj + جاكبسون/ Jakobson + كار سيفسكي/ Karacevskij) روسيون، وغيرهم... ونشير بأنّ (جاكبسون) تلميذ (سوسير) وأنّ المنضويين في هذه المدرسة نالهم أفكار البنيويّة مثل: (كورتني/ Courteney) و(يسبرسن/ Yespersen).

وهؤلاء حملوا فكرة دراسة اللّغة من حيث التّركيب والوظيفة، وأصدروا جريدة الأعمال الأساسيّة لحلقة پراگ اللّسانيّة Travaux du cercle linguistique de prague، وحملت أفكارهم الكبرى مسألة الأصوات. ومن ثمّ تفرّق شمل المؤسّسين مع بداية الحرب العالميّة الثّانيّة وبقي نشاطها في أمريكا على يدّ (چاكبسون) وفي فرنسا عند (أندريه مارتيني). وبقيت بذات التّسميّة (الوظيفيّة) التي ترى أنّ البنية النّحويّة والدلاليّة والفونولوجيّة للغات تُحدّد بالوظائف المُختلفة التي تقوم بها في المُجتمع، وأنّ الأصل فيها التّواصل، وكلّ عنصر فيها يُسهّم في التّواصل ينتمي إلى اللّغة، وكلّ ما ليس له دور في ذلك فهو خارج اللّغة. ومن مبادئها:

1/4. للّغة نظام ووظيفة التّواصل والتّعبير من أجل الرّقيّ والتّفاهم المُشترك.

2/4. اللّغة ظاهرة طبيعيّة ذات واقع ماديّ، تتصلّ بعوامل خارجة عنها في البنية الاجتماعيّة، بعضها يتّصل بالسماع، وبعضها يتّصل بالموضوع. ولهذا هناك فروق بين لغة الأدب/ لغة العلم/ لغة الصّحافة...

3/4. للّغة مظاهر كثيرة، ولهذا من الضّروريّ أن تُدرس اللّغة في إطار العلاقة بين البنية وما تحمله من عواطف وأفكار.

4/4. مُراعاة الخلاف بين اللّغة المنطوقة واللّغة المكتوبة.

وعندما نُعمّق البحث في مُنطلقات هذه المدرسة؛ نجد مُعظم الأنظمة التي قامت عليها البنيويّة من مثل: النّظام+ العلاقات التّركيبيّة+ اللّغة والكلام+ الاستبدال... إلى جانب عدم إهمالهم الوصف في دراسة اللّغة باعتباره أفضل طريقة لمعرفة جوهر اللّغة وخواصها المُميّزة، إضافة إلى أنّهم لم ينفوا الجانب التّاريخيّ على أساس أنّه يُحقّق التّواصل، ويعني تحقيق وظيفة اللّغة ونظامها التّواصليّ. والمهمّ في الأمر أنّ هذه المدرسة أولت دراسة المُستوى المورفولوجي؛ باعتباره ينحو منحنى التّقابلات الفونيميّة، لأنّها ذات دلالة ومعنى على المُستوى المورفولوجي، وتظهر في التّغيّرات الصّرفيّة.

ولا نريد تفصيل ركائزها التي توسّعت في ما بعد على يدّ لسانيين آخرين بتدخّل (چاكبسون) مع (نيكولاي سرغيفيتش تروبتسكوي/ Nikolay Sergeevitch Trubetskoy) في مجال الفونيم، وهو الوحدة الصوّتيّة الوظيفيّة، ويتغيّر بها معنى الكلمة إذا استُبدلت بوحدة أخرى، فوظيفته التّمييز والتّفريق بين معاني الكلمات، وفي ذات الوقت هي وحدات فونولوجيّة مُركّبة تتحقّق عن طريق الكلام ولا تقبل التّجزئة، وأكثر اللّسانيين الذين عمّقوا البحث في الأمر هو (تروبتسكوي) وربّما نقول إنّه عمل على تطوير فكرة (سوسير) في مسألة الخلاف بين اللّغة والكلام؛ فالفونيم ينتهي إلى اللّغة، والصّوت إلى الكلام؛ حيث فرّق بين الأصوات والفونولوجيّة، وهي وظيفة تمييزيّة، كما يمكن القول بأنّ ما أتت به المدرسة في الفونيم والصّوت، بمثابة تلك العلاقات التي دعا لها (سوسير) في محوري: الاستبدال الأفقيّ والعموديّ.

5. المدرسة الوظيفيّة الفرنسيّة: أقام كيانها العالم اللّغويّ الفرنسيّ (أندري مارتيني) وقد اقتفى أثر (سوسير) في الاهتمام بوظيفة اللّغة الإبلاغيّة؛ حيث اللّغة كيان من الأصوات المانزة، وكلّ صوت له وظيفة تغييريّة في بنيّة الكلمة. ومن مبادئ هذه المدرسة:

1/5. للّغة وظيفة جوهرية وهي التّواصل بين أفراد المجتمع اللغويّ، وهذه الوظيفة تؤدّيها اللّغة باعتبارها مؤسسة إنسانيّة.

2/5. للّغة وظائف ثانويّة مثل تلك البنى المنظّمة والمُترابطة ذات العلاقة بالأشياء والأحاسيس.

3/5. التقطيع المزدوج: وهو تنظيم اللسان البشريّ تنظيمًا خاصًا، يتمّ بموجبه تجزئة التّجربة الإنسانيّة إلى وحدات تقام على مُستويين مُختلفين هما: مُستوى التقطيع الأوّل؛ وفيه وحدات لسانيّة ذات دلالة (مدلول) وأصوات (دال) غير قابلة للتّجزئة إلى وحدات أصغر ذات دلالة، وتُسمّى المونيمات/ Monèmes أو اللّفاظم، مثل: أكلت تمرًا = أكل + ت + تمرًا؛ هي ثلاث لفاظم مُتتابعة (دال ومدلول) بصيغة (سوسير) لا يمكن تحليلها/ تجزئتها إلى وحدات دالة أصغر منها، ولكن يمكن

استبدالها بوحدات أخرى ضمن القائمة المغلقة. وأما مستوى التقطيع الثاني هو تحليل الوحدات الدالة (المونيمات) إلى وحدات صوتية ذنبا غير دالة في ذاتها، لكتها مميّزة وقادرة على تغيير المعنى، ولها وظيفة تمييزية، وتُسمى الفونيمات Phonèmes /الصّواتم، مثل: (تمر) تُقَطَّع إلى ت م ر.

4/5. مبدأ الخطية: إنّ اللّغة سلسلة من العلامات الخطية المتتالية يتبع بعضها البعض في الجمل، وتخرج الأصوات بالتتالي لتصنع الكلمات والجمل في تعالق منطقي انطباعي حسب نمط وخصوصيات كلّ لغة، وتتحدّد وظيفة كلّ وحدة من علاقاتها مع غيرها، ودراسة هذه العلاقات بين الوحدات لا تكفي لتحديد وظيفتها بل يجب معرفة موقعها داخل التركيب وفق ترتيب مُعيّن، وهو ما يميّزها.

تلکم أهمّ المبادئ التي قامت عليها المدرسة الوظيفية المارتينية في أسسها المعرفية، والمهمّ أنّ (مارتيني) استطاع أن يفتح آفاقاً جديدةً في البحث والتطبيق عندما عالج التقطيع المزدوج، وتوصّل إلى زيادة بعض المعاني للبنوية من خلال التطبيقات التي انطلق فيها من المعلوم إلى المجهول، ومن الصّوت إلى الكلمة.

ويمكن أن نقول بأنّ خير من يمثّل هذه المدرسة من اللسانيين العرب هو (أحمد المتوكل) والملقّب (مارتيني العرب) بما نراه من مننوج أفكاره المُستمدّة من هذه النظرية، وهو الذي يرى أنّ النظرية الوظيفية تنفرد بكونها لا تهتمّ باللّغة كنسق مجرد يؤدي وظائف متعدّدة؛ "وأهمها وظيفة التعبير عن الفكر، بل إنّها تعتبر اللّغة وسيلةً للتواصل الاجتماعي؛ أي نسقا لغويا يؤدي مجموعة من الوظائف أهمها وظيفة التواصل... القدرة في رأي الوظيفيين هي معرفة المتكلم بالقواعد التي تمكّنه تحقيق أغراض تواصلية مُعيّنة بواسطة اللّغة، فهي إذن قدرة تواصلية تشمل القواعد التركيبية والدلالية والقواعد الصوتية والقواعد التداولية...

إنّ الطّفل وفق هذا التّصوّر لا يتعلّم اللّغة مُستعينا بالمبادئ التي فُطر عليها وإنّما يتعلّم النّسق الثّاوي خلف اللّغة واستعمالها، أي العلاقات القائمة بين الأغراض التواصلية والوسائل التي تتحقّق بواسطتها... إنّ الإلمام بلغة مُعيّنة، لا

يُحصَرُ فقط في الفهم والتحدّث والقراءة وكتابة الجمل، بل كذلك في معرفة كيف تستخدم الجمل لغايات تواصلية".

6. المدرسة الغلوسيماتية/ (Glossematique): هي مدرسة (لويس يلمسليف/ Louis Hjelmslev) بكوبنهاغن، ويرى بعض اللسانيين بأنّ تسمية المدرسة أُطلقت عليها تجوّزاً فقط، بل تعدّ منهجاً/ نظرية في التحليل والاستنباط اللساني؛ حيث يستهدف الكليات اللغوية/ Linguistique Universelle بمُسمى (اللسانيات السوسورية الحديثة/ المحايثة) المبنية على الاستنباط الموضوعي على اعتبار أنّ اللغة نظامٌ تحليليٌ مُستقلٌّ عن الظواهر غير اللغوية والمُعطيات الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، مُخالفة مبدأ (تُدرس اللغة في ذاتها أو لذاتها) التي قال بها (سوسير).

واللغة هي صورة/ forme وليست مادة/ substance، رغم أنّ بعض مبادئها لا تُخالف البنية ولا حلقة براگ؛ حيث اللغة غايةٌ في حدّ ذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام. علماً بأنّ أصحاب هذا المنهج كانوا من الشارحين لأفكار (سوسير) بخصوص التّصوّر المنطقيّ الصّوري للغة؛ وهو البحث عن عدد المقولات اللسانية وتحديدها. وهكذا يرى (يلمسليف+ برونالد) أنّ اللغة صورة/ شكل/ نظام من الصّور تشترك فيه كلّ اللغات في أنّها تُعبّر عن مَحْمُول لغويّ قائم بذاته. وهذا المَحْمُول يتّسم بالانسجام والشّمول والبساطة. وهذه أركان هذا المنهج:

1/6. اللغة ليست مادة، وإنّما هي صورة/ شكل.

2/6 جميع اللغات تشترك في أنّها تُعبّر عن مُحتوى.

3/6 إبراز المُشترك بين جميع اللغات البشريّة، ووضع لتحليل اللغة نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات.

4/6 تحليل النصوص ينطلق من الوحدات الكبرى إلى الصّغرى؛ يعني تقسيم النّص إلى أجزاء صغرى: فقرات، ثمّ مُفردات، ثمّ حروف، ثمّ أصوات. ويكون تحليلها قائماً على الاستنباط المُعتمد على مقولات المنطق والرياضيات.

5/6. رفض اعتمادها على الأساليب الأدبية القديمة التي اعتاد النحويون في تقنين قواعد اللغة.

6/6 عصرنه الدراسات اللغوية باستخدام مناهج علمية رياضية.

هذه بعض معالم هذا المنهج/ النظرية، ولم تكن سهلة الفهم والسير في تطبيقاتها وبخاصة اعتمادها الجانب الرياضي الذي صعب فهمها، بما فيها من بعض المغالاة في شروط تطبيقها، وربما لدقتها العلمية، كما أنكرها الكثير من اللسانيين الذين يرون بأنها نظرية جبرية مبالغ في مبادئها، ولها بعض التناقض في أفكارها؛ حيث تعتمد المنهج التجريبي في تحليل النظام اللغوي على غرار البنويين، وفي ذات الوقت تقصي المادة الصوتية للغة.

ومع كل الاجتهادات التي جاءت بها في انتقادها للدراسات اللغوية التي سبقتها، والتي خرجت عن مجال اللغة، وما صاغته من مفردات جديدة لم تكن في المدارس الأولى، على غرار الكليات، والمنطق الرياضي، والتفسير الموضوعي للغة، واستقلالية التحليل اللغوي عن المجالات غير اللغوية، إضافة إلى تلك الاجتهادات بخصوص مبدأ التعويض في الترادف، والإحلال؛ حيث يحل الصوت مكان الألفون/ الفونيم، كما أن بعض المبادئ لا تنطبق كلية على كل اللغات الطبيعية، وبذلك عرفت الإهمال وفشلت في مجالاتها، بسبب نزعتها إلى التجريد، وما يسجل في صالحها كونها نافذة لظهور اللسانيات الرياضية/ Linguistique Mathématique.

7. المدرسة التوليدية التحويلية: مدرسة لسانية لعالم معاصر يدعى (أفرايم نعوم تشومسكي/ Avram Noam Chomsky) وكان متبنيًا لكثير من أفكار البنيوية في أوائل أعماله، ولكنه خالف بعضها لما تقوى بمعلومات جديدة، فأدى به ذلك إلى انتقاد الوصف المجرد والتصنيف النموذجي لوحدة اللغة وتحديدها داخل نظامها. واهتم بكيفية حدوث اللغة منتقلة من الموجود بالقوة (اللغة) إلى الموجود بالفعل (الكلام) عبر معيار تعرفه اللغة في حدود قواعد مؤتلفة تدور حولها اللغة، مع ضرورة الكشف عن حركات اللغة الإبداعية عند الشخص؛ وهو منتج اللغة؛ باستعمال أقل الأصوات لصناعة ما لا نهاية من العبارات والأساليب.

وتشير المصادر بأن تأسيس هذه المدرسة تمّ في سنة 1957م عندما أخرج (تشومسكي) كتابه البنى التركيبية/ Structures syntaxiques مُنطلقاً من انتقاده للعالم (بلومفيلد) صاحب المدرسة التوزيعية، وفي ذات الوقت مسّ الانتقاد المناهج البنوية، التي رأى فيها أوجه القصور من حيث وصف التراكيب اللغوية وتحليلها بطريقة شكلية مُتجاهلة المعنى، كما أهملت التفسير والتعليل، حيث اهتمت بالجزئيات وأهملت العلاقات بين هذه الجزئيات.

كما هاجم المذهب السلوكي القائم على المثير والاستجابة، والإنسان يختلف عن الآلة والحيوان بالفكر والدكاء وبقدرته اللغوية والعقلية، والعقل مصدر كل معرفة، وأنّ الطفل له قدرات فطرية تُساعده على تقبل المعلومات اللغوية وعلى تكوين بُنى اللغة "... مُهياً بطريقة أو بأخرى لكي يكون قواعد لغته الأمّ من خلال الكلام الذي يسمعه، وأنه يمتلك بصفة لا شعورية هذه القواعد التي تكمن في المُعطيات اللغوية التي يتعرّض لها (ملكة اللغة قدرة فعّالة غريزية وفطرية)". وهكذا قامت هذه المدرسة التوليدية التحويلية بانتقاد النموذج التوزيعي والنموذج البنيوي ذات المُعطيات اللسانية المحدودة، والتي لا تستطيع تفسير ظواهر الإبداع، فأقام هذه المدرسة التي تعطي البرهان على قدرة المتكلم على إنشاء جُمَل لم يسبق أن وُجدت والتحو تراكم معرفي في ذهن المتكلم باللغة بما له من كفاءة لسانية/ compétence، واستعمال خاصّ يُنجزه المتكلم في حال من الأحوال الخاصة عند التّخاطب، وهذا من قدرة كلامية خاصّة/ performance. وقد اعتمدت النظريّة ركنين أساسيين هما:

1/7. التّوليد: هو الجانب الإبداعي لدى الفطريّ ويملكه كلّ إنسان لا يعاني عاهة، كما يملك قواعد هذا التّوليد باتّباع قواعد نحوية مُمكنة في اللغة، وهذه القواعد قابلة للتطبيق على الأقلّ أكثر من مرّة في توليد الجملة، كما تعتمد عمليّة بناء الجملة وتوليدها على مبدأ الاختيار، عندما تكون الجملة وفق تركيبها الجملي: فعل+ فاعل+ مفعول (مف /1 / مف /2 / مف /3) وقسّ على مختلف القواعد المُركبة

المُعقّدة في بعض الأماكن. ونراه يمثّل لذلك بتشجير المُركّبات النّحويّة أو استعمال الأسهم الموضّحة للتّوليد الكلاميّ المقبول الذي يصدر عن مُتكلّم مثاليّ/ فطريّ.

2/7. التّحويل: ما يمكن للبنىّة النّحويّة من الانتقال من البنية العميقة المُتولّدة عن الأصل إلى البنية الظّاهرة التي تتجلّى في الصّيغة الصّوتية؛ حيث تصبح جُملاً مُنجزة بالفعل؛ ويعني التّأويل الدّلاليّ الذي يجري في مُستوى البنيات العميقة. كما يمكن أن نفهم من التّحويل تلك التّغيّرات التي يُدخلها المُتكلّم على النّصّ؛ فينقل البنيات العميقة المُولّدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام. وإنّ التّحويل جسر يربط بين البنية العميقة والبنىّة السّطحيّة، بأنّ العميقة هي المعنى، والسّطحيّة هي التّعبير المكتوب أو المُنطوق؛ فالعميقة تتقارب عند الفطريين، بينما السّطحيّة تختلف من فرد إلى آخر.

وخلاصة القول، نرى هذه المدرسة من أكثر المدارس التي استقطبت القبول والانتشار، ولها الكثير من مُرونة التّطبيق على اللّغات الطّبيعيّة؛ إذ تعدّ النّظريّة الأكثر استعمالاً، ويظهر ذلك في نيلها كلّ ميادين المعرفة. وقد نالت النّظريّة اهتماماً قوياً وحضوراً بالغاً بفضل تماسكها الدّاخليّ، وقيمتها التّفسيريّة، وقوّة جهازها؛ نظراً لاعتمادها على الصّورة العقليّة في تفسير الظّواهر اللّغويّة وتنظيمها من خلال التّفكير الإنسانيّ الحرّ. كما نالت الاستقطاب من تلك النّقود التي رفعتها ضدّ البنيويّة والسّلوكيّة والتّوزيعيّة.

وما يُسجّل لصالحها أنّها على وعي لغويّ ودراية بالأسس الاستمولوجيّة التي بنيت عليها النّظريّة. هنا نراها تشهد نقلة بخروجها من الوصفيّة إلى التّفسيريّة، والتّنبؤ بوقوع ظواهر أخرى. ولا ننسى تلك التّرسيمات التي عملت بها النّظريّة تفادياً للسّقوط في صندوق (تشارلز فرانسيس هوكيت/ Charles Francis Hockett) من أنصار الوظيفيّة الوصفيّة التي لا تقدّم للغة أيّة مَعلومات إضافيّة، بينما التّشجير والأسهم تعمل على علميّة اللّغة، وتفسّر تلك الأشكال عن طريق تمثيلات وتصنيفات الجمل في حال تضخّمها أو تضييقها للوصول إلى الحدّ الأدنى لألفاظ اللّغة.

وهذه البيانات الشجرية تعمل على إنتاج ما لا نهاية من الجمل، وحسب قبولها من حيث الاستعمال، ومن حيث الشكل، وغير المقبولة في تعارض بين المبني والمعنى إلا لدواع بلاغية، وهذا ما يوضحه التفسير الغائب في النظريات السابقة. ويمكن أن نقول بأن مُريدي هذه المدرسة من العرب: مازن الوعر+ الفاسي الفهري+ الحاج صالح، ولكل مُريد فهمه الخاص لهذه النظرية رغم الاتفاق العام حول أصول المدرسة/ النظرية.

ونجد اللساني الجزائري (عبد الرحمن الحاج صالح) يأخذ بكثير من مُسلمات هذه النظرية، ويعمل على توزيع بعض أبعادها في نظرية (الخليل بن أحمد الفراهيدي) ويسمي نظريته (النظرية الخليلية الحديثة)، وبمبدأ التوفيق بين القديم العربي واللسانيات التوليدية التحويلية، وأما (مازن الوعر) فقد أوجد آليات عربية في تطبيق هذه النظرية بتصرف يراعي النحو العربي. وأما (الفهري) فإنه يخلط بين مفاهيم التوليدية بل يعمها في تفسيره، ويأتي بالبديل العربي وبذات التعمية. ويمكن تلخيص مبادئها في الآتي:

. التفريق بين الكفاية والأداء؛ الكفاية: قدرة الفطري على فهم قواعد لغته نظرياً ويدرك الصواب من الخطأ. الأداء: هو ما يؤديه لفظاً أو كتابة.

. الفرق بين البنية العميقة والسطحية.

. الجملة وحدة لغوية أساس، ينطلق منها المستعمل للغة.

. تتم القواعد التحويلية من جمل أصول، وما يخرج يكون له مدلول قد يكون مقبولاً، وقد يُرفض، حيث نجد ما تحويل المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول، أو وضع حركة أو ما يدل على تحويل.

8. المدرسة الوظيفية البراغيية: لُقبت حلقة پراگ نفسها بـ (علم اللغة الوظيفي/ fonctionnelle مع (چاکوبسن ومارتيني) وعملا على إبراز موقفهما الخاص من موضوع علم اللغة، واهتمامهما بالمعنى اللغوي العادي لما له من وظيفة ومهمة. لدرجة أنّ المعاني الكلية للفصائل المورفولوجية أضحت موضوعاً

جوهرياً لهذه الحلقة. ولقد نشأت هذه المدرسة من خلال أعمال العلماء التشيك في حلقة براغ/Prague Cercle، ومن أبرز أعلامها (تروبetskوي/Trubetskoy)+ (رومان چاكبسون/Roman Jacobson)، كما استقطبت علماء آخرين؛ وبخاصة البنويين على غرار (إميل بنفنيست/Emile Benveniste) وحددت منهجها في النظر إلى اللغة على أنها نظام وظيفي يمكن الإنسان من التعبير والتواصل، وهذا يستدعي البحث عن الوظائف التي تؤديها في المجتمع عند تواصل أفرادها، ومن ذلك اهتتم بدراسة الظواهر الصوتية في الجانب الفونولوجي.

نشطت المدرسة عبر اللساني القائم على تطويرها (چاكبسون) في نظرة جديدة في علم الأصوات؛ على أنها علامات لغوية مهمتها حمل معنى الكلمة، وكل صوت له دلالة، وأي تغيير صوتي يؤدي إلى تغيير معنى الكلمة، وإذا وقع صوتان في مواقع صوتية واحدة دون أن يؤدي ذلك إلى تغيير المعنى، فإنهما عندئذ ليسا صوتيين مختلفين، بل تنوعات عرضية لصوت واحد.

ويمكن أن نعدّ الباحث اللساني التونسي (المنصف عاشور) ممثلاً هذه المدرسة، بحيث كان يستقي أبحاثه من أفكار هذه النظرية. وهكذا نرى عملهم تطويراً محدوداً في المستوى الفونولوجي، وعلم الدلالة، كما استثمرت في تمييز المعنى. واعتبرت اللغة نظاماً وظيفياً؛ لأنها ناتجة عن العمل اللساني وهو نظام لوسائل التعبير، من حيث الهدف وتحقيق مقاصد كل متكلم في التعبير والتواصل. كما رأت أنّ التحليل السانكروني هو أفضل تحليل لمعرفة جوهر اللغة، أضف إلى ذلك اهتمامها بالدراسة الفونيتيكية. ومن أهم مبادئ هذه المدرسة:

1/8. وضعت هذه المدرسة نظرية كاملة في التحليل الفونولوجي.

2/8. تحديد الوظيفة الحقيقية للغة، والتي تتمثل في (الاتصال).

3/8. اللغة ظاهرة طبيعية، ذات واقع مادي يتصل بعوامل خارجة عنه.

4/8. الدعوة إلى كشف تأثير اللغة بالظواهر العقلية والنفسية والاجتماعية.

9. المدرسة الإنكليزية: تُلقب هذه المدرسة (مدرسة السياق) لزعيمها (جون روبرت فيرث / John Ropert Firth) الذي يرى أنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال سياق الوحدة اللغوية. وتكمن أهميّة هذه المدرسة في المنهج المُتَبَيّن في مُراعاة الوظيفة الاجتماعية للغة. ولقد اهتمت بالجانب الاجتماعي للغة، وأولت السياق أهميّة، ومن ثمّ بنت عليه مُسلّماتها في مسألة المعنى الذي أهملته، وعدت الكلام نوعاً من السلوك الاجتماعي ذي علاقة بعناصر أخرى غير لغوية، ولا ينكشف إلاّ بتسويق الوحدة اللغوية، ومعنى الكلمة فيها يُحدده استعمالها في اللغة.

ولا يمكن إغفال بعض الاجتهادات التي قدّمت من عالم الاجتماع البولندي (برونسلاف كاسپر مالينوفسكي/ Bronislaw Kaspar Malinowski) الذي أضاف للغة العامل الثقافي، وجاء بعده عالم اللغة الفرنسي (جوزيف فنديس/ Joseph Vendryes) الذي أهتمّ بسياق المقال دون سياق الحال، مع تلك الإشارات التي جاءت من (ستيفن أولمان / Stephen Ullmann)، ومن العالم اللساني (ميشال هاليداي/ Michal Haliday) القائل بأنّ تطبيق نظرية السياق بحكمة ستكون حجر الأساس في عالم المعنى، وأنّ سياق الحال جزء من أدوات علم اللغة الاجتماعي في أثر النصّ الكلامي في حالة الإقناع/ الألم/ الضحك/ الامتناع... ومع كلّ ما يمكن أن يقال في هذه المدرسة من تمجيد، وما نالته من تطوير؛ فإنّ أفكارها لم تتجاوز أفكار المنهج الوصفي التجريدي، والمنهج الوظيفي، وليس لها رجع الصدى في أوروبا، ولا في بلاد العرب أو في آسيا؛ نظراً لحدودها اللغوية في معالجة الجانب الصوتي. ويمكن أن نقول بأنّ مُريدي هذه النظريّة من العرب هم: محمود السّعران وتَمَام حَسَن وكمال بشر، بما رأوه في النظريّة من أصالتها التي يمكن أن تنطبق على العربيّة في تفسير القرآن الكريم وفي المتون القديمة، رغم أنّها تختلف عن تلك الآراء في المنهج والمصطلحات والأفكار.

10. المدارس اللغوية الحديثة: هي كثيرة، ويمكن أن نشير باقتضاب إلى: التداوليّة: حيث يرى التداوليون بأنّ (تشومسكي) قلّص من حجم اللغة الحقيقي، ومن فاعليتها، ولم يراع في دراستها سوى القواعد الشكلية التي تربط بين

العلامات، ومن ثمّ ترك فراغًا كان ينبغي دراسته، ومن هذا المنطلق نظر التّداوليون إلى اللّغة من حيث هي خطاب مُنجز في زمن ومكان مُعيّنين محسوسين، فاهتمّت بالسيّاق والظّروف المُحيطة بالمتكلّم والكلام والغاية المُتوخّاة منه والقصد والغايات التي يحملها الخطاب. ويمكن أن نربط هذا بتصوّر الباحثة (أوركبوني/ Orecchioni) في استخلاص العمليات التي تُمكن الكلام من التّجذّر في إطاره الذي يتشكّل من: مرسل+ متلقٍ+ وضعيّة تليغيّة.

إنّ التّداول تواصل والتّواصل تفاعل، والتّفاعل مُرسل ورسالة ومتلقٍ، وضمّن هذا هناك لسان مثاليّ يُسمَع، وأذن تُسجّل، ورسالة شفاهيّة تُنقل، وحوار يُتداول ومُدونة تُنجز في مكتوب مُتداول يعمل على تنمية المهارات. ولا يتحقّق كلّ هذا التّفاعل إلّا ضمّن تكامل المهارات التي نطمح أن نُحقّقها المدرسة، وتُرسّخها المُمارسة السليمة، وتتداولها الأقلامُ الرّاقية، وتنقلها الآدابُ الرّفيعة، وتنشرها الوسائلُ العالِيّة. وأراني في هذا المقام بأنّ التّداوليّة مليئة بخطابات كثيرات، وتستلزم وجود المتخاطبين، وما يحيط بهم من النّظم الاجتماعيّة التي تتمّ فيها العلاقات التّواصلية ذات العلاقة بعلم اللّغة الاجتماعيّ وجوانب علم الدّلالة، وعلم اللّغة النّفسيّ، وتحليل الخطاب، وأثر السيّاق في اختيار السّمات اللّغويّة وتنوّعاتها، وكلّها تُحيلنا إلى مرجعيّة كُنّا درسناها في بلاغتنا تحت (مقتضى الحال) التي أنتجت (لكلّ مقام مقال).

11. المدرسة اللّسانيّة العربيّة: إنّ علم اللّسان بصقّة عامّة علّم يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة موضوعيّة علميّة، ويقوم على الوصف ومُعابنة الأحداث اللّغويّة؛ للكشف عن خصائص اللّغة، وعن القوانين اللّغوية التي تسير عليها ظواهرها الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدلاليّة والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الأحداث من ظواهر مُتعلّقة بالمُجتمع والبيئة الجغرافيّة.

ونشأ البحث اللّسانيّ عند العرب أوائل القرن الأوّل الهجري، عن طريق تلك الأبحاث اللّغويّة في فقه اللّغة والمعاجم المُنجزّة من قبل (أبو عمرو بن العلاء+ الخليل بن أحمد+ عمر بن قنبر (سيبويه)+ عمرو بن بحر الجاحظ+ ابن السّراج+

أبو علي الفارسي+ ابن جَيّ+ عبد القاهر الجرجاني+ السّكاكي+ الرّمخشري+ الطّبرسي+ البطليوسي+ الرّضي الاستراباضي... ثمّ جاء جيل آخر من اللّسانيين المعاصرين الذين أضافوا أشياء كثيرة للسانيات العربيّة، على غرار: محمود السّعران+ رمضان عبد التّواب+ تمام حسّان+ كمال بشر+ عبد الرّحمن أيوب+ عبده الرّاجحي+ سعيد بحيري+ عبد الصّبور شاهين+ مُنذر عياشي+ أحمد مُختار عمّر+ عبد الرّحمن الحاج صالح+ الفاسي الفهري+ أحمد المتوكّل+ محمود فهبي حجازي+ نهاد المُوّسى+ سمير أستيتيّة+ سعيد الملحّ+ حسن خميس+ سعد عبد العزيز مصلوح+ مُصطفى غلفان+ إسماعيلي العلوي+ مُحمّد العلوي+ أبو بكر العزّاي+ مُحمّد أحمد قدّور+ عبد الرّحمن بودرع+ الطّاهر زناد... هؤلاء وغيرهم نظّروا ونظّروا لقضايا اللّغة العربيّة في مرحلة التّهيئة اللّغويّة وفي مرحلة التّطوير، وأمدّوا العربيّة بمبادئ مُستنبطة من مُداول كلام العرب، مع ما أعملوا من عقل منطقيّ في القياس والبحث عن العلّة واستصحاب الحال.

لقد بحثوا في علوم اللّسان العربيّ في أوّل الأمر بمنظور اللّسان القوميّ المُرتبط بالدّين، ووضعوا قوانين تُحافظ على اللّغة العربيّة، وهي وعاء الدّين الإسلاميّ، وما لا يُفهم به الواجب فهو واجبٌ. ولقد اتّسمت الدّراسات الأولى بالعمق من خلال المُجاري الكلاميّة التي تحدّدت فيها أنماط اللّغة ومُصطلحات فقه اللّغة، والتّراتبيّة النّحويّة، وتلك الأسس والفروع التي توزّع اللّغة إلى أنماط وأضرب وبيانات. ومن ثمّ توالى الأبحاث في تلك الظّواهر المُعالجة عبر قرون التّقعيد، مُرورًا بالعصور المعروفة: الأمويّ+ العباسيّ+ الدّويلات+ الحديث.

وفي العصر الحديث ظهرت اللّسانيات العربيّة بمُحاكاة اللّسانيات الغربيّة، من دراسات تهتمّ باللّسانيات العامّة/ الخاصّة ودراسة اللّغات البشريّة، وظواهر الاحتكاك اللّغويّ، والمعياريّة، والدّراسات الحاسوبيّة... كما ظهرت دراسات فرعيّة في الوظائف والعلاقات اللّغويّة والتّعليميات، ومُعالجة النّصوص، والتّرجمة، والحوسبة اللّغويّة، إلى جانب تلك الفروع التي عرفت اللّسانيات العربيّة قياسًا باللّسانيات الغربيّة.

والمهم في الأمر أنّ مؤلّفاتٍ لسانيةً كثيرةً تراثيةً عالجت العربيةً علاجًا منطقيًا وعلميًّا، وتوصّلت إلى استنباطات قواعديّة؛ وهي عبارة عن مدارس لسانيةً عربيّة بما لها من قوانين: الاتّساق + الشّمول + المریدون + الامتداد في الزّمان والمكان + قبول التّكيّف. ويجب أن نعلم بأنّ تأسيس مدرسة لسانيةً عربيّة تتطلّب الإطار الفكريّ الجامع لأصحاب المدرسة، وتحمل ملامح التّأسيس والاستمراريّة، بما تحمله من ركام معرفيٍّ يخصّ: المؤلّفات والأبحاث، وما يُعقد من ندوات ومُناظرات، وما يُؤسّس من مجلات ومُنتديات ونوادي ومواقع... لتبليغ الفكر المتصوّر.

ولهذا لا بدّ من معايير علميّة تعتمدها المدارس اللّسانية القديمة أو المعاصرة في دراسة علميّة اللّغات، بالنظر إلى أساليب التّداول ومُعالجة الجوانب البلاغيّة الخفيّة والظّاهرة. وما ينتج عن هذا من مُختلف الدّراسات ذات العلاقة بفقهِ اللّغة، والأسلوبية، والنّقد الأدبيّ، والخطاب... كما يتجسّد انفتاح اللّسانيات على مُختلف العلوم في أثر اللّسانيات كعلم له صلة وثيقة بمُختلف التّخصّصات، وتتلخّص هذا الصلّة في إفادة علم اللّغة من الوثائق التّاريخيّة التي تكشف نموّ اللّغة وتطوّراتها وما يُسهم في بناء تصوّر مُتكامل لها.

لقد بنت اللّسانيات العربيّة جسور التّواصل والحوار بين التّراث والحداثّة الغربيّة، وعملت على إيجاد قنوات التّواصل لتأسيس معالم الحوار اللّسانيّ من خلال التّرجمة وتبادل المعارف عبر اللقاءات الحوارية بمُصطلح الأخذ والعطاء للتّعايش ومُلاحقة المُستجدّات. وهذا لا يُمْنع الحديث عن الاستفادة بين التّراث والحداثّة، ويمكن أن نتحدّث في البداية عن حدود الاتّصال بين النّحو العربيّ والتّماذج اللّسانية المعاصرة، بمُراعاة المُفارقة والانفصال بين اللّغويات العربيّة القديمة واللّسانيات الحديثة.

وإنّ اللّسانيات التّراثيّة يتعلّق الحديث عنها عن لسانيات تكامليةً بين فقهِ اللّغة والنّحو العربيّ واللّسانيات المعاصرة التي تتخذ التّراث اللّغويّ العربيّ القديم موضوعاً لدراسته، والعمل على قراءته بمنهج وغايات اللّسانيات، وإخراج ذلك في قراءة تعيد له القيمة الحضاريّة للسانيات التّراث بمُتوافقات البنيويّة/ حلقة براغ/

التوليدية... بغية اكتشاف مواطن الائتلاف والاختلاف، وما هو المنهج الذي يعمل على عقد هذا القران من خلال دراسات (ميشال زكريا+ عبد السلام المسدي+ الحاج صالح+ مازن الوعر+ الفاسي الفهري+ مصطفى غلفان+ أحمد المتوكل...) وهؤلاء سبق أن أجرؤا دراسات مقارنة بين لسانيات التراث واللسانيات المعاصرة، وهم الذين يبينون لنا ما لنا وما ليس لنا، ويميطون اللثام عن وجود/ لا وجود للمدرسة التراثية العربية.

كما يمكن أن يبينوا لنا السبق التاريخي والحضاري لتراثنا اللغوي الذي أصبح مشربا للدراسات الغربية بعد تفكيك بعض آلياته. وما لا يمكن نكرانه أن مكانة اللسانيات العربية الحديثة تعود إلى التراث اللغوي العربي؛ فقد كانت بحوث فقهاء اللغة الأساس الذي بنى عليه المعاصرون - من العرب وغير العرب -، مستحدثاتهم في مختلف الدراسات اللغوية، والفضل لمن شق الطريق الشاق. ولهذا نحتاج إلى قراءة شمولية لقضايا تراثنا، وإلى قراءة قطاعية في مجالات النحو والصرف والمعجم؛ وهي مستويات تشكل نظرية محددة المعالم وتقوم على منهج خاص بها. وهذا ما يبرز مستوى تراثنا اللساني العربي المتماهي في التاريخ والعلمية والمنهج الصارم والمسائر للمناهج الحديثة في اللسانيات الغربية.

. الوصفيون والنحو العربي: بدأت الإرهاصات الأولى لظهور علم اللغة الوصفي، بعدما عرفت أفكار (سوسير) انتشارا واسعا في أوروبا، وكان متركزهم نقد المنهج التاريخي، ودراسة اللغة على أساس "شكلي/ صوري، ينظر إلى الصور اللفظية المختلفة التي تعرضها لغة من اللغات، ثم يصنفها على أسس معينة ثم يصف العلاقات الناشئة بين الكلمات في الجملة وصفا موضوعيا". ولقد سار المنهج الوصفي سيرا قويا في أفكار اللسانيين العرب، وبدؤوا تطبيقه على العربية على غرار فعل (محمود السمران+ إبراهيم أنيس) اللذين ألفا كتابا للتعريف باللسانيات الوصفية، وحذا حذوهما الكثير من الباحثين في ميدان علم اللسان.

12. البحث اللساني الأصالة والحداثة: سبق أن ألقينا بحثًا في هذا المجال * وقد قلنا فيه بأن الدراسات الحديثة كشفت بأن البحث اللساني العربي عرف قاعدة تأسيس أصيلة مبنية على مجاري كلام العرب في مسالك القول في النحو والفقه والمصطلحات، ونشأت أبحاث مُشتركة على شكل (كتاب/ كتب... تجمع علوم اللغة العربيّة؛ عمادها التّفصّح في بنية القول مُجاراة بالوضع الشّعريّ الذي كان السّمة الغالبة في سوق العربيّة التي اعتلت فنون القول من خلال الأسواق والتّفاخر بأجود الكلام أيام الحروب وفي الانتصارات والإغارات.

وكان البحث اللسانيّ في مبدئه يدور في ما يحسُن السّكوت عنه، وما لا يُقال؛ من مثل البحث الخالص في النّحو الحامل لكلام العرب بما فيه من: قراءات وأصوات ونحو وبلاغة. وهذا ضمن خطابٍ لغويّ بحث في مفاهيم تخصّ دلالات الكلام والمقام، والسّياق، وما له علاقة بعلم النّحو في الرّفح والنّصب والجزّ والجزم. وكان كلّ هذا ظاهرًا في الكتاب لسيبويه، ويظهر ذلك في باب حُسْن الاستقامة من الكلام والإحالة: مُستقيم حسن: أتيتك أمس. المُحال: أتيتك غدًا. المُستقيم الكذب: حملتُ الجبال. المُستقيم القبيح: قد زيدًا رأيت. المُحال الكذب: سوف أشربُ ماء البحر.

ونجد أنّ مجاري الكلام هنا قامت على أساس التّأليف والتّركيب، وبناء المعنى وصدّق ما ورد فيه. ولقد استخدم (سيبويه) مُصطلح الجملة أوسع من الجملة ذاتها، وقائل مُصطلح الكلام الذي يقترب إلى مفهوم الخطاب، كما نستنتج "أنّ سيبويه يريد ضمّ مفهوم الكلام بضمّ بعض الكلمات بطريقة خاصّة وصولاً إلى المعاني النّحويّة، مع مُراعاة السّياق الكلاميّ دون الفصل بين المعاني النّحويّة والبلاغيّة، فهو إذن لا يعتني بالنّحو فحسب أو يعزله، أو يجعله مستقلاً عن الظّاهرة الاجتماعيّة وأغراض المتكلم، ومقام السّامع والوسائل الموصلة للكلام بل يجعل كلّ ذلك كلاً متكاملًا متناسقًا، مازجًا بين الباتّ والمتلقي، من خلال القناة

*- البحث اللسانيّ العربيّ بين الأصالة والحداثة، جامعة (عبد الحميد بن باديس) مُستغانم،

بتاريخ: 26 جوان 2021م.

والفهم، والسِّيَاق". وتواصل هذا البحث عند (ابن جني) عند حديثه عن اللّغة "أصوات يُعبّر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وهي اجتماعيّة اصطلاحيّة فكرية... وفي كلّ هذا كانت اللّغة عنده تحمل شجاعة عندما تحدّث عن أنّ العرب تعتنى بنظم ألفاظها وترتيبها، لأنّ ذلك هو طريقها لإظهار أغراضها، ومعانيها، وما الألفاظ إلّا خدمة للمعاني، وهذا باب من أشرف فصول العربيّة وأكرمها وأعلاها وأنزهها، وإذا تأملته وعرفت منه وبه ما يؤنقك ويذهب في الاستحسان له كلّ مذهب، وذلك أنّ العرب كما تعتنى بالألفاظ فتصلحها وتهذبها وتراعمها وتلحظ أحكامها بالشّعرتارة، والخطب تارة أخرى وبالأسجاع التي تلتزمها وتتكلّف استمرارها، فإنّ المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخر قدرا في نفوسها" وينظر (عبد القاهر الجرجاني) إلى شموليّة النّحو فيجعل العامل مُرتبطاً بالمعمول، وأنّ النّحو أوجدَ للعمليات التّواصلية، وهذا وفق منطوق اللّغة القائم على غرض المتكلّم ومقصوده.

ومن كلّ هذا نراه ينطلق من أساس اللّغة وهو النّحو المنسجم مع مقصد التّأليف الكلامي الذي يراعي عنده الدّلالة والسّيَاق الكلامي، وإقامته على النّظم، وعلى المعاني، وذلك أنّ فهم العبارة لا يكون إلّا بفهم أبعادها الدّلالية وموقفها الاتّصالي الذي تتمّ فيه عبر الأصوات اللغويّة، ومدار المتلقين أساسه التّفاعل بين التّراكيب. ونجد توالي البحث اللّسانيّ يعرف مُصطلحات متعلّقة بالنّحو على يد (الزّمخشري 538 هـ) و(ابن يعيش 643 هـ) و(ابن أجيروم 989 هـ) ويأخذ النّحو بعد القول المفيد بالوضع، وما دلّ على معنى يحسّن السّكوت عليه.

وهذا البحث كلّه كان يتماهى مع الأصوليين الذين تحدّثوا عن الخطاب الذي يحمل دلالة تحيل على البروز والظهور، وتستبعد التّأويل، حفاظاً على أدلّة الأحكام في القرآن والحديث. وبالفعل لقد وضع العرب القدامى بعض أسس البحث اللّسانيّ التّراثي بما لهم من مفاهيم اصطلاحية متقاربة، فقد ماثلوا به مصطلح الكلمة والكلام، كما توجد إشارات مصطلحيّة أخرى تبيّن هذا الدّال.

هناك مقولة مفادها "إنّ العلوم تتطوّر على اختلاف أنواعها ومباحثها، وفق جهتين: جهة التّراكم، وجهة القطيعة، فعلى صعيد التّراكم يكون عبر منتوج

الحاضر الذي يُضاف إلى مجهودات المتقدّم؛ مع بقاء مجال الرؤية مُوحّداً مُستمرّاً على ذات الوتيرة نفسها، وأما على جبهة القطيعة تكون حركيّة علم من العلوم مبنيةً على الاتّصال والانفصال في آن واحد، فبقدر ما يمعن المتأخّرون في تغيير مسارات البحث ووسائله النظريّة والمنهجية، بقدر ما يدفعون بالعلم أشواطاً إلى الأمام، أو يبتنون نفساً جديداً، غير أنّ الأهمّ في كلّ ذلك هي لحظة وقوع الاتّصال وحدث الانفصال.

إنّها نقطة انعطاف وتوقّف يستدير فيها العقل إلى الوراء لمُعابنة الصّرح المعرفي الذي سيّده، ويحاول تقويمه وتقييمه؛ تحسُّباً لمواصلة المسيرة، عبر طرح آفاق علمية استشرافية جديدة. ومن خلال هذا نعلم أنّ المنجز اللسانيّ العربيّ ركّامٌ معرفيٌّ كبيرٌ وضخمٌ عاش لحظات الذات العارفة لمعرفةً معيّنة مُعابنة ومُحلّلة وناقدة، وكانت بعضها محاولة لقراءة الخطاب المعرفيّ اللسانيّ من خلال أدوات قرائية تصطنعها لنفسها، فتتظر بذلك إلى مُنجزها عبر محطّات زمنيّة مُتعاقبة، ووفق رؤى ليست بالضرّورة مُتجانسة". ومن كلّ هذا فقد عرف الخطاب اللسانيّ *Le discours Linguistique* بأنّه خطاب علميّ واصف، جمع بين التّقرير والتّفسير، في رؤى مُنفصلة أحياناً، ومتشابكة أحياناً أخرى، بما يحمل من تعددية الأنماط؛ حيث تأخذ موضوع اللّغة مادة/ موضوعاً بغرض بحثها وفق مُعطيات منهجية مُحدّدة.

وعليّنا أن نقرّ بوجود بحث لسانيّ عربيّ زرع في تربة عربيّة بصقّة عامّة وهذه التّربة أعطت له خصوصيةً للنُّمو؛ ضمن أرضية معرفية ومراجعيات فكرية ولغة شرقية. وكان هذا البحث يحمل نمطاً لسانيّاً أصيلاً/ أثيلاً، أفرزته الرؤى البحثية المُتقاربة المُتمثّلة في مقولات القدامى في شتى ضروب المعرفة. وكان هذا البحث اللسانيّ مؤسساً على ثقافة حمل الفرع على الأصل؛ بتناول الظّاهرة اللّغوية من خلال النّظر في قضايا لسانية تراثية؛ بإسقاط المرحلة الحضارية الإسلامية العربيّة إبان عهدها الزّاهية من تاريخ البحث اللسانيّ البشريّ عبر امتداده الزّمنيّ من

عصر التّدوين إلى مَرحلة دول الإمارات، وفيه ظهرت أشهر الكتابات اللّسانيّة بمفهومها التّأصيلي.

13. البحث اللّسانيّ العربيّ المعاصر وخلاف الرّؤية: مع تقدّم الأبحاث اللّسانيّة المعاصرة في الوطن العربيّ ظهرت أفكار متباينة تجاه البحث اللّسانيّ التّراثيّ؛ فمن مُؤيّد للقديم، ومن مُمارس للقطيعة، ومن مُتنصّل لكلّ أشكال البحث اللّسانيّ التّراثيّ العربيّ، ومن يحمل مُبوّلاً توافقيةً. ومن هنا يمكن تسليط بعض الضّوء على كلّ البحوث اللّسانيّة التي تحمل هذه الرّؤى المختلفة ضمن التّماهي مع الماضي فقط، وهذا يشكّل عائقًا أمام التّقدّم، وتعيش العربيّة القهقري، كما أنّ مُمارسة القطيعة مع التّراث/ المنجز يُعتبر حديثًا تنكّرًا للمُنجز، ويبقى أنّ أصحاب الميول التّوافقية عملوا على التّخفيف من حدّة الخلاف الذي وصل في بعض البحوث إلى ميزان التّطرّف. على أنّ إعادة قراءة الفكر اللّغويّ القديم على ضوء المباحث اللّسانيّة المعاصرة ضروريّة، وكلّ بحث تقريبيّ/ توفيقيّ، يزيد من متن البحث اللّسانيّ العربيّ.

وهذا ما يثبت صلاحية تراثنا في الماضي والحاضر وأنّ القراءات/ الأبحاث المتنوّعة تجعل الحضارة العربيّة الإسلاميّة "تقوم على مبدأ اللّشوء والتّولّد ويتناسل الموروث عبر الزّمن؛ فتتولّد من الموجود الواحد كائنات مُتعدّدة على قدر ما تتولّد من النّص نصوص تلو النّصوص". وأنّ بعض الأبحاث التّراثيّة مطابقة للدرس اللّسانيّ الحديث لا يعود لخصائص تمسّ هذا الصّنف من البحوث، بل لما وقّرتَه التّقانة من آلات يسهّرت عمل الباحث اللّسانيّ المعاصر، ليس إلّا.

وهنا ظهرت خطابات عربيّة مُتعدّدة، تحمل أنماطًا ونماذج مُتعدّدة، وهذا التّعدّد يعكس تعدّد المرجعيّات/ الخلفيات التي تضبط وتحدّد هذا النّمودج من الكتابة اللّسانيّة أو ذاك. وسوف أعرّض المفاهيم الكبرى التي قامت عليها البحوث اللّسانيّة المعاصرة؛ بين: الخطاب اللّسانيّ التّراثيّ (القرائيّ الشّارح)+ الخطاب اللّسانيّ المُتخصّص (التّوليديّ التّحويليّ/ الوظيفيّ)+ الخطاب اللّسانيّ التّقديّ.

واعتمدت هذه الخطابات مناهج مختلفة تتوزع بين: المنهج التعلّيميّ+ المنهج القرآنيّ+ المنهج النقديّ. وهي التي شكّلت أنماط الخطابات اللسانيّة التي أدت إلى ظهور مؤلّفات متباينة على غرار: مباحث تأسيسيّة في اللسانيّات لعبد السلام المسديّ/ مبادئ في اللسانيّات لخولة طالب الإبراهيميّ/ مدخل إلى لسانيات سوسير لمبارك حنون، هذا في بلاد المغرب، دون الحديث عن البلاد العربيّة التي عرفت خريطة البحث اللسانيّ نصوصًا من الثقافة العلميّة الموروثة، ونصوصًا من التّصوّر القبليّ لمنشأ الخطاب التعلّيميّ/ التّبسيطيّ... وهذا ما خلق بؤرة أخرى في ضعف الجهد المبذول في مجال التّرجمة اللسانيّة.

14. مُرتكزات البحوث اللسانيّة الحديثة: عرفت البحوث اللسانيّة اجتهادات في ذات العربيّة، كما تماهت بعض البحوث اللسانيّة في خارج العربيّة، وأسفر العمل على أنّ مضامين البحوث تدور في التّعريف باللّسانيّات من منظور مُغاير لمنظور الكتابة اللسانيّة التّأسيسيّة/ التّعليميّة+ التّعريف بموضوع اللّسانيّات وهي اللّغة+ تناول الظّاهرة اللّغويّة من قبل بيانات معرفيّة تراثيّة مختلفة+ الإشارة إلى احتواء التّراث على بعض التّخصّصات اللّسانيّة المعروفة.

ويمكن القول بأنّ هذا البحث/ النّشاط اللّسانيّ جيّد بما يحمله من أنماط الخطابات اللّسانيّة والأنساق المعرفيّة الحاملة للاستعراض، ونقد الأسس النّظريّة والمنهجية لبعض البحوث اللّسانيّة، واستشراف الأبعاد الجديدة للسانيات العربيّة. وهذا تأثّر بمنهج الغرب من (تمام حسان) و(كمال بشر) إلى (أحمد المتوكّل) و(الفاسي الفهري) و(مازن الوعر) و(ظهور المتابعات الغربيّة في أفكار (فرانز بوب/ Franz Bopp) في نظام التّصريف في اللّغة السّندسكربتية - المرتبطة بالنّزعة السلوكيّة مقارنة مع اللغات الإغريقيّة واللاتينيّة والفارسيّة والجرمانيّة، إضافة إلى بحوث كلّ من: (الإخوان شليجل: فريدريش+ فيلهلم / Schlegel: Friedrich Wilhelm) و(الأخوان غريم: چاكوب+ فيلهلم / The Brothers Grimm) و(فالتر شليغر/ Walter Schlegel) وأبحاث التّحو المقارن، ودراسات النّحاة الجدد، ثمّ ما أتى به العالم (سوسير) من معالم اللّسانيات البنيويّة، والتّفريق بين الدّراسات

الدياكرونية والتعاقبية، واللغة والكلام والقول... وفي ذلك المخاض جاء التسليم بالمرجعية الغربية في كثير من الأحوال وإن كان هذا مقبولاً؛ لأنّ اللسانيات التاريخية سبق ظهورها لدى العرب، إلا أنّهم لم يؤلّوها ما كان عند الأوربيين ولهذا أخذت المفهوم العلمي لدى الغرب، فتماهى الباحثون العرب معها بما لها من مرجعيات تتأسس على حدّ قولهم على منطلق اللغة.

وفي هذا الزخم التحليلي اللساني تظهر اجتهادات التحليل التوزيعي (بلومفيلد) و(هاريس) ونجد (ريمون طحان) يميل لهذا التجريد في منطلق دلالة الكلمة في العربية في مفهوم الأصولية والجملة. وكان عماد التماهي مع المدرسة التوليدية التحويلية وهي امتداد لجهود (بلومفيلد) و(وليام توري هاريس/ William Torrey Haris) رغم أنّ لها الكثير من الظواهر التي تسجّل لصالحها من حيث تخطّتها للدراسة السطحية التي تنتهجها اللسانيات البنوية، ولا تأخذ مبدأ التأويل في حسابها، حيث تعالج عمليات التّكلم ومكانيزماتها التي تظهر في الاستعمال المبدع للغة.

وهذه الأمور عبارة عن مُرتكزات في البحث اللساني العربي المعاصر، والذي لا ننكر أنّ بعضاً من التماهي مع اللسانيات الغربية عند بعض الباحثين العرب قد حصل، وبعضهم استطاع فهم النظريات الغربية، وعمل على نقدها واكتشف قوائمها، وبدأ في التقابل بينها وبين اللسانيات العربية، ووضّع ترسيمات توضّح أصالة الدرس اللساني العربي، ونماذج عربية ظهرت في الفرنسية وفي اللغة الإسبانية وكثير من اللهجات الأوربية، كما ظهر الأخذ والعطاء بين نظرية النظم (للجرجاني) وتوليدية (تشومسكي) وأفكار تحليل الخطاب في البلاغة العربية...

وقد تجسّدت الكثير من معالم التلاقي اللساني في فكر (الفاصي الفهري) من خلال حديثه عن الأدوات اللسانية الكفيلة بخدمة العربية في مشروع اللغة والهوية، وتمكين اللغة العربية، وتوطين المعرفة اللسانية. وهو مشروع يعيده صاحبه إلى تأسيس نظرة لسانية مُجدّدة، وقائمة على التزامات إستمولوجية للنحو التوليدي، ولكنّها قائمة في النحو العربي. ويدعو إلى الفصل بين اللغة العربية

قديمة أو حالية، وبين مفاهيم النّحاة وأوصافهم، وهذا مُعطى يُرخص لنا إعادة النّظر في أوصاف النّحاة وأنّ المُعطيات التي نجدها عندهم ناقصة وغير ذات تمثيليّ؛ فضلاً عن كون كثير منها زائفة، وهناك حاجة مُعاصرة تدعو إلى بناء أنحاء جديدة.

وهذا خطاب لسانيّ مُعاصر يقوّي العمل في تكريس تقاليد علميّة قائمة على المُراكمَة والتّجاوز وفي مأسسة البحث العلميّ، ونقله من الخاصّ إلى العامّ المُشترك المُنضبط وعدم الركون إلى المعرفة السّطحيّة والمُبتذلة. ونفس الأفكار نجدها عند (الحاج صالح) في النّظريّة الخليليّة الحديثة، وهي قائمة على تنظير لا تطبيق. وكلا الباحثين فشلا في إيجاد المّتن اللغويّ، ولم ينقلا أفكارهما إلى المُورِدين، ولم يصلا إلى بناء نظريّة مُتسقة لها صفة الشّمول والامتداد في الرّمان والمكان.

ونأسف كلّ الأسف أنّ الرّكام المعرفيّ اللّسانيّ العربيّ لم يصل إلى بلورة نظريّة لسانيّة لها صفات النّظريات المعروفة وهي: النّسق العامّ + البنية الفكرية + وجود المُورِدين + البعد الرّمانيّ + البعد المكانيّ + قابليّة التّكيّف، ولهذا لا يزال البحث اللّسانيّ العربيّ شبه تابع للمدارس الغربيّة من مثل: السّوسوريّة/ التّشومسكيّة/ المارتينيّة/ التّوزيعيّة/ الشّكليّة.

وأيّن مقام الدّرس اللغويّ العربيّ المُعاصر من الفكر العربيّ القديم والحديث الذي لم يستطع تأسيس نظريّة تطبيقية تتناسب والدّرس العربيّ في قِدَمه وفي تطوّره، وكيف يمكن للعربيّة أن تعيش المُعاصرة مع آليات البحوث المُرتبطة باللّسانيّات الحاسوبية، وهذا ما جعل علماء العرب لم يفلحوا في خلق البنيات الوظيفيّة من خلال العربيّة بما فيها من نسق/ خطاب ذاتيّ، وبما له من مُرونة التّعامل العلميّ مع كلّ اللّغات الطّبيعيّة.

وأيّن الخلل؟ نحتاج إلى رجل لسانيّ فقيه؛ يعرف خصائص العربيّة، ويربط بين ذلك ببنيات الحدائث التي تنقل وعي اللّغة العربيّة للتّكيّف مع آليات اللّغات في مَنَوتجها الحضاريّ المُعاصر في بناء أنماط/ أنساق لغويّة توضع الآن في التّعريف على نمطيات الحرف العربيّ كما تعمل على قراءته وفق خريطة النّحو العالميّ،

ووفق بنيات اللغات في ما يجمَعُها من منطوق، وهذا ما يجعل قراءة العربية سهلة مُتوافقة مع الذكاء الصنّاعي الذي يتعامل مع التّمدجات العالميّة، وليس الأمر بالصّعب، بل نحتاج إلى وصف جديد مُستعمل العربية في حدودها الوظيفيّة فقط، كما نحتاج إلى مسيرة مُتواصلة لفرق البحوث التي تجتهد في أعمالها تحت مَشِيخة لغويّة عمادها الصّبر والاجتهاد، وتوزيع المهام والتّنسيق بين الفرق؛ ليحصل التّكامل في العربية في خصائصها ومُشتركها، ولا بدّ من تحرّك المؤسّسات العامّلة على رُفد العربية لبناء مُحتواها الرّقميّ، والتّعامل بينها وبين اللّغات التي تكتب بحروفها للعودة من جديد إلى عولمة جديدة في مسيرة الحضارة الشّرقية، وإلى مسيرة الجيل السّالف، وهي عربيّة أفريقيّا بامتياز.

ومن خلال هذا يجب أن نعرف بأنّ البحث اللّسانيّ العربيّ المُعاصر له ارتكاسات جعلته ينقل دون وعي في بعض النّقول، وبعض البحوث تُترجم دون تكييف لما يتناسب وخصائص العربية، كما نجد طغيان لسانيات (سوسير) رغم ما فيها من البنيات المُغلقة التي لا تصلح إلّا في فترة مُعيّنة؛ من مثل اهتمامه بدراسة اللّغة كبنية مُغلقة في ذاتها ومن أجل ذاتها، بمعنى الدّراسة العلميّة، وهذا ما جعله يغفل مَفهوم الخطاب، باعتبار أنّ الكلام هو المُمارسة الفعلية للقواعد والعلامات اللّسانية، أو هو الجانب الإبداعيّ الفرديّ من اللّغة، وهو مُرتبط بالذات المُتكلمة، وهكذا يأتي الكلام في المرتبة الثّانية بعد اللّغة.

ومع كلّ ذلك فإنّ أتباعه الوظيفيين لهم مكانة جيّدة في البحوث اللّسانية، وهم الذين أرسوا حلقة پراگ ونشیر إلى أعمال (تروپوتسکوي) و(مارتيني) و(چاکوبسون)... ومن سار على هذا التّهج مثل (دانس) و(بوفودا) و(فیرباس) و(سکال)... وغيرهم الذين عرفوا بوجهتهم الوظيفية للجُملة، وأكّدوا مفهومًا مركزيًا يتمثّل في ما أسَمَوْهُ بديناميكية التّواصل.

15. البحث اللّسانيّ العربيّ وأزمة الخطاب اللّسانيّ العربيّ: على الرّغم من كثرة الدّراسات اللّسانية والتي تناولت مسألة البحث اللّسانيّ العربيّ، إلّا أنّه لا تزال أوضاع أخرى تحتاج إلى بحوث قد تعمل على حلحلة الموضوع، وتكشف

بعض الغموض، كما يقتضي البحث العودة الى مجمل آراء القدماء، ثمّ بعد ذلك الى مجمل آراء المُحدثين. ثمّ الانتقال الى محاولة كشف جوانب من غموض البحث اللسانيّ العربيّ، وُصولًا إلى حلّ الإشكال الفكريّ والشّلل الإپستيمولوجي اللذين يكشفان مسيرة التطوّر العلميّ اللسانيّ.

وفي هذا الوقت نحتاج إلى تديير الاختلاف بين الخطاب اللغويّ العربيّ القديم والخطاب اللسانيّ الحديث، وهذا من مُتطلّبات التّهوض العربيّ المعاصر الذي يجمع بين التّراثيين والحداثيين والتّوافقيين. ولا بدّ أن نسير ضمن منحى التّواصل مع الماضي بمُعطيات الحاضر، لا البقاء في دائرة (كان أبي فقط) وإلاّ (الخروج من بيت أبي) باعتباره هو الحلّ. ونحتاج إلى قراءة شموليّة وقطاعيّة، وإلى النّمودج الواحد؛ بغية استكمال البحث اللسانيّ التّراثيّ القائم على الأصالة لا على النسخ، ويحمل صفات الإبداع التي تتناول كلّ مستويات اللّغة العربيّة في معناها وفي مبناها كما هي لغة لها بنية وشجرة ولغة قديمة قدمي؛ قائمة على بنيات عقلية طبيعية.

وأنّ الأوان أن ننقل البحث اللسانيّ إلى بحث لغويّ وظيفيّ لسانيّ لتجسيد قيمة معرفيّة للتّراث اللغويّ العربيّ وللنظريات اللسانية الحديثة في الوقت نفسه، حسب ما يدعو إليها (أحمد المتوكّل) ولا بدّ من إيلاء الأهميّة للسانيات الوظيفيّة رغم أصولها البراكيّة، ولكن المعرفة لا حدود لها حتى نستكمل آليات البحث اللسانيّ العربيّ، ومن ثمّ يقع العول على لغتنا عندما تنتج العلم والمعرفة بشكل تراكميّ كبير.

وندعو الطّالب أن يعتمد قراءة جديدة تصل حاضره بترائه الفكريّ والعلميّ ليضع رجلًا في الأصالة، وأخرى في الحداثة، وأن يكون له منهج القراءة المعرفيّة التي تُخرج التّراث اللغويّ من جديد إلى حيّز الوجود الثقافيّ المعاصر. وهي دعوة للباحثين أن يعيدوا صياغة مسائل التّراث وموآده وظواهره وفُق الإشكالات المعرفيّة الحديثة؛ ليسهل إدراكه، وإلماطة الحواجز التي تراكمت عبر السنين. وإنّ

الطَّالِبِ الجامعيِّ مُطالب أن يأخذ مكانته العلميَّة في الجامعة، وفي المراكز العلميَّة، وأن يكونَ عمادَ الغدِّ وأساسَ البناء.

وإنَّ الأُمَّةَ العربيَّةَ مُهدَّدة في أبنائها الذين يبيتون ساهرين في أمور تافهة تستهلك طاقتهم وأوقاتهم، وهم يحملون أجهزتهم الهاتفيَّة ولا تُمدِّهم إلَّا بسقط الصُّور، وعلى الطَّالِب أن يعود إلى فضاء العلم، ويجلس إلى مَجالس العلم للسماع والمُناظرة والتلقِّي والمناقشة، فتلك هي بذور رَجُل المُستقبل الصَّالح الذي يقود الأُمَّة لبرِّالأمان.

وتأكيدًا على ما سبق، فلا شكَّ أنَّ عاملَ المنطق اللُّغويَّ يسري على كلِّ اللُّغات الطَّبيعيَّة، وأثر التَّأثير قائم بعدة عوالم، ومنها أثر الغالب في لغة المَغلوب، وعامل التَّطوير اللُّغويَّ أشدَّ من عامل التَّرقية اللُّغويَّة، والسَّابق لُغته تُوثر في لغة اللاحق....

وما نجده من الآراء والاجتهادات في لغة من اللُّغات كان يمكن ألا يكون في لغة أخرى، على غرار قول (الحاج صالح) في التَّقطيع المُزدوج، فهو نزعة ساذجة، لا يمكن أن تُحلَّل بكيفيَّة مُرضيَّة وعلميَّة الكلمة العربيَّة، وحتى كثيرًا من الدَّوال في لغات عديدة كالإنكليزيَّة والألمانيَّة، إذ ليست كلُّ اللُّغات مبنية دوالها على انضمام قطعة إلى أخرى، فهناك وحدات دالة لا تقبل التَّقطيع. ثمَّ قضيَّة الأداء اللُّغويَّ الذي لا يشكُّل وظيفة صوتيَّة، فهي مسألة غير مُتوافقة مع كلِّ اللُّغات. فالغين في العربيَّة لا توافق الرِّاء مع الكثير من اللُّغات، وهذا مُمكن في الفرنسيَّة.

أضف إلى ذلك قياس لغة من أرومة مُعيَّنة بلغة لها أرومة مُخالفة. وما يطرح الآن بأنَّ نظريَّة (تشومسكي) لها أصولها في العربيَّة من خلال نظريَّة النِّظم، وإنَّه لم يثبت أن وَقَعَ الاتِّصال بين (تشومسكي) واللُّغة العربيَّة، حتى لو أخذنا بحثه في الماجستير حول (الصِّبغ الصِّرفيَّة في العبريَّة) باعتبارهما من أرومة واحدة، وأنَّ اليهود أخذوا الكثير من المعلومات عن المُسلمين أيام وجود المُسلمين في حاضرة الأندلس. ويمكن أن نقول بأنَّ الإدراك اللُّغويَّ والقدرة اللُّغويَّة صفات إنسانيَّة تكمن في النَّوع البشريِّ وليست مُكتسبة، وهذا يتَّفَق فيه (سيبويه) وغيره من

التّحاة العرب مع (تشومسكي) ويمكن أن يكون القاسم المُشترك من خلال نظريّة السّياق عند العرب وعند مدرسة (فيرث) لما للسّياق قد يقع اللّقاء في بعض الجوانب اللّغويّة، مع اختلاف في المنهج والمُصطلحات والأفكار.

ولكن ما نشهده اليوم من حرص اللّسانيين العرب في دفع الانفصال أو الانقطاع عن التّراث عبارة عن تحولات حديثة بمقولة الاتّصال والانسجام والمُصالحة بين المعارف والعلوم، ويجب رعاية هذا التّواصل، وهو نوع من التّفاعل الحضاريّ والتّجديد والتّحديث. ونُثمّن جهد باحثينا الأعلام في وجهات نظرهم في هذا التّحديث الضّروريّ والإلزامي لقيام اللّسانيات العربيّة، ولا مُشكلة إذا وقع اهتمامهم بمقولات النّظريات التي أثبتت نجاعتها في تطوير اللّغات الطّبيعيّة.

ولا بدّ في وقتنا الحاضر من اعتماد خطاب لسانيّ يحمل المقولات التّحويّة العربيّة، ويعمّل على تحيينها وفق آليات التّقانة المُعاصرة. وهذا ما يجب أن نُخطّط له تنظيرًا وتطبيقًا. كما لا يجب التّضييق على الخطاب اللّسانيّ العربيّ المُعاصر في إطار فقه اللّغة، ولا يجب أن يكون عائقًا أمام صياغة خطاب لسانيّ ذي معايير واضحة المعالم مُنسجمة مع مناهج البحث اللّساني الغربيّ؛ لأنّ التّراث اللّغويّ العربيّ بُني بإطار ثقافيّ ونظريّ غير الذي ينبغي أن تُبنى به اللّسانيات العربيّة الحديثة.

وندعو إلى إقامة جُسور الأخذ والعطاء بين تراثنا واللّسانيات المُعاصرة في إطار تقديم دراسات حديثة عمّل على تحيين تراثنا وتقويّته. ولا بدّ من ميل إلى حُسن الاستفادة من قدرة اللّسانيات، والعمّل على تقديم مَشروع القراءة الحديثة اللّسانيّة التي تستند على أسسٍ منهجيّة محدّدة من وصفيّة وتاريخيّة ومُقارنة ومُقابلة.

16. قضايا النّحو العربيّ في الرّاهن: وإنّ اللّسانيات العربيّة عمّل على تكييف قضايا النّحو العربيّ وفق خصائص النّحو العالميّ، وما يُطرح على المُجمعيين باعتبارهم المُشرّعين اللّغويين من قضايا مُعاصرة تتطلّب التّدخل المُستعجل، فلماذا نتعلّم الكثير من اللّغات في صورة نواصليّة مقبولة وفي أقلّ جهد ووقت، ولا

نتحكّم في العربيّة إلّا بعد سنوات وسنوات، ولماذا لا نُعالج عدم استعمال القّصيح من العربيّة، وتماهينا في الدّوارح، وكثرة الأخطاء في المكتوب وفي المسموع والاهتمام بالشّكل دون المضمّن، والاعتماد على فلسفة النّحو، لا على ربط المعنى بالمبنى، وغلبة الصّناعة الإعرابيّة. لماذا يقع النّفور من العربيّة بسبب النّحو ولماذا لا يقع مُسايرة الواقع اللّغويّ لمقتضيات التطّوير النّحويّ...

هي أسئلة الحاضر في قضايا اللّسانيات العربيّة، ولا يقع علاج مختلف هذه القضايا بالنّظر في أسبابها، في غياب منهج واضح، وطريقة تلقين للنّحو الضّمّنيّ، وضعف أداء المدرسة العربيّة والمؤسّسات المجمعيّة، وأنها لا تساير في التّشريع اللّغويّ واقع الاستعمال اللّغويّ، ولا تفرّق بين الثّابت والمُنظور والمُتطوّر، وما اتّفقت عليه الجماعة، وعدم التّراجع على المكتسبات النّحويّة، وعدم التّفريق بين اللّغة وضع واستعمال، وليست فرضاً وإيجاباً. لا نريد شُرطة للّغة العربيّة، ولا العودة إلى (قُلْ ولا تقل) بل (قُلْ ولا حرج عليك).

إنّ القضية الجوهر تكمن في النّحو، ولم نفهم الفرق بين الأصول والفروع وبين الثّابت في أصوله، وهو مُتغيّر في دلالاته. النّحو واحد، لكنّ المُتلّقين مُتغيّرون ثابت في قواعده العامّة لكنّه مُتدرّج ومُتغيّر في تبليغه للفطريين، ولغير الفطريين النّحو ثابت في قواعده العامّة لكنّه يخضع للتّشذيب والتّغيير. ومن هنا لا بدّ من تعضيد تلك النّداءات الكثيرة في مُباركة التيسير والإصلاح التّربويّ، والعمل على التطّوير وفق آليات الحدّثة، وما تتطلّبه العولمة اللّغويّة، والنّحو العالميّ والنّظريات اللّغويّة المعاصرة.

ودورنا ينتظرنا في رُفَع كلّ المضايقات النّحويّة بما بصّرنا به من الحرص على الصّفاء اللّغويّ بمنطق القاسم المُشترك المنطقيّ والتّماهيّ مع العموميّات اللّغويّة بالحرص على الخصوصيات اللّغويّة، والسّير مع التطّور المُضيف الذي يجعل العربيّة مقبولة سهلة، وإفادة من طرائق تعليم اللّغات الأجنبيّة، وتطبيقها على العربيّة، وتكثيف الجهود القوميّة لنظرة جديدة في النّحو العالميّ، بالتركيز على المُستعمل/ اللّغة الوظيفيّة فقط، والإكثار من النّدوات الفكرية، وإعطاء صورة

التشريع اللغويّ لمؤسسة مَجْمَعِيَّة واحدة مَرَجِعِيَّة ورفع كلِّ العراقيين اللغويَّة التي نجدها في فوضى المصطلح اللسانيّ العربيّ، ولا بدّ من صيغة إلزاميّة لمُخرجات المؤسسة المشرّعة للمصطلح.

تلكم بعض القضايا التي تحتاج إلى علاج سريع، والرّهان الآن اعتماد آليات موحّدة لوضع المصطلح اللسانيّ، والاجتهاد ضمن تلك الآليات، وإخضاع المنتج المصطلحيّ لفرق البحث، والتّركيّة تأتي من مؤسّسات التّنسيق.

الخاتمة: عبر هذه الملتقيات والمُنديات، نلتقي على تجسيد القواسم المشتركة في تذليل المضايقات التي تعيشها العربيَّة في المبني وفي المعنى، وسنخرج من التّراوح في ذات المكان، ومن ذات المسائل التي لم نجد لها الحلول المُرصِيَّة، ولا نزال في القول المكرور، ونقدّم القوَّة دون الفعل. ولم نوظّف القوَّة التّاعمة، وما أحوجنا إلى الاجتهاد الفعليّ الذي ينقلنا إلى استعمال لغة عربيَّة نواجه بها اللّغات الأجنبيَّة، ونُعطي لها صورة التّديَّة والمقام العلميّ للغة تُعدّ من أكبر اللغات جذورًا وكلمات قديمة قُدمى، وحديثة مُستحدثة، للغة البحر المُحيط، ونعجز عن وضع مُصطلح لآلة، والعربيَّة لغة اشتقاقِيَّة لا تنفذ إلّا بسُلطان العلماء.

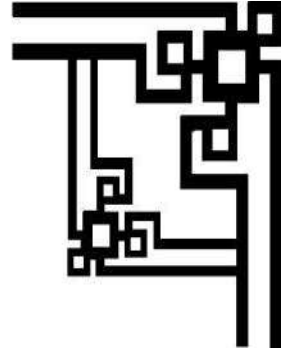
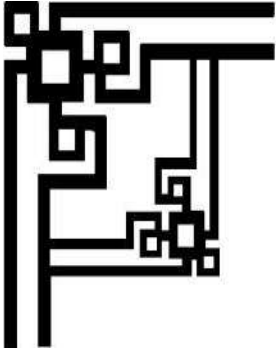
فأنتم أيّها الطّلبة/ أيّها الباحثون سدنة جلاله الملكة (اللّغة العربيَّة) ألا تسدون العجز في هذا المجال؟! تعالٍ مَعًا نجتهد للخروج من نفق البكاء، ونعيب العربيَّة الغنيَّة، وننسى أنّ العيب في أهلها الذين لا يخدمونها، وإذا خدّموها لا يتقنون الخدّمة، وإذا اتقنوا الخدّمة يتراجعون عنها يومًا، ويبدوون من جديد.

المصادر والمراجع:

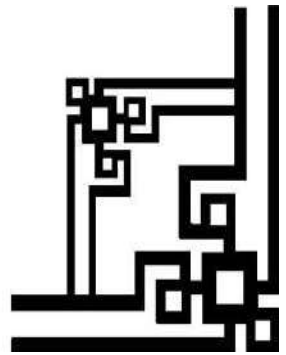
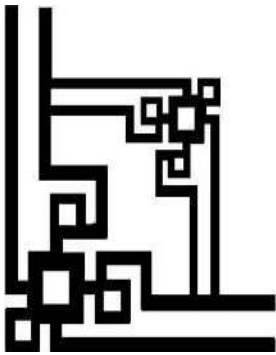
1. Cours de linguistique générale, Ferdinand De Saussure.
2. مصطفى التّوني، الهمزة في اللّغة العربيَّة، دراسة لغويَّة. 2005.
3. عبد الرّحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيات العربيَّة. 2012م.

4. كارم السيد غنيم، اللغة العربية والنهضة العلميّة المنشودة. مجلة عالم الفكر، مجلد 19.
5. عبد اللطيف الجزائر، مقدّمة في تكنولوجيا التعليم النّظريّة والعملية. القاهرة كليّة البنات، عين شمس، 2000.
6. نهاد الموسى، اللغة العربية في مرآة الآخر.
7. أحمد مختار عمر، قضايا اللّسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة.
8. حلمي خليل، تأصيل اللّسانيات العربية عند تّمّام حسان وعبد الرّحمن الحاج صالح.
9. تّمّام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها. القاهرة: 2004م.
10. كناشات صاحب العمل من محفوظ أيام التّطلاب (1979-1994). جامعة تيزي-وزو.
11. شبكة الألوكة+ شبكة صوت العربية+ موقع Archive.org





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



اللغة الإسبانية: النافذة العلمية الثالثة*



الدِّباجة: إنَّ اللغاتِ أقطابٌ، كما أنَّ العلمَ يتوزَّعُ عبرَ مجموعةٍ من اللغاتِ وأنَّ التَّنَافسَ بينَ اللغاتِ سنَّةٌ طبيعيَّةٌ لاختلافِ الألسنة، كما أنَّ التَّبادلَ والاقتراضَ والتأثيرَ والتأثرَ والأخذَ والعطاءَ اللغويَّ سمةٌ قائمةٌ منذُ فكِّ تبليغِ ألسنةِ البشرِ. هي لغاتٌ أمميَّةٌ في المقامِ الأوَّلِ مِنَ القطبِ الكبيرِ، وتنالُ اللُّغةُ القشتاليَّةُ/ الإسبانيَّةُ/ Castellano/ Español رتبتها التَّالِثةُ بجدارةٍ توزَّعها العالَميُّ، وهي اللُّغةُ الرِّسميَّةُ للمملكةِ الإسبانيَّةِ، كما أنَّها اللُّغةُ الرِّسميَّةُ لمُعظمِ بلدانِ أمريكا الجنوبيَّةِ وأمريكا الوسطى، وإحدى اللِّغتين اللتين يتكلَّمُ بهما سكانُ بورتوريكا. وهي أكثرُ اللُّغاتِ الرُّومانسيَّةِ رواجًا. لغةٌ انتشرتْ في جميعِ أنحاءِ إسبانيا في القرنين الثَّامنِ والثَّاسِعِ الميلاديِّ. بينما تُعرفُ الإسبانيَّةُ المُستخدمةُ في أمريكا الجنوبيَّةِ بالإسبانيَّةِ الأمريكيَّةِ. وإنَّ الإسبانيَّةَ القشتاليَّةَ والإسبانيَّةَ الأمريكيَّةَ هما في الأساسِ مُتماثلتان، غيرَ أنَّ هناكَ اختلافاتٍ قليلةً بينهما في النُّطقِ، وفي بعضِ المُفرداتِ.

1. مَقامُ اللُّغةِ الإسبانيَّةِ: تستعملُ الأكاديميَّةُ الملكيَّةُ الإسبانيَّةُ مصطلحَ (الإسبانيَّةِ)، بينما كانت تستخدمُ مُصطلحَ (القشتاليَّةِ) منذُ 1713 إلى 1923. وأظهرَ مُعجمُ (Diccionario panhispánico de dudas) الذي أصدرتهُ الأكاديميَّةُ يفضِّلُ استخدامَ مُصطلحِ (الإسبانيَّةِ) وإنَّ كلا المُصطلحينِ يُستخدمانِ لنفسِ المعنى، كما يُفضِّلُ استخدامَ مُصطلحِ (القشتاليَّةِ) في جميعِ دُوَلِ أمريكا اللاتينيَّةِ عدا التَّشيليِّ وكولومبيا.

* - أعدت الكلمة للملتقى الوطني حول (اللقاء التشاركي بين جامعة الجلفة والمجلس الأعلى للغة العربيَّة) بخصوص النقلة التوعويَّة في استعمال اللُّغة الإسبانيَّة في جامعة زباني عاشور تنظيم (مخبر قضايا الأدب والثَّقافة الشَّعبية والترجمة) أيام 25، 26، 27 نوفمبر 2022م.

وحسب المُختصِّين فإنَّ اللُّغة الإسبانيَّة هي الأساس القواعديّ للُّغة البرتغاليَّة من حيث السَّبق في الظُّهور بخروجها من اللاتينيَّة من أواخر القرن الثَّاني عشر الميلادي. كما نشأت اللُّهجة الكتالانيَّة في الجزء الشَّرقي من إسبانيا وارتقت إلى اللُّغة الكتالانية، وتسمَّى حاليًّا اللُّغة القطلونيَّة. ونظرًا لتوسُّعها القاريّ؛ نجد بعض المدن في الولايات المتَّحدة تحمل أسماء إسبانيَّة مثل: سان فرانسيسكو+ لوس أنجلوس+ وسان خوزيه.

ونرى بأنَّها تحتلُّ الرِّتبة الثَّالثة في شبكة اللُّغات الأُمميَّة الستّ، بما لها من مَوقع علميٍّ وأدبيٍّ وانتشار عالميٍّ، وبعدها النّاطقين بها، وعدد البلدان التي تستخدمها لغة رسميَّة، وهي القطب الثَّالث عالميًّا، فنجدها في: إسبانيا+ كولومبيا+ الأرجنتين+ فنزويلا+ بيرو+ التَّشيلي+ الأكوادور+ غواتيمالا+ كوبا+ بوليفيا+ جمهوريَّة الدَّومينيكان+ السِّلفادور+ كوستاريكا+ الأورغواي+ الهندوراس+ نيكاراغوا+ بنما+ غينيا الاستوائيَّة+ باراغواي+ المكسيك+ الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة. وهناك أقاليم وبلدان تخلَّت عن الإسبانيَّة مثل: بورتوريكو+ دولة بليز+ جزيرة الماريانا+ بالاو+ غوام+ جزيرة كارولانين+ الفلبين. ومع ذلك بقيت تُستعمل لدى بعض ساكنة هذه البلدان في قضاء مَصالحهم اليوميَّة بشكل واسع دون أن تكون رسميَّة في المدرسة والإدارة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، نرى مقام هذه اللُّغة تتمتَّع بوضع خاصّ في العالم، فلا تعدّ لغةً رسميَّة فيها، ولكن استعمالها يتمُّ بشكل ملحوظ في النِّظام التَّعليميِّ على سبيل المِثال وفي الإعلام وأحيانًا في الأوراق الرِّسميَّة، وهذا ما تجسّد فعلاً في كوراساو+ المغرب+ البرازيل+ إسرائيل+ جبل طارق+ ترينيداد وتوباغو+ الفاتيكان+ أندورا. وتوجد أيضًا أربع دُول/مقاطعات تستخدم الإسبانيَّة الكريوليَّة أو البايامينتو أو الشَّامورو كلغة رسميَّة، وهي: أروبا+ جُزر الأنتيل الهولنديَّة+ غوام+ جُزر ماريانا الشَّماليَّة.

2. جمال اللّغة الإسبانيّة: تُعدّ اللّغة الإسبانيّة واحدة من أجمل لغات العالم وأكثرها انتشارًا، هي لغة عِلْمٍ وأدبٍ، وخصّصت لها الأمم المتّحدة يومًا يُحتفى بها وهو 23 أفريل من كلّ سنة. وإنّ عدد فطريها يصلون إلى 548 مليون نسمة، كما أنّ عدد الحاصلين على جائزة (نوبل) من خلال هذه اللّغة جيّد ويقرب إلى الكثير. هذه اللّغة الرّائعة لا تقتصر على المملكة الإسبانيّة فحسب بل تتعدّى الحدود، وليس لها حواجز لدى الجاليات الإسبانيّة في الخارج؛ فهم يعتزّون بها وبجمالها وحُسن استعمالها، بما لها من أسلوب جميل في الأداء والسّهولة، ولهذا نالت الانتشار في أمريكا الشّماليّة التي تبدأ من المكسيك وحتى آخر أمريكا الجنوبيّة، ما عدا البرازيل التي بدورها تضع الإسبانيّة لغة ثانية بعد البرتغاليّة، كما أنّ جمالها وعدوبة الأداء بها وفيها أكسبها المزيد من نيل المكان في الجمهوريّة العربيّة الصّحراويّة، وغينيا الاستوائيّة، وجُزر الكناري/ الجُزر الخالدات؛ والتي تعدّ أراضٍ إسبانيّة. هي لغة هندو-أوروبيّة، تنحدر من اللّغات الرّومانسيّة الجميلة، وما يُميّزها تنوعُها الجميل في اللّهجات المنبثقة عنها.

3. ما الذي يدفع الإسبانيانوفيّون إلى تعلّم اللّغة العربيّة؟ يعود هذا إلى تواجد العرب في الفردوس المفقود لثمانية قرون خلت، وبقيت آثار العربيّة قائمة إلى الآن، ويجمعها الشّاعر في بيتين هما:

بأربعٍ فاقت الأمصارَ قرطبُهُ * منهنّ قنطرةُ الوادي وجامعُها
هاتان ثنتان، والزّهراءُ ثالثُهُ * والعلمُ أعظمُ شيءٍ هورابُعُها

أضف إلى ذلك ما تركه العرب من آثار معماريّة، وما ضخّوه في جسم الإسبانيّة من 4000 جذر جعلت الإسبانيّة شريكًا للعربيّة في كثير من المعاني والأصوات، كما تقدّر بعض الإحصائيات أنّ عدد الإسبانيّين المُستعملين للعربيّة لغة رسميّة أولى/ رسميّة ثانية يصل إلى 100 مليون، دون الحديث عن زيادة مُتعلّميها في كلّ سنة، أضف إلى ذلك الدوافع التّجاريّة والسّياحيّة والدينيّة وما لها من تأثير على كلّ لغات العالم، حيث أعطت أكثر ممّا أخذت، وهي زعيمة اللّغات الشّرقية، وكونها لغةً أمميّةً وكونيّةً بما لها من بقاء بعد كوليرا اللّغات.

وإنّ تعلّم العربيّة يتطلّب الانتقال إلى بلد يستعملها، والعيش في الغمر اللّغويّ مع أهلها، والتّشبع بثقافتها في برامجها التّلفازيّة والإعلانات وتشفير مداليلها في سياقاتها المختلفة، مع الاستماع إلى موسيقاها، وربط العلاقات العلميّة مع المتعلّمين، وتبادل الكلام الدائم الذي يثري الرّصيد اللّغويّ، وحفظ بعض الأناشيد والشّعرا المرتبط بمرّ تلك اللّغة. والمُحصّلة من الأمر ضرورة الانضمام إلى مُجتمع عربيّ حيث تسكن لتربّي فيك الحسّ اللّغويّ الجمعي المرتبط بثقافة العربيّة. ولا بدّ كذلك من اعتماد مَنهج تعليميّ يتعلّق بالغمر اللّغويّ الذي يحصل من الحماّم اللّغوي الدائم لفهم العربيّة فهماً صحيحاً نطقاً وكتابةً. وبخاصّة إذا أعدت برامج الغمر بالعربيّة السليمة، وسوف يُوفّر الوقت الذي تقضيه في الانغماس؛ لأنّها تُجبرك على الانتباه إلى إيقاعات اللّغة وأنماطها وتعقيداتها، مع تشجيعك في الوقت نفسه على التّواصل معها، وتعلّم سياقات طبيعيّة واصطناعيّة وكأنّك تتعلم من مُتحدثين فطريين، مثل تعلّم طفل صغير لغةً جديدةً.

4. الصّدّاقة الجزائريّة الكويّبة: لا يمكن نُكران ما قدّمته جمهوريّة كوبا República de Cuba، من مُساعدات طبيّة للجزائر، عندما نالت استقلالها عن فرنسا في 5 جويليّة 1962، وبخاصّة إثر تلك الزيّارة الخالدة لأوّل رئيس جزائريّ إلى (خوسيه مارتّي) بها فانا. وإثرها طرحت فكرة إرسال فريق طبيّ لتعويض الرّحيل الجماعيّ لأطباء فرنسا، وتمّت العمليّة بنجاح، وقد تطوّع خمسون (50) طبيباً على عجل، ليتمّ إرسال البعثات حسب الاحتياجات والتّخصّص بعد ذلك بصورة مُنظمة. وهكذا تناسلت الصّدّاقة الجزائريّة الكويّبة في هؤلاء الأطباء الذين كانوا جسراً للعلاقات البينيّة، وهذا ما تظهره السّياسة الخارجيّة الكويّبة والتّعاون الدوّليّ ونظام الصّحة الوطنيّ، فالشّعب الكويّبي في طبيعته شعب مُحبّ للآخرين وروح التّضامن تسري في عروقه، وهي مبادئ أساسيّة تأصّلت فيه وتكرّست بشكلٍ كبير مُنذ انتصار الثّورة الكويّبة سنة 1959.

وبحسب "مُعْطِيَات وزارة الصِّحَّة العامَّة في كوبا لعام 2021م، فإنَّه يوجد 420 ألف مِهْني كوبي يعملون في مجال الصِّحَّة يتواجدون في 150 دولة حول العالم، وأجروا أكثر من 14 مليوناً و500 ألف عمليَّة جراحية ناجحة خلال 6 عقود تقريباً، وأربعة ملايين و470 ألف عمليَّة ولادة ناجحة، وأنقذوا حياة ثمانية ملايين و700 ألف حياة." ونرى دائماً كوبا تعمل على إرسال أطبائها للحفاظ على حياة النَّاس في مُختلف بقاع العالم، وشعارها: كتابنا الطَّبيبة تجلب الرِّعاية والعناية والأدوية والصِّحَّة.

5. كوبا وامتلاكها سلاح العيش الطَّويل: إنَّ الرِّفاهية المُجتمعيَّة تتمثَّل في صفر أميَّة، ورعاية صحيَّة مجانيَّة، وتعليم حكوميَّ جيِّد، ومنظومة أخلاقيَّة دون غشٍّ، وهذا ما يتمثَّل في هذا البلد الذي تُخرِّج جامعاتها أفضل الأطباء، وبشهرة عالميَّة وفق مَعايير الجودة، وناهم يتوزَّعون الآن عبر القارات، وذلك ما جعلهم يُصنَّفون في التَّعليم في الرتبة الرَّابعة سنة 1980م بما يقرب من 80٪ وفقاً للأمم المُتحدة، وهي نسبة أعلى ممَّا كان عليه الحال في إسبانيا في تلك السَّنة بما خطَّطوا له من اعتماد التَّعليم الحكوميِّ، وحظر المؤسَّسات الخاصَّة، والتَّسجيل في المدارس إلزاميَّ من سنِّ السَّادسة حتى نهاية التَّعليم الثَّانويِّ، ويستمرَّ التَّعليم الابتدائيَّ لمدَّة ستِّ سنوات، بينما ينقسم التَّعليم الثَّانويَّ إلى أساسيَّ وما قبل جامعيَّ.

والغاية من هذا التَّركيز على مجال الرِّفاهية الوُسطى التي نقلت المُواطن الكوبي من نسبة العيش من المَوت السَّريع في عمُر الزَّهور إلى العيش لمدَّة أطول، "... ووفقاً للأمم المُتحدة، فإنَّ متوسَّط العمُر المتوقَّع في كوبا هو 78.3 سنة (76.2 للذكور و80.4 للإناث). ويضع هذا الأمر كوبا في المَرتبة الـ 37 عالميًّا والثَّالثة في الأمريكيتين بعد كندا والتَّشيلي فقط، وقبل الولايات المُتحدة مباشرة. ومُعدَّل وفيات الرِّضع في كوبا انخفض من 32 حالة وفاة لكلِّ 1000 مولود في عام 1957، إلى 10 حالات وفاة في 1990-1995، بينما وصل المُعدَّل في الفترة 2000-2005 إلى 6.1 لكلِّ 1,000 حالة ولادة (مقابل 6.8 في الولايات المُتحدة).

وقد اعتبر نظام الرّعاية الصّحية عالي الجودة والمقدّم للمواطنين الكويتيين". ونرى الجمهوريّة الكويتيّة تعرف ارتفاعاً في أعداد العاملين في المجال الطّبي، بما تمثلك اليوم من نظام رعاية صحّيّة عالميٍّ ومجانّيٍّ. ورغم أزمة نقص الموارء الطّبيّة، فإنّ الرّعاية الصّحيّة الأولىّ متاحة في جميع أنحاء الجزيرة، مع ما تعيشه من حظر ومضايقات وهجرات كثيرات نحو الغرب... هي تحديّات بدأت تتغلّب عليها عن طريق إدخال العملة الصّعبة ونقل التّكنولوجيا عبر مهاجريها العائدين لوطنهم الأمّ.

والخلاصة من هذه النّقاط يُمكن إجمالها في ما يلي:

1. هناك انفتاح الجزائر نحو اللّغات الأُمميّة العلميّة.
 2. هناك تفتّح الجامعات الجزائريّة على المحيط الوطنيّ والدّوليّ.
 3. هناك مراميّ معنويّة في تعليم العربيّة لغير العرب، وبخاصّة للجاليات الأجنبيّة.
 4. هناك جالية كبيرة من النّاطقين بالإسبانيّة تعمل في مَشفى الجلفة، ويمكن جعل هذه الجاليّة تعيش الحماّم اللّغويّ العربيّ، للتّواصل باللّغة العربيّة مع سلك الشّبه الطّبي، ومع المرّضى.
 5. هناك جامعة ومختصّون يريدون تدريس العربيّة لأطباء كوبيين، وما يلحق بهم، وهذا ما يدخل في التّحوّل اللّغويّ الذي تعرفه الجزائر الجديدة.
- هي مبادرة جيّدة، يسعى المجلس الأعلى للّغة العربيّة أن يكون عضيداً للجامعة في وضع مُستلزمات تعليم العربيّة للنّاطقين بالإسبانيّة، ونروم أن تحصل الموافقة على هذا المشروع الذي يجعلنا نعيش التّعددية اللّغويّة بمصطلح (رابح رابح) وعلى الله قصد السّبيل.

6. أهمية هذا اللقاء العلمي في جامعة الجلفة: من منظور المجلس الأعلى للغة العربية؛ فإن هذا اللقاء نُعلّق عليه مسار الانفتاح العلمي والطبي على اللغة الإسبانية، بوجود جالية كويبة ناطقة بالإسبانية، ممثلة في أطباء العيون في المؤسسة الاستشفائية لطب العيون/ مستشفى طب العيون صداقة الجزائر كوبا ونحن بحاجة إلى تواصل لغوي سليم ومباشر. ولهذا أرى الموقف من جهة نقل هؤلاء الأطباء لاستعمال العربية، ويكون قيمة مضافة إلى سجلات فتوحات المسلمين لجزيرة إيبيريا أيام المجد العربي الإسلامي.

وفي ذلك فتح العرب الأندلس وحكموا معظم شبه الجزيرة، وخلالها نالت العربية موقعها في الاستعمال والتعليم والصناعة والطب. وقد أثرت العربية في القشتالية أيما تأثير، ودخلت كلمات وأصوات جديدة في منظومة القشتالية، وحدث تداخل في كثير من المفردات، وكانت العربية تُعطي أكثر مما تأخذ، فهل يعود بنا الزمان إلى المجد التليد لمقام العربية في أن تُفيد وتستفيد. وفي إطار تبادل المصالح المرسله بين الأطباء الكويبين الناطقين بلغتهم في نهاية العام الماضي 2021م، وردت إحصائيات في الإعلام تشير إلى وجود نحو 900 طبيب كويبي في الجزائر يعمل جلهم في طب العيون.

وقد "صدّرت كوبا إلى أزيد من 60 دولة نحو 50 ألف طبيب يدرون على بلدهم أزيد من 10 ملايين دولار سنويًا. ذلك أنّ الطب في كوبا يُعدّ المصدر الرئيس للعملة الصعبة. لقد اختارت كوبا منهجًا يشيد به البعض ويستنكره البعض الآخر، وبذلك تقوم الحكومة الكويبية بإبرام اتفاقيات مع دول العالم لتزويدها بأطباء، وتدفع تلك الدول رواتب لهؤلاء الأطباء، وتقتطع منها كوبا نسبة مئوية تذهب إلى الخزينة العامة. وهذه المقتطعات المقدّرة بملايين الدولارات تنفقها السلطات في العلاج المجاني لكل المواطنين، والتعليم المجاني للجميع. وهكذا، نجد ما يفوق 22% من الناتج الداخلي الخام في كوبا يُوجّه إلى هذين القطاعين الحيويين.

وفي هذا الباب، تُبرز الإحصائيات أنّ هناك طبيباً لكلّ 147 مواطناً في كوبا، وهي من أفضل النّسب في العالم. أما في مجال مَحو الأميّة، فقد قضت عليها كوبا بنسبة فاقت 99%، وبذلك صارت تتصدّر قائمة البلدان التي نجحت نجاحاً باهراً في هذا المجال الاجتماعيّ."

وأمام هذا النّجاح كان على هذه الجامعة التّواصل مع سفارة جمهوريّة كوبا بالجزائر لإبرام اتّفاقيات مَشاريع من شأنها أن تُعزّز هذا التّبادل والتّعاون لتطويع سياسة رهان طبّ العيون، وفي ذات الوقت أن تفتح الجامعة لاستقطاب هؤلاء الأطباء من أجل تعليمهم اللّغة العربيّة، وكذلك التّرجمة من وإلى الإسبانيّة، وإنشاء كراسي علميّة في الأدب الإسباني، أو بمسعى كرسي للدراسات الأمريكيّة اللاتينيّة بالجامعة الجلفة. وفي ذات الوقت يكون العمل في فضاء البحث والتّعليم ودراسة وتبادل المعارف حول الثّقافات العربيّة وأمريكا اللاتينيّة، وهذا كلّ ما يدخل في التّقارب العلميّ والعيش معاً بسلام، وبناء الحوار بين الثّقافات والحضارات وبخاصّة في هذه الفترة التي تشهد اضطرابات عالميّة؛ حيث يكون التّبادل والتّعليم مُهماً.

7. ماذا ينتظر الكوبيون من جامعة الجلفة؟: يبدو لي بأنّ أهمّ نقطة تتمثّل في الاندماج اللّغويّ، ولهذا على الجامعة أن تكون مُهيّأة لتحضير المطالب اللّغويّة/ المفردات التي يحتاجها النّاطق بالإسبانيّة من: العمل على التّحضير العلميّ لاختصاص الجامعة في تدريس العربيّة للنّاطقين بالإسبانيّة+ إرسال بعثة علميّة من الطّلبة إلى كوبا للانغماس اللّغويّ المطلوب؛ ليكونوا مُؤطّرين/ مُكوّنين في المرحلة الأولى+ عقد اتّفاقيّة ثقافيّة في تدريس العربيّة للكوبيين مع السّفارة الكوبيّة في الجزائر بمشاركة وزارة الصّحة والسّكان+ تحضير البرنامج السنوي حسب المتطلّبات العالميّة+ تحضير المدوّنات الكتابيّة/ Les Corpus في المستويات الثّلاثة+ تحضير وسائل التّدريس الحديثة صوتاً وكتابة+ التّواصل مع المعنّين لتعرّف على الاحتياجات اللّغويّة الضّرويّة، على أن يتمّ تفويجهم على الأرضيات

المعرفية في اللغة العربية+ العمل بأحسن طرائق التدريس للوصول إلى تلقين العربية للناطقين بالإسبانية.

ونروم أن تكون جامعة الجلفة قائدة تيار العوربة بخصوص هؤلاء، وتعمل الجامعة على أن تعيد مجد العرب لسالف أيامهم في إشبيلية ومجريط وقلنسيا وقرطبة وصقلية، وما يزال قائماً إلى الآن في الزهراء والوادي الكبير، وفسيفساء المساجد... وإلى استكناه دور العرب في اكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية، بما أعطوه من خرائط ل (كريستوف كولمبس) وهنا نكشف الحقيقة بأن أقدام العرب في الأمريكيتين سابقة على محطات (كولمبس) التي تسمى اكتشافات الغرب.

8. الأغراض اللغوية الوظيفية التي يحتاجها المتعلم في اللغة الأجنبية: هناك مجموعة من الأغراض اللغوية التي ينشدها المتعلم في لغة غير لغته الفطرية؛ بغية اندماجه في المحيط اللغوي، وهذا يستدعي منه الغمر اللغوي كي يعيش واقعه في محيط يجهل لغته. ومع تنامي الاحتكاك والإغماس اللغوي يصبح عارفاً بكثير من الأشياء الوظيفية التي يحتاجها، وبخاصة تلك الألفاظ والمسكوكات التي تجري على السنة العامة، ويكثر دورانها. وعليه، فإن المعلم يجب أن ينجز مدونة بحسب الطلب، وما يراه المتعلم من الأوليات أو الأغراض اللغوية التي تُسهّل له عملية الاندماج وقضاء المصالح المرسله.

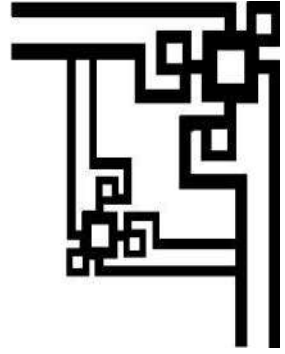
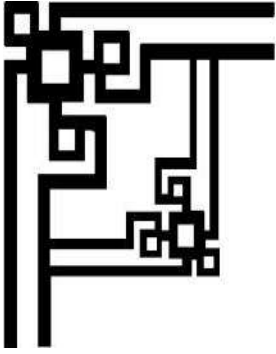
ولهذا ينصح التربويون أن يكون التعليم تراتبياً بدءاً من ألفاظ التحايا، إلى متعلقات التعارف، والعائلة ومصطلحات المدرسة، والكتابة ومعرفة الأعداد والحساب، والأعياد، وقضايا السوق، وأيام الأسبوع، والتوقيت، والأشهر، وبعض الأنشطة التي يحتكّ بها ومعرفة الألوان، والفواكه، وأحوال الجوّ، وألفاظ الارتفاق، وتنظيف البيت والمطبخ وألفاظ الفندق، والمتاجر والسوق، وما له من كلمات تخصّ السفر في الطائرة/ الباخرة/ القطار/ الحافلة/ الطّاكسي، والبنك، وبعض مصطلحات الرياضة والمُحادثات القصيرة في مُستوياتها الثلاثة... ويعضد في كلّ هذا ببعض المسكوكات ذات العلاقة بضمائر الملكية، والتذكير والتأنيث،

وألفاظ الطّلب... ولسنا هنا في صدد تقديم مُدَوّنات أو أدلّة وظيفيّة فهي من صلاحية الأستاذ المدرّس.

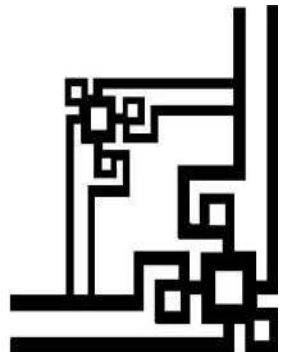
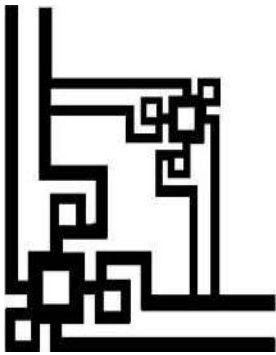
الخاتمة: تلکم أفكار بصُرنا بها؛ ونحن في جامعة العِلم والعُلماء، جامعة الجلفة المنتجة للأفكار، نرجو أن تنال ازدهار، ونُشدان التّخصّص في بناء مُدَوّنات ذات العلاقة باللّغة الإسبانيّة، وتكون قطبًا وطنيًا في معرفة اللّغة العالميّة الثّالثة، وهي تعرف الانتشار والزيّادة، ونحن نعرف مقام هذه اللّغة وما لها من علاقات جواريّة مع العربيّة قديمة متجدّدة، وتحتاج إلى تثمين وتعزید ومتابعة إضافة إلى ضرورة رعاية تلك العلاقات والصّداقات التي تربّت فيها العربيّة عبر أمريكا اللاتينيّة؛ حيث يوجد العرب وبلغتهم يتواصلون دون مُضايقات ما.

ونجزل الشّكر لصاحب المبادرة، ويعدّ من الخالدين الذين فكّروا في هذا التّحوّل اللّغويّ إلى قطب اللّغة الثّالثة عالميًا، والنّظر إلى العِلم من نافذة غير تقليديّة. فبوركت خطوات الحاضرين والمُحاضرين والمُشرفين وكلّ من يُقيم بناءً واعيًا لمُستقبل العربيّة ضمنّ أفاق العولمة التي نريد التّماهي فيها؛ بالحفاظ على الخصوصيات، أي بفتح الأبواب والنّوافذ دون قلع السّقوف.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



المجمع العلمي العراقي واتحاد المجمع

ومآلات المستقبل*



الديباجة: السّلام عليكم جميعاً، من الجُمهوريّة الجزائريّة أنقل لكم تحايا الجزائر في هذه المناسبة الكبيرة للمّجمع العلميّ العراقيّ الذي قطع شوطاً كبيراً في التّهوض باللّغة العربيّة رغم بعض المُعيقات التي لم تكن إلّا وسيلة للتّحدّي والمثابرة، والعمل على رفع العراقيين من أجل أن يكون المّجمع العلميّ واقفاً. وأنقل لكم تحياتي الخاصة مع فريقتي العلميّ في المجلس الأعلى للّغة العربيّة، وكلّنا شوق للتّواصل والتّكامل لخدمة جلاله الملكة (اللّغة العربيّة) التي تنتظر منا الكثير. ونسعد أن نكون معكم في هذا الاحتفال المهيّب والوقور؛ وقارة أعضائه ومُسيّريه، وكلّ الحضور هنا الذين جاؤوا لحضور هذه المراسيم الفخمة.

فخامة رئيس المجمع؛ العالم الأريب، والأديب اللغويّ، المشهود له بالعلميّة والتّحرّز والتّحرّج والثوقيّة الكبرى التي لا تتوقّر إلّا في منزلة المرجعيّة القدوة (مُحمّد حُسين آل ياسين) شيخ العربيّة الذي نفتخر به مع أنداده الذين قضوا، والذين هم أحياء، ونسأل الله أن يُطيل عمرهم وينفعنا بعلمهم. ولا أخفيكم بأنني نظرت في بعض مؤلّفات هؤلاء، ووجدت (مُحمّد حُسين آل ياسين) منهم، وكأنّ لسانه ينثر درراً، فأراه فارس المنابريصنع الفرق في معرفته متى يبذل الجهد، ومتى يكون الأوّل ومتى يتأخّر، ومتى يأخذ استراحة مُحارب، ومن ذلك يصنع الفرق وهو في ابتسامته التي لا تحمل همّ الحاضر، ولكنها تتفاهل لمستقبل فاخر، وتعجبني فيه الأخلاق والتّواضع، وهي سمّة العلماء، فأبشُر أستاذنا بما أنعم الله عليكم!

* - المحاضرة التي ألقيتها في المّجمع العلميّ العراقيّ بمُناسبة العيد الماسي (75) سنة على تأسيس المّجمع. بتاريخ 26 نوفمبر 2022م.

والفرح يأتيكم مثلما أفرحتمونا اليوم في هذا المحفل المهيج، ومن خلالكم جميعاً أبشروا بأن الماضي الذي كان مُغدقاً، سيكون الحاضر مُشرقاً بفضل العاملين في هذه المؤسسة التي تُسرِّع لتطوير العربيّة في مختلف المجالات، وأنعم بها من مؤسسة المجمع العلمي العراقي! ولهذا وسمت مُحاضرتي المجمع العلمي العراقي واتّحاد المجمع ومآلات المستقبل، وأتوسّم فيكم المرجعيّة المجمعية العربيّة؛ مرجعيّة الإنتاج العلمي، مرجعيّة مآلات التّحديث والتّخطيط نحو مُستقبل أفضل، مرجعيّة ربط القول بالفعل، لما للعراق من أقدام راسخة في البحث العلمي، وهو الرّهان الذي نعلق عليه آمال أن نكون بلغتنا، أو لا نكون. والعول على مجمع العراق لما له من علماء كبار، يشهد لهم العالم بسلاحهم العلمي فأكثرهم من علماء!

1. بلد العراق أول الأوائل: في أول دولة الاستقلال في الجزائر يأتينا الأساتذة العراقيون ليُعلمونا العربيّة، وحصل أن تتلمذتُ على كثير منهم، وحتى في المرحلة الجامعيّة كنتُ أحد طلبتهم. أساتذة عمالقة من الوزن العلمي الكبير كانوا أساتذتنا فأعطوا جَهدهم، وعلمونا الحقيقة والواقع بأن الحضارة من بلاد الرّافدين، وأنّ العراق بلدُ أول الأوائل، وبحثنا ووجدنا الدليل قائماً. وتذكرُ كتب التاريخ أنّ العراق يُسمّى (سومر) كان أول من تأسست فيه أول مدرسة، وأول هيئة تشريعيّة، وأول رزنامة فلاحية، وأول دستور للأدوية، وأول حالة مُسجّلة للتّملق والتّزلف، وأول مناظرة أدبيّة، وأول وأول وأول... ودرسنا (ملحمة جلجامش) واطّلعتنا على صوّر ألواح القانون ل(حمو رابي) وتعلّمنا أول قصّة خرافيّة تقوم ببطولتها الحيوانات... ولا ندخل التّالي لكثرة الأوائل.

هي عراقُ التّاريخ، هي بلادُ الرّافدين باسم (ميزوبوتاميا) إذ بلغ البلدُ العصر الدّهبيّ في العهد الإسلامي، وقد انتشرت المدارس والجامعاتُ الإسلاميّة في بغداد، وصارت قِبلةً للعالم من حيث التّطوّر العلمي والثقافي، ومن حيث ازدهار العلوم والاكتشافات المنوّعة على كافة الأصعدة: في علم الفلك والرياضيات والطبّ والبصريات والكيمياء والتّاريخ والفلسفة وغيرها، وانتشر وذاع صيتُ علماء بغداد

في كافة المجالات؛ إسهامًا منهم في الثقافة العالميّة، وقد ابتكروا رسم الخرائط، وعملوا على مجاري الماء صعودًا وهبوطًا دون خلل الفيضان، وادّعوا العلم وحصل لهم، في مشاهد العراق القديم والحديث. وبقي العراقُ عراقَ التنوّع الثقافيِّ والعادات والأديان، وكان التعايش سيّد المقام.

وتخونني العباراتُ ولا أفي هذا البلدَ حقّه من جوانب أكثر ديمومة في الثقافة العالميّة، وأراني تتزاحم الكلمات في داخلي لتقول: إنّ العراقَ مهدُ الحضارة لكثرة الاختراعات والابتكارات الحضاريّة التي ظهرت فيه قبل غيره من البلاد منذ مطلع الألف العاشر قبل الميلاد حتى القرن السابع الميلاديّ.

عراقُ الهلال الخصيب بخيراته ومُنجزاته الثقافيّة والتّقنيّة والتي تضمّنت: التّقنيات الزراعيّة، تدجين الحيوانات، مفهوم الوقت، صناعة العجلة، فنّ الكتابة والأدب، ميدان العلوم والتّكنولوجيا، علم الأديان، الرياضيات وعلم الفلك، تجارة المسافات البعيدة الممارسات الطّبيّة... بالفعل العراقُ أوّل الأوائِل. وعراقُ اليوم يُواصل تألّقه عبر تاريخه المديد، عراقُ الشّعب الذي يقرأ أكثر، عراقُ الفنّ، عراقُ شارع أبي نوّاس والمنتبّي، وجامعة العراقِ والمُستنصريّة، وبغداد الحضارة في المنصور والرّشيد...

2. المجمع العلميّ العراقيّ: أيّها الرّملاء، ما جئتكم إلّا لردّ بعض الأفضال التي لكم فيها السّبق أنكم علّمتمونا تشفير الحروف إلى تفكيك البنيويّة، وأخذنا منكم العلوم والأدب والمصطلح، ومنكم تعلّمنا قواعد العربيّة، فأنتم أهلها. واعذروني إن قلتُ عندما تشرب ماء دجلة لا يمكنك ألاّ تعود، وتشتاق إلى العراق، وأرجو العذر يا عراقُ إن خانّني حروفي ومشاعري تجاهك، فأنا صغير وأنت كبير، أعطيتنا العلم. ومن البصرة كان شيخُ العربيّة ومدرسة البصرة والكوفة.

عتبتُ هذا البلدَ أوّل مرّة وأجد رئيسه في الوزيريّة العالم (أحمد صالح العليّ) ويمدّني بما طلبتُ من كتبٍ لبلدي، ويحمّلني الجواهر. وأزور البلدَ ثانية، وأجد الفاضل الدّكتور (ناجح محمّد الرّاوي) وثالث زيارة أجد الدّكتور (داخل حسن جريو) وينقطع التّواصل، وألتقي الرّئيس (أحمد مطلوب النّاصري) في بلاد العرب

مرارًا، مع الفضلى الزوجة العالمة (خديجة الحُدَيْثِي) وقد دَرَسْنَا عليهما في الجزائر، كما دَرَسْنَا على يد (محمّد حسن الأعرجي) و (هادي نهر) وثَلَّة عالمة من أهل الفضل هم من العراق الذين تناسلوا فيكم أيها العلماء العراقيّون.

وأنا أزوركم هذه المرّة، وأقف على هذا المجمع الصّامد الذي اعتمدنا مرّاجعه ومجلّاته مّصادر لوضع المصطلحات في إطار تعميم استعمال العربيّة في العلوم والتكنولوجيا، ومنها أُفِدْنَا علمًا حديثًا يعيش واقع المتغيّرات وعالم الحواسيب والذكاء الاصطناعي، وقراءة OCR. بلد العالم التكنولوجي (باسل كبة) مُعَرَّب الحاسوب والأجهزة الإلكترونيّة...

وها أنذا أشارككم فرحتكم التي هي فرحة الجزائر، فرحة العيد الماسي لمجمعنا الذي يكبر بكبر أعضائه وعلمائه، ونكبر معًا في اتحاد المجمع اللغويّة العربيّة، نكبر ونكبر ونحن في بلدنا الحبيب؛ بلد الخلافة ومنبت العلم والعلماء والفقه والفقهاء، والحكمة والحكماء، بلد (محمّد رضا الشّبيبي) أوّل رئيس لهذا المجمع، وبلد الأدباء الكبار على غرار البياتي والجواهري، وخليل حاوي، ومَعروف الرّصافي، ومُصطفى جواد، والأب الكرملّي... ولا أملك إلاّ تلك الكلمات التي حفظتها عن (نزار قباني) وهو يقول:

بغداد عشتَ الحسنَ في ألوانه * لكن حسنُك لم يكن بحسابي
ماذا سأكتبُ عنك يا فيروزتي * هواك لا يكفيه ألفُ كتابِ
قبل اللقاء الحلو كنت حبيبتي * وحببتي تبقيين بعد ذهابي

وأنا أحضر هذا الاحتفال، ولا أريد أن أغادر لما لقيته من استقبال الجميع وعلى رأسهم صاحب الفضل العالم الثّبت (محمّد حُسين آل ياسين) وشاعر الكلمات الصّداحة، وصاحب الأعمال النّطاحة الذي غمرني بالترحاب، وأنا عاجز عن الكلام يا إخوان. فماذا عساني أقول في بلد القول الفصل في شريان العربيّة الأصل، ولا أملك الكلمات المناسبة، ولا أُحدّثكم عن المجمع العلميّ العراقيّ ولا عن مهامه، وهي المهام التي تستهدف العناية بسلامة اللّغة العربيّة، والبحث والتأليف

في آداب اللّغة العربيّة، والتّاريخ، ودراسة علاقات الشّعوب في ما بينها وحفظ المخطوطات والوثائق ونشرها، والبحث في العلوم والفنون الحديثة، وتشجيع التّرجمة والتّأليف، وبتّ روح العلم في البلاد العربيّة... هي مهامّ معروفة يقوم المجمع العلميّ على إنجازها، وعندني أنّ المجمع العلميّ العراقيّ قيمةً مضافةً من 26 نوفمبر سنة 1947م، بما يمتاز به عن باقي المجامع بتخصّصه في قضايا المصطلح، وتعريب العلوم، وترجمة الكُتُب التي يحتاجها في البحث والدراسات، إضافة إلى ميزة لا توجد إلّا في هذا المجمع من دمج مجمعيّ: اللّغة السّريانيّة والكرديّة، وبذلك توسّعت أهدافه لتشمل كافة التّخصّصات. وهذا ما تنصّ عليه المادة الثّانيّة من نظامه (رقم 26 لسنة 1947) والتي تقول: "العناية بسلامة اللّغة العربيّة، والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم، والفنون، وشؤون الحياة الحاضرة". وهكذا حمل المجمع العبء الثّقيل حملاً بسيطاً؛ بما قدّم من منتج في شتى المعارف؛ بهدف إثراء المعرفة الإنسانيّة، وتوظيف هذه المعارف لخدمة التّنمية في العراق والبلاد العربيّة والإسلاميّة، وبذلك يقترب عمل المجمع أكثر فأكثر إلى مفهوم عمل ما يُعرف في دُول العالم المتقدّمة بأكاديميات العلوم التي تضمّ في العادة كبار العلماء والمفكرين والمبدعين.

3. المجمع العربيّة ومآلات المستقبل: هي هموم أنقلها لزملائي الأعضاء وإن كانت المناسبة مناسبة أفرح واحتفاء، ولكن تتطلّب منّا أحياناً الوقوف للتّقويم والتّقييم، ولا بدّ أن تحصل التّقود لنسير على الصّواب بمبدأ "نعم للمراجعة لا للتّراجع" هي وقفات ضمير تستدعي حُسن التّدبير لما نراه اليوم من ضعف أجرأة التّفكير، بين المسوؤل والرعيّة، بين التّخطيط والتّطبيق، بين السّلطة التّشريعيّة والسّلطة التّنفيذيّة... تُلْكم مُتلازمات لم تتكاتف عندنا في الوطن العربيّ في مسألة التعريب الذي يعيش القهقري لضياح دمه بين واجب العلماء العرب، ونوايا الدّول العربيّة؛ وذلك ما أوجد ثغرةً في جسم الأُمّة العربيّة التي حصل لها الانجذاب اللغويّ للأجنبيّات، فمالت في التّطبيق إلى كقّة اللغات الأخرى، وفي دساتيرها إلى شرعيّة دستور لغات الأُمّهات.

قولٌ دون فعلٍ؛ أضعنا من خلاله مجدنا اللغويّ التليد، كما أضعنا الفردوسَ المفقودَ، فبَكينا ضياعَ الأندلس، ولم نحافظُ عليه كالرّجال، فهل نبكي حالَ التعريب الذي يُراوح مكانه منذ سبعين (70) سنة وحالت دونه الجولُ، وما حصل له مُستقرّ عليه العول. هي حقيقةٌ يجب أن تُقال بأنّ الفراغ يكمن هنا، فغيابُ الرّجلِ الرّشيدِ، وضعفُ الجُمع بين الفكر العربيّ والمال العربيّ والقرار السياديّ؛ أضاع مجدّ العربيّة في هذا الرّمن، فلا يصلحُ الحالُ إلاّ بتغيُّر الأحوال. ولكن كيف بصاحب الدار؛ إذا كان للدَفّ ضاربًا، فمن نلوم؟

بالمِلح يصلحُ ما يُخشى تغيُّره * فكيف بالمِلح إن حلت به الغيرُ

وإنّه لو يحصلُ التّغيير في سنّة التّسيير، إلى مَرَجعيّة مَجمعيّة لها حُسن التّدبير؛ ستكون المآلات إلى المأمولات، ويمكن الخروج من مئة (100) سنةٍ وتزيد، مرّت على تأسيس هذه المَجامع، مئة عامٍ والحديث عن البدائل العربيّة المناسبة للمُصطلحات الأجنبيّة هي هي. مئة سنةٍ والحديث نفسه عن الهويّة اللّغويّة التي لا تأتي. مئة سنةٍ وفقهاء المَجامع يفتون دون رجوع الصّدى. مئة سنةٍ والحديث يتكرّر عن سلامة العربيّة، وجعلها وافيةً بِمطالب الآداب والعلوم والفنون وملائمة لحاجات الحياة المُتطوّرة، ووضع المُصطلحات العلميّة والتّقنيّة ودراستها وفق مَنهج مُحدّد، والسّعي لتوحيدها.

مئة سنةٍ والكلام ذاته عن استصدار المعاجم الكبرى، والدوريات المُتخصّصة، والموسوعات، والمعجم التاريخيّ للغة العربيّة. مئة سنةٍ والأعضاء يتناسلون، وفي أجسامهم يتناقلون وينتظرون القرار السّياسي. مئة سنةٍ والكلام عن عظمة العربيّة التي نقلت إلى الغرب علومًا ضخمة أفادوا منها في لغاتهم ونحن لها جاهلون. مئة سنةٍ والمُرافعات عن الانتقال من تحقيق المخطوطات إلى مُواكبة التّطوّرات العلميّة العالميّة؛ فحقّقنا ما حقّقنا بفضل منهجيات الغربيين. مئة سنةٍ ونحن نحلم بفتوحات التّقنيّة التي تحلّ قضايانا اللّغويّة، ولا نزال في الانتظار. مئة سنةٍ ونحن نحتمي بالأعياد الماسيّة والدّهبيّة للمَجامع والمؤسّسات، وننفق عليها فقدّمت أقلّ من المُنتظر.

مِئَة سَنَةٍ مَرَّتْ فَمَاذَا أُنتَجَتْ مِنَ الْجَدِيدِ؟ مِئَة سَنَةٍ وَلَا يَأْتِي الْجَدِيدُ فَهَلِ الْمَجَامِعُ وَالْمُؤَسَّسَاتُ ذَاتُ الْعِلَاقَةِ لَا تَرِيدُ الْعَيْشَ مَعَ الْجَدِيدِ؟ وَلِهَذَا لَا يُمْكِنُنَا تَبْلِيغُ الْمَقَاصِدِ؛ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ تَكْرَهُ الْفِرَاقَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَرْتَقِيَ وَنُبْدَعَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ اسْتِخْدَامِنَا لِللُّغَةِ الْأُمِّ وَالْإِعْتِرَازِ بِهَا، وَهَلْ يُمْكِنُنَا إِقْنَاعُ أَنْفُسِنَا وَمُحِيطِنَا بِأَنَّ اللُّغَةَ الَّتِي يَتَعَلَّمُ بِهَا قَوْمٌ مَا هِيَ إِلَّا اللَّحَامُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمْ، وَيَرْبِطُ حَاضِرَهُمْ بِمَاضِيَهُمْ وَيُمْسُقِبِلَهُمْ، وَيَجْعَلُ مِنْ تَرَائِكُمِ الْمَعْرِفَةِ حَقِيقَةً مُتَّصِلَةً.

وَمَعَ أَنَّ الْمَعَارِفَ الْعِلْمِيَّةَ (science) عَالَمِيَّةٌ؛ إِلَّا أَنَّ اخْتِيَارَ مِيَادِينِهَا هُوَ شَأْنٌ مَحَلِّيٌّ؛ يَتَعَلَّقُ بِمَا يُرِيدُهُ شَعْبٌ أَوْ أُمَّةٌ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ. وَهِيَ الْحَالُ الْيَوْمَ فِي كِبَرَى دَوْلِ الْعَالَمِ كَالْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ وَالْيَابَانَ وَالْمَانِيَا وَفَرَنْسَا وَرُوسِيَا وَالصِّينَ وَالْإِسْپَانَ وَالپَرْتِغَالِيِينَ. وَإِنَّ تَعْلِيمَ الطَّبِّ فِي أَلْمَانِيَا هُوَ بِالْأَلْمَانِيَّةِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ نَجِدُ التَّفَوُّقَ الصَّحِيَّ فِي أَلْمَانِيَا، وَلِغَةِ تَعْلِيمِ الْهِنْدِسَةِ فِي الْيَابَانَ هِيَ الْيَابَانِيَّةُ، وَرِغْمَ ذَلِكَ نَجِدُ التَّفَوُّقَ الْهِنْدِسِيَّ الْكَبِيرَ لِلْيَابَانِيِّينَ، وَكَذَلِكَ الطَّبِّ فِي فَرَنْسَا وَرُوسِيَا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الدَّوَلِ الْمُسَمَّاةِ بِالْعَمَالِقَةِ الثَّمَانِيَّةِ G8، وَالْكَبَارِ الْإِثْنَتَيْنِ وَالْعِشْرِينَ G 22 يَتَفَوَّقُونَ فِي اخْتِصَاصَاتٍ مُعَيَّنَةٍ بِلِغَاتِهِمُ الْقَطْبِ، وَلَيْسَ بِاللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ الَّتِي لَا يَنْظُرُونَ مِنْ خِلَالِهَا إِلَّا لِمَا تُضَيِّفُهُ لِلغَاتِهِمْ كَلِغَةِ اسْتِفَادَةِ وَإِفَادَةِ، وَلَيْسَتْ لِغَاتٌ هُوِيَّةٌ.

وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَمَ مَا فَكَّرَتْ فِي هَجْرٍ وَاهْتِجَارِ لِغَاتِهَا بِدَعْوَى التَّخَلْفِ أَوْ الْفَقْرِ أَوْ الْعَوْلَةِ بِقَدْرِ مَا تُفَكِّرُ بِأَنَّ لِلغَاتِهَا الْمَقَامَ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ مُنْتِجَةً، وَلِهَا مَوْقِعٌ بَيْنَ اللُّغَاتِ، فَلَا نَمَطِيَّةَ لِغَوِيَّةَ وَلَا احْتِكَارَ الْعِلْمِ فِي لِغَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ هُنَاكَ تَوَزُّعٌ لِلدَّوَارِ الْعِلْمِيَّةِ لِكُلِّ اللُّغَاتِ، وَتَسْعَى هَذِهِ الْأُمَمُ أَنْ تَكُونَ بِلِغَاتِهَا لَا بِلِغَاتِ الْغَيْرِ.

4. أَهْمِيَّةُ التَّعْرِيبِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ: لَا يُمْكِنُ الْاِخْتِلَافُ فِي أَنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ الْجَامِعَةَ عَامِلٌ مِنْ عَوَامِلِ الْاسْتِقْرَارِ وَالْأَمْنِ وَالِدَّفْعِ بِالْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ إِلَى الْإِطْمَئِنَانِ وَالْإِنْتِاجِ، وَإِنَّ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ بِلِغَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُونَ كَلًّا مُوَحَّدِينَ؛ مُرْتَبِطِينَ بِرَوَابِطٍ مَتِينَةٍ وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مَرْتَبِيَّةٍ، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا عَلَّمْتَ شَخْصًا بِلِغَتِهِ فَقَدْ نَقَلْتَ الْعِلْمَ إِلَى تِلْكَ اللُّغَةِ، أَمَا إِذَا عَلَّمْتَهُ بِلِغَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّكَ لَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا سِوَى أَنْتَ نَقَلْتَ الشَّخْصَ إِلَيْهَا.

ومن هنا نقول: إنّ مسألة التّعريب والنّهوض باللّغة العربيّة هي في صلب قضيّة الأمن الثّقافيّ، الذي هو جزء من الأمن القوميّ العامّ، وهو الهاجس الذي يثير الكثير من القلاقل والتّحدّي لواقع الأُمّة العربيّة ومُستقبلها فإذا ارتقينا بقضية التّعريب إلى مُستوى سدّ هاجس الأمن القوميّ لا بدّ أن تتغيّر النّظرة إلى هذه القضية، وتصبح همًّا مشتركًا لدى الجميع تقضّ ضرورة استكمال مسار التّعريب العامّ والشّامل، بحيث لا تتوقّف للمُنادة بضرورة استكمال تعريب التّعليم العالي، بل تتعدّاه إلى المُؤسّسات البحثيّة والإعلاميّة والثّقافيّة وإلى الوعي الجمعيّ لحصول الاعتزاز اللغويّ للعربيّة بصورة عامّة. وإنّ التّعريب تنميةّ مستديمة، وهو مطلب الشّعوب العربيّة، والهدف من ذلك التّغيير الإيجابيّ النّفعيّ بالمقاييس اللّغويّة العالميّة أنّه لم ترتقِ أُمّةٌ بغير لغاتها، فلمَ التّعطيل في التّطبيق؟ علمًا بأنّ التّعريب يؤدّي إلى جملة نتائج إيجابيّة في التّنميّة المُستديمة، ويظهر ذلك في:

1/4. التّعريب يؤدّي إلى وَحدة فكريّة، وذلك يُسهم في وَحدة ثقافيّة للأُمّة العربيّة، ومنحها شخصيّة متميّزة وكيانًا غير قابل للدّوبان.

2/4. التّعريب يربط ربطًا ثقافيًا وعمليًا ماضي الأُمّة وحاضرها ومُستقبلها ويُيسّر لها الاستفادة من تراثها الحضاريّ الهائل، ويمنحها نديّة للحضارات البشريّة الأخرى، ويكسيها الاحترام العالميّ.

3/4 التّعريب يؤدّي إلى استيعاب العِلْم، ويُساعد على مَحْوَ الأُميّة العلميّة. وهذا شرط للثّورة العلميّة الصّناعيّة التكنولوجيّة، بما يوقّر من كوادِر إطارات بشريّة مؤهّلة. ويعاني عالمنا العربيّ مما سمي (هجرة الأدمغة) أي هجرة الكوادِر البشريّة المؤهّلة، وهي بمئات الألوف، وقد كلّفت البلايين في بلدانها حتى وصلت إلى ما وصلت إليه. وكأنتنا نُدعم تقدّم الأُمم الأخرى على حسابنا، وصار الفقير داعمًا للغنيّ.

4/4. التّعريب يؤدّي إلى مُجتمع مُتعلّم مُثقّف، يقدر دور العلم، ويكون القاعدة الأساسيّة لمُجتمع صناعيّ مُتقدّم قادر على المنافسة العالميّة. ونذكر أرقامًا قديمة

(من بيانات المؤتمر الإسلاميّ حول العلم والتكنولوجيا 1983). إذ يوجد في الكيان الصهيوني 34800 باحثاً علمياً مقابل 4500 لدى الدّول الإسلاميّة جميعاً، مع أنّ نسبة السّكان هي 1 : 200. ويمكن مُراجعة ترتيب الدّول في قائمة المُنافسة العلميّة كما رتّبها المُنتدى الاقتصاديّ العالميّ لسنة 2012. فقد جاء ترتيب الكيان الصهيوني 26، وجاء الأردن بعده في التّرتيب 64، وأخيراً مصر في المُرتبة 107.

5/4. التّعريب يرفع من مُستويات التّعليم الجامعيّ والبحث العلميّ. وفي هذا الزّمان، الذي يجهد الطّالِب فيه للحصول على درجة فارغة من المُضمون العلميّ يتخرّج فلا يتقن العربيّة أو الإنكليزيّة نحتاج إلى بحوث تطبيقيّة في العربيّة يستفيد منه المُزارع والصّناعيّ...

6/4. التّعريب يُسهّم في رِفد اللّغة العربيّة، ولغات الشّعوب الإسلاميّة بالمُصطلحات العلميّة والتّقنية، ويُعيد للغة العربيّة مَجدها وانفتاحها على اللغات الأخرى، ويُقوّي الرّوابط العلميّة والثّقافيّة بين الشّعوب الإسلاميّة.

7/4. التّعريب يُسهّم في توفير أموال طائلة تُنفق على استيراد الكتب الأجنبيّة الغاليّة الثّمن ويؤدّي إلى تكنولوجيا عربيّة متقدّمة في الطّباعة، وإخراج الكتب والنّشر وتوسيع آفاق الثّقافة والمعرفة".

وفي كلّ هذا نُضيف؛ إنّ التّعريب يعمل على الحدّ من هجرة الأدمغة، فلماذا نتسامح في أدمغتنا العربيّة؛ نتسامح في (أحمد الباز، ومجدي يعقوب، ومايكل عطية، وأحمد زويل، والزّرهوني)... مواهب عربيّة وصلوا إلى القمّة العالميّة في غير مُجتمعاتهم الأصليّة، والأحرى أن تستفيد منها مُجتمعاتهم لو تواصلت عمليات تعميم استعمال اللغات الوطنيّة. ولدينا تجربة (كورية الجنوبيّة) التي تقدّمت باللّغة الكوريّة بعدما تخلّصت من هيمنة اللّغة اليابانيّة، بل انتقل مُتوسّط مُعدّل الوفيات من 39 سنة أيام استعمال اليابانيّة إلى 80 سنة، والكوري أصبح يُعمر، والسّبب هو تكافؤ الفرص للجميع، فلا نخبويّة في المُجتمع، وتعميم استعمال اللّغة الوطنيّة واجب قوميّ، وإلغاء التّخبة التي كانت تستعمل اليابانيّة؛ وهي سلطة حاكمة، والشّعب الكوريّ محكوم وهو الذي يستعمل الكوريّة في مُحيطه. لقد غاب

الانسجام الجمعيّ، وتخلّف الكوريّون بسبب العائق اللغويّ ولكن لما توحدّ التعليم باللّغة القوميّة، وزال نظام النّخبة، وعمّ التعليم المجانيّ بالكوريّة إلى جانب مجانيّة الطبّ، زالت الفوارق الفئويّة بين الكوريين، وزال الفرقُ بين الرّيف والمدّينة، وأصبح الكوريّ سيدًا في بلده بلغة بلده، وينتج بها ويستعملها ويقوم على تطويرها، تقدّم بشكل مذهل، ويحتلّ الآن الرّتبة الثّانيّة عشرة في الاقتصاد العالميّ، يعني أعلى رتبة من فرنسا+ إسبانيا+ إيطاليا... ومثال آخر لبلد (رواندا) التي خرجت من طوق الفرنكفونيّة؛ فهي الآن في الرّتبة السّادسة أفريقيًا في النّموا الاقتصاديّ. علمًا أنّ هذا البلد عاش مأساة الحرب الأهليّة، ومرّ بظروف صعبة، وأنّ الجزائر مسحت عليها الدّيون، ولكن حكمة مُسيّرها نقلوها نقلة نوعيّة في إطلاق القمر الصّناعيّ الخاصّ بها، وبناء بنية قاعدية متكاملة.

5. واجب العلماء: من الأهميّة بمكان تحديد واجبات العلماء؛ لنكون على طريقة واحدة في تحديد الواجب الملقى على هذه الفئة في مجال صناعة خدمة العربيّة. ومن المعروف أنّ واجب العلماء يتمثّل في إرشاد النّاس إلى الخير ودلّهم على إتيانه، وقول الحقّ، والتّصيحة، والتّضحية والإباء، وفعل المرجعيّة. ولعلّ أهمّ مسألة في هذا الأمر تبصير النّاس بأبعاد القضية اللغويّة التي هي أخطر قضية إذا وقع سوء استغلالها، فلها مخاطر على المجتمع في إثارة القلاقل، وبثّ عدم الثّقة في الهويّة اللغويّة، وما يتبع ذلك من النّخر الذي يُصيب المجتمع في الانهيار النّفسيّ تجاه لغته التي لا يعتزّ بها.

فواجب العلماء هنا يكون التّركيز على الشّباب، وتكون جلّ الاهتمامات للاستثمار في تربيّة وطنيّة، وتحبيب اللّغة العربيّة، وغرس حبّ اللغات الوطنيّة، والاعتزاز بها وتبيان الطّريق السّليم لخدمتها وتطويرها، والأخذ بالمنهج السّليم الوسطيّ، فنحن أمة وسط تمثل الاعتدال في كلّ الأمور. هنا يظهر دور النّخبة الثّقافيّة في الحفاظ على المُواطنة اللغويّة وزرع الأثمن اللغويّ، فعلى النّخبة أن تخرج من (أنا أفكر) إلى (أنا أمارس) إلى (أنا ألتزم) بقضايا المجتمع وتقديم الحلول لمشكلاته اللغويّة.

تلكم مسؤوليّة المثقّف الذي تعلق عليه صورة الاعتزاز اللغويّ وتبدأ منه، وهذا يدخل في الحفاظ على السّلم الاجتماعيّ، لا إذكاء الفتن في كتاباتها أو في إعلامها، وكان عليها العمل على التّعايش بين المختلفين ليس محالاً. فوضع المثقّف يتحدّد بنوع "علاقته بالفكر والثّقافة، لا لكونه يكسب عيشه بالعمل بفكره لا بيده؛ بل يتحدّد وضعه بالدّور الذي يقوم به في المُجتمع مُسرّعاً ومُعترضاً ومُبشّراً بمشروع، أو على الأقلّ صاحب رأي وقضيّة، إنّه ضمير المُجتمع".*

6. مواصفات العالم العضويّ: لقد ذكرت في البدء واجب العلماء؛ فلمهم منزلة عظيمة في المُجتمع، وأنّ غياب أثرهم مدعاةٌ لتصدير غير الأكفاء الذين يُضلّون النّاس بغير علم، وحينذاك يتعرّض المجتمع للهلاك. وكان القول عامّاً، وهنا يقع التّنصيب على مواصفات العالم العضويّ الذي تعلق به واجبات خدمة المواطنّة؛ لأنّ مُصطلح (العالم) فضفاضة، وأريد التّركيز على تلك النّخبة الصّفوة التي تحمل همّ المُجتمع، ويصبح همّها الدّفاع عن المُجتمع حتى تحقيق كلّ قضاياها وبخاصّة ما له علاقة بقضايا الهويّة.

ولذا كلامي مُوجّه لنخبة أريدها أن تتميز بقدرتها على التّأثير أكثر من غيرها، بما يربطها بقضايا النّاس مثل التّنميّة المُستديمة، والتهضة، وخدمة الشّأن العامّ. نريد نخبة عربيّة تجمع بين الذّكاء والإبداع والاجتهاد والطّموح؛ للتّأثير في النّاس وفي صاحب السّلطة. نخبة من صفوة فئات المجتمع القادرة على التّوجيه، والواعيّة بمُستقبل الأُمّة والعارفة بتحدّيات الوطن العربيّ، وما يجب العمل لرفع المُضايقات. ولا نريدها نخبة النّخب التي تعيش منكفئة على نفسها وفق المقولة التّهكميّة الخاصّة بالأبراج العاجيّة، نخبة مُغتربة وعدوانيّة تجاه وسطها الاجتماعيّ الطّبيعيّ.

*- محمّد عابد الجابري، المثقّفون في الحضارة العربيّة، محنة ابن حنبل، ونكبة ابن رشد. بيروت: 2000، مركز دراسات الوحدة العربيّة، ص 24.

وأريد تأكيد مُسَلِّمة مُهمّة في هذا المجال للتفريق بين العالم والمثقف، فيقع تركيزي على النخبة المثقفة (الأنثيلجنسيا): والتي تشمل جميع الأشخاص الذين حازوا على تعليم عالٍ بمشمولات: النخبة السياسيّة+ النخبة البيروقراطيّة+ نخبة رجال الأعمال+ النخبة العسكريّة+ النخبة الدينيّة+ النخبة الرّمزيّة+ النخبة النّسويّة. وما يهّمنا فيها صفات التّميّز والتنظيم واقترح الأفكار ومعرفة تصريفها وإيجاد الحلول إلى جانب معرفتها الجيدة تجاه خدمة تطلّعات منظمات المجتمع المدني.

ومن خلال هذا نريد مثقّفًا عَضُوًّا يمارس العمل الذّهني والتّفكير الإيجابي، وينتج الآداب والعلوم والفنون، ويخترع التكنولوجيا، ونريد رجل الاختيار الذي يرسم البدائل لشعبه وأمتّه، ويعمل بموضوعيّة على خلق حالة من الوعي لدى المواطنين؛ للوصول إلى موقف معيّن يتفاعل معه في صياغة الوعي المجتمعي؛ لإحداث تغيير في الأوضاع السائدة.

ومن أهمّ صفات المثقف المقصود، لا العالم، الدّور النقديّ التّنويريّ ومدى الاندماج المجتمعيّ. ومن هنا تأتي أهميّة الرّسالة المنوّطة بالمثقف العضويّ الذي يجب أن يُعبّر عن طبقته الاجتماعيّة ويُناضل من أجلها، ويخلق المشروع اللّغويّ التّهضويّ. نريده مُثَقَّفًا عالمًا لا يُعادي السّلطة، بل يكون من أصحاب القرار، فبقدر ما يعتبره مواطنوه أداة للتّغيير الإيجابيّ ترى فيه السّلطة عنصرًا من عناصر الاستقرار، ولم الشمل والدّعوة إلى التّكامل.

7. واجبات المُجمعيين: إنّ المجمعين يتحمّلون قسطًا من المَسْؤُولِيّة في عمليّة التعريب؛ فهم يتحرّكون ببطء؛ فحركتهم ليست على المستوى السّريع الذي يواكب 50 مصطلحًا يوميًا تقدف به الحضارة الغربيّة، فلو تحرّكت المَجَامع والمَجْمعيّون بشكل سريع يمكن أن يودّي ذلك إلى مُواكبة العرب التّطوّر العلميّ بشكل لحظيّ ويوميّ، ولا يكون هناك أيّ شكل من أشكال التّأخّر العلميّ. إنّ مشكلة المَجْمعيين ينتظرون القرار السّياسيّ الذي لا يصدر، ولا يعملون على استصداره، وإلى حدّ كبير هناك حسّ وطنيّ وغيره، ولكن يحتاج الأمر إلى تقديم الجهود الجبّارة التي

تجعل أمر التعريب من المسائل التي يطوى ملقها بالعمل الدؤوب، لحلحلة أوضاع العربية، مع تقديم الأفكار النوعية التي تجعل العربية تنال موقعاً في العلوم. نريد من المجمعين التحرك ضمن تقنين قرار لغوي صالح لكل الدول العربية التي تعيش وضعاً غير طبيعي، باختلاف لغات المستدمر، واختلاف البيئة والجيرة وما يتعلّق بوجود اللغات المحلية في بعض البلاد العربية، وعدم وجودها في بعضها مع مسألة العاميات والتّهجين اللغوي.

يتحمّل المجمعيون بعض التّريث والضعف في العمليات التعليمية التّعليمية في جميع الأقطار العربية في السّكوت عن ضعف التّخطيط اللغوي. يتحمّل المجمعيون عدم مسaire الوضع اللغوي العولمي في استقبال الآلات بمصطلحاتها التي لا يقدّمون المصطلح العربي إلا بعد أن يفرض الأجنبي، ويصعب أن يقتلع بعد ذلك من ذهن المواطن العربي.

يتحمّل المجمعيون ذلك الهجين اللغوي الذي يشوّه العربية، ويبقى المجمعيون يعالجونه في أعمدة (قل ولا تقل) دون النزول إلى مُنتجى هذا الهجين للمرافقة أو تقديم دورات تكوينية. يتحمّل المجمعيون ضعف التّكامل أو التّنسيق بين المجمعين ومؤسسات الدّول لخدمة المواطن اللغوية، فتحصل في بعض الدّول فجوات بين ما تنتجه المّجامع، والوزارات التي يفترض أن تتعاوض معها. قد يتحمّل بعض المجمعين تلك العثرات التي حدثت في عملية التعريب من خلال الجهود المبذولة والتي لم تكن مُتطابقة لملاحقة التّطوّر الهائل في العلوم والتّكنولوجيا المعاصرة.

ثامناً: اهتمام الدّول: يمكن أن ندخل في هذا الموضوع واجبات الدّول العربية في تعريب العلوم، وتحمّل الدّول العربية قسطاً كبيراً في عديد من النّجاحات أو الإخفاقات، فالبناء الصّحيح والتّبصر بأبعاد القضية اللغوية، وتنفيذ الادعاءات الرّائفة، وكشف الرّيف، والحسم في القرار السّياسي، والعمل على التّوحيد اللغوي وإعداد الجيد، والتّخطيط اللغوي، والإنفاق الماديّ والتّشجيع المعنوي... كلّها تصبّ في خانة اهتمامات الدّول، وهي من الواجبات المنوطة بالسلطة التشريعية

والتنفيذية. فشركاء كثيرون في هذه المسألة عندما تتحدّد أبعاد القضية اللغوية وتديرها السلطة بمنهج:

1. إيلاء اللغات الوطنية القيمة الرمزية والاستعمالية المكانة العليا في سلطة الدولة. وفي هذه النقطة أليس جديرًا بنا التذكير بفعل السابقين في هذا المجال وكم من مؤسسات عربية تنادت إلى أفعال ذات قيمة وأهمية: ألم ينصّ "(إعلان لنهض بلغتنا على: ... لم يُسجّل التاريخ نهضة علمية لشعب من الشعوب بغير لغته الوطنية، ما يجعل من اللغة العربية قضية أمن قوميّ بلا منازع. وأداة معرفية لا يمكن الاستغناء عنها في أيّ مشروع عربيّ للتنمية. وأنّ موجبات إعلاء شأن اللغة العربية ودعمها لا يتعارض مع اعتبارات الانفتاح على الثقافات العالمية وتعلّم اللغات الأجنبية".

2. التخطيط اللغويّ السليم: من مهام الدولة العمل على سنّ سياسة لغوية وفق المنهجيات والمرجعيات الوطنية والحضارية والتاريخية، وإقرار سياسة لغوية واضحة المعالم والأهداف ومن ورائها سياسة تربوية يقع فيها الرّبط بين الأمل والطموح، وبين ما هو على أرض الواقع؟ فما كان يجب على مؤسسات الدولة/الوزارات أن تتعاس عن أداء دورها في تحقيق تلك التخطيطات؟ والعمل بها لسدّ كلّ الفجوات، ووضع الحلول لتجاوز الصّعوبات.

3. الاستثمار في التربية والتعليم: يعني الاستثمار في الفرد، وأساس تقدّم الشعوب ليس في استيراد التقانات، بقدر ما يكمن في من يصنع هذه التقانات وخلق بيئة لغوية مُنسجمة تعمل على الإنتاج العلميّ بلغة البلد. وإنّ الفرد هو أساس البناء كلّ؛ إذ لا أمل في إقامة بناء سليم متين، إذا كانت لبناته واهية أو فاسدة، وأول ما يبني به الإنسان هو الإيمان والصدق والعمل والأمل والطموح والمنافسة. وهنا من واجبات الدولة أن تعمل على بناء فرد سويّ متّزن ضمن مشروع متكامل تؤمن به الأمة، وتتربّى عليه، وتعمل وفقه على السّير على نهجه وتتعاون كلّ المؤسسات على تحقيقه: الجامع والجامعة، والكتاب والصّحيفة

والتلفاز والإذاعة، فلا تُشْرِقُ مُؤَسَّسة في حين تُغَرِّبُ أخرى ولا يهدم مَجَال غيره من مُؤَسَّسة عضيد.

4. الدَّعم المَعنويّ من أجهزة الدَّولة للحفاظ على اللُغة الوطنيّة في: التَّدريس+ الإعلام+ الاستعمال الرّسمي+ الإدارة. فلو أنّ الأمم العربيّة تنفق على التَّربيّة والتَّعليم كما تنفق على الفنّ والريّاضة لحصّلت المراتب الأولى في كلّ شيء.

5. تجنيد الإعلام لقضيّة المواطنة اللغويّة، وهي مسألة نوعيّة على غرار ما تقوم به الفرنكفونيّة أو اللوزفونيّة أو الإسبانيّة من تجنيد وسائل الإعلام التي تضحّ يوميًا ما يجعلك تتعمّق في لغتهم وتعلّمها. أرماة من جيوش الإعلاميين في كلّ بلاد العالم يُقدّمون الخِدْمات بالمجان لصالح لغاتهم لكي يكون لها الانتشار القويّ في الدّاخل وفي الخارج.

6. الاستماع إلى العالم الذي ينتج الأفكار، والسّلطة من خلالها قد تَصنَع القرار.

7. خوض مَجالات المُحتوى العربيّ الرّقيّ: وهذا لا يستطيع الأفراد القيام به لما يتطلّب من تجنيد ومال. فالدَّور على الحكومات للسّعي على إحداث تغييرات على المستوى التَّنظيميّ لخدمات المعلومات والاتّصالات، وتوفير الدَّعم الحكوميّ للمشاريع ذات العلاقة، مع مزيد من مُؤَسَّسات التَّعليم والتَّدريب للوصول إلى بيئة عربيّة مُحوسبة.

8. ضرورة استكناه تجارب الأمم النّاجحة في المواطنة اللغويّة واقتباس ما ينفعنا: ولنأخذ في هذه النّقطة تجربة فرنسا، فلا يخفى أنّ فرنسا كانت تعيش مخاضًا كبيرًا في عصر الضَّعف، ولكنها أرادت التَّهوض الصّناعي، فبدأت بالتّفكير في التَّهوض اللغويّ وبدأ ذلك إنّ بداية التَّهوض الأوروبيّ بدأ من أوساط القرن XVI الميلاديّ، حيث اهتمّت أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على مَوَضيعات: فتح الحريات البحثيّة+ مَنع التَّعصّب+ التَّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ خوض ميدان ثورة البخار. وكان مفتاح التَّطوّر في كلّ ذلك مبنياً على:

❖ إحياء التّراث الكلاسيكيّ، وكان موطنه في إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرومان وموطن إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط؛

❖ رعاية أمراء إيطاليا للآداب والفنون وللحركات الإنسانيّة والنّهضة المعاصرة بصورة عقلائيّة؛

❖ نظرة الأوربيّ إلى العُصور الوُسطى التي قهرته وخلفته، والرغبة في التّغيير؛

❖ الإجماع على ضرورة إحياء العلوم الإنسانيّة، فهي باب العلوم، وإخراج الكنيسة من حدود الممانعات في الاجتهاد.

ونرى في هذه الخريطة النّهضويّة أنّ البداية بالعلوم الإنسانيّة؛ لأنّها تقوّم الجانب الروحيّ؛ حيث يصبح إنساناً مُبدعاً للآلة التي يستعملها، ولا يكون عبداً للآلة. ومن ذلك تحدّدت مراتب النّهضة عندهم وفق الآتي:

. أولاً: الاهتمام بالتّراث الكلاسيكيّ: الأدب+ الفنّ+ الفلسفة. وبرع في ذلك: دانتي إليجيري 1321م، وبتاراك 1374م، وبوكاشيو 1375م. وكانوا يقولون "لا خوف على مسيحيّة الشّاعر إذا استلهم تراث اليونان والرومان".

. ثانياً: الاهتمام بالشّعريّ: وكان على يدّ (جفري شوسر/ Geoffrey Chaucer 1400م)، و(ليوناردو سير دافنشي/ Leonardo Ser Piero Da Vinci 1519م)، و(توماس مور/ Sir Thomas More 1540م) و(فرانسوا رابليه/ François Rabelais 1553م). ويعدّ (مايكل أنجلو بوناروتي/ Michelangelo Buonarroti) من أعظم فنّاني عصر النّهضة، وقد برع في فنّ التّصوير والنّحت إلى درجة مُذهلة، ومن أعماله المشهورة تمثاله الرّخاميّ (التّقوى) وهو يُصوّر العذراء مريم وهي تحمل ابنها على حجرها. وقد وضع هذا التّمثال في كنيسة مُلوك فرنسا. ثمّ ظهور الطّباعة على يدّ الألمانيّ (يوهان جوتنبرغ/ Johannes Gutenberg 1438م)، والفلك على يدّ البولنديّ (نيكولاس كوبرنيك/ Nicolaus Copernicus 1543م)، وفلسفة الحكم بأحكام (نيكولو دي برناردو دي ما كيافيلي/ Niccolò Di Bernardo Dei Machiavelli 1527م)، وإصلاح الكنيسة كانت بظهور كتابات (مارتن لوثر كينغ/

/ (Krisstoff Kolumbus) واكتشافات جغرافية جديدة (Krisstoff Kolumbus) /
1692 Christophorus Columbus م) وقد شكّل عمله الجغرافي انقلابًا في طُرُق
التجارة الدولية، وفي الاقتصاد العالمي، بظهور طريقتين: طريق الحرير + طريق الملح.
وكان في كلّ هذا برعاية دائمة من:

1. الأمراء: أمير إيطاليا (كارلو دي كوزيمو ميدشي / Karlo Di Cosimo Midichi)
وهو أمير وشاعر.

2. البابويين: وفي مقدمتهم الأب (نيقولا V والمولود باسم Tommaso Parentucelli) والمتوفّي 1455 م.

3. المهاجرين القدماء: فقد وجدوا جؤًا جديدًا أبدعوا فيه لوجود حرية الفكر
والبحث.

4. الناشرين: تأسيس المطابع من أثرياء إيطاليا مثل مطبعة فلورنسا + مطبعة
البندقية.

. ثالثًا: بناء المؤسسات: فمن مجمع اللغة الفرنسية سنة 1612، على يدّ (أرماند
جان دو بلاسيس دو ريشيليو / Armand Jean Du Plessis De Richelieu) إلى
تأسيس مجمع اللغة القشتالية في إسبانية، إلى مؤسسات كبيرة أضحت مرجعيات
عالمية، وإلى أكثر من خمسين (50) جمعية تناصر اللغة الفرنسية وإلى منظمة
الفرنكفونية، وما ينطبق على فرنسا ينطبق على إيطاليا التاريخ، وعلى اليونان
الحضارة، وعلى البرتغال المغامرة، والإسبان ملوك البحر ومالطا الأمجاد...

. رابعًا: الإغداق على المجامع والمؤسسات: وهذا من مُستلزمات إجراء البحوث
والتجارب وتحقيق مختلف الصناعات. وفي كلّ ذلك تعضدها مئات من مراكز
البحوث العلمية العالمية بما لها من علماء تنفق عليهم بسخاء، وتوفّر لهم العيش
الرغيد، والمهم أن يبدعوا في ذات لغاتهم وبلغاتهم.

. خامسًا: توفير وسائل النجاح: وفي هذا كان التعلّق على البشر العلمي المتعلّم
الذي تكوّنه أو الذي يأتيها مُكوّنًا، فتوفّر له شروط النجاح والاستثمار في مشروعه،

وتقدّم له كلّ المطالب. وقد حقّقت الكثير من استقطاب الكفاءات الوطنيّة والأجنبيّة، واستثمرت في التنمية البشريّة أيّما استثمار.

. سادساً: الاستفادة من خبرات الآخرين: ولقد كانت الهّضة الأورپيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفدّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ، وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافيّة أخضعتة للنّقد، واستلهم قيم وأفكار جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأورپيّة. دون أن ننسى أنّ هذه الهّضة قد استلهمت من الحضارة العربيّة الإسلاميّة علم اللّغة العربيّة، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللّغة العربيّة هي التي أدخلت في الغرب طريقة التّعبير العلميّ، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طرُق التّعبير العلميّ والفتيّ".

9. أهميّة استعادة تجارب نهضويّة عربيّة بمراعاة المُستجد. وقبول التكيّف: وفي كلّ هذا لا نعدم بدايات الهّضة العربيّة التي حصلت بمنطلق الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة عند الطّهطاوي+ الأفغاني+ محمد عبده... وهذا الرّعيل قطع شوطاً كبيراً في عملية التّحديث في البنيات الفكرية العربيّة العتيقة بفكر مُستنير؛ عبر خلق توافق بين مُتطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة وبين الدّين الإسلاميّ وقيمه السّميحة. وكانوا يرفعون شعار "الإسلام دين مدنيّ يقبل المتغيّرات ويتفاعل معها" ويغرسون الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّع العربيّ واللّغة العربيّة؛ كُون العرب كتلةً قوميّةً اغتنمت بالتأثير اللّغويّ دون الدّوبان في فكر فارس أو تركمان أو هنود...

وهكذا استلهم العرب حضارتهم في جانبيها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطبّ والرياضيات والجغرافيّة وكان العقل العربيّ مُبدعاً مُنفتحاً على معارف مُتنوّعة. وحصلت عظمة عربيّة إسلاميّة استثنائيّة ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة المُصاحبة بالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة التّرجمة واعيةً، ووصلت مع نهاية القرن العاشر إلى نهايتها بعد أن استنفذت موادها، وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد.

وكان توسع الفكر العلمي مُتمشيًا مع انتشار الإسلام واللغة العربيّة بصفتهما لغة تواصل جديدة بامتداد كبير وصلت إلى الصّين، وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة. وفي كلّ ذلك حصل الامتداد العربيّ في كلّ القارات وهي مُحصّلة نوعيّة إذا أردنا التّهوض مرّة أخرى، بمجامعنا وبمؤسّساتنا وبالمُجتمع ككلّ؛ فالعمل التّهضويّ صناعة جماعيّة والعبرة بالخواتيم، كيف كانت أوروبا متخلّفة، وعملت بمبدأ حتميّة التّغيير، كما أنّ العرب الأوائل عملوا بالتماس الأسباب، وحصلت لهم نواة النّقلة النّوعيّة في تأسيس العلوم النّظريّة التي أخذها الغربيّون وطوّروها وأفادوا بها لغاتهم، وتطوّروا بتنظيراتها التي أهملناها ضمن بوتقة العلوم المُعاصرة التي تُربّي فينا الآليّة الصّماء.

10. إنتاج مشاريع نهضويّة مُعاصرة: وهنا نترك للمبادرات الفرديّة والجماعيّة أن تتناطح في من يُقدّم الأفضل، والمهمّ في الأمر تقديم تصوّر عن وضع آليات مُعاصرة للتّهوض العربيّ الثّانيّ بخصوص الاهتمام باللّغة العربيّة اهتمامًا أوليًّا؛ باعتبارها لغة الانسجام الاجتماعيّ، والتّناغم البيئيّ، ولغة المستقبل، إضافة إلى الشّرعويّة التي نالتها من خلال الدّساتير العربيّة، وما يتبع ذلك من مُستلزمات النّصوص القانونيّة. فلا جدالٍ في القضايا الشّرعويّة في اللغات الوطنيّة من حيث موقعها الاجتماعيّ، بقدر ما يكمن المُشكل في زحزحتها الفعليّة والقصديّة من قبل بعض الأفراد الضّعاف الذين لم يقتنعوا بالواقع اللغويّ، ولا يرضون للعربيّة أن تكون لغة التّعليم، ولا اللّغة اليوميّة للمواطن. إذًا المُشكل في كفيّة الاقتناع بها كلغة لا بديلَ عنها، وهي القدر الذي لا يمكن التّنازل عنه أو التّسامح فيه أو تركه للزّمان، وهذا ما تحرص عليه الأمم الحيّة التي تقدّمت بلغاتها، ويشهد التّاريخ بأنّه ما تقدّمت أمة بغير لغتها البتّة، وهذا ما يجب أن نقوم على تجسيده من خلال بثّ هذه الفكرة لدى كلّ الفئات العربيّة. والعوّل في هذا الأمر على النّخبة العُضوة في المُجتمع العربيّ، وهي الفئة المثقّفة والمُسمّاة (النّخبة) يجب أن تضع في وعيها خدمة الشّأن العامّ، وإلا لا فرق بينها وبين الدّهماء. ومن هنا نريد نُخبًا تعمل على أن تُضيف للعربيّة قيمةً جديدةً، نُخبًا تنقل العلم إلى العربيّة لا نُخبًا تنتقل إلى

اللغات الأجنبية. وندعو النخب العربية إلى إنجاز مشاريع في مستوى عظمة العربية فهم معنيون بالمسألة اللغوية؛ إن لم يكن لهم الضلع الكبير في عودة الوعي اللغوي إلى مقامه، فهم يُعدّون بمثابة المرجع القيمي، فيزع بأوامرهم ما لا يزع بالوعظ والقرآن.

. تاسعاً: ضرورة الاستهداء بتقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها: هو تقرير لعمل فريق متخصص من إعداد وإشراف وزارة الثقافة والشباب في دولة الإمارات العربية المتحدة. شمل التقرير تغطية مجالات اللغة العربية في سنوات 2018-2020. ونصّ التقرير في الخاتمة على ما يلي "تقرير حالة اللغة العربية ومستقبلها، هو نتيجة عمل فريق استثنائي قدّم الفكر والوقت والجهد بشغف لا مثيل له بلغتنا الأمّ، والتزام ملهم بمستقبلها. عمل على التقرير ثلاثة وعشرون باحثاً من الإمارات المتحدة ومختلف الدول العربية، وأسهم فيه خمسون خبيراً في مجال اللغة العربية يعملون في كبرى المؤسسات الحكومية والجامعات والشركات التكنولوجية في الإمارات العربية المتحدة والسعودية وعمان ولبنان وكوريا وأستراليا والصين والبرازيل وألمانيا والولايات المتحدة وغيرها". وأقدّم لكم زبدة ما يمكن العول عليه في مستقبل تطوير العربية من متن العمل.

1. عن العربية في بعدها السياسي: لا يخفى عن أحد أنّ المنطقة العربية تعجّ بالأحداث السياسية، وقد فتحت تلك الأحداث الأبواب واسعةً لزيادة الاهتمام بالمنطقة ولغتها. وبينما تتفاوت طبيعة هذا الاهتمام وأسبابه من بلد لآخر، يبقى البعد السياسي طابعاً يميّز منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ويدفع الآخر للاهتمام بها. ويمكننا القول إنّ البعد السياسي للغة العربية ناجم عن أربعة عوامل أساسية تتفاوت وتختلف بحسب البلاد المهتمة بتدريسها. فهو إمّا: (1) نابع من الفضول الثقافي والمعرفي تجاه الأحداث في المنطقة العربية، وهذا حاضر في النموذج الياباني على سبيل المثال، إذ إنّ الاهتمام بسياسة الشرق الأوسط هناك محصور في المعرفة الثقافية، أو (2) ناجم عن الفرص المهنية المتاحة في مجال الإعلام ودراسة الشرق الأوسط مثل ألمانيا على سبيل المثال لا الحصر، أو (3)

مُنبتق من الحاجة العسكريّة والأمنيّة، وهذا حاضر في الولايات المتّحدة والمملكة المتّحدة، أو (4) حاضر لأسباب إنسانيّة واجتماعيّة نتيجة لموجات الهجرة العربيّة، ولا سيّما إبان أحداث 2011 وما عُرف بالرّبيع العربيّ. وفي هذا المحور سنركّز اهتمامنا على العاملين الأخيرين، الحاجة العسكريّة والأمنيّة والدّواعي الإنسانيّة والاجتماعيّة؛ نظرًا لأهمّيتهما ولغلبة حضورهما من حيث البُعد السّياسيّ لتعلّم العربيّة في العوالم الجديدة.

وانطلاقًا من هنا نقول إنّ تعليم اللّغة فعلٌ سياسيّ بامتياز، فتعلّم العربيّة العابر للقارّات اليوم ليس بمنأى عن علاقات المنطقة العربيّة الدّيپلوماسيّة وتأثير القوى الإمبرياليّة والاستعماريّة عليها، وهو ليس بمعزّل أيضًا عن مُستجدّات السّاحة السّياسيّة وسفر اللّغة مع موجات الهجرة لكثير من الدّول. إذًا تعليم العربيّة في العوالم الجديدة بات ضرورة سياسيّة من منظورين، عسكريّ وأمنيّ أوّلاً، وإنسانيّ واجتماعيّ ثانيًا.

2. في مجال القوانين والتّشريعات والمبادرات:

1/2. تزايد الاهتمام بتمكين اللّغة العربيّة في مجتمعاتها عبر مجموعة من القوانين والتّشريعات التي تمّ سنّها في بعض الدّول العربيّة في العقد الأخير، وعبر إنشاء مؤسّسات تهدف إلى ترسيخ دعائم اللّغة في هذه الدّول ومُجتمعاتها.

2/2. ظهور عدد من المبادرات على المُستويين الحكوميّ والخاصّ؛ تعكس تنامي الاهتمام باللّغة العربيّة على تفعيل وجودها في كافّة مناحي الحياة. ونخصّ بالدّكر هنا المبادرات اللّغويّة في القطاع التكنولوجيّ التي يعمل بعضها على الجانب التّعليميّ والتّأصيل العلميّ والأكاديميّ للّغة العربيّة، وبعضها الآخر على تطوير حوسبة اللّغة العربيّة، وإغناء المُحتوى العربيّ في الشّبكة العالميّة، وتعزيز استعمال اللّغة العربيّة في شبكات الاتصال والتّواصل.

3/2. إنشاء الجوائز التي تهدف إلى مكافأة الإبداع باللّغة العربيّة بمُختلف أشكاله آدافيّ وفنونيّ، وترجمات، ودراسات علميّة، وأسهمت هذه الجوائز في دعم

الجهود الهادفة إلى تطوير اللّغة العربيّة بشكل عامّ، وإلى إنعاش الإنتاج اللّغويّ بشكل خاصّ، والدّفع به إلى فضاءات جديدة من التّوزيع والانتشار.

3 في مجال القوانين والتّشريعات:

1/3. افتقار غالبيّة الدّول العربيّة إلى سياسات لغويّة واضحة تُحدّد فلسفة الدّولة تجاه اللّغة أو اللّغات التي يستعملها أبناء البلد الواحد، وتَحكّم الجهود التّشريعيّة ذات الصّلة بحماية اللّغة العربيّة. وما نراه اليوم، في الغالب، لا يعدو كونه نصوصًا عامّة مُتفرقة لا يجمعها خيطٌ ناظمٌ أو رؤيةٌ واضحةٌ.

2/3. ضعف مُواكبة الجهود التّشريعيّة اللّغويّة لما يشهده العالم من تحولات سياسيّة وثقافيّة واتّصاليّة مُتسارعة، وما تفرضه كلّ هذه المُستجدّات من واقع جديد يلقي بظلاله على مُستقبل اللّغة العربيّة. فالكثير من التّشريعات اللّغويّة التي تحتكم إليها الدّول العربيّة في عصرنا الحاليّ يعود إصدارها إلى سنوات سابقة للعشريّة المُنصرمة، حتى إنّ بعضها قد صدر في أربعينيّات القرن الماضيّ. وإذا ما نظرنا إلى التّشريعات اللّغويّة الحديثة التي صدرت خلال السّنوات العشر الماضيّة نلاحظ أنّها لم تُواكب الثّورات التّقنيّة الحديثة؛ فلا نجد قوانين التي تنظّم الاستعمال اللّغويّ في الأنماط الاتّصاليّة الرقميّة التي فرضتها مُستحدثات العصر، أو القوانين تنظّم عمل الاتّصال الجماهيريّ، كالمنصّات الإعلاميّة الإلكترونيّة، ومواقع المؤسّسات الحكوميّة والمؤسّسات الخاصّة، وغير ذلك من أشكال الاتّصال القائمة على النّشاط اللّغويّ.

3/3. انحسار الدّور المحوريّ الملقى على عاتق مجامع اللّغة العربيّة نتيجة لأسباب عدّة؛ يأتي في مُقدّمها غياب التّنسيق بين هذه المَجامع، وبين مراكز الأبحاث والعلوم في مُختلف الميادين العلميّة والاجتماعيّة، وانكفاء المَجامع على ذاتها، مُغرّدة بعيدًا عن سرب المراكز العلميّة والمؤسّسات البحثيّة، والنّتيجة غياب للتكامليّة المُتوخّاة لدخول اللّغة العربيّة في مختبرات العلم والتّقانة المتجدّدة، كما أنّ جزءًا من المُشكلة يعود إلى عدم إلزاميّة القرارات المعجميّة، فليس لها صفة قانونيّة توجب على غيرها من المؤسّسات والأجهزة الحكوميّة والخاصّة الالتزام

بقراراتها اللغوية، وهو ما يجعل قراراتها اللغوية غير فاعلة على الصعيد الرسمي. ومن جانب آخر، لا يخفى على أيّ مُتابع غياب غالبية المَجامع اللغوية عن التّواصل الفعّال مع المُجتمع الخارجيّ، وغياب بعضها شبه التّام عن التّواصل المؤثّر في الشّابكة.

4/3. غياب البُعد التّخطيطيّ ومحدوديّة التّنسيق بين مُؤسّسات العمل العربيّ المُشترك في خدمة اللّغة العربيّة، إذ لا نجد مَشروعات لصياغة سياسات لغويّة مشتركة، أو قيادة للتّغيير في واقع اللّغة في أرجاء الوطن العربيّ، وإن وجدت بعض المؤتمرات والوثائق الرّامية إلى تحقيق هذا الهدف، فإنّها غالبًا لا تتسم بصفة المواثيق التي تستوجب مسؤوليّة الالتزام المشترك، وإنما هي مجرد نبرات خطابية لا تكاد تظهر حتى تخبو وتتلاشى.

4. في مجال القوانين والتّشريعات والمرجعيّات المؤسّسيّة: نقترح رؤية تصوّريّة عمادها ثلاثة عناصر أساسيّة:

(أ) سياسة لغويّة حاكمة، (ب) ومُؤسّسات مرجعيّة راسمة، (ج) وإرادة سياسيّة فاعلة.

(أ) سياسة لغويّة حاكمة: ونعني بها الرّؤية الشّاملة التي ينبغي أن تحتكم إليها الجهود التّشريعيّة التي تبذلها الدّولة لتدبير الشّأن اللّغويّ، وصياغة سياسة لغويّة واضحة المعالم، مُكتملة الأركان، ضمانةً قانونيّة لانسجام التّشريعات اللّغويّة المُختلفة داخل الدّولة الواحدة، وإذا ما أردنا لسياساتنا اللّغويّة النّجاعة والنّجاح، فإنّه يجب علينا أن نُراهن على تحقّق عدّة عوامل لصياغة هذه السّياسات منها: (1) أن تتمّ وفقًا لرؤية استراتيجيّة؛ (2) وتنطلق من مُعطيات البيئة الواقعيّة لتراعي التّنوّع الاجتماعيّ، وتضمن العدالة اللّغويّة لأبناء الوطن الواحد؛ (3) وتكون قائمة على المُشاركة المُجمعيّة؛ و(4) وتكون مُنفتحة على مُعطيات العصر؛ و(5) وتكون قابلة للتّحقّق على أرض الواقع.

(ب) مؤسسات مرجعية راسمة: لصياغة السياسة الحاكمة، نحتاج إلى وجود مؤسسات مرجعية تضطلع بمهمة التخطيط، ورسم السياسات اللغوية. ونقترح بناءً على ذلك:

• إنشاء مؤسسات عليا في كل دولة تكون مهمتها الأولى التخطيط اللغوي ورسم السياسات اللغوية العامة، والعمل على مشروعات القوانين، ومتابعة تنفيذها؛

• أن يقوم على شأنها أساتذة ومفكرون مشهود لهم بالكفاءة، والدراية والتخصص، والخبرة في مجال رسم السياسات والتشريعات، يعضدهم في ذلك لسانيون وقانونيون وتربويون واقتصاديون؛

• أن تعمل مؤسسة التخطيط اللغوي في كل دولة عربية على التنسيق - في ما يخص السياسة اللغوية بين: (1) جميع مؤسسات الدولة ذات الصلة: كمؤسسات القضاء والإعلام والتعليم، (2) والمؤسسات المتخصصة في اللغة العربية: كالمجامع اللغوية، وكليات اللغة العربية؛ (3) ومؤسسات العلوم الأخرى: كالجامعات، والمختبرات، ومراكز البحث؛

• أن تؤول إلى مؤسسة التخطيط اللغوي قيادة الجهود اللغوية في الدولة بحيث تصبح كالماسترو الذي يضمن أداء جميع المؤسسات والمبادرات بإيقاع متكامل، وهذا يتطلب أن تعمل على التقويم المستمر للمؤسسات اللغوية القائمة وإنشاء ما يتطلب إنشاؤه من مبادرات ومؤسسات، والعمل على تضافر جهودها على نحو يخدم الرؤية الوطنية المتكاملة تجاه اللغة.

(ج) إرادة سياسية فاعلة: لا يمكن لأي مشروع لغوي أن يستقيم دون إرادة سياسية مؤمنة بأهمية القضية اللغوية، تأخذ بمضامين التشريعات والقوانين وتكفل تحقيقها، حتى تصبح واقعا معيشا، إذ ليست العبرة في وجود سياسات لغوية في الأوراق، وبني مؤسساتية تبذل جهودا في التخطيط، دون وجود إرادة تنتقل بالخطط إلى واقع التنفيذ.

5. تطوير آليات عمل مجامع اللغة العربية، بحيث تصبح أكثر فاعليّة في ميادين البحث العلميّ والترجمة والتّعريب؛ مُتواكبَةً مع مُستحدثات العصر في مجالات العلوم والتّقانة والابتكار، مُتفاعلةً مع التّحوّلات الاجتماعيّة والثّقافيّة والاتّصاليّة. ولا يتأتّى ذلك إلا بالتّنسيق الوثيق بين مراكز الأبحاث والمُختبرات والجامعات والمُراصد الاجتماعيّة من جهة، وبين المُجامع اللّغويّة من جهة ثانيّة.

1/5. العمل على تعزيز التّنسيق بين الجوائز العربيّة بهدف تبادل الخبرات في ما بينها، ورفع كفاءتها. ونقترح إلى جانب ذلك العمل على استحداث جوائز عالميّة لأفضل البحوث والدراسات في مجالات العلوم والتّكنولوجيا الحديثة المكتوبة باللّغة العربيّة؛ وذلك لفتح باب التّشجيع والتّنافس على الإنتاج العلميّ باللّغة العربيّة، إلى جانب الإنتاج الأدبيّ والفنيّ.

6. في مجال البحث العلميّ وتعريب العلوم:

1/6. رفع مستوى الجودة في المُنتج العلميّ العربيّ باللّغة العربيّة عن طريق توفير قياس عربيّ لمُعامل التّأثير، واستحقاق الامتياز في مُستوى جودة تعليم العلوم والبحث العلميّ في الجامعات ومراكز البحث وقنوات النّشر، والقصد من هذا الارتقاء بالمنتج العلميّ بالعربيّة إلى مُستوى من التّنافسيّة العربيّة إقليميّاً؛ يضمن في مرحلةٍ أولى تشبيكاً عربيّاً داخل المُجتمع العلميّ العربيّ وفق معايير توفّر حاجات المُجتمعات العربيّة التّنمويّة، ثمّ تُراجع هذه المعايير تدريجيّاً لتكفيها مع المُستوى العالميّ وفق خطةٍ زمنيّة تدريجيّة.

2/6. توفير الانتشار والتّلاقح للمُنتجات العلميّة العربيّة باللّغة العربيّة من خلال توفير شبكة الشّراكة العلميّة بين مُؤسّسات التّعليم العالي ومراكز البحوث العربيّة. وقد تكون هذه الشّراكة من مُتطلّبات التّخرّج الجامعيّ أو التّرفقيات في التّدريس والعمل البحثيّ، وهو ما يتطلّب نصوصاً قانونيّةً واتّفاقيّات تمنح الشّراكة العلميّة العربيّة -العربيّة صفة الإلزام من حيث الاعتماد الجامعيّ. وتُنظّم هذه النّصوص والاتّفاقيّات -وفق خطةٍ مُسبقة مُتفق عليها على مُستوى الوزارات

والمؤسسات العلمية -المنتج العلمي العربي باللغة العربية وفق حاجات كل بلد وبما يستثمر موارده أحسن الاستثمار.

3/6 تفعيل الشراكة مع الأطراف الأجنبية لرسم استراتيجيات إدارة المعرفة اللغوية واستثمارها في سوق العمل، وتسخيرها لخدمة تطوير المعرفة العلمية العربية باللغة العربية على مستوى تعليم العلوم أو البحث العلمي. وتمتد الشراكة إلى التلاقح العلمي؛ ليتزوّد منه الباحث العلمي العربي في نقله للمعرفة إلى اللغة العربية.

4/6 توفير الانتشار للمنتج العلمي البحثي العربي عبر ضمان الموثوقية (أو الإتاحة في قنوات النشر العالمية) من خلال توفير جهاز ترجمي علمي ينقل الأبحاث العلمية من العربية إلى اللغات الأجنبية. وهذا الأمر يسمح بمواكبة المنتجات العلمية باللغة العربية لمعايير الجودة العالمية والدخول إلى مُعترك التصنيف العالمي.

5/6 إقامة مراكز عربية محلية مُتخصصة في الترجمة العلمية من وإلى العربية، وتكون من لجانها هيئة تعنى بالتكليف الاصطلاحي، واقتراح مُدخلات علمية جديدة في اللغة العربية ونشر اعتمادها بين المؤسسات الجامعية والمراكز البحثية.

6/6 العمل على مشروع منهج عربي مُوحّد في الكتابة العلمية البحثية أو الكتابات الوظيفية الأخرى، تجري مراجعته دوريًا لتطوير أساليب التحرير والتوثيق في الكتابة العلمية في العلوم البحتة أو في العلوم الإنسانية. وهذا على غرار منهج APA لجمعية علم النفس الأمريكية أو منهج Turabian لجامعة شيكاغو.

7/6 إنشاء بنك معرفة عربي ذي سيادة استراتيجية، تُناط به مسؤوليتنا إدارة المنتجات المعرفية باللغة العربية وتدويرها. أمّا الإدارة فتعنى برصد مُنتجات العلوم بالعربية، وإتاحة الوصول إليها وتنظيم الاستفادة منها بين

المؤسسات التعليمية ومراكز البحث العلمي. وأما التدوير فيعني بالعمل على تحويل المخرجات البحثية من البحث النظري إلى الإنتاج المادي، ويتم ذلك عبر دعم قطاعات التعليم والبحث العلمي من خلال توفير الرعاية المادية للباحث العربي العلمي بتشبيك الجامعات والأفراد بصناع القرار السياسي وبموارد التمويل، وإشراك القطاع الخاص في الإنتاج العلمي بالعربية بدل إلقاء الحمل كله على القطاع العام المثقل أساسًا بالالتزامات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

8/6. إنشاء وزارة تعريب العلوم؛ وهي جهاز سيادي تنفيذي ينظم مجتمع المعرفة العربي ويدير الإنتاج العلمي باللغة العربية. ومن مسؤوليته رصد حاجات المجتمع العربي وتقدير موارده الطبيعية ورأس ماله البشري واللغوي من أجل رسم خطة زمنية موجهة لتنفيذ مشاريع العلوم باللغة العربية في المجتمع العربي وفق برنامج بحثي واقتصادي واجتماعي مدروس. ومن الأهداف المنوطة بهذه الوزارة: إدارة الموارد البشرية والمقدّرات المادية؛ وفق برامج اجتماعية واقتصادية وسياسية وعلمية؛ ومراجعة المناهج والأهداف في مجال تعليم العلوم؛ وإعادة تحديد الأولويات البحثية؛ وتنظيم الشبكة التنموية في استثمار رأس المال اللغوي معرفيًا لخدمة المجتمع العربي؛ وتسيير النشاط العلمي ومجالات استثماره في مجتمعات المعرفة بشكل فعال ومستمر يُنظّم ويربط بين التعليم الأساسي والمؤسسات الجامعية، ومخابر البحث ومختلف القطاعات الأخرى التي لها علاقة بتعريب العلوم.

الخاتمة: اسمحو لي بأنّ المقام مقام إشارات بعمل المجامع العربية في شتى أقطار الدول العربية، ولا يمكن نكران ما قدّمته في مجال العربية، وأحقّ بنا اليوم الافتخار بها وبمؤسساتها التابعة، ويكون لنا الكعب العالي في الحديث عن سمو شأن العربية بكلّ مرافقها، ويتطلب منّا المقام أن ننظر في قضاياها المعاصرة وأن نتدارس في ما بيننا شؤونها وأحوالها. وعلينا جميعًا أن نشدّ على أيادي بعضنا البعض لتجسيد الآمال المعقودة، وأن نجعل الأمر في يد شيخ المجمع العلمي

العراقيّ مع صُحبه من مَجْمعي اتّحاد المُجامع اللغويّة والعلميّة العربيّة، ونعلّق عليهم آمال نُشدان الحاضر والمستقبل وما يُقدّمونه من برامج وتطبيقات ومشاريع لهذا الجيل الطّامح الطّافح. جيل يحتاج إلى مُرافقة دائمة، وأن نُيسّر لهم سُبل البحث في العربيّة في ذاتها ولذاتها. جيل ينتظر من المَجْمعيين الكثير الكثير فهل يمكن أن تكونوا أيّها المَجْمعيّون في مُستوى مآلات هذا الجيل الذي يطلب زيادة عن العتبة. وأنا أعلّق أغراضِي على أعمال المجمع العلميّ العراقيّ وصحبه من اتّحاد المُجامع اللغويّة في القاهرة؛ لما لهما من بُعد النّظر، ومَنْتوج حَضَرَ ورأي جاهز لاستقبال أمر مُنتظر. يجب أن نكون على وعي لغويّ جديد؛ بوضع بين يد هذا الجيل برامج ومشاريع كبيرة وعمليةً في اللّغة العربيّة؛ تُيسّر لهم سُبل استعمالها وتوظيفها والتحدّث بها. وعلينا أن نمُدح أعمالنا، وكلّنا نحبّ المدح كما نحبّ الأمل؛ ولولا الأملُ لما علا بنيانُ، ولا اخضرّ الجنانُ، ولا تسامت الأَعْصانُ ولا تمايلتِ الأفنانُ، ولا زُوّجتِ النّسوانُ، ولا اشتاقتُ أنثى الى الرّضعان، ولا تاقَ إنسٌ إلى الرّضوان. وكما قال الشّاعر (أبو اسماعيل الحسين بن علي الطّغرائي ت 514هـ) في لاميته العجمية:

أُعَلِّلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا * مَا أَضِيقُ الْعَيْشَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ

ومن هنا، كان من ميزة الحياة العمل، المقرون بالعمل؛ فالأمل بلا عمل كجسد بلا روح، وعمل بلا أمل كآلة خرساء، ومن تلاحمهما يتولّد النّورُ، ولولا أملُ (توماس أديسون 1847-1931م) المشفوع بالعمل والتّجارب المُضنية لما اقترن اسمه باختراع المصباح الضّوئي، وكلّ مُفردة في حياة الإنسان هي سيف ذو حدّين؛ كالزّمن إن لم تقطّعه قَطْعَكَ، والأمل الأجوف هي بَطالة مُقنّعة وإن أشغله بالعمل، والأمل المُفعم بالحياة يُحيل البَطالة إلى حركة وإن عزّ العملُ وندر، لأنّ الأمل المثبت هو في حدّ ذاته سعيٌّ وحركةٌ غير ظاهرة، والأمل السّلبيّ هو موت سريريّ وإن كان صاحبه كثير الحركة. فالأمل الأوّل مُنتج والثاني مُحبط، والبركة في الحركة الهادفة. وعلينا أن نكون المُبادرين، ونتذكّر أن النّجاح صِناعةٌ جماعيّةٌ، وأنّ الغدّ يعتمد على عمَل اليوم، ونتوكّل على الله، وفي ذات الوقت علينا غلق

البابِ بإحكام. ونرجو أن نستفيد من كلّ ما هو جديدٌ في المجال التكنولوجيِّ والرّقميِّ؛ لخدمة هذه اللّغة المُشتركة الجامعة (العربيّة الفصحى) وعلينا فتح نوافذنا على البحوث الجارية عند الآخرين، لا قلعِ سقوفِ بيوتنا للريحِ العالِيّة، ونستفيد من الأساليب العلميّة للآخرين، وكيف خدموا لغاتهم، ونعتبر من نجاحهم، ويكون ذلك قُدوةً للتّحدّي، وثبات رُفَعِ التّصدّي.

التّوصيات: هناك قضيةٌ أساسيّةٌ لا بدّ من الانتباه إليها، وهي ضرورة رفع القابليّة للاستعمار اللغويِّ من ذواتنا، ومن ثمّ جعلِ الشّعوب العربيّة والإسلاميّة المُستعملة للحزفِ العربيِّ تُمارس استعمالَ اللسان العربيِّ في الحياة اليوميّة على مُستويات نفسيّة وسلوكيّة فرديّة وجماعيّة، وندعو إلى:

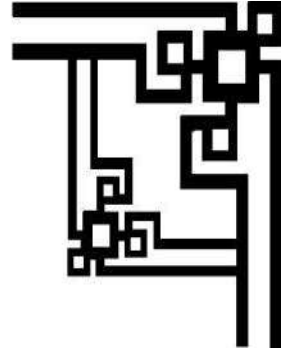
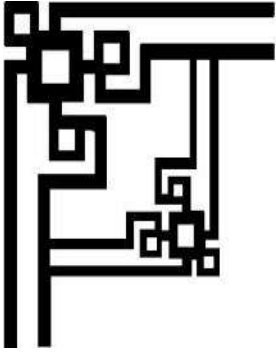
أولاً: التّفعيل العمليِّ في اتّجاه آليّة بناء الوعي اللغويِّ وتأسيسه، وهو ما يعالجه فحص علاقة اللسان العربيِّ بالهويّة اللغويّة، وبناء التّصوّرات، ورؤية العالم وعلاقة اللّغة بالأمن القوميِّ من منظوره الواسع، وإشاعة حقائق هذا المسار بين جموع الشّعوب العربيّة.

ثانيًا: الحركة في اتّجاه آليّة الضّبط التّشريعيِّ، وتفعيل الموادّ الدّستوريّة الكاشفة عن وضع اللّغة العربيّة في سياق تصوّر الدّول العربيّة عن نفسها ونظامها الأساسيّ، ومُقوّمات بنائها، وتنقيّة ما هو قائم من التّناقضات.

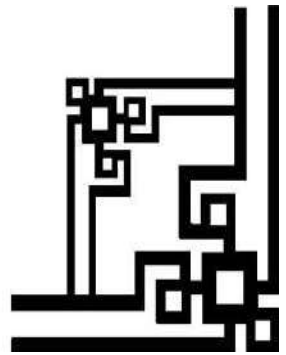
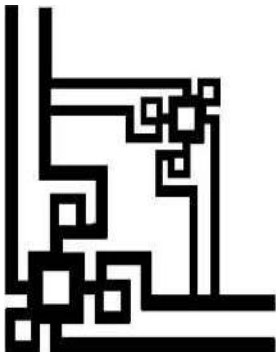
ثالثًا: الحركة في اتّجاه الضّبط المؤسّساتيّ، هو ما يُحقّق العمَل على المسار الضّابط لأدوار المؤسّسات المعنيّة بالحفاظ على العربيّة، وتطويرها، وضبط عدم التّداخل في الاختصاصات بين: التّخطيط والتنفيذ والمتابعة.

رابعًا: مُراجعة أدوار مؤسّسات المُجامع اللغويّة، والمُجامع العلميّة، والمُجالس الوطنيّة والعربيّة المُتخصّصة، والمؤسّسات الثّقافيّة، ووزارة الثّقافة، ووزارات الأوقاف والشؤون الدّينيّة.

خامسًا: الحركة في اتّجاه آليّة التّخطيط اللّغويِّ، في مراحلها المُختلفة من: التّفكير والتّقرير والتّطبيق.



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



مباحث اللسانيات العربية الحديثة في الدراسات البيئية

-إجراءات راهنة وتصوّرات جديدة*



الديباجة: ليس سهلاً أن تدخل (عين تموشنت) دون أن تتسلّح بتاريخها العريق، وتتحدّث عنه بأنفة وعزّة نفس. مدينة عرفت احتلالاً خاصاً لموقعها الاستراتيجي، حتى جاءت الفتوحات الإسلاميّة وبدأت تعرف ازدهاراً وتطوّراً كبيرين، وبخاصّة في عهد المرابطين والموحّدين.

تموشنت الأولياء الصّالحين والأمير عبد القادر، وتاريخ إمضاء مُعاهدة تافنة، وما خصّت به من اهتمام بمصالي الحاج والعربي بن مهدي. تموشنت الشّهداء العقيد عثمان وشويرف صالح، والقائمة كبيرة. تموشنت بسبقها لتنظيم مُظاهرات 11 ديسمبر 1961م، واشتعلت في باقي الجزائر.

تموشنت الخلافة مناظرها، الطّويلة شاطئها، العاشقة طبيّاتها. تموشنت المواقف الأثريّة برسوماتها، وفنّ العلاوي يشدّها، وضريح صيفاكس يغني شاراتها، وسيدي يعقوب يحرسها، وجزيرة رشقون ضحكاتها، وصناعتها التّقليديّة مُستقبلها.

جنّاتك يا عين تموشنت فهل تأذنين أن ننال بركات الصّالحين، ونكون مع الطّلاب والطّالبيين والمهندسين، والفنّيين، وحُذّاق الكلام الميّين. نأخذ منكم المهارات وما يكون من استفادات. ونحن هنا نلتقي على السّماعات من بعضنا في اتّفاق يجمّعنا، وعليه نتبادل ما يخصّصنا، ونترك البصّمات التي تترك آثارنا لطلابنا.

* - ألقى الكلمة في معهد اللّغة العربيّة وأدائها، بالمركز الجامعي، عين تموشنت بتاريخ 30 نوفمبر

المُقدّمة: تكمن أهميّة هذا الموضوع في أنّه يجمّع بين خصلتين مُهمّتين: خصلة علم اللّسانيات الذي أصبح يغزو مُختلف العلوم بفتوحاته اليوميّة، بل أضحي أمّ العلوم في وقتنا الحاضر. وخصلة تجسير الهوّة بين العلوم من خلال الدّراسات البيئيّة؛ من مثل علم اللّغة، وعلم الشريعة، العلوم العقليّة والنقلية؛ حيث نرى علم النّفس يُستخدم في اكتشافِ علاجاتٍ لبعضٍ من أسباب الجريمة، وعلوم الحاسوبِ تخدمُ لسانيات اللّغات واللّهجات، وعلم الهندسة الوراثية الذي أضحي جزءًا لا يتجزأ من العلوم الطّبيّة، وأنّ الرياضيات مُكوّن أساس في التّطبيقات الفيزيائيّة والصنّاعيّة والتّقنيّة...

ونظرًا لأهميّة هذا الموضوع، يمكن أن نطرح الأسئلة التّاليّة: هل نحن فعلاً هذا المجال من الدّراسات الحيويّة البيئيّة؟ وهل نالت هذه الدّراسات نصيبها في مجال علوم العربيّة؟ وهل لها موقّع في أنشطتنا البحثيّة والثّقافيّة؟ وهل الدّراسات البيئيّة التي بدأنا البحث فيها تقوم على منهاج علميّ يمتدّ أفقيًا وعموديًا باتّساع كافة العلوم؟ وهل بالفعل هناك تواصل بين النّظرية والتّطبيق، بين القول والفعل، بين الوسيلة والغاية، بين العقل والنقل، بين الآداب والفلسفة، بين الفنّون الجميلة والعلوم البحتة؟...

هي جملة الأسئلة المشروعة التي نريد أن نشير إليها في هذه الكلمة. وأعلم أنّ الباحثين الحاضرين سوف يكشفون الكثير من الحُجُب في هذا الموضوع: الذي نشكر كلّ الذين فكّروا في هندسته واختياره عنواننا لهذا اللقاء العلميّ في هذا المركز الجامعيّ الشاب. وأراها بداية مُوقّعة، ونروم من خلاله صدق النّوايا، وشدّ العزائم، واستمراريّة البحث للتركيّم المعرفي، وبخاصّة في ظلّ تشظّي المعرفة والعلوم في واقعنا الرّاهن.

1. معنى الدّراسات البيئيّة: إنّ الدّراسات البيئيّة / Interdisciplinary هي إبستيمولوجيا بالغة الأهميّة في المنهجيات والأنظمة العلميّة المُعاصرة، ومن الدّراسات المُعمّقة التي لم تعرف مرحلة التّعمّق والاختصاص في العلوم، وتسعى إلى التّكامل المعرفيّ عبر الكشف عن أماكن التّخوم بين العلوم، والجمّع بين

التَّخَصُّصَ والمُوسوعيَّةَ، من حيث: التَّجاور، والتَّلاقِي، والتَّقاطع، والتَّشابك والتَّقارب بين العلوم، وهي دراساتٌ تجمَعُ بين النِّظرة التَّخَصُّصِيَّةِ الدَّقِيقة، والنِّظرة المُوسوعيَّةِ الشَّاملة، وتؤمِّنُ بالتَّكامل المَعرفِي بين كافة العلوم، وترى أنَّ هذا التَّكامل ضرورةٌ علميَّة مُعاصرة، ولا بدَّ من انتهاجها للرفع من سويَّة اللغات. وأهميَّتها تكمن في اعتمادها مَنهجيَّة جديدة تخدم مَصالح الإنسان من جوانب شتى.

2. اللِّسانيات أمَّ العلوم: عاشت الفلسفة دهراً أمَّ العلوم، وجاءت الرِّياضيَّات تَعلو المَقام، ومن ثمَّ حلَّت اللِّسانيات وهي تتمدَّد في سقْف العلوم، ففرضت نفسها على كلِّ ميادين المعرفة الإنسانيَّة؛ لأتَّها تبحث في أصول آليَّة الإنتاج العلميِّ التي تفرز بها كلَّ العلوم. وعملت بما لها من خصائص تواصلِيَّة على إعادة هيكلة العلوم، وجعلتَّها سهلة التَّناول، كما جعلت القارئ والمُتابع يعيش الحدثَ ويُجدد نفسه. ولمسنا تغييراً في النَّحو، وقرأناه بمناهج أحدث، ورأينا الاستمراريَّة بين الماضي والحاضر، ولمسنا ضبطاً في قراءة النَّراث، ومُسايرة ركبِ التَّطوُّر وعشنا مَرحلة المَنهج العلميِّ، والضَّبْطَ والدَّقَّةَ وما يتبعهما من التَّرقِيَّة والتَّطوُّر.

وما نزال نعيش ديمومة في التَّطوُّر العامِّ الذي يعرفه البَحْث اللِّسانيَّ وبخاصَّة في علاج أمراض اللِّغة، ووضع المِنصَّات، وقراءة شفرات التَّعميَّة، والعمل على سرعة الاستجابة في مَناحي تقليص حجم الآلة، وصناعة النَّانوتكنولوجي، وظهور برامج ذكيَّة قامت بها اللِّسانيات في إطار التَّعليم، وما يتبع ذلك من ذكاء مُحلَّل ومَنبئ ومُوجِّه. تلك هي فواتيح اللِّسانيات التي لا تعرف الحدود العلميَّة، وما تقوم به المخابر ووحدات البحوث اللِّسانيَّة.

ويتعيَّن علينا تحديد الاستفادة من هذه التَّطوُّرات، ودراستها من مَنظور اللِّسانيات في لغتنا العربيَّة. وهنا لا بدَّ علينا - نحن الباحثين - التَّدخُل العلميِّ من أجل تحديد طبيعة لسانيات العربيَّة؛ انطلاقاً من تحديد تصوُّري ونظري والتي يتعيَّن البَحْث فيها عبر مُختلف المُستويات". كما يتعيَّن علينا البَحْث المعاصر رُفَع المُضايقات اللُّغويَّة على العربيَّة؛ حتى تستجيب للمُتطلَّبات المَنهجيَّة في البَحْث

اللّسانيّ العامّ والمتمثلة عامّة في تحديد مجموع الأدوات المعرفيّة والتّقنيات التي تستخدمها اللّسانيات لتحديد موضوعها والبحث فيه، ومن الضّروريّ التّركيز على اللّسانيات التّطبيقية كمادة ترفع تلك التّصوّرات والمغالطات الخاطئة تجاه العربيّة وتراثها وعلميتها ومنهجها، وما يتبع ذلك من أزمة ثبات المنهج.

واللّسانيات التّطبيقية تفتح للباحث آفاق المعرفة في: صناعة المعاجم+ التّخطيط اللّغويّ+ التّحليل الأسلوبيّ+ عيوب النّطق+ تعدّد اللّغات+ أنظمة الكتابة+ التّرجمة+ علم اللّغة الإحصائيّ+ الأطالس اللّغويّة+ علم اللّهجات+ اللّسانيات الاجتماعيّة/ التّفسيّة/ لسانيات الحاسوب/ التّعليميّة... وهكذا نرى أمّ العلوم تتصدّر، جيلاً بعد جيل وتُضيف مقامات فهل العربيّة لها مقامها في الجيل القادم؟

3. مباحث اللّسانيات: لا أريد تكرار ما قيل في مجال المباحث اللّسانية ففيها جبال من المؤلّفات، ويقع التّركيز في هذه الكلمة على جملة الرّوافد العلميّة التي تفاعلت مع بعضها حتى أوصلت الدّرس العربيّ التّراثي إلى وضع إبستمولوجيا في نظريّة المعرفة التي قامت على منهاج ومنهج؛ تمثّل ذلك في تاريخ العلوم من خلال مبادئ فلسفة اللّغة التي قامت في البداية على الوصف والتّحليل وبالأخصّ تلك التّنظريات التّقديّة التّركيبية التي ارتبطت بنظريّة المعرفة في معناها العامّ؛ من حيث إنّها تدرس طرائق اكتساب المعرفة وطبيعتها وحدودها، وليس من زاوية التأمّل الفلسفيّ المُجرّد، بل من زاوية فحص المعرفة العلميّة والتّفكير العلميّ فحصاً علمياً ونقدياً قوامه الاستقراء والاستنتاج معاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ارتبطت بتاريخ العلوم من حيث إنّها تدرس تاريخ العلم لا لذاته، بل من زاوية كونه مُسلسلاً لنمو الفاعليّة البشريّة من جانب الفكر السّاعي لفهم العالم وتغييره، وإمكانيّة تحقيق وعي الذات بنفسها وقدراتها وحدودها. وفي هذا جاءت العلوم العربيّة مُتداخلة تحت باب (علوم اللّغة) الذي جمع بين العلوم؛ باعتبارها متداخلة ولكّها مكتملة.

غير أنّ هذا التّداخل لا يحول دون وجود بعض التّعريفات التي تحاول أن تضع مياسم تحديديّة واضحة للعلوم المتخصّصة؛ كأن تجعلها تخصيماً للمعايير التي توصل إلى أشكال المعرفة. ومع كلّ هذا؛ فإنّ (مُصطفى غلفان) في كتابه (اللّسانيات العربيّة الحديثة، دراسة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجية) يطرح جملة من التّحقّقات مُمثّلة في أسئلة: ماذا قدّمت اللّسانيات للعربيّة؟ هل هناك لسانيات عربيّة؟ ما المقصود بها؟ ما هي سماتها المنهجية والنّظريّة؟ ما هي النتائج النّظريّة والمنهجية المترتبة على تطبيق النّماذج اللّسانية على اللّغة العربيّة؟

ومع هذه التّساؤلات يقربّ فهم اللّغويين العرب القدامى بوعي مبادئ اللّسانيات العربيّة في الفرضيات والنّماذج النّظريّة، وفي تطبيقاتها في دراسة مُختلف جوانب اللّغة العربيّة؛ وخير تجسيد للمباحث اللّسانية العربيّة تمثّل في: المنطلقات النّظريّة والمنهجية+ الالتزام بقواعد المعيار+ وضع القواعد المؤسّسة، وما تبعها من تعدّد المذاهب والتيارات اللّسانية، والتّعرف الكامل والدّقيق على المصادر الأساس للكتابة المُستهدفة نقدًا، وتقويم الكتابة اللّسانية تقويمًا داخليًا؛ انطلاقًا من الإطار النّظريّ الذي تندرج فيه.

هذه باختصار جملة لسانيات التّراث التي اندرجت فيها إشكاليّة الأصاله والمعاصرة التي يمكن الحديث عنها في الدّراسات البينيّة في القديم، وإمكانيّة تحيينها في الحاضر. وللحديث عن لسانيات عربيّة تراثية حديثة تندرج فيها الأبحاث اللّسانية الحديثة بما يُعرف بالقراءة بين التّأويل الدّاتي والطّرح المنهجي؛ وصولًا إلى ترميم نظريّة العلم. ولهذا من الضّروريّ أن نسأل أنفسنا ماذا نقرأ؟ وكيف نقرأ؟ في ضوء ماذا نقرأ؟

إنّها أسئلة تجعل الكتابة اللّسانية القرائية تستند إلى أساس نظريّ أو منهجيّ مُحدّد، بدل استناد القراءة نفسها إلى وضع ابستمولوجي غير مُحدّد. ولدينا قراءات جديدة ومناهج غربيّة عملت العربيّة على الإفادة منها، وهي تتّصف بالموضوعيّة بدل التّقديرية التي كانت في بعض القواعد عبارة عن حُدوس مُقدّرة تومئ بغياب نظريّة العلم، ونحن نعيش منطق اللّغات، فلا يُمكن أن نستبعد ما

وصلت إليه الدّراسات اللّسانيّة الغربيّة من فتوحات كان علينا استكناه بعض معالمها منذ مَجيء سوسير/ Saussure الذي ضبط مَوْضوع اللّسانيات، ودعا إلى التّركيز على دراسة اللّغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها.

وهذا ما ينفع اللّسانيات العربيّة في التّوفيق بين التّصوّرات اللّغويّة القديمة ومضامين الدّرس اللّسانيّ الحديث. وهذا بدوره يعمل على تحيين الفكر اللّغويّ العربيّ القديم بعيداً عن التّأويل والدّوغمائيّة، والنّظر إلى القراءة التي تُقدّمها لسانيات التّراث أقرب إلى العمل الفيلولوجي من حيث إنّها تضع الشّروح المُساعدة على فهم النّصوص المُساعدة. كما أنّ الأخذ من اللّسانيات الغربيّة تجعلنا نتعرّف على الحدود المُمكنة لخصائص العربيّة في إطار المنظومة المرجعيّة الخاصّة بالثقافة العربيّة الإسلاميّة القديمة.

وهذا ما يعطي للتّراث اللّسانيّ العربيّ الصّورة التي تجعله بنويّاً/ توليديّاً/ وظيفيّاً في أسسه التّظريّة والمُنهجية. ويحصل بعد ذلك تجانس التّراث واستمراريته، هذا من مظهر الأبعاد الحضاريّة للقراءة العربيّة المُستمرّة، وكما يكون ذلك موقفاً علميّاً عندما ننظر إلى تراثنا على أنّه نتاج معرّفِيّ، مُحدّد بإطار تاريخيّ وثقافيّ، يوضّح مصادره الفكرية، ويرسم الخطوات والمراحل التي اتّبعها لتحقيق جملة من الأهداف الفكرية والاجتماعية والسياسية.

4. اللّسانيات البينيّة العربيّة الحديثة: لا بدّ من الإقرار بأنّ الغربيين هم الذين أرسوا قواعد اللّسانيات عامّة عندما فرّقوا بين المُصطلحات: لغة/ كلام/ لسان وما تبعه من مُصطلحات: أداء/ فقه لغة/ أمراض اللّغة... وظهرت الكلمة Interlinguistique عند (يوليوس ميسمانس) سنة 1911م، كفرع من دراسات مُخصّصة لتأسيس مبادئ لغات المُساعدة العالميّة، وخلال قرن حصلت توسّعات ودراسات حتى أضحي تخصصاً مُتداخلاً؛ ويشمل جوانب من التّواصل وتخطيط اللّغة ومعيّرتها، كما أخذ منحي تعدّد اللّغات والعوّمة، وشروط اللّغة والتّرجمة، واللّغويات الاجتماعية، والتّواصل الثقافيّ الدّاخليّ، وتاريخ صنع اللّغة والأدب، واللّغات الأدبيّة الخياليّة، ولغات التّواصل المُشترك، واللّغات

الهجينة، واللغات المؤلدة، واللغات المُصنعة التي اندثرت، واللغات المُصنعة الحالّية على الشّابكة، والعديد من المواضيع الأخرى التي أضيفت. كما لا يخفى على البال بأنّ اللّسانيات العربيّة استفادت من التّوجهات الكبرى لعلم اللّسان من حيث إنّها:

1/3. عملت على تحديد المُصطلحات والمفاهيم تحديداً لا مجال فيه للتأويلات.

2/3. اهتمت بعلميّة العربيّة بما تعرف من موضوعيّة.

3/3. حلّت نوعاً ما مُشكلات: المصادر والأسس النّظرية والمفاهيم المنهجية.

4/3. تفادت الكتابة العربيّة الوصفية، والانتقائية في التعامل مع النّظريات

اللّسانية الوصفية، والسّطحية في تداول المفاهيم والمبادئ اللّسانية الوصفية.

5/3: ...

وببدولي عندما نأخذ بأسس الدّراسات البيئية سوف نُعدّي النّظر في الكتابة الوصفية للنّحو العربيّ، ونخلص العربيّة من كثير من الأنحاء الغربيّة التي لا تتمسّى وخصائص العربيّة؛ وبخاصّة أصحاب التّوزيعيّة والوظيفيّة لاختلاف المرجعيّتين وراء الممارسة النّحويّة العربيّة واللاتينية-الإغريقيّة.

وذاذ السّيء ينطبق على الكتابة التّوليدية الغربيّة، التي تلتقي في بعض الأبعاد مع العربيّة ولكن مسار الدّرس التّوليديّ في الثّقافة العربيّة تمكّن من تقديم اقتراحات جديدة مُتعلّقة بطبيعة البنيات العربيّة صوتاً وصرفاً وتركيباً ودلالةً ومُعجماً أكثر من التّوليدية الغربيّة؛ علماً أنّه تمخّض عن ذلك صياغة قواعد للظواهر اللّغويّة مُتّسمة بالبساطة والوضوح، واستطاعت تقديم قواعد شموليّة، عملت على إثراء البحث اللّسانيّ العربيّ، وتقريب الدّرس اللّسانيّ العربيّ من واقع البحث اللّسانيّ العالميّ وتعميق المعرفة العلميّة باللّغة العربيّة، مع ما تبعها من إثارة إشكالات جديدة واقتراح الحلول المنهجية المُمكنة.

5. المُضايقات والحلول: لا ننفي أنّ هناك قضايا جدّ شائكة في الدّرس اللّسانيّ العربيّ، ولكن كلّ الإشكالات والمُعطيات في الكتابة اللّسانية تعود إلى مُتابعة علاجها، ولا بدّ من الباحثين المُختصّين الذين يُعملون البصيرة في الكتابة العربيّة التّراثيّة، وما جاء بعد ذلك في الكتابة التّوزيعيّة، وفي مدرسة براگ، وما أنجزه السّكلاونيّون الروس والتّشيكيّون، ثمّ البنويّة والوظيفيّة والتّوليدية والتّداوليّة، ومُحاولة درس المُشترك الجامع، ومُراعاة الخصوصيّات وفق تباينات يوضّحها المنطق والمنهج العلميّ التّقابليّ بين اللّغات.

وهذا كلّه لا يجب أن يخرج عن إطار مرجعيّات لسانية، وعن نظريّة تُوطّر أسس البحث بصقّة عامّة، واستكناه آخر مُستجدّات البحث اللّسانيّ، وبخاصّة البحوث ذات العلاقة بالذكاء الصّناعيّ واللّسانيّات الحاسوبية. وعليه أن الأوان للالتفات إلى مسألة جدّ مهمّة وهي التّركيم المعرفيّ في اللّسانيّات التّقابليّة، والبحث في المجالات المعرفيّة الحديثة التابعة للأدبيّات اللّسانية، مثل النّحو التّوليديّ التّحويليّ، والنّحو والمعجم والنّحو الخاصّ والنّحو الكلّيّ والنّحو الدّهنيّ، وفي المُقابل فإنّ مُصطلح اللّسانيّات لم يعد حكراً على اللّسانيّات الحديثة، وإنّما هو يطلق على اللّسانيّات القديمة أيضاً، ولا بدّ من الكتابة في اللّسانيّات الديكارتية، مع عدم القطيعة بين الدّرس اللّسانيّ القديم والدّرس اللّسانيّ الحديث.

وهذا من شأنه أن يجعلنا نعيدُ النّظر في النّحو العربيّ باعتباره نحواً معيارياً تعقيدياً Grammaire normative مثلما هو قائم في أذهان الكثيرين، وإنّما باعتباره نظريّة لسانية. كما ندعو طلابنا والباحثين إلى ضرورة الاستفادة من المدارس الغربيّة على غرار: مدرسة براگ+ كوبنهاغن+ المدرسة الفرنسيّة+ الألمانيّة+ الأمريكيّة، وما ينضوي في اتّجاهاتها النّظرية كالوظيفية والبنويّة والتّوزيعيّة وغيرها، وإن اختلفت في توجّهاتها اللّسانية، وخلفياتها المعرفيّة ومناهجها المُعتمدة، ولكنّها قائمة على المبادئ المشتركة التي لا يُمْكن إنكارها، من مثل: تبنيّ العلميّة+ القطيعة الإبيستيمولوجيّة بين اللّسانيّات الحديثة والقديمة+ ضبط القاعدة المُتعلّقة بالاستعمال؛ وصولاً إلى ما أطلق عليه الفرنسيّون Le bon usage+ ربط

العلاقات العلميّة بين اللّغة من خلال النّصوص المدوّنة وتأويلها+ اعتماد النّحو المقارن في البحث في أصل اللّغات. ولا بدّ أن نشير بأنّ الاستفادة من الدّراسات البينيّة حاصلّة لا محالة، ويبقى كيف تكون هذه الاستفادة هل هي أخذ وعطاء؟ أم أخذ وغزو؟ أم هي انتشار ووعي بالانتشار؟ وفي كلّ هذا علينا الوعي بمسائل التّوافقات اللّغويّة التي تجمّع منطوق اللّغات، تجمع بين أطراف المعادلة، وهي التي يمكن أن تربط بين اللّسانيات العربيّة واللّسانيات الغربيّة، بين النّحو العربيّ القديم واللّسانيات الحديثة، وإن اختلفت الخلفيّات المعرفيّة ونشأة الأصول.

المُقترحات: جرى العرف أن نحمل مجموعة من التّوصيات على شكل اقتراحات، وتكون من مُنتج الأفكار إلى صانعي القرار، وقد يكون لها موقّع في لاجئ من الزّمان، ولذا أقترح:

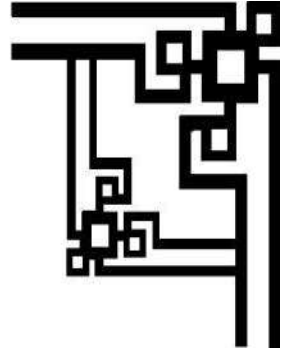
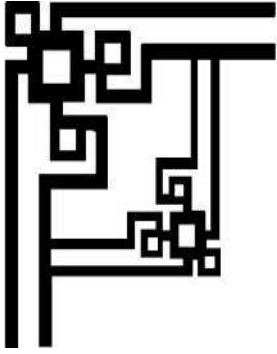
1. الدّعوة إلى الاستثمار في العلوم الإسلاميّة؛ لما لها من تاريخ مُمتدّ، والذي شهد تفاعلاً حيويّاً بين فروعها المُختلفة هذا من جهة، وبينها وبين علوم العربيّة وغيرها من المعارف من جهة أخرى.

2. ضرورة ترسيخ الرّؤية البينيّة في الفضاء الثّقافي العامّ؛ لما لها من دور في إشاعة الانفتاح الفكريّ والحوار العقلانيّ، وصدق التّوجّه إلى التّواصل مع الآخر والعمل بروح التّجّاح صناعة جماعيّة.

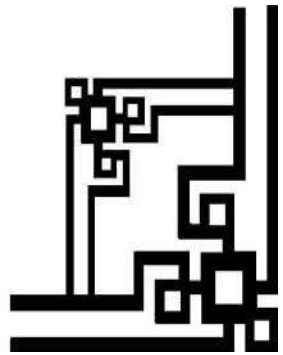
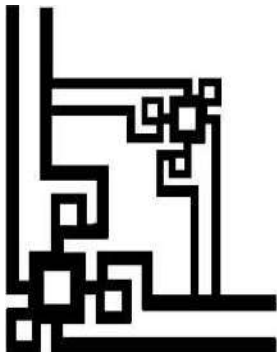
3. الدّعوة إلى رؤية بينيّة إبداعية تعتمد على حوار المناهج، وتلاقح الأفكار وتعدّد المنظورات في ربط الظّواهر، وتعميق الصّلات بين القضايا.

4. الدّعوة إلى تبني رؤية بينيّة في مجال الأنظمة العلميّة القائمة في التّعليم؛ من أجل أن تترسّخ لدى المتعلم قيم تعدد المنظورات وتفاعلها وتكاملها؛ فلا تستقطبه أحاديّة المنهج، أو انغلاق التّخصّص.

5. توجيه الدّعوة للمجالس العلميّة في جامعاتنا اعتماد مادة (اللّسانيات البينيّة) لبناء معرفة منهجيّة وعلميّة لدى الطّالب، تقوم على ربط الظّواهر وتكامليّة المناهج وتداخل المعارف.



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



الخطاب الأدبي والفني

بين إجراءات اللسانيات ونظريات الأدب*



الديباجة: إخواني وأنتم سادة النَّاسِ، إخواني من الأساتيد ذوي الخبرة والمراسي، أيها الأحاب بجماعة سيدي بلعباس، ليس من البلاغة أن نمدح الكرام بالكرم، وإنما الوصفُ إذا ذُكرتكم، والنعتُ إذا خاطبْتُكم، فإنَّ الكرم والجود والفضلُ من صفاتِكُم الأصيلة.

فلکم مني الشکر ما یوفي ویزید، وإن کانَ فضلُکم یفیضُ ویستزیدُ. أحملُ لکم إخواني الحاضرين، تحيات المجلس الأعلى للغة العربية إليکم جميعاً، فلکننا یجمعنا القاسم المشترك، قاسم خدام صاحبة الجلالة، لغة الضاد التي جمعنا في هذه القاعة الفيحاء، فكانت لها هدفا في كل عمل، وقبله في كل توجه، وغنيمه من كل جهد. فلکم من الشکر والتقدير أجمعهُ أکتعهُ أبتعهُ أبصعهُ.

إنکم أيها الكرام، كما جمعتمونا في هذا اللقاء، فإنکم في ملتقاکم جمعتم كذلك شتات اللغة: بحثاً وإجراءً وتحليلاً وتطبيقاً، فاللسانيات والأدب والنص والخطاب كلها تمفصلات إن توارت في مجال تجلت في مجالاتٍ أخرى، فإن اللسانيات الحديثة، كما ثبتت في كرم علمکم، انعتقت من محدوديتها الجمليّة إلى فضاء نصانيّتها، فراحت تستغل على التناسقي والأنسجام، والتواؤم والالتئام، تحدها في مقابل ذلك نظريات الأدب، بدءاً بنظرية التلقي؛ التي نزعَت السوِّط النَّقديّ من المؤلّف والنصّ، وجمعت ثلث الأثافي إلى مثلث الفنّ الأدبيّ والجمال

* - ألقى الكلمة في الملتقى الذي نظّمه مخبر تجديد البحث في تعليميّة اللغة العربيّة، بقسم اللغة العربيّة وأدائها، كليّة اللغات والفنون، جامعة جيلالي ليايس في سيدي-بلعباس، بتاريخ 7 ديسمبر 2022، في إطار (شهر اللغة العربيّة).

الفَيّ: المؤلّف/ النّصّ/ المُتلقي، فصارَ هذا الضّيف الكريمُ مُشاركاً في قرار استصدار الدّلالة وتشكيل المعنى. ثمّ رُحِّتُم كذلك بِنِباهَتِكُم وفِطانتِكُم تربطون بين النّصّ والخطاب، النّصّ بكونه وحدهً لغويّةً مُتتاليّةً الجُمَل، في تناسُقٍ مقصودٍ مرصودٍ تولّت شأنَ الاهتمام به بِنْت اللّسانيات الصُّغرى: لسانِيّاتِ النّصّ، وبينَ خطابٍ في تمّظهِرِه المنطوق، مُتكيّ على مَقامٍ مُطابقٍ ومُستنِدٍ إلى واقعٍ، فهذا يفسّرُ ذلك وذلك يُعلِلُ لهذا، ولا مُتناهيّة السّياق، تفسّرُ لا مُتناهيّة الخطاب.

ومن وراء هذا على الخطاب لسانِيّاتِ النّصّ، وتحليل الخطاب، والتّداوليّة، ونظريّات الأدب والبلاغة الحديثة، وهلمّ جرّاً... هذا ما نروم السّماع إليه في هذا اللقاء الذي يعلي من شأن العربيّة، ويُعلي من شأن أدبها ونقدها، وهي تعيش واقعها الذي تعرفونهُ وتُعايشونهُ، ولكن ليس سيئاً بما يراها بعض الذين يُبئسون الواقع الذي ليس كذلك.

وانّ العربيّة لجديرة بكم وبمن يعملون على تطويرها وأنتم منهم، وعلينا وعليكم رفع التّحدّيات بما أوتينا من منافحات ومباحث وتطوير مجاري فنون القول، فانفضوا عنها كلَّ غَبٍّ ورديّ، وزينوا أبحاثها بكلّ نَجْمٍ مضيء. واعملوا على تدبيح ذلك في مداخلتكم، بما لكم من دراسات وتحليل ونقد وتأصيل وتحقيق وتأثيل...

ذلك هو المنتظر منكم أيّها الباحثون، ويا أصحاب الحاضر والمستقبل، ويا أيّها المُختصّون، إنّ العربيّة هي اللّسان والكلام والخطاب، والنّصّ والفنّ والآداب فحِهلٌ على هذا النّحو، نقتفي حدّوا هذا الحدّو، فإنّ الطّريقَ طويلٌ، ولكنّ الجَنّيّ جميلٌ، وإنّ الضّئى بقدرِ الدُّرى، وعند الصّبحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرى، والصّلاة والسّلام عليكم يا أهل الورى.

المُقدّمة: مرّة أخرى أقول؛ تغمّرني السّعادة وأنا بين زملائي وطلابنا الأعزّاء في جامعة سيدي-بلعبّاس، في مُلتقى مُتخصّص، ونرى وجوها من الباحثين الذين لهم أبحاث جدّ مهمّة في عنوان ومحاوّر هذا المُلتقى الوطنيّ فهم الذين يفكّون الكثير من القضايا العالقة في هذا الموضوع الجديد.

ونأمل الخروج بأفكار مُضيّفة مُنيّفة للغة العربيّة التي نعيش شهرها العالميّ، وهي تشهد تطوّرًا فنيًّا ولسانيًّا بما لها من مُحتوى قديم مُتجدّد يقبل الإضافة. وإنّه لمن الغبطة أن أقول إنّ جامعة بلعباس تحتفي بشهر العربيّة الذي أضفى عليه السيّد رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبّون) الرعايّة الساميّة، وهذا للمرّة الثّانيّة، وكان للجزائر السّبق في الاحتفاء بشهر العربيّة، وقد سطرّت طريقًا منيرًا للدّول العربيّة والإسلاميّة، ونراها هذه السنّة تحتفي بعنوان اليونسكو (اللغة العربيّة والهويّة).

فيا أيّها العاملون، نروم منكم ربط القول بالفعل، عبر البحوث العلميّة في العربيّة في ذاتها ولذاتها والاجتهاد في وضع المنصّات، وإنتاج التّطبيقات، وتحسين فعل المُحرّكات. ونظرًا لمقام العربيّة في شهرها هذا، واللّغات في أصلها قائمة على الشّعور، فهاكم في الافتتاح هذا الشّعور الجميل في مدح العربيّة:

واصنع لصوتك نغمةً معروفةً * إنّ المسامع تعشق التّوشيحًا
وافخرُ بالضّاد ولتصدخ به * فمن اللّباقة أن تكون فصيحًا
لا تُخطئن إذا قرأت مقالاً * فالخير أن يُؤتى الكلامُ صحيحًا
وإذا حلالك أن تقول دُعابةً * فاخترْ مزاحًا راقياً ومليحًا

أيّها الجمع الكريم، أيّها السّدنة الأكابر، أيّها الخادِمات للملكة الحسناء، أمّ اللّغات، في مقام الكلام يسكت الكلام، وتتعلّط لغّة الكلام، لغّة الشّعور الهُمام ولا يسع المقام في هذا المقال، بالاستفاضة في قول الجمال، وأترك الشّعور لحدّاق اللّسان، وأنا لست من منتجي البيان. وأسرع للحديث بإيجاز عمّا بصّرت به عن حيثيات هذا الموضوع من حيث:

1. الخطاب الأدبيّ والفنيّ: إنّ الأدب والفنّ ليسا من فنّون سقط المتاع، ولا يُؤدّيان إلى المُرّوق، بل يعمّلان على تهذيب النفوس، وتهدئة الأوضاع المُتشنّجة بالقصّة والزّواية والمسرح والفنّون السّمعية والبصريّة، وهي الفنّون الأكثر قدرة على الإثارة والإقناع والتأثير، والوصول إلى عمق الوجدان الفكريّ والدّوقيّ

والرّوحيّ وسط الهزّات التي تستهدف الإنسان في عمليّات التّيسيس والخصومة والتّغريب...

إنّها ظواهرٌ أدبيّةٌ مُشعبةٌ للرّاهم الفكريّ الذي يشّاق إلى مُختلف وسائل صنع حاضره على أحسن ما يكون في عالم مُتقارب يزداد التّصاقًا يومًا بعد يوم، ويغدو قرية صغيرة لا يستطيع أحد أن يهرب من مرئياتها وخبراتها ومسموعاتها مَهْمَا حاول البُعد عنها. إنّها حاسّة الأدب التي تستنطق بعض الموروث من منظور مُعجبيّ ودلاليّ وتنظيريّ بما يكفل الوقوف على دلالات النّص والخطاب، وما يعترهما من تداخل وتلازم خلال عمليّات التّحليل والنّقد والقراءة.

فبين النّص والخطاب تبادلٌ جمليّ من المفاهيم والوحدات، مع استقلاليّة كلّ واحد بمُعجمه وانغلاقه أو انفتاحه، وهذا ما أوضحه المُختصّون على غرار: تزفيتان تودوروف/Tzvetan Todorov وإميل بنقنيست/Emile Benveniste ومُحمّد مَفتاح. وإنّ النّص الأدبيّ حدثٌ كلاميّ تواصليّ تفاعليّ مُغلّق توالديّ وفق المُقومات الجوهرية الأساسيّة للنّص من جهة بعض النظريات اللّسانيّة الحديثة؛ لأنّه يعكس شبكةً ثقافيّةً تاريخيّةً من العلاقات اللّغويّة المُلخّصة للنّظام المعرفيّ للمُجتمع.

وأما الخطاب فهو كلام بين اثنين بوساطة شفهيّة أو مكتوبة أو مرئيّة، ويحمل رسالة. ويأتي ضمن نظام اللّغة التي هي عُرف تواصليّ يستعمل الأصوات والكلمات والتّراكيب للتّعبير عن المعاني والتّجارب والأحداث والمشاعر، بمجموعة من الأنماط أو صُور المُفردات. وله أداءات كثيرة، ومُستويات فنيّة لنقل الأفكار؛ باعتبار اللّغة مجموعة من العناصر اللّغويّة التي يعتمدُها المتكلّم/الكاتب في صياغته نصوصه. ولهذا نجد تعالقًا بين الخطاب الأدبيّ والنّص الأدبيّ، في أسلوب ترتضيّه نظريّة الأدب، ويقوم على جملة التّأويل المعرفيّ في جماليّة التّلقّي التي يُستجلى منها سمات التّفرد أو الإبداع، وكلّ ذلك يمرّ عبر عمليّات التّحليل والنّقد؛ لينال حُكمًا تميّزها بالجوّدة أو الرّداءة.

ولقد أكّدت اللسانيات الأسلوبية ميكنة أسلوبية من خلال توظيف عناصر الجملة وفق نظام فطريّ مُتجدّد خاضع للتّنقل والإبداع، ووفق تبادل البنى النّحويّة حسب السّياق والحال ومقتضى الحال، وما يعلق بذلك من التّوليد والتّحويل في الأساليب السّطحيّة إلى العميقة أو العكس.

وكلّ ذلك يعود إلى نظريّة التّلقي في أنّ القارئ يُسهّم في كتابة النّص بما يُقدّمه من تأويل، أو ما يُفسّره بناءً على أرضيته المعرفيّة، وما يراه من الحقيقة أو المّجاز، وما يقرأه من معيار أو جواز في الشّعور والنّثر، وما يحتملان من تأويل. وهذه كلّها تكون محلّ مُعابنة لغويّة وأدبيّة في تحليل الخطاب بما لهما من تعدّد المعاني والقصديّات بتعدّد السّياق الذي يلعب دورًا في تأويل الخطاب. علمًا بأنّ الخطاب الأدبيّ يعيش ضمن مجموعة من الخطابات الحيّة التي تُشكّل سياج نسيج من الخطابات التي تُشاركه في خصائص عديدة، وتختلف عنها في التّفسير والمدرسة أو النّزعة التي تتبى نظريّة الأدب أو الخطاب الأدبيّ؛ ولهذا فالخطاب الأدبيّ عبارة عن خطابات تضمّن للأدب غناه واستمراريّته.

وأما لسانيات النّص؛ فهي تتبّع المعاني والدلالات داخل البنية النّصيّة عبر تقديم قراءة لبعض الخيارات على مُستوى اللّغة ودلالاتها المُختلفة؛ على أنّ اللّغة قادرة على ترجمة مُختلف الرّؤى والأفكار، وإتّها خيوط نسج للنّص خارجيًا، وهي في الآن نفسه منطقه الدّاخليّ، وحاملة معانيه ودلالاته، ومنطق اللّغة هو تلك المبادئ والأسس والعلاقات القابلة لا لإنتاج معاني مُختلفة فحسب، بل لإنتاج منظوماتٍ فكريّة وأيديولوجيّة مُختلفة؛ ولكلّ منها منطقتها الخاصّة المُستند إلى منطق اللّغة العامّ.

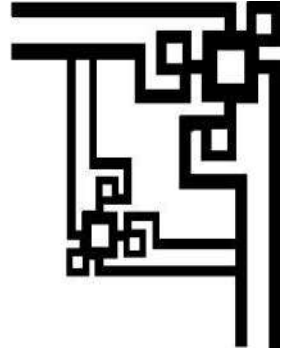
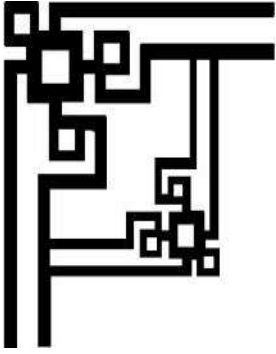
وما يجب أن نعلّمه بأنّ اللّغة هي نسيجٍ فنيّ مُسترة بمعاني خفيّة تعطي صورًا ماديّة للتّواصل عبر إبداع إنسانيّ له قدرات عجيبة على فتح قنوات التّواصل بين المكوّنات السّردية داخل النّص في حدّ ذاته. وتعتمد العلاقات الأسلوبية والنّصيّة في منظومة صوتيّة وصرفيّة ودلاليّة وتركيبية يُترجم معانيها السّبك والرّبط والتّماسك.

وهذا ضمن معايير نصية حددها المختصون في الآتي:

1. "السبك أو الربط التحويلي.
2. الحبكة أو التماسك الدلالي.
3. القصد: أي هدف النص.
4. القبول والمقبولية: وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
5. الإخبارية أو الإعلام: أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.
6. المقامية: وتتعلق بمناسبة النص للموقف.
7. التناسق.

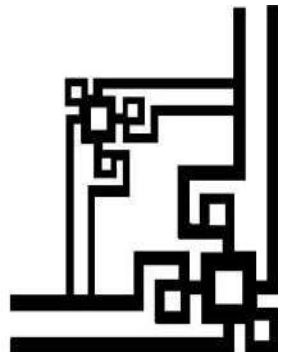
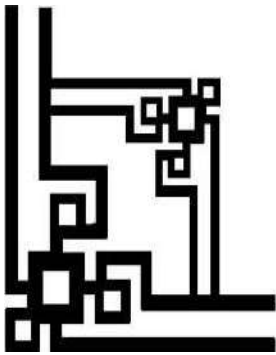
هذه جملة تحديد مفاهيم هذا اللقاء العلمي، وسوف تغتني محاور اللقاء من البحوث الذين يُرافعون بمحاضراتهم حول العلاقات اللسانية بين المحاور، ومجريات الكلام والخطاب والنص ولسانيات النص، أثناء عمليات الإرسال والتلقي، في خطابات متنوعة يستدعيها المقام ومقتضياته، وأترك الكلام للمختصين، مُتمنياً لكم التوفيق والنجاح في كل مهامكم، ووفقكم الله لخدمة الشأن العام، والعربية من الشأن العام، فأنعيم بها وبكم أيها الحضور الكرام!





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

47



عبد الرحمن التَّعالِيّ العالم النّحرير*



الدَّيباجة: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، والحمد لله ربِّ العالمين، أيُّها الجمع الكريم، بعد البسمة أريد الاستفتاح بهذه الأبيات المشهورات؛ التي تعود إلى أكثر من خمسة (5) قرون خلت، وهي ومن شِعْر عالمنا الجليل الحيِّ بيننا اليوم، بما تركه من صالح الصّدقات الجاريات، وهي الأفكار والكتبُ:

إنَّ الجزائرَ في أحوالها عجبٌ * ولا يدومُ بها للنَّاس مكرهُ
ما حلَّ بها عُسرٌ أو ضاق مُتسعٌ * إلَّا ويُسْرُ من الرَّحمن يتلوهُ

ونشكر جمعِيَّة سيدي عبد الرَّحمن التَّعالِيّ لترقيَّة التَّراث؛ على فِعْلِها التَّبيل في الحفْرِ في الدَّاكرة الثَّقافيَّة الجزائريَّة، بسعيها بعثِ قراءٍ جديدةٍ لسلفنا الصَّالح، ولشيوخنا الذين لا يموتون بما تركوه من بصمات التَّأثير والتَّميِّز، وهذه آثارهم تدلُّ عليهم.

يا أصحاب خدمة الآخر، أنتم ثروة الأُمَّة بما تقدّمونه من تتركونه من بصمة، وأنتم الوطن والأُمَّة والهمّة، وينطبق عليكم ما ينطبق على الأحبة الذين يقعون في القلب نعمة، وتشعر أتهم منك وأنت وُحدة، وهؤلاء وأنتم الطَّيِّبون الذين يخدمون أصحاب الشَّأن العامَّ بالألفة، فهم وأنتم من المؤثرين غيرهم خدمة، وكالغيث حيثما وقعوا نفعوا وأغاثوا، فأنتم يا جمعِيَّة ترقيَّة التَّراث محراثُ.

* - أُلقيت الكلمة في الملتقى السَّادس لفكر الشَّيخ عبد الرَّحمن التَّعالِيّ (فقه اللُّغة عند الشَّيخ عبد الرَّحمن التَّعالِيّ) تنظيم جمعِيَّة سيدي عبد الرَّحمن التَّعالِيّ لترقية التَّراث. بتاريخ 11 ديسمبر 2022، في المكتبة الوطنيَّة الحامة.

1. كلمات في الشيخ الهمام: ماذا أملك من كلمات لأقولها في موسوعة الجزائر (عبد الرحمن الثعالبي) الطالب الشاب الفقيه اللغوي المتنور الشاعر الذي وصل مرتبة الاجتهاد. وأصبح المفسر والمحدث والصوفي، والمؤرخ والمتكلم الأشعري المالكي، وصاحب التراجم، وعالم المعقول والمنقول.

ماذا أقول في عالمنا التحرير الثبت الذي فاقت كتبه طوله؛ كُتِبَتْ تناولت مختلف العلوم والفنون. ماذا أقول في رمز مدينة الجزائر كما لقبه أنداده الكبار، وهو خريج زوايا القبائل التي تُقدّس القرآن، وتُمدّد الحديث، وتُكَبِّرُ بالعلماء والعارفين. وما من كلام يكفي عالمنا المشهور صاحب زاوية التريّة والتعليم والتوجيه والتوعية والتنوير، زاوية راعية اليتامى والغلابى والمُحتاجين وعابري السبيل. شخص جمع كلّ خصال العالم الذي لا يموت، وإن كان جسمه رمسًا، فأفكاره بقيت رمزًا، بما اتّسم به من خدمة العلم بذكاء وحفظ وجدّ واجتهاد. ماذا أقول في الموسوعة والمكتبة المتنقلة التي تمشي الهوينى بما حملت من عُجبي، وهي تعرف ما فيها من دُخرى.

2. مراتب تكوينه: من الأمور التي جعلت شيخنا (عبد الرحمن الثعالبي) مُطلِعًا على المتون والعلوم زيارته العلميّة لتونس والمغرب ومصر وتركيا والحجاز، ولقاءاته لعدد العلماء، والانضمام لحلقات البحث، والسّماع لشيخ الاختصاص، وانتقاله داخل الجزائر للمحاضر العلميّة في بجاية الرياضيات، وتلمسان الاجتماعيات، وإلقاء المحاضرات في الزوايا العلميات...

وكلّ ذلك أكسبه صعود المنابر، والرّد بالحجّة المُخابر، والدّفاع بالمصادر. هي تجربة مِراسيّة تُكتسب من الرّحلات العلميّة في تنمية قُدرات الشّخص واكتساب هوية جديدة، وامتلاك خبرة، وقدرة على التّحمّل... زُرْ غبًا تزداد حبًا. وهذا ما حصل لعالمنا وهو يلتقي يحيى العيدلي+ وسيدي بوسحاقي+ أبو القاسم المشدالي+ عبد الرّحمن الوغليسي+ العجيسي التّلمساني المعروف بالحفيد+ علي بن عثمان المنكلاتي+ أبو العباس النقاوسي+ أبو الرّبيع سليمان بن الحسن...

وخلال هذه الفتوحات الرَّحَالِيَّة يأخذ المتون وعلوم اللُّغة والفقهِ، ويحوز على الإجازات. وما يمكن أن يقال فهو تكرر، وفيه قال (عبد الرَّحمن الجليلي) "... وهو دائم المدره في عشيرته، والرَّعيم في قومه، وملادهم الذي يلوذون به، ومعقلهم الذي يلجؤون إليه في المُدْلَهَمات". إنَّه دفين مدينة الجزائر حيث لا يزال ضريحه مُسجى، بما له من أثر عميق في القلوب والنفوس. ولا أخفي الحضور أنّي كتبت تعريفًا عنه في الموسوعة الجزائريَّة بما قَمَّشته من مائدة قد تفيد القارئ والمُختصّ. وفيه قلت ما يلي:

3. الثَّعالبي الفقيه اللُّغويّ: ليس سهلًا أن تُخصَّص الكلمة في اختصاص مُعيّن، أمام مَسوعيّ نال كلّ المواقِع، ومع ذلك اطَّلعنا على ما توقَّرلنا من كتبه، على غرار (الذَّهب الإبريز في تفسير وإعراب بعض آي الكتاب العزيز)... وسجَّلنا ما يلي:

1/3. تَضَلَّعه الكبير في قضايا فقه اللُّغة، وكأنتك أمام صاحب (فقه اللُّغة وسرِّ العربيَّة) للثَّعالبي. ويظهر ذلك في الوقوف عند علماء الأصول؛ وهو يقدِّم ويشرح المسائل اللُّغويَّة من خلال المتون، ويمجد ذلك بالأُمور الفقهِيَّة من جانبها الدِّيني.

2/3. توثيقه لمناهج العربيَّة في أصولها ومتونها والعودة بها إلى مظانها القديمة، وهذا استدعى منه التَّنظر في الجوانب التَّفسيريَّة جميعًا والمسائل اللُّغويَّة عمومًا. وهذا ركن مهمّ في المباحث اللُّغويَّة للباحث عبد الرَّحمن الثَّعالبي.

3/3. تضمينه الكثير من الخلافات النَّحويَّة في كتابه (الجواهر الحسان) وكأنتك تقرأ كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) لابن الأنباري.

4/3. تلمَّس نظرةً جديدةً في المسائل النَّحويَّة، والخروج برأيٍ تجديديٍّ في قضايا التَّفسير.

5/3. يلاحظ أنّ الثَّعالبي يدخل أحيانًا في فكِّ الأُمور الخلافِيَّة، وينتصر لرأي يراه صوابًا. كما نراه في بعض المقامات يخلط بين التَّخصِّصات، وبخاصَّة الأُمور الشَّرعيَّة التي يستدعيها في الكثير من المجالات. يدخل في بعض المقامات ما له

علاقة بالأمر السياسيّ، وهذا ليس من مستلزمات البحث اللّغويّ، ويعذر بحكم الظروف التي كانت تعيشها الجزائر، وما يمرّ به الغارب الإسلاميّ بعد انهيار دولة المؤخّدين سنة 1212 وانقسام المغرب الأوسط إلى دويلات، وهي الدّولة الحفصيّة بتونس، والمرينيّة بالمغرب، والزّيانيّة بالجزائر. أضف إلى ذلك الصّفة الموسوعيّة التي كانت لعلمائنا ذلك الوقت.

6/3. تحكيم علم القراءات في الأصول اللّغويّة باعتبارها منزلة من منازل العودة إلى الأصول، ومرتبة عالية في البحوث الوثوقيّة البعيدة عن الجرح والتّعديل.

7/3. التّوثيق والاستشهاد بالمتون، وهي ضرورة علميّة في فكر الثّعالي، ومن ذلك هذا الدليل الاستشهادي من كتابه (الجامع) في كتاب الشّافعيّة الكافيّة (ابن الحاجب) "... وينبغي لمن ألف أن يعرف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه فيكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره ويسلم من الجهل به وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزّمان، وكم من فاضل انتشرت عنه فضائل جُهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشّأن".

8/3. توثيق أعماله من خلال مصادر مشرقيّة وأندلسيّة ومغربيّة، وهذا ما أعطى القيمة المضافة لأعماله، وهذا ما يلمس من كتابه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن). وفي (الأنوار المضيئة بين الحقيقة والشّريعة).

4. كلام من الموسوعة الجزائريّة: أبو زيد عبد الرّحمن بن مُحمّد بن مخلوف الثّعالي، مُفسّر وفقه مالكيّ صوفيّ على طريقة أهل السنّة. ولد سنة 786 هـ 1384م بقرية (يسرّ) الواقعة حاليًا بولاية بومرداس، والقريبة بخمس (5) كيلومترات من مدينة برج منايل. تقع شمال شرق عاصمة الجزائر، وتبعد عنها بحوالي 70 كلم. وهذه القرية/ المدينة هي موطن آبائه وأجداده الثّعالية.

هذا العالم الفدّ كان رمزًا لمدينة الجزائر (سيدي عبد الرّحمن) وفيها مسجده الذي يحوي ضريحه. نشأ عبد الرّحمن الثّعالي في بيئة علم وصلاح، ودرس على علماء منطقته في بدايات حياته، ثمّ انتقل به أبوه إلى المغرب، وهناك تعلّم أصول

الدِّين والفقه، وقرأ عن علماء زمانه من مثل (العجيسي التلمساني) المعروف بالحفيد. ولما نَضِحَ عقله أضحى يُحِبُّ الرِّحَالَات والأُسْفَار طلبًا للقاء العلماء والصَّالِحِينَ، فزار بجاية وتلمسان والصَّحْرَاءَ، وجالسَ العلماءَ في رحلاته، كما انتهى إلى حلقات العلم والذِّكْر مثل حلقة (عثمان المنغلّاتي) و(أبي الرِّبِيع سلمان بن الحسن) و(أبي العباس أحمد النِّكاوسي...) والقائمة كبيرة برجال العلم الذين استمَعَ لهم، وأخذ عنهم.

وفي كلِّ هذه الرِّحَالَات لم يلدَّ له المَقَام، فقصد تونس سنة 809 هـ/1406م، وهناك تعلَّم على علماء مَشْهُورِينَ من مثل: (البرزلي) تلميذ ابن عرفة، كما لم يَمْضِ إلَّا بعض السَّنَوَات، وارتحل إلى القاهرة سنة 819 هـ/1414م، فلقى بها البلاي، وأبا عبد الله البساطي، وولي الدِّين العراقي...

ثمَّ ارتحل إلى الأستانة، ومنها إلى الحجاز؛ فأدَّى فريضة الحجِّ، واختلف إلى مَجَالِسِ العلم في كلِّ هذه البلاد التي زارها، أخذ علمًا كبيرًا. وعاد إلى مصر وانتهى إلى الأزهر، ومن مصر عاد إلى تونس، وانتهى إلى حلقة (ابن مَرْزُوق الحفيد) التلمساني، فلأزمه وأخذ عنه الكثير. هي رحلات مُضْنِيَّة ومُفِيدَة وعلميَّة مُتَوَاصِلَة لم تقعه عن طلب المَزِيد مِنَ العلم. واشتاق إلى الجزائر، وعاد مَحْمُولًا بزاد يلقيه على طلابه، ويدونه في كتبه. وعمل على تحقيق ذلك على الجهات الخمس التَّالِيَّة:

1/4. جهة تفرِغ العلم المُجمَّع من الرِّحَالَات العلميَّة: لما عاد إلى الجزائر عادَ بزادٍ علميٍّ وفيرٍ جعله يُلقَّب بعالم زمانه في علم التَّفْسِير، وقد تميَّز بِاتِّبَاع مَنهَج جمع فيه بين النِّقْل والعقل، واستحسن المُريدون هذا الجُمع التَّوْفِيقِيَّ بين الأصول والفروع. وبكلِّ هذا أضحى (الثَّعالبي) شيخًا عالمًا من علماء أهل زمانه، وانتشر اسمه في العالم العربيِّ والغربي.

2/4 جهة إلقاء الدُّروس في المساجد، واستطاع أن يُكوِّن مُريدِينَ كبارًا، ومنهم: مُحَمَّد بن يوسف السَّنوسي + أَحْمَد زروق + مُحَمَّد المَغِيلِي التلمساني + أَحْمَد بن عبد الله الرِّوَاوي + مُحَمَّد بن مَرْزُوق الكفيف، وغيرهم.

3/4 جبهة تولّي القضاء: وهي جبهة الحُكم بشرع الله، وردّ المظالم، ورفع الغبن، وفي تلك الفترة التي يسود فيها الجهل المُطبق، ومع ذلك حاول أن يكون في مُستوى تطبيق شرع الله، وأفلح في بعض القضايا التي وجد فيها الأطراف جاهزة للتعاون من أجل المحافظة على شرع الله.

5/4. جبهة الزهد والعبادة: وفيها انقطع للعبادة والتصوّف، كما كان يلقي خُطبًا على منابر مسجد العاصمة، وواضب على إلقاء دروس الجمعة، واستطاع أن يستميل الكثير من النَّاس لخدمة الدّين الإسلاميّ وفق المذهب المالكي وبطريقة الأشاعرة.

5/4. جبهة التّأليف: ألف أكثر من تسعين (90) مؤلّفًا عن حقائق التّوحيد، وعن أصول علم الكلام، وأصول الدّين، وعن علم العقيدة، وغيرها من العلوم الدّينيّة الأخرى. ومن أهمّها:

5. تفسيره (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) في أربعة أجزاء، وقد انتقاه -كما يقول من كتب التّفسير السّابقة، وأضاف إليه ما تيسّر له، فجاء تفسيره مملوءًا بنفائس الحُكم، وجواهر السنن الصّحيحة، طبع أوّل مرّة بالجزائر 1909، ثم طبع ثانيّة، تح: عمّار طالبي.

1/5. حقائق التّوحيد.

2/5. روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه.

3/5. جامع الهمم في أخبار الأمم.

4/5. جامع الأمّهات في أحكام العبادات.

5/5. الأربعون حديثًا في الوعظ.

6/5. جامع الأمّهات للمسائل المهمّات، مخطوط في المكتبة الوطنية بالجزائر.

7/5. رياض الصّالحين وتُحفة المتّقين في التّصوّف. مخطوط بالمكتبة الوطنية

الجزائر، برقم 833.

7/5. مخطوطات: وهي كثيرة جدًا، ومُتناثرة بين الرّوايا في منطقة القبائل، وفي خارج الجزائر، ووصل بعضها إلى (تمبكتو). ونشير إلى بعضها:

1. مخطوطات في التّوحيد واللّغة والفقه.

2. الدّر الفائق، والأنوار المضيئة بين الحقيقة والشريعة.

3. الذهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز.

وما تُركّز عليه الدّراسات كتابه المشهور (تفسير الجواهر الجسان في تفسير القرآن): فقد نال تقريظًا حسنًا من قبل الفقهاء والحافظين والمُطلّعين، وبخاصّة أهل السنّة والجماعة؛ لما يحمله من صور التّفسير المعاصر الذي يُبرز إعجاز القرآن، وصلاحه لكلّ زمان ومكان. وفي هذا التّفسير لفتات بلاغيّة لا يصل إليها إلاّ العالم المستولي على اللّغة العربيّة في أعلى بلاغاتها، وفي خصائصها التّداوليّة، وما يحيط بالآيات ممّا هو ثابت، وممّا هو مُتحوّل.

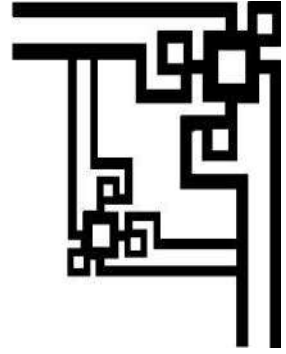
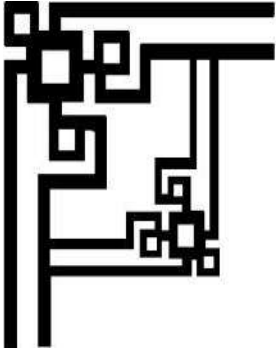
ويقول أهل الاختصاص بأنّ فكره في هذا التّفسير مزيج بين أفكار المُجتهدين في المشرق والمغرب وأهل الأندلس، وزاد عليها اجتهاداتٍ استقاها من أفكار شيوخه من مثل: تفسير ابن عطية، وغيره من الصّالحين، وهو الذي يقول "... ينبغي لمن أَلّف أن يعرّف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه، فيكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره، ويسلّم من الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزّمان، وكُم من فاضلٍ انتشرت عنه فضائل جُهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشّأن".

إنّه الشّيخ الفاضل الذي نال الدّنيا بما كسب من المُريدين، ونال أجر العلم بما ترك من الصّدقات الجاريات، ونالهما معًا بما ترك من لذة التّدكار من قبل أفاضل العلماء، وفيه قال أبو زرعة العراقي "الشّيخ الصّالح الأفضل الكامل المُحرّر المُحصّل الرّحال أبو زيد عبد الرّحمن بن مُحمّد بن مخلوف الثّعالي".

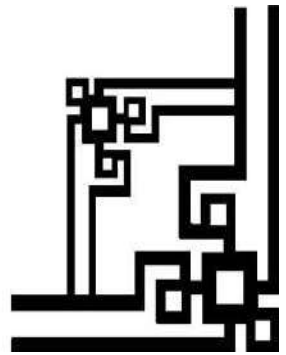
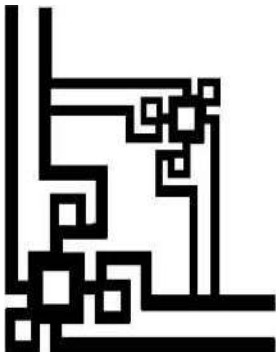
رحل الشَّيخ الثَّعالبي بلدَّة هذا الكلام الذي يستحقُّ أكثر، رحل في يوم الجمعة 23 رمضان من سنة 875 هـ/ مارس 1471م. ورثاه كثير من مُريديه ومُعاصريه، وهو الآن ينام في زاويته، وفي ضريحه بسيدي عبد الرَّحمن الثَّعالبي بعاصمة الجزائر. وفي وفاته قال أبو زرعة العراقي:

لقد جِزَعْتُ من نفسي لفقدِ أَحَبِّتي ❖ وَحَقَّ لهما من مثل ذلك تجزَعُ
ألمَّ بنا ما لا نُطيق دفاعَه ❖ وليس لأمرٍ قدَّر اللهُ مَرَجِعُ





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



مُساهمة اللّغة العربيّة في الحضارة والثّقافة الإنسانيّة*



الدّيباجة: يطيب لي أن أكتب في هذا الموضوع الذي اختارته اليونسكو شعاعاً للاحتفاء باليوم العالميّ للّغة العربيّة لعام 2022م. وأجد فيه القول الكثير لما سوف يؤوّل إليه الموضوع من ردّ الاعتبار لتراثنا وثقافتنا التي أسهمت في الحضارة الإنسانيّة، ولما قدّمته من تنظير في الكثير من المجالات التي كانت أرضيّة انطلاق الحضارة الغربيّة المسيحيّة، بمسّى ثورة البخار. وسوف أقف في هذه النّقاط:

1. عالميّة الإسلام: يكون استنتاج ذلك من الآيات التي تنصّ على ذلك؛ ويعني عالميّة ثقافته ولغته، فالدين واجب، ويُفهم فهمًا دقيقاً باللّغة التي نزل بها ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلمَهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: 41]. ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: 44]. ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم: 52].

ولقد ظهرت عالميّةها في مُحتواها الأدبيّ القديم، وما عاشته من تلاقح ثقافيّ جعلها صامدّة، وبقيت لغة العلم لزمان طويل، وأضف إلى ذلك ما تملكه من طواعيّة ذاتيّة للتّطوير بما يناسب مُستجدّ العلم الحديث، ومقامها الحاليّ في أدبيات لغة الأمم ولغة الكون. وظهرت عالميّةها في احتوائها مُعظم اللّغات الحاميات، وأثرها التّفصيليّ في السّاميات، ومحوها لبعض المحلّيات، وفعلت فِعْلَهَا

* الكلمة التي أُعدّت للملتقى بمُناسبة اليوم العالميّ للّغة العربيّة لعام 2022م، في كلية الأدب العربيّ والفنون، بجامعة عبد الحميد بن باديس، بالتّعاون مع المجلس الأعلى للّغة العربيّة. ومخبر الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة في الجزائر، ومَشروع البحث التكوينيّ الجامعيّ، بتاريخ 12 ديسمبر 2022م.

في فقه اللغويات، بأن تعولمَ خطُّها حتى في المُحكّيات. إنّ عولمتها تجاوز حدود شبه الجزيرة العربيّة، ولغة البداوة، وقفا نيك، إلى لغة أعطت أكثر ممّا أخذت، ويخبرنا المقام أنّ الحضارة الغربيّة المسيحيّة في التّطبيقات عكست أحوال العربيّة في التّنظيرات. عربيّة عالميّة بعدد أهلها الفطريين، ومن مُستعملها غير الفطريين الذين يصلون إلى مليار وثمان مئة مليون، ورتبها الخامسة أُمميًا، واستعمالها في الشّابكة في المرتبة الثّانيّة، بلّه الحديث عن مكانتها في القارات الخمس.

لغة عالميّة بحضارتها الشّرقية، وكانت أمّ تلك اللّغات، حيث احتوتها بسهولة، وتحول أهلها مُدافعين عن العربيّة مُتخلّين عن قومياتهم ومُحكّياتهم، فذاوبا ذوبان الثّلج في أتون نهر العربيّة الكبير. ذابت تلك الشّعوب الزّاخرة بالتّنوع الثّقافي، وذوي الأصول والمشارب والمُعتقدات. وأصبحت العربيّة خزّان المعارف تستقي منها تلك الثّقافات ومُختلف اللّغات مَجالات العلوم العلميّة والفلسفيّة واليونانيّة والرومانيّة، وانتعشت أوروبا في عصر النهضة، وأتاحت إقامة الحوار بين الثّقافات في إطار المُقايضات على طول المسالك البريّة والبحريّة لطريق الحرير؛ فمن بلغاريكيتشاك بالصّين إلى شرق أوربا وشبه جزيرة القرم وحتى البحر الأسود وبحر مرّمة والبلقان ووصولًا إلى البندقيّة، وطريق الملح من توات الجزائريّة إلى القرن الأفريقيّ.

إنّ العربيّة لغة عولميّة بما لها من ماضٍ مُغدق في الإشباع، واتّساع رقعتها المُشرقة في الاتّساع، واستعمالها في خريطة اللّغات، وفي تواصلها مع الحضارات. لغة رئيسة بين اللّغات في القطب الثّاني بعد الإنكلوساكسونيّة، ويعدّد ثلاثة وستين (63) دولة تستعملها لغة رسميّة، ولغة شعائريّة لدى عدد من الكنائس المسيحيّة في الوطن العربيّ، كما كُتبت بها كثير من أهمّ الأعمال الدّينية والفكرية اليهوديّة في العصور الوسطى. لغة السّياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضى التي حكمها المسلمون.

لغة سكنت ثمانين (80) سنة؛ وهي لغة مُستقبِلة، ونهضت بعدها وأصبحت المحيطَ الذي يُغذي مُختلف اللّغات، وأضحت لغة الدّين والدّواوين والدّول والسياسة والإدارة والحساب والتّعليم. لغة أجادَ فيها العربُ وغير العربِ، وكانت لسانَ حالِ الهويّة العربيّة بفخرٍ واعتزاز. لغة التّثاقف لما حصل من الامتزاج بين العرب وأهل الأندلس في موريسكيات التّواصل بين الأخذ والعطاء والاقْتباس. لغة الأمم المتّحدة بما لها من توظيف في وكالاتها الأمميّة الواحدة والعشرين (21) والمورّعة عبر العالم.

هذه هي العربيّة لغة الأمّ التي نحتفي بها هذا اليوم، وعالميتها تشهد على حضارتها. العربيّة لغة عالميّة بما لها من وجود في المنازلات الرّياضيّة العالميّة، التي كان لها وجود في الفيفا، وحضرت بأريحيّة في كأس العالم في قطر، وأمّا الشّابكة فهي اللّغة الثّانيّة التي تتصدّر المقام، ويكفي أن نعرف بأنّ عدد المواقع من سنة 2012م إلى الآن يصعب عدّها لكثرتها.

3. اللّغة العربيّة والتنوّع الثّقافي: إنّهُ موضوع كبير؛ حيث تُعدّ اللّغة مَصدراً من مَصادر التّنميّة؛ ووسيلةً حياتيّة لبلوغ حياة فكريّة آمنة مُتكافئة، وفيها تعايش من نوع (لا ضررَ ولا ضِرارَ). اللّغة وما تحويه من تنوّع فكريّ هو الذي يعمل على التّواصل بين المجموعات البشريّة، وبدورها تقوم على صون التنوّع وتعهده باستخدام، وتحميه بالقوانين والتّشريعات التي تضمّن الدّيمومة لعالم مُتنوّع مُختلف في المنهجيات بمآلات مُتّفقات. ولهذا تسعى مُنظمة الأمم المتّحدة للعمل من أجل التّقارب اللّغويّ عن طريق التّرجمة والاهتمام بالألسن في علاقاتها بالثقافات والأديان، ونشر فضيلة المُثاقفة، والتّجسير بين اللّغات قصد رتق الفجوات بهدف إرساء مُجتمعات أكثر سلماً وتعاوناً. ولهذا تسعى الكثير من المنظّمات تعزيز الوحدة في إطار التنوّع، بالأخذ بتعدّد اللّغات المؤدّي إلى التنوّع الثّقافي، وذلك ما يعطي التّكامل والانسجام.

ومن هذا المنظور؛ فإنّ الثّقافة تحلّ مكان الصّدارة في المناقشات المعاصرة بشأن الهويّة والتّماسك الاجتماعيّ وتنمية الاقتصاد القائم على المعرفة بما يؤكّد احترام تنوّع الثّقافات، والتّسامح، والحوار، والتّعاون في جوّ من الثّقة، والتّفاهم وهو أمر لا غنى عنه في عالم اليوم المشحون بالتناقضات، وخير ما يُرسي السّلم هو تحقيق مزيد من الاعتراف بالتنوّع اللّغويّ والثّقافي؛ وصولاً إلى تنمية الوعي الجمعيّ بالمحافظة على ما يجمّعنا في إطار اختلاف المنهجيات ليس إلّا، وأما المآلات فهي ذاتها أو مُتقاربة.

ولهذا فإنّ اللّغة العربيّة والتنوّع الثّقافيّ لها امتدادات في الماضي السّحيق مع المجموعات البشريّة التي تواصلت أخذًا وعطاءً، وبنّت جسورًا بين اللّغات والحضارات، ومستّ الفُرُس والتّركمان والألبان والتّرك والأنباط والهند والأفارقة والأوروبيين عبر طرق البحر والبرّ، وعبر لغة لها خطوطها وثقافتها وفقهها وشعرها خصوصياتها. ولهذا نحن في أشدّ الحاجة إلى توافق ثقافيّ عن طريق العربيّة بغرض مدّ جسور التّواصل بين الحضارات والشّعوب، وترسيخ أنماط التّواصل والحوار والتنوّع، وهذا ما يُظهر قدرة العربيّة على مُلاحقة الأمور اللّسانيّة في جانبها التّقابلي، وثبات ممتها القديم المُتجدّد، وسيحدّث تقارب كبير في استخدام العربيّة من غير أهلها، وذلك ما يزيد من قيمتها في التّرجمة وتوليد المُصطلحات، والعيش في الحداثة.

4. نموذج التّفاعل الحضاريّ بين عرب الأندلس والأوروبيين: في كتاب جدّ مهمّ (التّفاعل الحضاريّ بين الأندلسيين وبين الأوروبيين في العصور الوسطى) للباحثة (ريما محمّد درنيقة) 2018م، يتعرّض إلى جملة تلك الشّواهد من الحضارة الإنسانيّة، مُستدلًّا بإسهامات العرب في سدّ الفراغ العلميّ خلال ثمانية قرون من حمل حضارة العالم في سابقة هي الأولى من نوعها؛ حيث أعطت العربيّة أكثر ممّا أخذت، في الوقت الذي كانت أوروبا تعيش عصر الظلّمات. وحصل تفاعل أوليّ في الحروب الصّليبيّة، وعبر التّجار بين حضارة عربيّة مُسلمة مُزدهرة، وبين حضارة تعيش الجهل المُطلق والمُطبق؛ ألم يندهش (شارلمان / Charlemagne) من السّاعة

التي بعثها هارون الرّشيد هديّة، وينظرون إلى ذلك الفعل سحرًا، لأنّهم مُطبّقون على الجهل العلميّ، وكانت الكتابات الإسلاميّة عامرة بالمجلّدات، ومكتبات أوروبا لا تحوي إلّا على قليل من الكتب الدينيّة. ألم يتواجد العرب في جزيرة صقلية وإيبيريا لثمانية قرون؟ ومن صقلية نالت الحضارة العربيّة الإسلاميّة الانتشار، وكانت الأندلس البوابة الكبرى للمدّ الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ، في عطاء صناعيّ عربيّ أنقذ الغرب من تخلفه.

وكم من بعثة علميّة عربيّة أُوفدت إلى بلاد العرب للتعلّم بالعربيّة وفي ذات العرب، ونيل الجُرْفَة. واقتباس ألوان الحضارة والتّمدّن الإسلاميّ. وإنّ التّزهيّين من الغربيّين لا ينكرون دور العرب في التّهضة التي أحدثوها في الأندلس تحت لواء الإسلام. ويتعلّمون من تطوّر العمران من مدينة قرطبة التي عرفت ازدهار الأوربيّ؟ أليس حاكمها عبد الرّحمن الثّالث (300-350هـ/ 912-961م)، وكانت أكثر المدّن رفقة في الثّقافة، وأصبحت تنافس مدينة بغداد.

لقد كانت للعربيّة السّيادة في العلوم والبحوث وفي الإبداع، فلم يكن أيّ عالم أندلسيّ لا يعرف العربيّة، هي مؤشّرات الثّقافة الإسلاميّة. ألم يقبل الأوربيّين على التّداوي عند أطباء العرب، وكان الإقبال على الطّب العربيّ في كلّ مكان. أطباء بلا حدود، وفي مُختلف التّخصّصات: ابن النّفيس مُكتشف الدّورة الدّمويّة، وكتاب القانون لابن سينا 25هـ/ 1037م، كان عُمدة الدّراسات الطّبيّة إلى غاية 1658م؛ والصّيدلانيّ المشهور عبد الله بن أحمد بن البيطار المالقي 646هـ/ 1248م، وابن الهيثم صاحب الكيمياء...

أطباء وعلماء مَشارقة/ مغاربة مُسلمون لامعون كانوا في الأندلس، ونجد طلبه أندلسيّين هاجروا إلى المشرق لتلقّي العلوم. ونقرأ عن إبداع الشّعراء الأندلسيّين في المؤشّحات والرّجل والذي أخذ شكلاً عروضيًا سابقًا من حنين شعريّ يقرب إلى الرّومانسيّ على غرار شعراء التّروبادور. ألم يظهر تأثير (ابن حزم) الأندلسيّ في هذا الشّعْر من خلال (طوق الحمامة)، وكتاب (حيّ بن يقظان) لابن طفيل الأندلسيّ وهو الطّبيب والفيلسوف.

5. التّبادل اللّغويّ والفنيّ: يقول الباحثون بأنّ اللّغات الإسبانيّة (القشتالية+ الفلنسيّة+ القطلونيّة+ البرتغاليّة) تأثرن بالعربيّة من خلال الشّعريّ، وذلك ما ظهر في مجامعها من خلال استعمالها الألفاظ العربيّة في حياتهم التّواصلية اليوميّة، أضف إلى ذلك أنّ العربيّة كانت لغة العلم والعالم؛ حيث قادت البحوث العلميّة والرّحلات الاستكشافيّة إلى أمريكا اللاتينيّة، وما صاحب ذلك من عمّل التّراجمة الذين جعلوا العربيّة لغة مّصادرهم، كما تلوّنت موسيقاهم بالريتم العربيّ، وحصلوا فيها الصّناعة الموسيقيّة بما حسّنه مُراد السّمع ومَرّع النّفس، وربّع القلب، ومجال الهوى، وزاد الرّاكب درجة في سرعته أن أصبحت الموسيقى العربيّة ثقافة عامّة الأندلس.

ويتلو ذلك تأثير فنّ العمارة والرّخرفة في المساجد وفي الحدائق العامّة، وفي القصور وفي الرّهراء، وحتى في الكاتدراليّات. فنجد تحفة قصر الحمراء بغرناطة+ قصور إشبيلية الذي بناه المعتمد بن عبّاد. أبراج سامقات وقلاع وحصون وجسور وقباب وأقواس لا تزال تقول هذا بناء عربيّ إسلاميّ، وآثارهم تدلّ عليهم.

بأربع فاقت الأمصار قرطبهُ * منهنّ فنطرة الوادي وجامعُها
هاتان ثنتان والرّهراء ثالثُها * والعلمُ أعظمُ شيء هورايعُها

وهناك أنظمة الريّ، وجلب المياه للمنازل والحمامات، وصناعة الورق والرّجاج والخزف والفخّار والمنسوجات والصّناعات المعدنيّة. هو تفاعل حضاريّ بين ضفّتين مُتجاورتين كلٍّ منها أثر في الآخر بمقدار يختلف. فالأندلس تأثرت بالعرب، والأندلس أثرت في الأوروبيين، ونقر بأنّه ما من حضارة تظهر لا تنطلق من ذاتها، بل تعتمد على الحضارة السّابقة وبإسهامات نسبيّة. وهكذا كبرت الأمة العربيّة آنذاك بأثارها في الآخرين، وعظّم مقدارها بما قدّمته للبشريّة من علوم ومعارف واختراعات أسهمت في رفاهيّة النّاس، وقلّلت من المُعاناة، وبذا نرى بأنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان لها وقع عند الآخر في العصور المُظلمة، وأعطت أكثر ممّا أخذت.

أيها الحضور الكرام، وماذا عساني أقول في موضوعكم المختار (اللغة العربية والهوية في ظلّ العولمة) وما نحن نلتقي على موضوع قد قدر، وحسن الاختيار، وهو جدير بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربية، فنراه ينال الامتداد في المواقع والمناسبات التي ترعونها أنتم في جامعة (عبد الحميد بن باديس) التي عهدناها حاضرة في كلّ المناسبات ذات العلاقة باللغة العربية، وتعمل على تمكينها في مختلف المجال والاختصاصات، ولها بصمات فارقة مهمة من سبك مسعى الجامعة: الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا، وكأني بكم بهذا الحفل تقولون: العربية لغة الدين والدنيا والدولة، فأنعيم بكم يا أفاضل!

إنّ اللغة جزء من الهوية، والوطنية عمادها الهوية، هو ثلاثي متراكب لا انفكاك فيه، وعماد هذا هو المشترك من الحضارة والتاريخ والمرجعيات والفاعلية المتطورة، إلى الرؤية التي تحدد الإيجابية، وتحيل إلى الفاعلية، وإلى التفاعلية المريحة عطاءً وأخذاً، وتأثراً وتأثيراً، وذلك ما يتيح الفضاء الحضاريّ الفسيح المتناغم على طول الامتداد دون قلاقل. إنّ فضاء الهوية كبير وواسع، وله نوافذ كثيرات، وأهم نافذة تتيح الحرية هي اللغة من منظور التعددية بعنات الحرية العامة بما لها من مساحة تمكين الجماعة من التفكير أو التصرف دون قيود، هي ذات الهوية الوطنية، والتي يقع التعبير عنها بالكتابة أو باللسان المنطوق. ولهذا يقع تركيزنا على اللسان/ اللغة فهي خيرٌ مُعبّر ومُعبر لتجاوز الخلافات، والاتفاق على المشترك، وأفضل منهج التطوير، ونشدان المستقبل المُنير، بتوظيف اللغة المشتركة بحسن التدبير. ونحن العرب وهبنا اللغة العربية الحاملة لِكلمه، وخير ما مُنحنا هذا اللسان العربيّ الفصيح ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: 50]. ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84]. و"تعلموا العربية؛ فإنها من المروءة".

إنّ العربيّة من هذا المنظور هويّة جمعيّة جماعيّة على غرار الدّين، فما لا يُفهم به الدّين فهو واجب، والعربيّة واجبةٌ لنا، وهي جزءٌ من هُويتنا: لغةٌ قيل فيها:

إنّ الذي ملأ اللّغاتِ محاسناً * جعلَ الجمالَ وسرّه في الضّاد
لغةَ القرآنِ يا شمسَ الهدى * صانكِ الرّحمُ من كيدِ العدى
هل على وجه الثّرى من لغةٍ * أحدثتُ في مسمعِ الدّهرِ صدى
لغة إذا وقعتُ على أكبادنا * كانت لها برّداً على الأكباد
وتظللَ رابطةً تُؤلف بيننا * فهى الرّجاءُ لناطِقٍ بالضّاد

إنّ العربيّة لغة الهويّة تحمل في ثناياها معاني الحياة والمحبّة والتّواصل والعلم والوجدان وغير ذلك... فهل يتوقّر في بلادنا حُرّاص يقومون على احترام لغتنا الأمّ، وهي احترام للهويّة؟ وكيف هي علاقتنا اليوميّة بها طالما أرضعتنا بكلماتها وعباراتها، وأنجدتنا بمعانيها التي هي ترجمان مشاعرنا وهمومنا؟ وهل يمتنعنا حبّ لغتنا الأمّ من أن نحبّ ما طاب لنا من اللّغات الأخرى؟

العربيّة لغة عظيمةٌ بشواهد ماثلة أمامنا، وما تنادى له المُخلصون شواهد تدلّ على بعض التّسيّب في الاعتزاز بها، وتُعاني في بعض المّقامات من وضعٍ بائسٍ يتمثّل في التّهميش والانحسار، وتولّد جرّاء ذلك تحوّل بعض أنماطها إلى لغة شعائريّة في إطار تعبديّ. ضعفت همّة السّياسة اللّغويّة المتكاتفّة من أجل ضبط منهجيّ صارم يوقّف المدّ العبثيّ للتّهميش الثّقافي، ويحدّد من التّلوث اللّغويّ الذي صار يسمّ حياتنا كلّها.

وما بالنّا نشهد الدّوبان في لغة الآخر، اقناعاً بخطر التّنميط الثّقافي. ما بالنّا لا نراجع أعمالنا؛ بالتّنادي بخطورة المسألة اللّغويّة، ألا يمكن أن نوقّف هذه المسألة، ويتكاتف الإعلاميون والنّخبّة والسّياسيون والمعلّمون لتقديم وصفات علاج الأخطار المُحدّقة باللّغة العربيّة في عالمنا اليوم.

إخواني الحضور، أيها الطّالبات والطّلبة، لا بدّ من إجراء مُحاولات التّطوير، لا نستمع إلى خطابات التّئيس، نُبادر ونُحاول وسوف نهتدي إلى الحلول، وسوف نصل إلى منهج لغويّ يناسب عصر مُجتمع المعرفة، وناهتدي إلى طريقة ما، تكون فيها اللّغة العربيّة هي ترجمان معرفتنا ورسول أنفسنا إلى أرجاء الأرض كلّها.

لا بدّ أن نشغل ونصنع طريق المعرفة في العربيّة في ذاتها وبناتها، شريطة ألا نوكل أمر تطويرها للجهلة؛ لأنّ فاقد المعرفة لا يعطيها. ولا بدّ من الوعي بهذه اللّغة، والوعي بتقديم وصفات بالاختلافات القطريّة بين المُجتمعات العربيّة الإسلاميّة، وأنها ليست شيئاً مُتجانساً ومُتوازياً في التّقدّم والنّبوغ أو التّأخّر والخنوع. ومن أجل ذلك لا بدّ من وضع سياسات مُشتركة لتطوير العلاقة النّفسيّة لشعوبنا بالعربيّة بشكل رئيس، وهذا في إطار التّنميّة المُستديمة الشّاملة، ويتبع ذلك تجذير الفصحى لغة الثّقافة والعلم والامتياز والتّفكير.

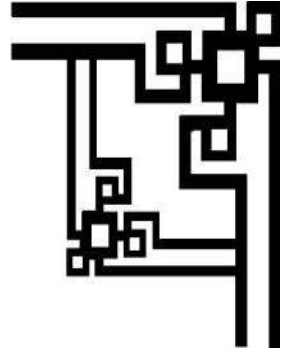
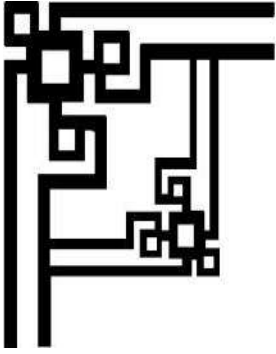
ولا بدّ من تنميّة فكرة مُجتمع المعرفة داخل المُجتمعات النّاطقة بالعربيّة، إضافة إلى ضرورة تعديل سرعة العربيّة وفق آليات العصر. ولا شكّ أنّ تطوير العربيّة أصبح ضرورة حتميّة، ننظر في مُستجدات العصر التي نروم أن تكون بالعربيّة، نريد منبهاً يتكلّم لغتنا، ودليلاً ناطقاً يقودنا إلى عنوان نجهله، وعندما نصل إلى مكاتبنا نشغل كبتاراتنا بالعربيّة، وعندما ندخل على شبكات المعلومات نُشيك بالعربيّة...

وكما نريد مُهندساً وعالمًا يُصمّم ويكتب صفحاتنا ومُحرّكات بحثنا باللّغة العربيّة، ومن ينتج لنا برامج سمعيّة بصريّة ذات قيمة فنيّة وأدبيّة وثقافيّة تمنعنا من الانتقال إلى القنوات الأجنبيّة.

وبناءً على ذلك فلا نَهْضَةَ لنا بلغات غيرنا، ولا هويّة لنا بغير لغاتنا، فوجب إصلاح ذات البين مع لغتنا الأمّ، قبل فوات الأوان، ثم إنّ مُجتمع المعرفة يحتاج لمُحتوى مَكْتوب ومسموع باللّغة العربيّة، يتمّ نشره على الشّابكة، ويكون ذلك بكمّ وجودّة يلقيان بلغة عربيّة كانت في وقت مَضَى مرجعاً للحضارات الإنسانيّة.

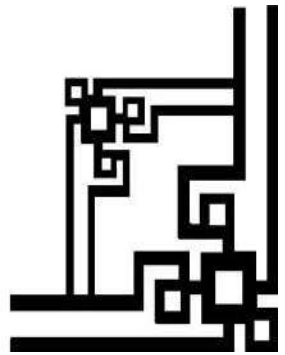
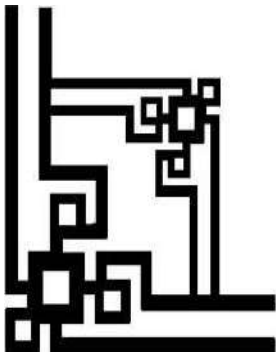
وفي كلّ هذا ما أوجنا أن لا تبقى العربيّة سجينّة الماضي التّليد؛ فهي تحتاج أن تخوض المعاصرة بكلّ ثقة ومسؤوليّة وانفتاح، والتّطوير يحتاج اتّخاذ قرارات حاسمة، وإلى العمل الدؤوب على إخراج مُجتمع المعرفة العربيّ، ولا يكون ذلك دون توفّر الحريّة الحقيقيّة التي هي مَحضن الإبداع، وفي ذات الوقت يجب أن نتفاءل ونقول: إنّ العربيّة بخير ما دُمنا نسمّعها، وننطق بها، وما دُمنا نعمل على تطويرها.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

49



واقع البحث العلميّ بالعربيّة:

صُعوبات، رهانات، مبادرات وإجراءات وحُلُول*



الدّيباجة: ينالني شرفُ الحضور أمام الوجوه العالمّة في جامعة حسيبة بن بوعلي بالشّلف، وأمام صاحب الحوكمة رئيس الجامعة، وزملائي الأساتيد خُدام هذه الجامعة التي تنال المقامات العُلا، وطلابنا الأماجد وهم يبحثون ويجتهدون ويتصدّرون، بل يتميّزون.

أنا في هذا الملتقى الذي يتناول بالدّراسة موضوع العصر (واقع البحث العلميّ بالعربيّة: صعوبات، رهانات، مبادرات، إجراءات وحلول) هي موضوعات كبريات تحتاج إلى مساحات البحث، ويمكن النّظر إليها من زوايا الواقع والموقع والتّوقّع، زوايا الماضي المُغدق، والحاضر المُقلق والمُستقبل المُشرق، زوايا الاعتبار، والإضمار، وإنتاج الأفكار، والتّماهي في عالم البحث دون إدبار. فيا أيّها الجُمع الكبير، أنعم بكم وبالموضوع المُختار!

1. أهميّة اختيار مَوْضوع البحث العلميّ بالعربيّة: يستلزم المَوْضوع قراءة الحاضر والمُستقبل والتنبؤ بكلّ الأزمت والمتغيّرات، والاستعداد له من خلال الدّراسات الاستشراقيّة المُستقبليّة، بالاعتماد على أساليب علم المُستقبل ومنهجيّات البحث العلميّ؛ باعتباره يعتمد الطّريقة العلميّة المُنظّمة المَوْضوعة في المُلاحظة وتسجيل المعلومات، ووصف الأحداث وتكوين الفرضيات.

* - الكلمة التي أقيمت في جامعة حسيبة بن بوعلي بالشّلف، كليّة الآداب والفتون، قسم اللّغة العربيّة وأدائها، مخبر (تعليميّة اللّغات وتحليل الخطاب) بالشّراكة مع المجلس الأعلى للّغة العربيّة، بتاريخ 13 و14 ديسمبر 2022، في إطار (شهر اللّغة العربيّة).

ولهذا نحن بحاجة إلى البحث العلمي الذي نستقي منه العلم التّطبيقيّ من خلال القوانين والنّظريات. كما أنّ مناهج البحث النّظريّة والتّطبيقيّة أصبحت مَفْتُوحَة على عالميّ الابتكار والإبداع، مع ما يُرافقهما من تجديد وتطوّر واختراع. ويُمكن كذلك أن يكون البحث العلميّ مشروع بحث للتّوسّع في مشاريع لاحقة أو عناصر سابقة لها أثر في تطوير منظومة عملت/ تعمل على ترقية المعرفة الإنسانيّة. وهناك أنواع كثيرة من أشكال البحوث بحسب فلسفة العلوم، وتختلف باختلاف المجالات: البحوث العلميّة النّظريّة/ التّطبيقيّة/ بحوث التجارة/ الاقتصاد/ الاجتماع/ اللّغويات... وتكمن أهميّة البحث العلميّ في العناصر التي حدّدها الباحثون، وهي:

1. "تأويل نتائج البحث.
2. التّطبيق العمليّ لنتائج البحث.
3. الخدمة المثبتة في المكتبة.
4. البحث الشّخصيّ.
5. يقدّم البحث العلميّ مقترحات لحلّ مُشكلة أو ظاهرة مُعيّنة.
6. تقودنا الأبحاث العلميّة إلى التّعرف على المُجتمعات الأخرى وزيادة المعرفة والثّقافة".

ومن خلال هذا المُلْتقى؛ نشكر لكم هذا الاختيار الذي نراه قيمة مُضافة يُسهم في تطوير الوعي للاهتمام بالبحث العلميّ بالعربيّة؛ التي تحتاج إلى تطوير منظومتها البحثيّة؛ باعتبارها لغة عالميّة تُزيد من القرب للواقع، ويقع الاعتزاز بها حالة ما كانت مُنتجة للعلم، وهي تناديكم لرفع الغُبن عنها، والخروج من مُسلّمات اللاوعي بأنّها لغة الجنائز ولا تصلح للعلوم، وهي سراب بقيعة لا أمل في علومها... وهذا ما نريده ألاّ تقعوا في سفاسف المُتفقيمين الذين لا يبنون الحاضر، ولا يُفكّرون في المُستقبل، ولا يريدون من يأمل؛ لأنّهم من دُعاة التّيئيس والتّبخييس.

2. ما هو البحث العلمي؟ تجربة تنمويّة في أسلوب مُنظّم في جمع المعلومات وتوثيقها وتدوينها باتّباع أساليب ومناهج علميّة مُحدّدة؛ بقصد التّأكد من صحّتها أو تعديلها أو الإضافة إليها، ومن خلالها يتمّ التّوصّل إلى قوانين ونظريات لحلّ مُشكلة أو الإجابة عن سؤال، أو اكتشاف حقيقة. البحث العلميّ طريق المعلومات الدّقيقة، لأنّه استقصاء منهجيّ دقيق شامل، يستهدف تحصيل حقائق تُساعد على تخطيط الحاضر والمستقبل، واكتشاف ظواهر مَجالات المعرفة العامّة على تحريك فعاليات الأحداث اليوميّة لحياة الإنسان.

وإنّ أهمّ أدوات التّقدّم مرهونة بالتّقدم في مَجال البحث العلميّ، والاستفادة من التجارب العالميّة التي لها الرّيادة والنّمو والعيش في الرّفاهيّة الشّاملة. وأنّ الحاضنة الأساس للبحث العلميّ يكون في مراكز البحوث والمخبر والجامعات، ويتحقّق كلّ ذلك عبر مُنتوج المدرسة في مُختلف أطوارها عندما تحمل أهدافًا لتحقيق البحث والتّطوير. ومن حسن التّوجيه الذي يبدأ من مرحلة التّعليم المتوسّط في توجيه دقيق لبداية تأسيس المُقاولات.

وينال البحث سمّعه من خلال مُنتوج الجامعة التي تعمل على الانتشار والإتقان والتّفدير، وإتاحة كلّ مُنتوج علميّ لخدمة البشريّة؛ باعتبار العلم عالميّ النّزعة، "... وأنّ المعرفة لا وطن لها؛ حيث أصبحت ذات صبغة عالميّة بفضل استخدام تقنيات المعلومات والاتّصالات التي سهّلت التّواصل بين العلماء والباحثين بغض النّظر عن الحواجز الجغرافيّة، وقد شهدت السّاحة العلميّة تنافسًا بين الباحثين النّشطين للنّشر في المَجالات العلميّة العالميّة والمُدركة في قواعد البيانات المُتخصّصة، ومنها شبكة المعرفة (ISI) Web of Knowledge التابعة لمؤسّسة (Thomson Reuters/ رويترز). كما أنّ مُقومات البقاء والتّصدّر تتحدّد بامتلاك إنتاج المعرفة كقوّة وجود، وخلق الثّروة كقوّة استدامة، والجمع بينهما قوة تصدّر وتميّز وغلبة.

3. واقع البحث العلميّ بالعربيّة: نظرًا لقلّة تشبيك العرب في المنظومات العالميّة، وما يعتمد في هذه الكلمة ما وجدناه في قاعدة مُنظمة المُجتمع العلميّ

العربيّ (أرسكو/ARSCO) التي تتبع البحث العلميّ، وحركة النّشر العلميّ العربيّ من خلال قاعدة (ISI) وترى هذه المنظّمة أنّ البحث العلميّ بالعربيّة ضعيف جدًّا جدًّا، وتستدلّ بإحصائيات مُحتشمة. ففي دراسة قام بها (الربان 2012) بعنوان: حصاد عقد البحث العلميّ العربيّ (2001-2010)، تكشف عن الإنتاج الكليّ للدول العربيّة هو (135,176) ورقة من ورقات البحث العلميّ ومُعظمه يأتي من أربع دول، وهي: مصر، السّعودية، تونس، والجزائر. وترون بأنّ الواقع مرّ، وقد أكّدت ذات المنظّمة في دراسة أخرى غطّت فترة (2008-2018)، ما يقارب (410,549) بحثًا وورقة علميّة، بترتيب السّعوديّة، مصر، تونس، الجزائر.

الترتيب	الدولة	عدد الأبحاث	النسبة %
1.	السعودية	112,565	25%
2.	مصر	106,891	24%
3.	تونس	48,417	11%
4.	الجزائر	37,137	8%
5.	المغرب	26,914	6%
6.	الإمارات	25,360	6%
7.	الأردن	16,890	4%
8.	قطر	16,328	4%
9.	لبنان	15,087	3%
10.	العراق	12,119	3%
11.	الكويت	9,294	2%
12.	عمان	7,793	2%
13.	السودان	4,379	1%
14.	فلسطين	3,786	1%
15.	سوريا	3,251	1%
16.	ليبيا	2,902	1%
17.	اليمن	2,235	0%
18.	البحرين	2,224	0%
19.	موريتانيا	300	0%
20.	جيبوتي	118	0%
21.	الصومال	74	0%
22.	جزر القمر	68	0%
	إجمالي الأوراق العربية المنشورة	410,549	100%

مع ما يتبع ذلك من اهتراء مؤسسات البحث العلميّ، وقلة التّمول، وهجرة الأدمغة التي تكوّنها الجامعات العربيّة من أجل الغرب، وهم جاهزون للاستغلال

في بلد لم يدفعوا عليهم شيئاً. وهناك أسباب أخرى تدعو للاستغراب؛ حيث يقلّ وجود مجلّات علميّة باللّغة العربيّة، والموجود منها ليس له مُعامل التّأثير، وليس لها مواقع في الشّبكات العالميّة على غرار Scopus، بلهّ الحديث عن جُملة المُعيقات الداخليّة في شحّ التّمويل؛ حيث مجمّوع إنفاق العالم العربيّ حوالي مليار وسبعمئة مليون دولار سنويّاً، بما يعادل إنفاق جامعة هارفارد الأمريكيّة وحدها بلهّ الحديث عن الأميّة التكنولوجيّة والنّشر الإلكترونيّ، وقلةّ الحيلة في استخدام أنظمة الحاسوب، والبيروقراطيّة والمُشكلات الإداريّة والتنظيميّة، وضعف القدرة المؤسّسيّة، والميزة التنافسيّة والحوافز الماديّة والمعنويّة، وبطء الاستجابة للتحوّل الرقّميّ... دون الحديث عن تلك الفجوة الرقّميّة التي طالت مفاصل البحث العلميّ بالعربيّة.

هي رهانات وتحديات تعيشها اللّغة العربيّة من خلال أهلها الذين لا يوقّرون شروط البحث العلميّ المطلوب، فتعاظمت المُشكلات، وكان يمكن أن لا نقع في هذه النّقائص لو أعملنا الحكامة العقلانيّة بمُخرجات البحث العلميّ برفع مُستوى الإنفاق على البحث العلميّ، وعالجنا انعدام أجواء البحث العلميّ ووقّرنا الشّروط لتفريخ البحث العلميّ في أوطاننا وباللّغة العربيّة، وكلّ ذلك بسياسة بحثيّة لغويّة، وتخطيط منهجيّ يضمن الاستدامة للبحث العلميّ، ويوجد آليات النّظرة المُستقبليّة التي يُبنى عليها مُستقبل هذا الجيل الطّامح الطّافح من أجل البناء وإكمال المسار؛ لتحقيق رؤية مُستقبليّة آفاق 2046م. فما محلّنا في تلك الخريطة القادمة التي تأتي على دُحر الكثير من اللّغات والبلاد.

4. البحث العلميّ واستراتيجيات المُستقبل: هناك جملة مُتغيّرات تفرض علينا التّخطيط لمواجهتها بكفاءة وأهليّة تستشرف المُستقبل بما يحمله من تحديات تستلزم الاهتمام بالجامعات، والبحث العلميّ عبر إنشاء مراكز أبحاث في جميع الاختصاصات.

وهذا مَطلب للتّهوض من خلال الاستثمار في الموارِد البشريّة وتشجيع الابتكار والإبداع، وتحفيز المُبدعين بجوائز قيمة تضمن لهم الأريحيّة والمزيد من الإبداع،

وتحدّ من الهجرة والاهتجار، وتطوير مراكز البحوث العربيّة ومُؤسّسات جامعة الدّول العربيّة التي ترعى مادّيًا هذه المؤسّسات، وتحتاج إلى مُساءلة علميّة وتقويميّة من خلال منّوتجها، وما تقدّمه من بحوث تعمل على التّطوير.

ولا بدّ من مُواكبة البحث العلميّ التّطبيقيّ في مُختلف المعارف باللّغة العربيّة العُمدة، ودون التّفريط في لغة العوملة. ولا يتحقّق لنا النهوض الفعليّ إلاّ بالتّخلي عن قاعدة (المُغلوب مُولع بالغالب) وهذا يأتي من تحرير العقل العربيّ الخاصّ إلى الكونيّة والعالميّة التي تصنع النّمطيّة بصورة ماثرة، فأن نفتح الأبواب ولا نقلع السّقوف؛ للمحافظة على الخصوصيات وهو أمر يُبقي لنا خريطة وجغرافيّة وتجمّع وانتماء وحضارة ولغة وتاريخ. وهذا ما نراه من صيغة لاستراتيجيّة عربيّة تضمن لنا الموقع بين الشّعوب، وهي واجهة التّحدّي الذي نريد أن يلتزم به الجيل الجديد باعتماد البحث العلميّ الذي يعمل على تقدّم الشّعوب العربيّة وتغليب النّوع على الكمّ.

5. الطّالِب الباحث المُقاوِل: بحسب النّظرة المُستقبليّة لوزارة التّعليم العاليّ والبحث العلميّ؛ فإنّ الطّالِب عليه أن يصنع نفسه من الجامعة، ويكون مُقاوِلًا في توظيف مُساعديه من خلال بحثه الذي يبنيه على الرّكّام المعرفيّ من خلال سنوات التّطلاب، وهو يُخطّط للانخراط في قطاع الأعمال في المشاريع البحثيّة في الجامعة، والتّخطيط للمؤسّسة المُسهّمة بمُنجز البحث الذي يتّسم غالبًا بالتّنظير، والطّالِب يعمل على تحويل ذلك إلى مشروع يعكس الإسهام في حياة المُجتمع من خلال خُطط وبرامج استراتيجيّة للبحث العلميّ.

ولا يكون ذلك مجديًا إلاّ بتحضير البيانات المطلوبة التي تتعلّق بنجاح المشروع ضمن مكانه وزمانه، مع خريطة المُحتجيات والمُطالب الأساس التي تُدعم صيغة النّجاح. وعلى الطّالِب الباحث/ الفريق المُقاوِل تذليل كلّ الصّعوبات التي يراها تعلق بمشروعه المُستقبليّ من خلال الزّول إلى الميدان، ومُحاكاة الواقع اليوميّ مع القطاع العامّ أو الخاصّ لبناء منظومة فكريّة لمشروع المُستقبل. وعليه أن يكون ذكيًا في بناء اتّفاقيات وشراكات وهو في الجامعة تخصّ التّمويل والمُدخلات

والمخرجات، مع مزيد من نشر ثقافة البحث العلمي في المجتمع وتعزيزها بوسائل معاصرة تزيد من قوة المشروع في مختلف العلوم، وتكسب له سوق التوظيف. ولا تغيب العربية في هذا المجال، فهي القوة الناعمة التي تُبنى عليها الشراكات، وما يستتبع من بناء علاقات مع مديريات التربية والإعلام والإدارة والمنشآت الثقافية، وما له علاقة بالبحوث التخصصية، وما يخدم المجالات المشتركة.

6. إنتاج الأفكار وحمل المبادرات: لا أريد الخوض في مجال الصعوبات والمضايقات والمشاكل، وهي معروفة، لكن الأمل في الانطلاق والتهوض قائم فيكم أيها البحثة، وهذا بالأمل الذي يحققه العمل بتطوير منظومة البحث العلمي وفقاً للتحوّل الرقمي، وتعزيز التنافس في البحوث العلمية، ونشر الوعي بأهمية النشر الإلكتروني مع الأجانب، وتنشيط حركة التأليف والترجمة، وتأسيس الحاضنات والمفاولات على غرار Startup وربطها مع ما يماثلها محلياً وعربياً ودولياً، وتجويد المجالات العربية، وإدراجها في الشبكات العالمية، وتعزيز قيم الإبداع لمستوى التشجيع المعنوي والمادي، ودعوة القطاع الخاص للإسهام في تمويل المؤسسات الناشئة، وإيلاء المنظمات العربية الداعمة للبحث العلمي امتيازات خاصة، وتمكينها من تنفيذ المشروعات العلمية في أرجاء الوطن العربي بسهولة ويسر. وضرورة التفكير المرحلي في مستقبل أولادنا الذين يحتاجون إلى القوة الناعمة التي تنقدهم من القوة الصلدة، وهذا يحتاج إلى تعزيز وجود العربية في البحوث العلمية الجادة التي تعمل على تطوير محتواها ومُتونها بين اللغات.

ولا بدّ من تأكيد مسألة إيلاء اللغة العربية مكانها في البحث العلمي الذي تركبه في البدء من عمادين: عماد الاعتماد على اللغات اللاتينية كمنطلق مرحليّ بعدد من السنين المحددة، تكون منطلقاً للاستفادة من تلك اللغات في المجال التقني والأتمتة، بما للغات الأوروبية من سبق في إنتاج العلم الحديث. عماد الاهتمام بالعلوم الإنسانية، وما من بلد إلا واهتمّ بها لأنّ العلم لا يفهم بغياب اللغة، وغياب الوعي بالأمور الحسية التي تجمع بين الماديات والروحيات لكي لا يظهر مجتمع ربوبطي لا يفهم إلاّ المادة، وقد تُؤدّي به العلوم البحثة غير الممزوجة

بالعلوم الإنسانيّة إلى المهلكة والدّمار، وهذا ما فكّر فيه الأوروبيون، وأولوا العلوم الإنسانيّة استعدادًا لثورة البُخار، ولكم هذه التجربة النّاجحة، في سؤال وجيبه، كيف نهضت أوروبا؟

7. كيف نهضت أوروبا؟ كانت بدايتها من أواسط القرن VIX الميلادي اهتمت أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على موضوعات: الحرّيّة+ التّعصّب+ التّسامح+ الاهتمام بالتّراث+ خوض مُيدان ثورة البُخار، وكان مفتاح التّطوّر في:

❖ إحياء التّراث الكلاسيكيّ، وكان موطنه في إيطاليا، فعملت على إحياء تراث الرّومان؛

❖ موقّع إيطاليا الذي جعلها على اتّصال بحضارات البحر الأبيض المتوسّط؛

❖ هجرة العلماء اليونان إليها من كلّ أوروبا؛

❖ رعاية أمراء إيطاليا للأدب والفنّون؛

❖ الحركة الإنسانيّة والتّهضة المعاصرة بصورة عقلائيّة؛

❖ نظرة إنسان العصور الوسطى إلى تخلفه، وإلى ضرورة التّغيير؛

❖ إخراج الكنيسة من حدود الممانعات في الاجتهاد؛

❖ ضرورة الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة، فهي باب العلوم؛ ولماذا البداية بالعلوم

الإنسانيّة؟ لأنّه إذا قوّمت الجانب الرّوحيّ الإنسانيّ يصبح الإنسان مُبدعًا لا آلة.

حدود مراتب التّهضة:

أولاً: التّراث الكلاسيكيّ: الأدب+ الفنّ+ الفلسفة. وبرع في ذلك: (دانتي أليغري/

Dante Alighien 1321م)، (فرانشيسكو بترارك/ Francesco Petrarca 1374م)،

(جيوفاني بوكاشيو/ Giovanni Boccaccio 1375م). وكانوا يقولون "لا خوف على

مسيحيّة الشّاعر إذا استلهم تراث اليونان والرّومان.

الاهتمام بالشّعريّ: وكان على يدّ (جيفري تشوسر/ Geoffrey Chaucer 1400م)

والرّسام (ليوناردو دي دافنشي/ Leonardo Ser Piero Da Vinci 1519م)، وصاحب

المدينة الفاضلة (توماس مور/ Thomas More 1540م) والزّاهب (فرانسوا رابليه/

عصر النهضة، وقد برع في فن التصوير والنحت إلى درجة مذهلة، ومن أعماله المشهورة تمثاله الرخامي (التقوى) وهو يُصوّر العذراء (مريم) وهي تحمل ابنها على حجرها. وقد وضع هذا التمثال الرائع في كنيسة ملوك فرنسا. ثم تلا ذلك: ظهور الطباعة على يد الألماني (جوهان جوتنبرغ/ Johannes Gutenberg 1438م)؛

. الفلك على يد البولندي (نيكولاس كوبرنيك/ Nicolaus Copernicus 1543م)؛
. فلسفة الحكم بأحكام (نيكولو ميكيافيلي/ Nicolo di Machiavelli 1527م)؛
. إصلاح الكنيسة، وظهرت كتابات (مارتن لوتر/ Martin Luther 1546م).
واكتشافات جغرافية جديدة للجغرافي (كريستوف كولومبس/ Christophos Columbus 1692م)، وقد شكّل عمله الجغرافيّ انقلاًباً في طرق التجارة الدوليّة، وفي الاقتصاد العالميّ، بظهور طريقين: طريق الحرير+ طريق الملح.
رعاة النهضة الأوروبية الأوائل:

1. الأمراء: أمير إيطاليا (كوزيمو ميديتشي، وهو أمير وشاعر.
2. البابويون: وفي مُقدّمهم البابا نيقولا الخامس/ Niccolo V المُتوفى 1455م.
3. المهاجرون القدماء: فقد وجدوا جواً جديداً أبدعوا فيه لوجود حرية الفكر والبحث.
4. النّاشرون: تأسيس المطابع من أثرياء إيطاليا مثل مطبعة فلورنسا+ مطبعة البندقية.

إنّ النهضة الأوروبيّة تجربة إنسانيّة جيّدة وفدّة وخصبة، وكان محورها الإنسان في تقويم سلوكه قبل منتوجه الآليّ، وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التّراث اليونانيّ والرّومانيّ، ودرس دراسات وافية أخضعته للنّقْد واستلهمت منه قيماً وأفكاراً جديدة أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوروبيّة. ولهذا نحن بحاجة إلى استلهام أفكار التّهوض من الغرب بالاهتمام بالعربيّة، فهي باب التّهوض، ومُنطلق العلوم، وأمّ اللّغات، ولها من العلوم ما لها، وتحتاج فقط منكم تشقيقها ودعمها واستعمالها والبحث فيها ومن

خلالها، ويقول الفرنسي (لويس ماسينيون/ Louis Massignon) "اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي، وهي من أنقى اللغات؛ فقد تفرّدت في طرائق التعبير العلمي والفني". ويقول الإسباني (كاميليو جوزي سيلا/ Camilio Gozy Silla) "إن لغات العالم تتجه نحو التناقص، وأنه لن يبقى إلا أربع لغات قادرة على الحضور العالمي وهي: الإنكليزية+ الإسبانية+ العربية+ الصينية".

يجب الوعي بالتهوض الأوروبي، وهي عظمة استثنائية ارتكزت على التعبئة النفسية، وكانت حتمية احتاجت إليها أوروبا لتكون موحدة وقوية بمميزاتهما. وفي كل ذلك يحدث المزيد، وتأتي المفاجآت والمنافسات، وتتوسع أوروبا لتصبح إمبراطورية كبرى بعدد بشرها وتعدد لغاتها. وكان يجب الوعي بمسألة التهوض الأولى التي لم يكتب لها الاستمرارية، في نهضة عربية عاشت البداية السعيدة ومُنيت بالفشل الذي أسبغ علينا الوهن والسبات والتواكل، وعشنا السهلا، وشَدَرَ مَدَرَ، ولا نزال نعيش سوء تقدير لغتنا التي نُخضعها في كل مرة إلى سؤال الهوية وصلاحتها المعاصر، وهل يمكن أن تكون منافسة... أسئلة الحاضر، وهي أسئلة المستقبل، وكيف الخروج من التردّد؟

8. النهضة العربية الإسلامية: كانت بداية النهضة الحديثة عند العرب بالعلوم الإنسانية، ومُنطلقها الطهطاوي+ جمال الدين الأفغاني+ محمد عبده+ ابن باديس+ الأمير عبد القادر+ مالك بن نبي... وهذا الرّعيّل قطع شوطاً كبيراً في عملية التحديث في البنيات الفكرية العربية العتيقة بفكر مُستنير؛ عبر خلق توافق بين مُتطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة، وبين الدين الإسلاميّ وقيمه السّمحة.

وما يجب علمه أنّ الإسلام دينٌ مدنيٌّ يقبل المتغيّرات، ويتفاعل معها، ويعمل على غرس ثقافة الوسطية، من خلال سُوره دون الدّوبان في فكر فارس أو تُركمان أو هُنود أو أمازيغ. وإنّ العرب استلهموا حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بداية بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ الفلك والطب والرياضيات والجغرافية، وكان العقل العربيّ مُبدعاً مُنفتحاً على معارف مُتنوّعة. ولقد اهتمّت العربية بالفكر الفلسفيّ والرياضيّ من أرسطو إلى بطليموس، وكانت حركة التّرجمة واعيةً، ووصلت مع نهاية القرن العاشر إلى نهايتها، بعد أن استنفذت موادها، وبدأت

الأعمال الأصلية تظهر وتزداد، وأصبحت العربية لغةً عالميةً تُعطي الكثير ولا تأخذ إلا القليل؛ لأنّ مُتونها اغتنت من داخلها، فيترجم منها فقط.

وكان توسّع الفكر العلميّ مُتمشيًا مع انتشار الإسلام، واللّغة العربيّة بصفحتها لغة تواصل جديدة؛ بامتداد كبير وصل إلى الصّين وأورپا وشمال أفريقيا، وكانت لغة أفريقيا بدون مُنازع، وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة، وحصل الذي حصل الآن في ما نراه من نيلِ المقامات، وفي لغات الأمم المتّحدة، وهي لغة الكون بما حماها الدّين الإسلاميّ.

أيّتها الطّالبات، أيّها الطّلبة، هي تحدّيات البحث العلميّ تحتاج منكم المتعة العلميّة للحفاظ على الخصوصيّة، وتتطلب منكم فتح مجال المُبادلة لكسب رهان مُجتمع المعرفة الذي تعملون على إيجاد البيئة التي يُفرّخ فيها، والنّظر إلى طبيعة التّحدّيات من منظور تقديم الحلول المُمكنة دون التّوغلّ في تصعيد الأزمات وهذا يستدعي منكم جميعًا التّسلّح بآليات المُواجهة الشّريفة كقيمة مُنيّفة تعمل على الرّقيّ بما يجمّعنا من وطن شامخ، ولغة ماجدة باذخ، ودين شريف صارخ، وهي من الثّلاثيّ المعاصر: دين ودنيا ودولة. هي ثلاثيّة قديمة حديثة، هي أمنكم الحاضر والمستقبل، هي أمن ثقافتكم، وما تطمّحون الوصول إليه ولا يكون إلا من البوّابات الثّلاث مُجمّعة.

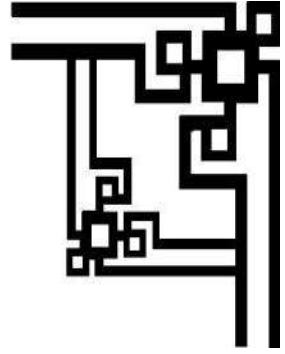
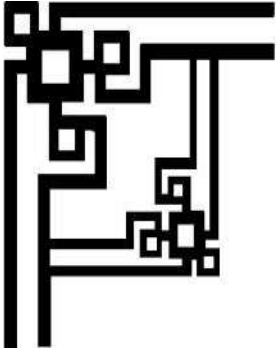
واعلموا أنّ سبب الرّفاه العامّ لا يتحقّق إلاّ بالرّفاه الثّقافيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ والسياسيّ. ومن هنا يبرز البحث العلميّ أنّه باب الرّفاه، وطريق التّغيير في المُجتمع، ومُحرك الإبداع بما له من فواعل حكيمة تؤدّي إلى المُشاركة الجماعيّة عبر المُوسّسات ذات العلاقة، وبخاصّة الجامعات. وأنتم في الجامعة، فما دوركم في رعايتها لتطوير آليات خدماها، وتنوير المُجتمع بمنتوجها، وتوفير الأمن بأفكارها. تلکم مُتعلّقات في رقابكم، ولا تجعلوا الجامعة مَصنَعًا للشّهادات قبل منحها المُواطنة والقيّم والتّباري في من يُقدّم الأفضل. إنّ الجامعة تُؤلّف الرّجال، وأنتم تُؤلّفون الإبداع، وتكونون أعضاء فاعلين في مهنتكم وإسهاماتكم المعرفيّة والثّقافيّة

التي تُؤدّي إلى الانصهار الجمعيّ، والتّكاتف من أجل أن تكونوا خير خلف لخير سلف، وإذا لم تكونوا فلا فائدة فيكم، كونوا أو لا تكونوا، وهكذا يريدكم السّلف.

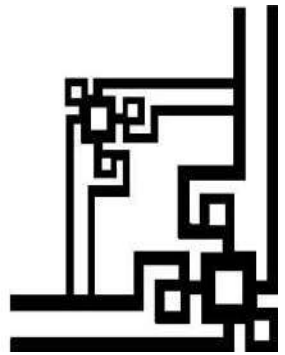
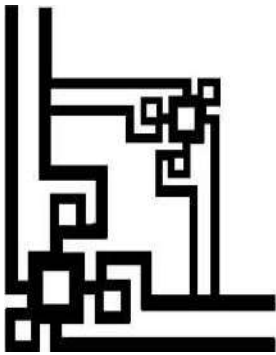
ولا يحصل كلّ هذا إلاّ بالاهتمام بالبحث العلميّ الذي تزرعه اللّغات الوطنيّة، وقد أثبتت التجاربُ أنّه ما من أمةٍ تقدّمت بغير لغتها، وهذا هو العولّ عليكم في بناء منظومة بحثٍ وطنيّةٍ عربيّةٍ أمميّةٍ تجعل الجامعةَ محضنةً الفكر والعقل في تنمية روح البحث المتّسم بالصّبر والإخلاص والصدّق والموضوعيّة. وممّا لا شكّ فيه أنّ البحث العلميّ جزء من العمليّة التّعليميّة؛ يُسهّم في جعل الجامعة ومراكز البحوث والمخابر تعيش الاستمراريّة المتجدّدة في مُتابعة التّكوين، وجعل عمليّات التّعلّم قائمةً مدى الحياة، وذلك من مُتطلّبات البحث العلميّ غير المُرتبط بالزّمان والمكان والعمر. وذلك ما يجعل منكم طلابًا يُشار لكم؛ ها هو ذا، ويرفع من مصداقيّة جامعتكم، وتنال مقياس الجامعة المعياريّة، فهل تكونون في مُستوى خدمة الجامعة بمنّتوجكم العلميّ وتُجسّدون شعار الجامعة في وظيفتها الأساسيّة البحث العلميّ الذي يقوم على أساس التّوصّل إلى معرفة علميّة جديدة، وتكوين رأس مال علميّ.

الخاتمة: إنّ البحث العلميّ يعدّ رأس مال الدّولة، وهو الذي يُحدّد قوّتها ومكانتها، ويجب أن يتأسّس على التّنظير الذي يتلوها التّطبيق، وضرورة الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة على غرار فعل أوروبا عندما أرادوا التّهوض، وتأسيس ثورة البُخار التي نقلتهم نقلة نوعيّة جعلت لهم حضارة بمُسمّى (الحضارة الأورپيّة المسيحيّة). وكانت تجربتهم ناجحة في الاعتماد على اللّغات الوطنيّة في الدّرجة الأولى، ومن ثمّ بدؤوا في التّفكير في صياغة حضارة علميّة، ورأوا بأنّ عمادها ومُنطلقها يأتي من العلوم الإنسانيّة.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



تجربة كوريّة الجنوبيّة*



الدّيباجة: إنّه ليحدونا الأمل في البحث عن صفات النّجاح لدول لها سابق الاهتمام بلغاتها، وبها تقدّمت وعرفت الازدهار، وكانت لها نقلات نوعيّة عندما أولت لغاتها الصّدارة، وجعلتها لغة المعاملات والبحث والتّعليم، وفي مختلف المواقع.

إنّها تجارب تأتي بها للاستشهاد لأمم أحييت لغاتها التي اندثرت وبعثتها من الصّفْر، وبها أضحت لها مكانة دوليّة نظراً لاعتزازها بهويّتها اللّغويّة التي أعطت لها المكانة والفخر، فلا حياة لأمة في لغتها غير لغتها، ومن لا لغة له لا أرض له، ومن لا أرض له لا يحوز على الهويّة، ومن لا هويّة له لا تاريخ له، ومن لا تاريخ له لا ماضي ولا حاضر ولا مستقبل.

ومن هنا نروم الحديث في هذه الكلمة عن تجارب ناجحة في الاهتمام بالمواطنة اللّغويّة التي أعادت المجد للشّعوب التي كانت تستعمل غير لغاتها. فبلغتها حصلت لها الحصانة والمكانة والعلميّة والتقدّم، ويكفي ان نستنطق تجربة إسرائيل التي أحييت لغة وصلت الفناء، وكوريّة الجنوبيّة التي تخلّت عن اليابانيّة وتقدّموا، وشعارهم (اليابانيّة أعلت من مقام اليابان، وأصبنا نحن بالخُسران)، وتجربة اللاتينيّة في الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة التي كان نتائج الثوران، في ثورة البخار بامتنان. وافتخار ألمانيا بلغتها درجة العبادة، وفرنسا التي تغدق على لغتها في فرنكفونيّة عالميّة لها الإشعاع ما وراء البحر.

* - الكلمة التي أُلقيت أمام المجلس الأعلى للشّباب. لقاء مشترك في المكتبة الوطنيّة، بتاريخ: 16 ديسمبر 2022، بمناسبة شهر اللّغة العربيّة.

شعوبٌ ارتقت وأنتجت بلغاتها، وتعلّقت بها حدّ النّخاع وحصل لها كلّ النّجاح،
وشعار المُنافحين للغاتهم (لم يثبت أن أمة ارتقت بغير لغتها). وهكذا نُريد أخذَ
العبرة، والبناء على محورها في إطار خدمة اللّغات الوطنيّة التي تجعل لنا صورة
التّديّة، وتُبقينا في مسار مُعاملة الأُمّة بالاحترام والتّبادل.

وفي هذه الكلمة أعرّض على الحضور تجربة كوريّة الجنوبيّة التي ارتقت بلغتها
بعدما خرجت من شرنقة اليابانيّة، وها هي الآن تنال الصّدارة في الصّناعات
والتّكنولوجيا ومُختلف وسائط الرّقمية.

المُقدّمة: ما يجب علّمُهُ؛ أنّ اليابان ضمّت إلى جانبها كوريّة الجنوبيّة سنة
1910م. وكانت مُستعمرة من قبل اليابان لمُدّة خمس وثلاثين (35) سنة في سنوات
القهر، بعدما كانت تابعة لهم منذ تلك الغزوات على شبه الجزيرة الكوريّة في
سنوات 1592-1598م، وخلال تلك المدّة رسّخ اليابانيّون أقدامهم في شبه الجزيرة
الكوريّة ويحتلّونها متى شاؤوا، ويخرجون متى أرادوا. وخلال هذه المدّة عانت كوريّة
القهر العامّ وفي كلّ المرافق حتى أضحت ضعيفَةً مَقهورَةً لا وجود لها في خرائط
العالم. ولقد ألغى اليابانيّون كلّ ما له علاقة بالهويّة الكوريّة، وعمِلوا المَسحَ
والمَسحَ للذاكرة الكوريّة، ومَنَعوا تداول استعمال اللّغة الكوريّة مَنعًا باتًا.

استقلّت كوريّة الجنوبيّة عندما استولت القوّاتُ الأمريكيّة والسّوفيّاتيّة على
شبه الجزيرة الكوريّة سنة 1945. وتأسّست كوريّة الجنوبيّة كدولة ذات سيادة في
15 أوت 1948م. ومَعَ ذلك عاشت الحرب الدّاخلية لمُدّة خمس (5) سنوات في
الخمسينيّات. وفي سنة 1960 عرفت انقلابًا عسكريًا أدار البلاد لمُدّة عشرين (20)
سنة تحت ديكتاتوريّة مَقبِية. ولكن خلال تلك الفترة عرفت كورية الجنوبيّة نموًا
مُتوسّطًا، وحققّت بعض أهداف التّنميّة من خلال المُخطّطات الخُماسيّة. ومع
ذلك بقيت بلدًا فقيرًا لا يتوفّر على مَوارد طبيعيّة + ضيق المساحة 100210 كم² +
كثافة بشريّة؛ بعدد سكان سنة 2021 = 51269185 بشر. وكان مُعدّل عيش
المُواطن الكوري قبل الثّمانينيّات 39 سنة فقط، وصنّفت ثالث أفقر بلد في العالم
في أواخر السّبعينيّات، وكانت اللّغة السّائدة اليابانيّة.

1. وصفة التّهوض = عوامل النّجاح:

أولاً: المُشترك الجمعي:

1. لا نهوض وطنيَّ إلاّ بأهله.

2. التّهوض قضية جمعيّة.

3. الوُحدة في المآلات باختلاف المنهجيات.

4. الاستفادة من الغير بحفظ المصير، وتكليف المُفيد.

5. التّخطيط للتّمنيّة الشّاملة المُستديمة، لا للتّمنيّة المُستدامة.

6. الوقت وقت، بمقولة "أتقدّم بساعة ولا أتأخّر بدقيقة".

7. إن لم تكن مُفيداً، فلا تؤخّر عجلة التّمنيّة.

ثانياً: منهجية التّهوض:

1. لقاء النّخبة الكوريّة مع أصحاب القرار السّياسي.

2. كان المُنتلق سنة 1980. بشعار= لم يثبت أنّ أمة في العالم تقدّمت باللّغة

الأجنبيّة. وهذا بحضور الشّخصيات العسكريّة الفاعلة+ الشّخصيات السّياسيّة+ النّخبة الكوريّة.

3. استعراض تجرّبة الهند+ جنوب أفريقيا في التّمنيّة باللّغة الإنكليزيّة.

4. وقع التّداول على تنميةّ البلدين، على أساس أنّهما من البلاد التّويّة، وتقدّما

باللّغة الإنكليزيّة. وخلص المُجتمعون إلى الآتي:

أ. لا يُعدّ البلد مُتقدّماً ونصف المُجتمع يبيت في العراء+ بلد فيه نخبة عاليّة

وطبقة مسحوقة+ بلد لا يزال الأسود يعيش الأبارتيد، والأسود يأكل الأبيض+ بلد

فيه المجاعة تحصد يومياً آلافاً من البشر+ بلد لا يتوفّر ثلثا الشّعب على ماء

الشّروب+ سوء التّغذية مع تخمة النّخبة...

ب . الرفاه الاجتماعيّ كلّ مُتكامل+ لا للنخبويّة+ الصّحة للجميع وبالمجان+
النّقل المريح للجميع وبالمجان+ لا فرق بين الرّيف والمدينة+ التّميّة الشّاملة
والمُستديمة+ انعدام الفروق الطبّقيّة.

ثالثاً: ما هي الحلول؟

التّميّة الشّاملة المُستديمة بالخُطط المنهجية بدءاً باللّغة الوطنيّة:

1. جمع شتات النّخبة الوطنيّة، والعمل على إنتاج أفكار التطوير الكليّ.
2. تحديد أروضيات دقيقة للشّروع في العمل في كلّ الجهات.
3. تحديد المتعامل الأجنبيّ القويّ تكنولوجياً لبناء شراكة تفاهم مُستفيد ومُفيد.
4. تحديد آماذ التّعاون مع المتعامل الأجنبيّ، وُصُولاً إلى الاعتماد الذّاتيّ في آجال دقيقة.

5 تضايف جهود كلّ الوزارات والأفراد والفاعلين والمُجتمع المدنيّ في ضرورة الاهتمام باللّغة الأمّ؛ بالتّزامن مع الاهتمام بالاقتصاد الوطنيّ؛ للرفع من سويّته مَهْمَا كانت المضايقات. وبذلك بدأت كوريّة الجنوبيّة تنال رَقْمًا مُضيقًا بين النّمور الآسيويّة/ التّينات الأربع النّاهضة والعِملاقة= كوريّة الجنوبيّة+ تايوان+ سنغافورة+ هونغ كونغ.

6. كان المنطلق شبه مُستحيل نظرًا لكوريّة الجنوبيّة المنكسرة في كلّ معالمها ولكن بخطاب وطنيّ جامع مُقنع، وَقَعَ إجماعٌ وطنيّ على التّهوض باقتصاد الدّولة ولغة الدّولة، وبتضايف الجميع، لبناء اقتصاد كوريّ تدريجيّ حتى يتعافى البلد من الأزمات.

7. الاتّفاق على أنّ اللّغة الأجنبيّة اليابانيّة قدّمت بلاذها فقط. اللّغة اليابانيّة
أعلّت مقامَ بلد اليابان، وأسفلت بلد الكوريين الجنوبيين.

8. تعميم استعمال اللّغة الكوريّة المُشتركة في كلّ المجالات، بقوّة القانون+ مَنع اللّغة اليابانيّة من الاستعمال، واستبدالها باللّغة العربيّة لغة أجنبيّة ثانيّة.
9. غلق المدارس الخاصّة+ مَنع الدّروس الخصوصيّة المُنتشرة بصورة عشوائيّة أيام كانت السّلطة للّغة اليابانيّة.
10. الاتّفاق بين كلّ أطراف المُجتمع؛ بتعاوض الإعلام لتشكيل بنيّة علميّة قاعدية للّغة الكوريّة المُشتركة ومُعَيّرتها لغة الأدب والعلم.
11. الإغداق على التّربيّة والتّعليم، بنسبة 22 % من ميزانيّة الدّولة للتّربيّة والتّعليم والتّكوين، والاهتمام بتطوير التّعليم يزداد كلّ سنة، ويتضاعف من طوّر لطور لاحق.
12. اختيار أفضل الكفاءات الوطنيّة للتّعليم قبل أيّ مجال، والإنفاق عليها بصورة مُجزية.
13. الاهتمام الجمعيّ بالذّاكرة الوطنيّة عند الكوريين الجنوبيين مُقدّسة، فهم لا يحتفلون باستقلالهم عن اليابان، بل يحتفلون في اليوم الوطنيّ وهو 3 أكتوبر من كلّ سنة تخليداً لذكرى تأسيس أوّل مملكة في كوريّة؛ وهي مملكة (تشوسون) القديمة التي أنشأها الملك (دان كون) عامّ 2233 قبل الميلاد.
14. إحلال الإنكليزيّة بديل لليابانيّة كلغة أجنبيّة أولى، والعربيّة لغة أجنبيّة ثانيّة.
15. الاستفادة من التّجارب العالميّة النّاجحة، دون الإغلاق على اللغات المُتقدّمة، وبخاصّة الإنكليزيّة للاستفادة منها كلغة أجنبيّة، دون أن تكون لغة الهيمنة.
16. عقد شراكات نفعيّة مع الشّركات العالميّة الصّناعيّة لنقل التّكنولوجيا على مراحل عشر (10) سنوات فقط، وينتهي العقد؛ لتكون الصّناعة كوريّة 100% وباللّغة الكوريّة وحدها.

17. الاهتمام بالتصنيع الجزئي/ المرحلي النسبي، كل سنة بنسبة 10%. وكل شيء يتم باللغة الكورية في هذه النسب تحقيقاً لمآلات بعد انتهاء عشر (10) سنوات.

رابعاً. مآلات ما بعد العشر (10) سنوات: هي تجربة نجاح كورية بامتياز ونهضة كورية تتحدى في مآلاتها الكثيرة، ويمكن أن نُشير إلى:

1. الاعتبار من التجربة الكورية ببيئة أسباب النهوض. كورية الجنوبية الآن تجربة فذة في التنمية المجتمعية، وهذا ما يعمل على تحريك الحكومات في إدارة الاقتصاد وقيادة التنمية والتعاون مع الكبار بمبدأ (رابح رابح) في إطار احترام الخصوصيات الدينية والثقافية والعرفية... والاعتبار من عوامل النجاح وتحديات المستقبل في أن نكون أو لا نكون. نكون بذاتنا وبلغتنا وخصوصياتنا، ونكون نداءً للأقوى بالاتكال على الذات الوطنية، والاستفادة من الآخر دون الانسلاخ عن الهوية. وهكذا نلاحظ نجاح كورية تمثل في المآلات الثابتة الناجحة:

2. انتهت كل الاتفاقيات مع جميع شركات التصنيع سنة 1994م.

3. وقع الغلق الذاتي لمدة عشر (10) سنوات، والعول على الذات الكورية إلا ما وقع الاتفاق عليه في استخدام رجال الصناعات المتقدمة جداً.

4. الاهتمام القوي بتطوير التكنولوجيا والابتكار من أجل تعزيز النمو. وهما عاملان قاما على تعزيز القدرة التنافسية لصادرات كورية الجنوبية، وكانا السبب في النهضة الاقتصادية في السنوات الأخيرة.

5. كل التعليم والتصنيع والإعلام ولغة المحيط بالكورية 100%.

6. العيش ضمن الرفاهية المجتمعية والاعتزاز اللغوي الذي أضفى على المجتمع صورة الطبقة المجتمعية الواحدة، دون تفرقة بين الحاكم والمحكوم.

7. الشفافية التامة في التسير، وما يصحبها من احترام الحريات العامة والحقوق النقابية لاستكمال تجربة النهوض العام.

8. إحساس الكوريّ الجنوبيّ بِقِيمِ مُجتمعه، وضرورة تقديم الخدمات السريعة للوطن للحاق بالركب، ويتطلّب التّجنيد الجمعيّ بالتّراضي لمُدّة عشر (10) سنوات وفيها خدمات إضافيّة من كلّ مواطن، كلّ في منّصبه ومقامه.

9. انتقال مُعدّل عيشِ المُواطن الكوري إلى ثمانين (81) عامًا بعد أن كان الكوريّ يُعمر تسعًا وثلاثين (39) سنة.

10. يعيش الكوريّ الجنوبيّ رفاهيّة مُجمعيّة في= لا فرق بين الرّيف والمدينة+ مجانيّة الطّـب+ مجانيّة التّعليم+ مجانيّة النّقل الدّاخليّ+ نحافة الجسم/ رشاقة المُجتمع في الجسد نظرًا للنّظام الغذائيّ الصّحيّ+ قضاء العطلة السنويّة على حساب الدّولة+ تشجيع الحرفيّين والمهّرة والمُعلمين والمُبدعين والمُخترعين والفنّانين على أنّهم رُموز الوطن، وتقليدهم أوسمة حبّ الوطن.

11. عدد ساعات العمل في الأسبوع حاليًا خمسة وثلاثين (35) ساعة فقط بعد أن كان المُواطن الكوريّ يشتغل قهراً ليلٍ نهارًا، ودون تحديد الرّمان.

12. اقتصادها الحاليّ هو الأسرع في العالم، وتُصنّف في الرّتبة الثّانيّة عشرة (12) في الاقتصاد العالميّ.

13. صناعاتها اقتحمت كلّ بيوتِ العالم لِجودتها وقِلّة أسعارها، وكلّها بِوَسْمِ (صناعة كورية).

خامسًا: اللّغة الكوريّة: تنطق Hangeuga بالكوريّة، والنّطق المُشترك بين الكوريين chosànmal وهي لغة رسميّة. وتتكوّن من 14 حرفًا، وينشقّ عنها عشر (10) صوائت مُركّبة، وتعلّمها سهلٌ جدًّا كما يقول علماء اللّغة. وعدد أحرف الأبجديّة 24 حرفًا، وعدد الكلمات 1100.373. نشأت هذه اللّغة بالاستناد إلى اللّغة الصّينيّة لأنّها تستخدم الحروف الصّينيّة، ومن ثمّ اخترعت لها أبجديّة قريبة، وخبراء اللّغة يقولون بأنّها سهلة، ويكفي أن تتعلّم 125 درسًا تُصبح مُتقنًا لها. تدرّس الكوريّة في كلّ مكان وبالجمّان، وكلّ الشّارات واللافتات بالكوريّة، وذلك ما يزيد في مَعرفتك للكوريّة من خلال كثرة اللافتات المُضيئة والكثير منها ناطقة.

ولقد كانت اللّغة في كوريّة عاملاً من عوامل النهوض بما حصل من انتشار الطّباعة، وظهور الصّحافة، ودور النّشر، والتّوسّع في إنشاء المدارس والجامعات وإحياء التّراث وتحقيقه، وتفاعل الأدب مع العلوم، وكذلك تفاعل اللّغة الوطنيّة (الكوريّة) مع اللغات الأجنبيّة، وما صاحبها من ازدهار الفنّون. ولقد كانت اللّغة الكوريّة عاملاً من عوامل النهوض الصّناعيّ والاجتماعيّ والرّفاه العامّ، وهذا بفضل ارتباط السياسة (الحاكم) مع النّخبة الفاعلة، وما عرفته في بداية الانتشار من قوّة الاهتمام بالمدرسة بقوّة الجمعيّات العلميّة والثّقافيّة، وزرع المكتبات في كلّ مكان، والاهتمام بالفنّون: المسرح-الرّخرفة-الرّسوم+ الرقص... والتّفنّن على اللّغات، وإحياء عصبيّة اللّغة الكوريّة في المرحلة الأولى من النهوض.

كما سطر اللّغويّون في تلك المرحلة أهميّة تزيكّة الكوريّة بما لها من نقائص، واللّغة من صميم الهويّة، وضرورة تعديل وتصحيح المناهج وطرائق التّدريس، ويكون استدرأكها بمنهجية البحث في كنوزها المدفونة، والعمل على دراسة الشّعير القديم والابتعاد عن اللّهجات بالبحث عن المعيار، ومُحاربة الأخطاء الشائعة، وخوض معركة الحوسبة السّحابيّة.

وفي هذه المرحلة عرفت اللّغة الكوريّة نقلة في تبسيطها عن طريق تمكينها في مختلف الميادين، والاستثمار في القراءة والمطالعة، والقيام بحملات تطوعيّة للانغماس اللغويّ؛ لتمكينها في ألسنة الجميع عن طريق الاستعمال، وتوحيد المصطلحات، وترجمة الكتب، وغرس أساليب التّحبيب والتّشويق لدى كلّ الكوريين بالقوّة الناعمة، والبُعد عن القوّة الصّلدة، ودعوة إلى إسهام الشّركات في النهوض اللّغويّ، بوعيّ علميّ وسياسيّ. وكانت للمدرسة الدّور المحوريّ الذي وقع الاستثمار فيها بـ 22% من ميزانيّة الدّولة سنويّاً. وهذا دليل قاطع لا يمكن نكرانه باعتبار اللّغة الوطنيّة هي القلب النّابض لشريان الحياة، وهي الماضي والحاضر والمستقبل، وهي التّراث المتطوّر، وباللّغة الأمّ/ المُشتركة تحيا الأمم، وتزدهر الحضارات، وبموتها تموت الأمم، وتندثر الحضارات.

كما أنّ النّخبة الكوريّة وقع عليها الرّهان في عضويتها الاجتماعيّة؛ باعتبارها النّخبة العضوة التي تستطيع أن تفعل ما فعله شباب أوروبا المثّقفين في العصور الوسطى، حيث تعلّموا لغتنا العربيّة من أجل العلم، وترجموا تراثنا إلى لغاتهم وأفادوا في تطوير لغاتهم.

وهكذا قام الكوريون الجنوبيّون بتجربة تطوير لغتهم في استعمال اللّغة المعياري والاعتماد في القاعدة الأولى (المرحلة الابتدائيّة) على تعميق مهارات الاستماع والجوار والقراءة والكتابة، وتوجيه لغة التّخاطب اليوميّ، ووسائل التّواصل الاجتماعيّ، ودعم البرامج التّوعويّة عن أهميّة اللّغة الكوريّة والترجمة إليها وتشجيع الباحثين والمبدعين والمُستعملين للكوريّة عبر كلّ مناحي الحياة الاجتماعيّة. مع إعادة تخطيط مناهج التّدرّس، وإعداد الكتب التّعليميّة، والعمل على التّطوير الشّامل لوظيفة التّعليم كمِهنة لها قواعدها ومُوصفاتها وأخلاقيّاتها وظروف عملها، ودخول عالم الحوسبة بقرّة في مجال التّربيّة بما لها من طاولات تعليميّة مُحوسبة، ومُحافظ آليّة، ونهاية عصر المُحافظة الثّقيلة، وكتب تعليميّة مُرقمنة، والقضاء على الأميّة بشكل نهائيّ سنة 1984م. والآن من الدّول صِفُر أُميّة.

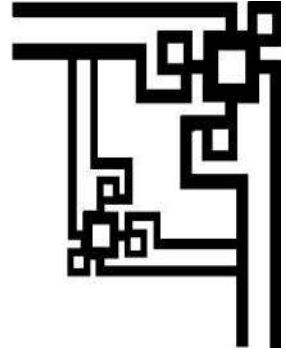
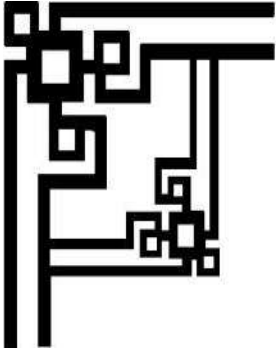
5. كوريّة الجنوبيّة العجيب: إنّها كوريّة التي نهضت سريعًا، وتعدّ من التّمور/ التّينات التي أحدثت مُفاجآت عالميّة بمُنافساتها الكثيرة لِدول سابقة مُتقدّمة لها باعٌ طويلٌ في نجاح التّعليم. وكان همّها الأوّل هو التّعليم الوطنيّ القائم على المدارس الحكوميّة، لا للمدارس الأجنبيّة، ولا للدّروس الخصوصيّة، وكانت تُجرّم تلك الدّروس التي تُقدّم باسم (الدّروس الإضافيّة) ومنعّها بقانون مُعاقب لدرجة التّجريم. وإنّ برامجها الحاليّة في المدارس العموميّة دون غيرها، قائمة على قاعدة تعليم صحيح في الأدب والرياضيات والتّعليم المُرنّ، ونظام تعليمها من أفضل النّظم التّعليميّة في العالم، وتُصنّف في أفضل النّظم العالميّة قبل الكثير من الدّول الأوروبيّة، وأنّ البرنامج الدّولي لتصنيف الجامعات يضع كوريّة الجنوبيّة في الرّتبة العاشرة في أفضل الجامعات.

كوريّة العجب وهي تولي الاهتمام بالتّعليم والنّقل والطّب وكلّها بالمجان، ونجد فيها صفر أمراض مُزمنة، صفر فساد أخلاقيّ، صفر أميّة، صفر غشّ= النّتيجة نجاح ونقله علميّة كبيرة، ورفاه اجتماعيّ نوعيّ، وكلّه باللّغة الكوريّة، وبتشابهول (تكتّل اقتصاديّ) في اللّغة الكوريّة.

ولقد شدت الرّحال ذات سنة إلى هذا البلد العجيب، ووجدتُ في جامعة (سيول) عصبية علميّة تجاه لغتهم، برأي إذا ذُلت لغتهم فقد ذُلوأ، على رأي لا أمير فينا إن ذُلّ راعينا، ولا خير في قوم ضاعت لغتهم. كلّ المشاريع ناجحة، والنّجاح المائز لمشاريع التّربية والتّعليم. كما وجدتُ العربيّة تُدرّس بمنهجية تقانيّة سهلة سريعة، مع ما تعيشه من مُضايقات في جانب الإبداع العلميّ، ومع ذلك فهي تنتشر بقوة، وتدرّس في أربع (4) جامعات، وتنافس الإنكليزيّة في هذا البلد العجيب الذي يجني ثمار النّجاح بسرعة، وميناؤها أعجب ممّا يمكن تصويره من الحركة التي لا تتوقّف ليل نهار، وسيول مدينة لا تنام.

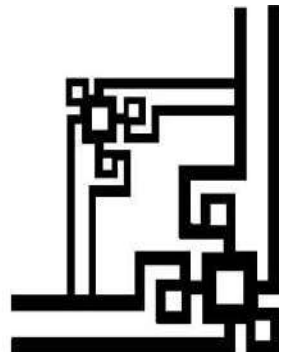
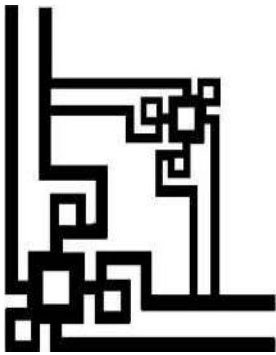
جواز سفر هذا البلد العجيب من الجوازات القويّة عالميًّا ومُتقدّم على جوازات سفر أوروبية، والعجب أنّها بلا غاز ولا بطول ولا ذهب، والتّعليم ناجح بقوة ناعمة، والاقتصاد قائم على تصدير الصّناعات. شركة سامسونغ العملاقة/ إمبراطوريّة سامسونغ/ SAMSUNG تضعُ مليارات الدّولارات في الاستثمار في كلّ شيء؛ سبعة وثلاثون (37) شركة تابعة لها؛ بدءًا من شركة الهواتف الدّكيّة إلى كارتل الصّناعات الميكانيكيّة، وتلفزيون ديجيتال، وامتلاك حُرْم من الصّناعات المُتقدّمة التي تتجاوز الصّناعات المُعقّدة الغربيّة، وهي الأنجح عالميًّا في كلّ الصّناعات بشعار الجودة والأحدث والأرخص.

العجب في هذا البلد أنّها دولة ضيقة المساحة وبعبرٍ كبيرٍ يحُدّها، وبرّها كلّها أشجار، وكلُّ قراها لا تعرف الفرق بينها وبين سيول العاصمة. دولة عجب لها جيش مُحترف مُزوّد بأحدث الأسلحة التّقنيّة ولها رصيد كبير من الأصول مُحبّسة استعدادًا للآزمات. دولة عجيبة كانت ثالث أفقر في العالم، وانتقلت بسرعة إلى مُجتمع المعرفة الذي يعرف الرّفاة الاجتماعيّ في كلّ شيء، فهل نعتبر؟



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

51



موت اللّغة*



الدّيباجة: إنّ اللّغة في أصلها وسيلة تواصل جمعيّ بين الأفراد الذين اصطَلحوا عليها بمَنطق رأوه يصلح للتّواصل، وتُعبّر عن أفكارهم وآرائهم بما لهم من عُرف وسلوك وحياة عامّة يعيشونها باستمرار تفاعليّ، وبذلك تغتني اللّغة كلّ يوم وتستمرّ في الحياة، وفيها لغة الحياة اليوميّة التي تموت فيها بعض الألفاظ وتضاف أخرى سيراً على حركيّة التّواصل.

إنّ اللّغة في أصلها هي المُشترك والفرد يذوب في الأنا الجمعيّ؛ بالقاسم المُشترك الموجود فقط في اللّغة الوطنيّة التي تحتفظ بهويّاتها وتذوب داخل الهويّة الجماعيّة، وتتكامل معه حفاظاً على الهويّة الجمعيّة للوطن الواحد، وذلك ما يجنّب الوطن الصّراع والتّشّتت، وهذا مخرج له دلالة الهويّة والمكان، وفي العادة أنّ السّلف/ الأجداد قد فصلوا في الهويّة اللّغويّة كي لا تكون محلّ تراجع لا مراجعة. وإنّ المُراجعة سمة حميدة تتناسق مع المُتغيّرات بناء على ما يقبل التّغيير في المفاهيم والأساليب لا في البنى النّحويّة التي تكون ملكاً للعموم لا تقبل المُراجعة؛ لأنّ الجماعة النّاطقة تكون قد نمّطت المفهوم اللّغويّ الفقهيّ في مفهومه الواسع ولا يقبل المُراجعة.

1. قوّة اللّغة بقوّة أهلها: إنّ قوّة اللّغة من قوّة أهلها في الاعتزاز والاستعمال والإغداق عليها، وفي اقتصادها، وقوّة اللّغة من ثقلها السّياسيّ والثّقافيّ والعلميّ والثّقنيّ والاقتصاديّ، ومن شواهد التّاريخ أنّ اللّغة كائن مُتحرّك مُتغيّر، تنمو وتتطوّر، وقد تختفي حيناً من الدّهر، أو حتّى تموت وتندثر، ولهذا تعمل كلّ الشّعوب على الحفاظ على لغتها باعتبارها شخصيّة وتميّز وكيّونة وبقاء، وقد

* - الكلمة التي أُلقيت عن بُعد لصالح المركز العربيّ للترجمة والتّأليف والنشر بسوريّة بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة، بتاريخ 17 ديسمبر 2022م.

سنت اليونسكو يومًا دوليًا للاحتفاء باللّغة الأمّ وهو 21 فيفري من كلّ سنة، واليوم العالمي للتّنوع الثّقافيّ وهو 21 ماي من كلّ سنة، واليوم العالميّ للترجمة وهو 30 سبتمبر من كلّ سنة، كما سنّ العرب يومًا عربيًا للّغة الضّاد بتاريخ أول مارس من كلّ سنة، إضافة إلى تلك الأيام الخاصّة بلغات الأمم المتّحدة، ويكون تراتيها حسب نوافذها في مُقرّات الأمم المتّحدة كما يلي: الإنكليزيّة 23 أفريل بمُسمّى (لغة شكسبير) والفرنسيّة 20 مارس، بمُسمّى (لغة مولير) والصينيّة 20 أفريل بمُسمّى (لغة سين جين) والإسبانيّة 23 أفريل بمُسمّى (لغة الثّقافة الإسبانيّة) والرّوسيّة 6 جوان، بمُسمّى (لغة بوشكين) والعربيّة 18 ديسمبر بمُسمّى (لغة سيبويه).

وفي هذه الأيام العالميّة يقع تمجيد اللّغة الأمّ؛ باعتبارها لغة الأجداد التي تحتاج إلى رعاية خاصّة، وإلى رعاية لغة الأمّ في بلدان لها تعدديّة لغويّة في اللّغات المحليّة، دون أن يقع التّفاضل، لكن بمُراعاة الحمولة الثّقافيّة لكلّ لغة حسب هيكلها؛ فهل تصنّف في حمولة (الفيل) أم توضع في حمولة (الدّبابة) على قول (لويس جان كالفي / Louis_Jean Calvet).

ومع كلّ ما يقع من اهتمام هناك تسخير كبير لكلّ اللّغات في أن تبقى وتنتشر بقوة في بلدها وخارج مواطنها؛ لأنّ بقاء اللّغة يعني بقاء الشعب النّاطق بها، وهكذا فرضت الكثير من اللّغات أنفسها بقوة الدّين أو بقوة العسكرة، أو بالعلم، "... أمّا اللّغة اللّاتينيّة فانتشرت عبر الغزوات والحروب التي شتها الرّومان، في حين تغلّبت الإنكليزيّة على الفرنسيّة في الولايات المتّحدة؛ لأنّ الفرنسيين كانوا بمفردهم دون عائلاتهم، وفي أذهانهم المكوّث مدة قصيرة للتّجارة والعمل، ثمّ العودة¹". وكذلك عرفت الإسبانيّة الانتشار "كما أنّ الإسبانيّة قد انتشرت انتشارًا هائلًا في أمريكا اللّاتينيّة، وأصبحت لغة شعوبها جزءًا أصيلًا من ثقافتهم، بعدما حضر المستكشفون في القرن السّادس عشر، وبعدها جاء الغزاة الّذين نهبوا البلاد، وأبادوا معظم أبناء الأمم التي كانت تسكنها، ثمّ المستوطنون، فالأفارقة الّذين نزحوا مع بقايا السكّان الأصليين وشكلوا مُجتمعات حديثة اتّخذت الإسبانيّة لغة

يومية²، وكذلك العربيّة التي انتشرت بقوة الدّين الإسلاميّ، والفرنسيّة التي تعمّت على كثير من الدّول بمُسمّى غطاء الجبر والقهر اللّغويّ بحماية (الفرنكويّة)...

2. موت اللّغة: تموت اللّغة عندما يتوقّف أهلها عن التّحدّث بها، أو عندما يحتكّ النّاطقون بها بمجموعة من السّكان تفوقهم عددًا، وتموت اللّغة إذا بقيت دون تدوينها، وتموت فعلاً بأخر يموت آخر النّاطقين بها؛ أي إذا ذهب الأصل ولم يبق الفرع. وهناك موتٌ حضاريّ للّغة، في مثل حبة قمح لا تُعطي السّنابل الكثيرة، ويأبى زمان تصبح عقيمًا فتموت، ولنا مثال في أنّ التّتر دخلوا العراق ولهم لغتهم الأصليّة، وكانوا الأكثريّة، ولكنهم ذابوا في الإسلام، واعتنقوا لغة الإسلام؛ لأنّ حضارة الإسلام أقوى.

ومع ذلك تعيش اللّغات موتًا يأتي عليها فقد يكون قسرًا أو عهديًا أو اغتيالاً أو انتحارًا أو إبادة، وهذا بتدمير أو بمُصطلح الخطأ (باستعمار حضاريّ)؛ فإنّه يعمل على قتل لغة المُستعمر، ويفرض لغته في العلم والثّقافة والتّجارة، وترك من لا يتقنها بلا عمل ولا مأوى، وهذا فعل فرنسا في أيّ بلد دخلته. تموت اللّغة بالتّلوّث اللّغويّ/الهجنة اللّغويّة، أو بالتّسمّم؛ حيث تدخلها ألفاظ أجنبيّة تحدث فيها الوهن، وتعمل على قتلها التّدرجيّ.

ومن خلال هذا، فإنّ الخطر قائم على زوال الكثير من اللّغات، ولكن هناك لغات تصمد لمُدّة طويلة على غرار اللّغات الكونيّة، وهي: الإنكليزيّة، والصّينيّة والإسبانيّة والعربيّة، وتنحسر الفرنسيّة والرّوسيّة، وهذا بناءً على تصنيف اليونسكو للّغات:

- لغات مُتحضّرة وعددها 576؛ يكون لها مُستقبل؛
- لغات مُعرّضة للخطر 525؛ ينحصر استعمالها في مجالها؛
- لغات هبّئة وعددها 598. لغات تموت.

. أعراض موت اللّغة: هناك دراسات نوعيّة استشرافيّة؛ توصّلت إلى أسباب/
أعراض موت اللّغة تكمن في:

1. حين يصبح انتشارها محدودًا.

2. حين تفقد وظائفها كوسيلة، اتّصال في الحياة الاجتماعيّة، ولا تستعمل في
الحياة اليوميّة.

3. حين لا يكون لها مردود على المستوى الاقتصاديّ.

4. حين يقلّ عدد مُتكلّمها، وبالتالي يتقلّص انتشارها، فاللّغة وفقًا لكثير من
علماء اللّغة والتي يقلّ عددُ مَنْ يستخدمونها عن 2500 شخص لا يكتب لها
الاستمرار، فلا تلبث أن تتلاشى؛ إذ إنّ هذا العدد القليل من المُتحدّثين بها سرعان
ما تُدرِكهم المنية فتُدفن اللّغة معهم.

5. عدد المُتكلّمين بها نسبة إلى حجم السّكان.

6. دورها في المُحتوى الرّقميّ.

7. نسبة استعمالها في القطاع العامّ.

8. توارثها للأجيال.

9. درجة التّوثيق، وتوفّر آليات التّسجيل والتّلقين والحفظ.

10. مقامها في التّعليم العامّ والخاصّ."

3. هل تموت العربيّة وفق هذه البيانات؟ يمكن أن نقول بأنّ هذا المعلومات/
البيانات، تظهر العربيّة في خطر، فقوّة اللغة بقوّة أهلها، وهي الأداة الفعّالة في
بناء الإمبراطوريات، ولا نلاحظ هذا في العربيّة، كما لا نلاحظ التّحام العربيّة
بمفهوم بأس الجماعة العربيّة، والتّحامها بالتّراث والعُرف، كما تفتقد مفهوم
اللغة القوميّة اللغويّة كوطن روحيّ يؤدّي دور من حُرْم وطنه على الأرض...

هي علامات لا تبشّر بالخير، وعلينا أن نقول: ماذا لو فقدت الجماعة العربيّة لغتها؟ فهل سيكون لها البديل النّوعيّ؟ وهل ترضى الجماعة العربيّة بالبديل؟ وهل يعمل العربُ جميعهم من أجلها؟

وهنا يشعر الإنسان العربيّ بالقيمة التّاريخيّة والتّراثيّة للغته، وعلى أية صورة كانت. كان علينا أن نتنادى للغتنا وثقافتنا التي تعرف بعض الخطر، ولا بدّ من ممارسات ثوريّة جديدة دون تواكل، فلا سبيل إلاّ نُشدان التّهوض باللّغة العربيّة، وهو ممكن جدًّا، وهذا يستدعي تخطيطًا مرحليًا يقوم على:

- 1 - "العمل بنظام الازدواجيّة الغالبة: أي توظيف العربيّة إلى جانب لغة أجنبيّة كلغة يُستفاد منها في المنطلق في العلوم.
- 2 - العمل بالمشاريع الكبرى والطّويلة الأمد ذات الأبعاد الحضاريّة في تطوير العربيّة.
- 3 - تهيئة لغويّة حديثة للعربيّة، تبدأ من تيسير نحوها.
- 4 - العمل على ازدهارها باستعمالها الفصيح في العلوم وفي التّكنولوجيا.
- 5 - جعل العربيّة مشروعًا اقتصاديًا وموردًا للاستثمار العربيّ العالميّ.
- 6 - تصحيح أوضاعها التّربويّة، بتكوين مكّونين أكفاء يعملون على تعليمها تعليمًا معاصرًا.
- 7 - العمل على نشرها خارج أركانها، وعلى أن تعود إلى مجدها ولما وصل إليه الدّين الإسلاميّ.
- 8 - فتح المشاريع التّقانيّة بالعربيّة في الاختصاصات العلميّة.
- 9 - إيلاء الأهميّة للتّرجمة، والإغداق على عمليات التّرجمة، لتنال العربيّة موقّعها في العلوم والتّانوتكنولوجي.
10. مُعاصرة الإسلام للتّهوض اللّغويّ، وتصحيح أوضاعه اللّغويّة، بعدم السّير في طريق الهجين اللّغويّ.
11. مُوازرة القرار السّياسي لإجراءات التّطوير؛ لأنّه يرفع بالعموم على جعل العربيّة شأنًا عامًا.

12. مزيد من قيام المؤسسات والمجامع والهيآت العاملة على المحافظة على العربية بسن سياسة لغوية تقوم على التراتب اللغوي.
13. مزيد من التشريعات والقوانين العاملة على احترام اللغة العربية فهي من الاحترام العام، وتطبيق القانون".

لا نياس من الحاضر، ولا نبقي نستدعي الماضي، ولا نستغيث، بقدر ما أقول: إن مَصير لغتنا في يدنا، وعلينا أن نعمل بخُطى حثيثة مضمونة وبتخطيط علمي، وبمشاريع محلية وقومية وعالمية، والمشاركة في جعل العربية مُزدهرة عبر الحياة الثقافية والاقتصادية والسياسية والإعلامية، والعمل بجدارة على تصفية الهواء اللغوي للعربية؛ لتكون عربية فصيحة سهلة مُيسرة، وجعل غير العرب يُحبونها ويطلبون ودّها، بل يعملون على الاندماج داخلها؛ لأنّ للعربية ذوقًا لا مثيل له في اللغات. ويجب أن نعلم بأنّ العربية تُنادينا، وعلينا أن نُرغب فيها ونُعلي من قيمتها في الاستعمال العفوي والعلمي والثقافي، ونُعزّز وجودها في المدارس والجامعات وفي مراكز البحوث وفي التّقانة، وفي ما وصلت إليه الصناعات المتطوّرة.

4. ضرورة الانتصار للعربية: هي ضرورة البقاء والتّميّز وصفة حضارية ثابتة منذ القديم، وهل نحن في مُستوى الانتصار العلمي للعربية التي هي أَمنا وساعي بريدنا، هي نحن، ونحن هي، فهي فينا مرتين، هي المجد المُتّوج بالوحدة ولا دور لها إذا غاب العرب، فهم بقيت، وبغيرهم انتشرت هي القصيدة التي أبداع فيها العرب وغير العرب، هي تاج اللغات في صوفيّة مُفرداتها، وفي مُنحدرات البيان البليغ، هي الماضي والحاضر والمُستقبل، هي الوقت ولا وقت للوقت إذا لم تتدلّ في صورتها الأدبية إلى صورتها العلمية في أعلى تقنياتها.

فلنتصر لها ونرفع النياشين للغة المُعلّقات وآية الكرسي. هي لغتنا وما يجب هجرانها، فهي التي اتّسعت لنا وكان يمكن أن نكون هي، كان يمكن احتضانها دفاعًا عن حقّها في الحياة، هي سيّدة الأرض الباسمة التي تمتدّ جذورها في صحرائنا وأرضنا وحبّات زيتوننا، وفي كلّ مكان ولدنا هي معنا، هي أوّل الحبّ؛ وأوّل الحبّ عشق على حجر خوف الغزاة من الذّكريات، هي من مُفردات الذّاكرة.

. لا تموت اللّغة العربيّة: لغة الماضي المُعدق لن تموت، وماتت كلّ اللّغات أو تلاشت إلّا هي فيها لها من لغة أمة قويّة مُعمّرة يعود تاريخها إلى واحد وعشرين قرنًا، ويتواصل حاضرها بماضيها، هي لغة السّؤال الحاضر الذي يرتبها مُعتصر الحاضر بأنّه ليس في المُستوى، أمة تشبه ساعي البريد في نقل الآلة لا صنعها. لا لن تموت العربيّة ما دامت تنقل لأهلها ولغير أهلها بسؤال الماضي والحاضر وبما لها من حمولة تراثيّة يتحدّث بها الحاضر عن الماضي، ويشهد على الوجود الشّعريّ والأدبيّ والعلميّ ويقول: بالفعل كانت العربيّة ولا تزال.

لا لن تموت العربيّة وستدخل تجربة الإبداع العلميّ وتنجح بما لها من إمكانيات داخلية أبانت عن إنتاج الكلمات بما لا نهاية. لن تموت العربيّة بحبنا لها واعتزازنا وحسن إتقانها، وسنشدّ على أوتار كلماتها في التّهوض من جديد. لن تموت العربيّة وهي المُجد المُتوّج بالوحدة المعياريّة الفصيحة ووراءها المُبدعون وهم أنتم. لا لن تموت العربيّة وهي قصيدة عصماء، صوفيّة مُفرداتها، بديعة أبياتها، بليغة أصواتها تتنفس شعرًا وأدبًا وعلماً كما تشاء، وبمُختلف قوافي البيان والبديع، فلا وقت للغدّ وهو قادم يرينا مُستقبلها الذي يحتاج إلى رفق عاجلاتها وإعادة لها للسّكة لمواصلة المسار والمسير، والطريق شاق وطويل.

لن تموت العربيّة ما دمنا نعيش من أجلها، ولنا دور في تطويرها، فلم نولد صدفة يا إخوان. يجب أن نكون من شهداء تحسينها وتجديد ذكرياتها وممتنها لنكون بها وتكون بنا، ونحن خبزاؤها، وبأبها مفتوح يُرحب بنا، كما أنّ الدّروب ليست مُغلقة في وجوهنا، وعلينا فتحها بمفاتيح البحث العلميّ، وكأنّ شيئًا لم يكن، ونبدأ الحياة التي تمسح اليأس عن الأحياء الأموات، ولا نشدّ الرّحيل إلّا لمتونها، وسوف تنتصر لغتي على غيرنا، ومنتصر برفع نياشينها على صدورنا، وكلّ علامات الانتصار قادمة، فكوني لغتي لأنك لغتي، ولا تموتي لأنك في قلبي وفي مكتبي وفي قلبي ومخبري، وأنت سلاح الذي حملته في فمي ويدي وجسدي، وما ضقت ذرعًا بك؛ لأنك أنا وأنت سيّان.

لن تموتي، فلك في الحاضر المقام، وفي المُستقبل الدّوام؛ خرس المنجّمون ولم يصدّقوا ولم يصدّقوا، فقد زرعنا قصائدك في مُعلقات الذاكرة. أموت ولا تموتين

وأوصي أولادي بحمل حروفك إلى حقول قريتي لئزرع شتلات أن تكوني ولا تموتي،
وبك يكونون أو لا يكونون.

فيا لغتي الجميلة يا سيّدة الأرض الجلييلة ونحن نحتفي بك أميرة، وعندنا لا
تموت الأميرات، تموت الوصيفات مرارًا، ويعدن زرافات زرافات زرافات، ويمتن
بدل الأميرة مرارًا، وهي مُتعتنّ: حيث يعدن لأتهنّ يُحبن الحياة. ونحن نُحبّ
الحياة، وأوّل العشق الحياة، فلا تموتي، ونحن نُحبّك مثل الحياة.

الخاتمة: ما يجب الخلوص إليه هو إنّ امتلاك اللّغة الوطنيّة يعني امتلاك
التّقود، ويعين الحياة والاستقلال، وقيمة اللّغة بعدد مُتكلّمها وعدد طالبها
ومُحتواها وصلاحيّتها وسيلة تواصل وإنتاج ولهذا علينا الاهتمام باللّغة الوطنيّة
وهي قوّتنا السّياسيّة والاقتصاديّة لمُتكلّمها، وكما يقال: إنّ التّعلّم باللّغات
الأجنبيّة ينقل الأفراد إلى تلك اللّغات، وأما التّعلّم باللّغة الوطنيّة: فيعني نقل
العلم إلى كلّ الأُمّة، كما أنّ عزل اللّغة عن الاستعمال قتلٌ لها، والاستهانة بها
احتقار لسياسة البلد واستقلاله. ولهذا لا بدّ من التّجنيد العامّ تجاه:

1 - "مقاومة الاعتقاد والسّائر أنّ تعلم اللّغة الأجنبيّة مفتاح المُستقبل
والوظيفة العالية.

2 - مُطالبه الوزارات المعنية بوضع تصوّر للتّحدّيات التي تواجه العربيّة
واقترح برامج لحلّها.

3 - إعادة التّظرفي تدريس اللّغة العربيّة في كلّ المراحل.

4 - إعادة تأهيل مُعلّمي العربيّة عبر دورات مكثّفة وشاملة تهدف إلى إتقان
تعليم العربيّة بطرائق ووسائل حديثة.

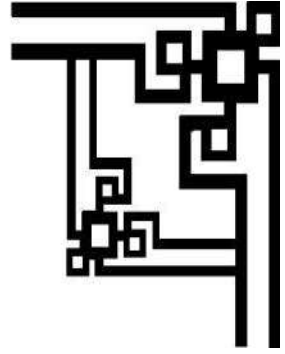
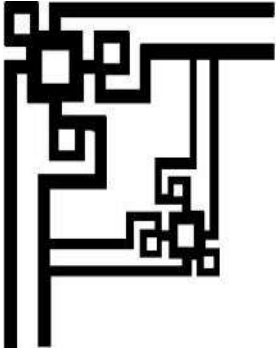
5 - تكثيف الأنشطة والمسابقات اللّغوية لامتلاك ناصية اللّغة.

6 - تعميم تدريجيّ للعربيّة في العلوم؛ وبخطط تقييميّة تقييميّة تحت سلطة
التّطبيق العلميّ والسّياسيّ.

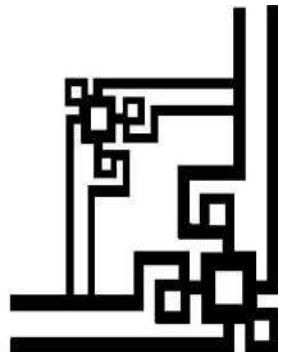
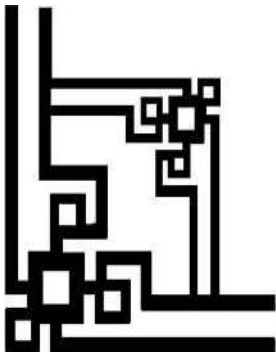
7 - إنشاء مراكز للترجمة في كلّ جامعة عربيّة تقوم على نقل العلوم إلى
العربيّة."

الهوامش:

1. مُحمَّد مُحمَّد داود، اللّغة كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟ القاهرة: 2016، دار نهضة مصر 2016، ص 32-33.
2. مُحمَّد مُحمَّد داود، اللّغة كيف تحيا؟.. ومتى تموت؟ القاهرة: 2016، دار نهضة مصر 2016، ص 33.



مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



العربيّة المعياريّة السّاحرة*



الدّيباجة: تغمرنى السّعادة وأنا أسجّل هذه الكلمات التي تُلقي اليوم في عيد جلاله ملكة اللّغات، وأجد نفسي محرّجًا أمام القامات السّامقات من الحضور الرّفيع، ولا أجد لكم في البداية إلّا أن أقول لكم إنني جدّ مسرور للقيامكم الافتراضي وفرحت أيّما فرح أن يراني الأعزاء، ويسرّ قلبي عندما يتواصل ويتّصل، ومهما تباعدنا وطال بنا الأجل، أجد كلمات المودّة بيننا، ويخونني التّعبير في باقي الجُمَل، فإذا قصّرت فسامحوني أساتذتي، إنّي معرّض للمشاعر والزّلل ولكنّ حبّكم أودعته بين الحنايا والمُقلّ.

سعادة معالي رئيس مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، الإخوة الحضور من المجمعين والطلّبة والإعلاميين، لكم من المجلس الأعلى للّغة العربيّة كلّ التحايا وإنّي مشتاق إلى تلك اللّقاءات الوجيهة التي يجمعنا فيها مجمعنا، وهل تعود تلك الأيام؟ أيام المجد، أيام الشّام وبلاد نهر بردى، والرّومان والخير، أيام المحبّة والتّعايش والخير العميم. لقد افتقدناها والله، تلك اللّقاءات المفيدة، ونسأل الله أن تعود الأمور إلى صحتها ونصاها، ونجدّد اللّقاء.

إليكم كلمتي في هذا اليوم الأغرّ، وهو ليس ككلّ الأيام، ونحن في الجزائر نحتفل بشهر اللّغة العربيّة؛ برعاية سامية من السيّد رئيس الجمهوريّة (عبد المّجيد تبّون) وهذا للمرّة الثّانية تأخذ العربيّة مجدها لأكثر من شهر، وهي عروس نحتفي بمقامها وجلالها، فأنعمُ بها من لغة! واخترتُ عنوان الكلمة (العربيّة المعياريّة السّاحرة) ردًّا على من يتقولون وينتصرون للمحكيات أو المحلّيات أو الأجنبيّات، بمقولة (لم يثبت أنّ أمة تقدّمت بغير لغتها) والعبرة في سوريّة التّاريخ التي تُخرّج

* سجّلت الكلمة في الفيديو لصالح مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، في اليوم العالميّ للّغة العربيّة

أفضل الأطباء والطيارين والمهندسين والمهرة والباحثة في مختلف الفنون باللغة العربية، والوصفة هنا في النوايا الحسنة، والإرادة السياسيّة، والتّجديد الجماعي، والتّطابق بين القول والعمل، وهذا هو المأمول في سبيل التطوير اللّغويّ الذي نرومه من شباب الحاضر والمستقبل.

المقدّمة: تعيش العربيّة الفصحى بعض المضايقات في التّواصل اليوميّ بسبب عائق المعيار الذي يستدعي نمطاً عاليّ المستوى، وهو نمط مُفتقد في مُحيطنا اليوميّ، بسبب طُغيان التّمط الدّارج العفويّ، وهو أمر طبيعيّ؛ لأنّه مُستوى لغويّ محليّ/ عاميّ، وهو مقبول في مقامات وغير مقبول في مقامات وهذا ما يجب التّفطن إليه في الاستعمال اللّغويّ المطلوب لكلّ مُستوى من المُستويات اللّغويّة. لستُ هنا في موقع رفع خطاب الأُنس/ أو نقد اللّغات المحكيّة، فهي لغات لها مُتلاغيها ولها إبداع؛ وتستجيب لحاجات التّواصل اليوميّ، والتّعبير عن تفاصيل الحياة اليوميّة ووجدان النّاس وخلجاتهم، وهي أكثر عفويّة، ولا يعني أنّها أدقّ أو أصدق؛ فالصدق مُمكن بأداتيّ التّعبير معاً، والكذب والصدق مُمكنان بهما أيضاً.

ولكن يجب أن نعلم أنّ هذه اللّغات/ الدّوارج ليست لغة عِلم، ولا لغة الدّول العربيّة مُجمِعة، ولا يُمكن التّفاهم بها، كما لا نجد لها لغة الرّواية/ الشّعر العالِيّ، وما هو من الخطاب الرّفيع الذي يسترق السّمع. ليست المحكيّة لغة دولة عربيّة بعينها، خلافاً للعربيّة الفصحى لغة الأُمّة العربيّة. ولذا لا يجب العولّ عليها أو التّدريس بها؛ فالمحكيّة عموماً لهجة منطقة أو إقليم وأحياناً لهجة مدينة أو قرية، وقد تختلف بين شمال القطر وجنوبه، وبين شرقه وغربه ووسطه، كما قد تتطابق مع لهجة المناطق المُحاذية للدّول المُجاورة.

بدأتُ حديثي عن وضعنا اللّغويّ في وطننا العربيّ لما له من عديد المحكيّات ولا يمكن التّفاهم بها أبداً، مثل اللّغات المحليّات المُتجذّرة في بعض مناطق الدّول العربيّة فهي محليّات أخرى الجزائر+ المغرب+ مناطق من ليبيا+ العراق+ منطقة في سوريّة+ السّودان+ موريتانيا... وكلّ محليّة منطقة تُخالف الأخرى، ولا يُمكن التّفاهم بين ناطقيها إلاّ بالعودة إلى سُلطان العربيّة الفصيحة؛ باعتبارها لغة

جامعة وافية بمطالب التواصل المتفق عليه، وهي اللغة الرسمية ولغة المدرسة والإعلام والإدارة.

وفي هذا المخاض اللغوي العالمي، نشهد انحسار/ مؤت/ تغول/ اندثار/ عولمة لغوية/ انقراض/ طغيان/ انجذاب... وكل مصطلحات البقاء للغة الأقوى والأكثر انتشاراً، والأفضل علمياً، فما موقع العربية الفصيحة أمام التغول اللغوي في بقائها/ موتها... ونعلم أن شروط الموت غير ثابتة فيها، وأن شروط البقاء والتصدر والتميز كائنة بحكم ماضيها التليد، وبه تستطيع تجاوز بعض العثرات والمضايقات، وتكون في مستوى رفع التحديات؛ فهي قادرة على تلبية شروط البقاء ضمن المنظومة التواصلية العالمية؛ باعتبارها لغة الكون في ما مضى من الزمان، فهل وجود عليها العاملون على أن تمر إلى مستقبل منسود في ذاتها كما عرفناها لغة فصيحة في مدوناتها في: الشعر الجاهلي، وفي القرآن والحديث وفي الخطب والرسائل والمقامات والقصص والروايات، وبها أنتجت علوم الشريعة وعلم الكلام والتصوف والمنطق والجبر والهندسة والحساب والتاريخ والجغرافيا والطب والصيدلة وغيرها من العلوم. ويعلم الذي لا يعلم أن ماضيها مجيد عتيق؛ حيث كانت لساناً لأقوام العرب وغيرهم في أصقاع المعمورة، وما تزال، وماتت لغات لها السبق، وبقيت دون ذلك، كما تفاعلت مع كل اللغات، فأعطت لها أكثر مما أخذت. وعاشت ويلات الحروب اللغوية والتشكيك فيها، والبيات الذي دام خمسة قرون من الإهمال، لكن لم نر ما يوحى بانقراضها أو موتها، ومع ذلك نحن قلقون من وضعها العلمي المعاصر، فنريد التحكم في جانب ما يُطوّرُها، ويُخرجها من الاستعمار اللغوي، ويجعلها مُنتصرة لا مُنكسرة. ومع كل ما تُرمى من نقائص فهي صامدة وصادمة، وما تغير فيها ما يجعلها تعيش الانكسار اللغوي، ولكن لا بد أن نقلق في شأنها، ويكون هذا القلق حقيقياً لتنداعى لمنهج جديد يحوي حلولاً لكل القلاقل، ويجعلنا نظميين ونقول: لا خوف على العربية.

لا خوف على العربية إذا اتخذت الاحتياطات المطلوبة في تحقيق الأمن اللغوي/ الفكري، وحصل الانتقال السياسي في وعيه بأهمية استعمال العربية دون قومنة

لللهجة مَحَلِّيَّة، ودون نقلة قيصريَّة قد تأتي بعواقب الفرص بالقوَّة السِّياسيَّة التي قد تكون مُوقَّتة، ولا يدوم لها ذلك. فما أحوجنا إلى سِياسيِّ مُحنِّك يأخذ القوَّة النَّاعمة طريقه الفرض، فالمسؤول العربيِّ السِّياسيِّ يوثق فيها، ويزع بالحاكم ما لا يزع بالعالم، وعندما يتكلَّم بلغته ولو بالمحكيَّة القريبة من المعيار فهو يطلق الوعي الذي لا يتشظى في قوميات مُتشظيَّة، ويزرع الأمل، وزارع الأمل صانعه وذلك ما يُعطي القيمة المُضافة للغة الجامعة، بل يعطي الدَّافعيَّة للمُثقف الذي يواصل المَهمة بمفتاح السِّياسيِّ المرجع، ويُترجم ذلك إلى مُواطنة تقوم على ديمقراطيَّة الأكثر نطقًا باللُّغة المُشتركة، ولا تُلغي المحلِّيات، ولكتها تُلغي المحكيَّات.

أعني بها عمل المُثقف الذي يواصل بناء أمة عربيَّة ديمقراطيَّة ثقافتها عربيَّة وأساسها اللُّغة العربيَّة، وحضارتها شرقيَّة. ولا يجوز القياس التَّمطيِّ غير الصَّحيح في قياس تطوُّر اللُّغات الأوروبيَّة في استقلالها عن اللُّغة الأُمَّ؛ اللاتينية. والحقيقة أنَّ هذا قلبٌ للتَّجربة الأوروبيَّة؛ فقد سبق أن تطوَّرت العربيَّة نتيجة تفاعلٍ محكيَّاتٍ قبلية عربيَّة في جهات مُختلفة من الجزيرة العربيَّة، وأدَّت إلى لغة مُشتركة مفهومة لدى العموم، وهي لغة التَّنزيل. ثمَّ ما كان يجب احتذاء مَنابيل اللُّغة اللاتينيَّة التي انقطعت عن النَّاس في العصر الوسيط، وكانت لغة نخبة التَّخبة والعربيَّة لغة: الدِّين + الدَّولة + الدُّنيا، فالقياس لا يستقيم مُطلقًا.

إنَّ الفصيحة معياريَّة، ولها عالمٌ إشاراتيٌّ من الدَّلالات والمجاز والاستعارات قائم في ذاته غير مُنفصل انفصالًا كليًّا عن مجرى الحياة. إنَّها كائنٌ حيٌّ تمتدُّ جذوره إلى لغاتٍ دارجيَّة ومحكيَّة قديمة، وقد تطوَّرت هذا الكائن مع الحضارة العربيَّة بوصفه مُكونًا رئيسًا في العربيَّة. العربيَّة ليست لغةً مُنقطعة عن الواقع المحلِّي أو هي لغة ثانية. فليس صحيحًا أنَّ التلميذ في الوطن العربيِّ يدرس في المدرسة لغةً ثانيةً هي العربيَّة الفصحى المُختلفة جذريًّا عن لغته المحكيَّة، ألا وهي اللُّغة الأُمَّ، فالأطفال في أيَّة دولةٍ في العالم يدرسون قواعد اللغة في المدرسة، وليس في البيت، والعاميَّة في جوهرها تحريفٌ للغة المعيارية صوتيًا وصرفيًا، وأحيانًا دلاليًّا أيضًا" وكما نعلم فإنَّ غالبية مُفردات العربيَّة المحكيَّة هي عربيَّة

صحيحة أو هي لغةً فصحي غير مُعربة، ولقد ظهرت اللّغة الثّالثة التي تمزج بين المحكيّات والمعياريّة ببعض التّسامح اللّغويّ الذي لا يخلّ بالأداء، في (اللّغة البيضاء) لدى الصّحافيين؛ والمقصود أنّها لغةٌ مُجرّدةٌ من اللّهجات المحليّة مع أنّها محكيّة وتتميّز بقربها من الفصحيّ المُسكّنة تحرّراً من الغلط في التّشكيل.

ويجب التّحرّج في مسألة المعيار اللّغويّ، على أنّ كلّ اللّغات لها المعيار، فليست اللّغات (شذرمذر) بل لها أنظمتها اللّغويّة وأنماطها ومجاريها، وهي لغات العلم التي أوصلت ناطقها إلى التّفاهم وبخاصّة في مسألة المكتوب. وإنّ الدّقة في المعيار، وهو القابل للتمييز بين درجات التّجريد المُختلفة، التي تميّز اللّغة المعياريّة، والتي لا تجعل منها لغةً جامدةً ميّنةً في مقابل المحليّات الحيّة.

وما كان علينا الوقوع في سقطات مقصودة من قبل المُسختين على تآلق العربيّ. وهي لغة الشّعريّ العربيّ المتأصّل في ذاكرتنا الجماعيّة، ولغة الأدب والفكر، والدّين والشّرع والتّاريخ والرياضيات والفيزياء والهندسة في عصور التّنوير العربيّ. وإنّ العربيّة ديوان العرب وتاريخ الأمم والشّعوب، وتاريخ الحضارة الإنسانيّة، وفيها الغث والسّمين والمُبدع والمقلّد، "لكنّ المُهم أنّ المُشاركة والمُغاربة والشّماليين والجنوبيين يشاهدون وسائل إعلام مرئيّة عربيّة، ويتذوّقون روايات عربيّة تُدوّن تفاصيل الحياة المحليّة في المُجتمعات العربيّة المُختلفة بلغة يفهمها العرب جميعاتاً، وهي قابلةٌ للتّرجمة إلى لغات أخرى".

ولا غنى عن العربيّة المعياريّة التي نتعلّمها في مدارسنا في بناء الدّولة والمُجتمع المدنيّ والتّواصل العربيّ-العربيّ، ولا بديل عنها، وبخاصّة نشهد انحصار الأميّة التي تعمل على انتشار التّعليم وتطوّر وسائل الإعلام وبرامج الأطفال وغيرها، ونلاحظ نوعاً من التّفاهم بين لهجات العرب من المُحيط إلى الخليج وهو أكثر قريباً من العربيّة الفصحيّ، وأصبحت الفصيحة أكثر قريباً من حياة النّاس اليوميّة. ولا يركّبن اليأس والقلق على العربيّة الفصيحة، ونحن نرى الوعي اللّغويّ يتجسّد في النّخبة من الشّباب الحامل لمشاريع التطوير والعاملين على تضييق الهوة الثقافيّة بينها وبين الشّعب، والأمل معقود على هذا التّواصل الذي نشهده منكم، ونرجو فقط

أن تتواصلوا مع مُنجز الأجداد، والإقرار بإسهامهم في بناء حضارة العربيّة في الواقع الحضاريّ العالميّ، لا في الواقع العربيّ فقط، فقد تجاوزوا الحدود، وبنوا مَجْدًا أثيلاً، ولولا ضياعه لأصبحنا غير ما نحن عليه، فهل يعود بنا المجد إلى ألقه بكم؟

هو سؤال الحاضر الذي نروم التّحضير له بوصفة تخصّكم، وبخيار يُعطيكم التّميّز ونيل الصّدّارات، وماذا تنتظرون؟ من حقّنا أن نفتخر بالعربيّة التي لها مواصفات لا توجد في لغات أُخرى، ونتعزّل بها لما لها من غنى في مخزونها المفرداتي، وفي تنوّع تراكيبها وأساليبها التّعبيريّة، وفي قدرتها التّوليديّة للدلالات والمجاز والاستعارات، وفي مُرونتها الصّرفيّة وآليات الاشتقاق، وذلك من قبيل تفعيل الأسماء والتّجريد من الأفعال، وعدم التّحرّج من جُمع الكلمات ودُمجها للتّعبير عن معانٍ جديدة.

من حقّنا أن نفتخر بسحر لغتنا المعياريّة التي تملك رصيّدًا مفرداتيًّا كبيرًا، ولا يعني التّرادف، بل يعني الفِرادة والخصوصيّة والثّراء. من حقّنا أن نُباهي الأقاليم بلغة معيار، على أنّها استوعبت تطوّرات الحياة والانفتاح على ترجمة وتعريب واستقبال تعبيراتٍ لغوية عن أفكارٍ جديدة ومُكتشفاتٍ علمية، وتقنياتٍ وتجاربٍ إنسانيةٍ جديدة؛ وما عجزت عن إنتاج المُصطلحات، ولا وقفتُ بلهَاءٍ أمام التّرجمات. هي العربيّة المعيار التي لم تتورّع حتى عن إنشاء جذورٍ غير قائمةٍ لكلماتٍ ومُصطلحاتٍ كثيرة... هذه جميعها؛ تعني "الانفتاح اللّغويّ وحسن الاستقبال... كما يعني استعدادها للتّنازل عن حراسة حدود الصّحیح والخطأ بالمعنى الشّكليّ الموروث من مراحِل تاريخيّة سابقة، والتي لم يعد من مكانٍ للتّعصّب بشأنها بصيغة (قلّ ولا تقل!)".

والأحرى في واقعنا المُعاصر كيف نخرق التّحدّيات التي تنتظرنا في مُواجهة تحديّ الرّقمنة، وحوسبة العربيّة لتكون قادرةً على التّفاعل مع التّقنيات الحاسوبية. فهذا هو تحديّ العصر ويجب أن يُستثمر الكثير من الجهد الفكريّ والماديّ في مُواجهة هذا التّحدّي.

1. أوجاع الحاضر: في عزّ الكلام سكت الكلام، فما عساني أول، وأمامي أوجاع
تعانها العربيّة من ذومها، لسنا في مقام البكاء على ذلك، ولكن كيف ننتج الحاضر
المعرفيّ ونخرج من البكائيات المكرّرة التي لا تُؤكل الخبز ولا تقدّم اللّغة، تراكم
القرارات دون تطبيق+ البحث العلميّ بالعربيّة ضعيف+ العربيّة أقلّ حيويّة في
الفضاء الإعلاميّ، مناهجها مُغلّفة في أطر تعقيديّة لا تُمنح طلابها الكفاءة والليونة
في استعمالها...

كلّنا معنيون بسؤال الهويّة والتطوّر والمصير، كلّنا مَوجعون من حال العربيّة،
وكلّنا نسعى إلى جعلها لغة الحاضر والمستقبل والانفتاح، ولكن أين الوعي اللّغويّ
الذي يقوم على اقتراح إنعاش العربيّة من خلال صنّاع القرار والنخبة العربيّة
وضرورة اعتمادها في مُجتمع المعرفة، أين رصد الواقع ومُعطياته، ومن ثمّ تحليل
تلك المُعطيات لتقديم رؤية استشرافيّة مُستقبليّة يمكنها أن ترفد الجهود
المُقدّمة، وأين تقديم المُبادرات التي تُخرجنا من الهزيمة التفسّيّة، ومن الشكوك
حول صلاحها للعصر الحاضر، ومن التنصّل من الأفكار الانطباعيّة التي هي هوى
أفراد، والخروج من الوجدانيات؛ هي أفكار انهزاميّة أشدّ فتكًا من الحروب
القتاليّة.

إنّ العربيّة بحاجة إلى مشاريع ذات العلاقة بالرؤية الواضحة لمستقبلها، ولهذا
لا بدّ أن نتنادى إلى مشروع النهوض بالعربيّة، وهو مشروع الأمة ضمن رؤية
مُتكاملة على امتداد الزمان والمكان، وذا يتطلّب منا رصد مكامن الوعي بالمكانة
الحضاريّة لمشروع النهوض اللّغويّ في هذه اللّحظة الفارقة في ظلّ هيمنة اللّغات
الأجنبيّة، وتراجع العربيّة على مُستوى البحث العلميّ. وعلينا التّفكير في استثمار
مكامن الأمل؛ لتحقيق عبور ناجح إلى شاطئ الإيجابيات، وهذا يستدعي رؤية تجاه
المُستقبل، ووضع سياسة لغويّة حاکمة ومُؤسّسات مرجعيّة، وإرادة سياسيّة
فاعلة.

2. سحر لغة المعيار: ونبدأ بقوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: 50]. ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: 84].
ورود في المأثور "تعلموا العربية؛ فإنها من المروءة". وقال الشاعر (أحمد شوقي):

لغة القرآن يا شمس الهدى * صانك الرحمن من كيد العدى
هل على وجه الثرى من لغة * أحدثت في مسمع الدهر صدى
وقال حمد الشاعر (أبو شهاب):

بك نحن الأمة المثلى التي * تُوجز القول وتزجي الجيدا
وقال الشاعر (حليم دموس):

إن الذي ملأ اللغات محاسنا * جعل الجمال وسره في الضاد
لغة إذا وقعت على أكبادنا * كانت لها بزدا على الأكباد
وتظل رابطة تؤلف بيننا * فهي الرجاء لناطي بالضاد

هي لغتي وأفتخر بها، بما لها من فصل البيان والتبيين، وأحبتها ولا أشك في قدراتها؛ فإذا شككت فيها كمن يشك في نفسه، وأرى المشككين لا يصمدون وكأني طلع عليهم الخبل الذي يؤدي إلى النكران لفضل هذه اللغة التي لا مثيل لها في القوة والعلمية والأدبية؟ وكأني بتلك الكلمات الشاعرة على لسان هذه اللغة تقول:

أكادُ أشكُ في نفسي لأني * أكادُ أشكُ فيك وأنت مني

لغة قالت فيها الباحثة العاملة (زغريد هونكا/Sigrid Hunke) "كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد؟ فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة".

لغة عجيبة بما لها من مرونة لا تجدها في باقي اللغات، وانظر لمثل هذا البيت الذي يُقرأ من النهاية، وهو نفسه من البداية، فما أجملها من لغة!

مَوَدَّتُهُ تَدوْمٌ لِكُلِّ هَوْلِ * وَهَلْ كَلُّ مَوَدَّتِهِ تَدوْمٌ

إنَّ العَرَبِيَّةَ لُغَةٌ تَحْمِلُ فِي ثَنَائِهَا مَعَانِي الحَيَاةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالتَّوَاصُلِ وَالْعِلْمِ وَالوُجْدَانِ وَغَيْرَ ذَلِكَ... فَهَلْ يَتَوَقَّرُ فِي بِلَادِنَا حُرَاصٌ عَلَى احْتِرَامِ لُغَتِنَا الأُمِّ؟ وَكَيْفَ هِيَ عِلَاقَتُنَا اليَوْمِيَّةَ بِهَا طَالَمَا أَرْضَعْتُنَا بِكَلِمَاتِهَا وَعِبَارَاتِهَا، وَأُنَجِدْتُنَا بِمَعَانِيهَا الَّتِي هِيَ تَرْجِمَانُ مَشَاعِرِنَا وَهَمُومِنَا؟ وَهَلْ يَمْنَعُنَا حُبُّ لُغَتِنَا الأُمِّ مِنْ أَنْ نَحْبَّ مَا طَابَ لَنَا مِنَ اللُّغَاتِ الأُخْرَى؟ العَرَبِيَّةَ لُغَةٌ عَظِيمَةٌ بِشَوَاهِدٍ مَائِلَةٌ أَمَامَنَا وَمَا تَنَادَى لَهُ المُخْلِصُونَ شَوَاهِدٌ تَدُلُّ عَلَى بَعْضِ التَّسَيِّبِ فِي الِاعْتِرَازِ بِهَا، وَتُعَانِي فِي بَعْضِ المَقَامَاتِ مِنْ وَضْعِ بَائِسٍ يَتِمَّتْ فِي التَّهْمِيشِ وَالانْحِسَارِ، وَتَوَلَّدَ جِزَاءَ ذَلِكَ تَحَوُّلٌ بَعْضُ أَنْمَاطِهَا إِلَى لُغَةٍ شِعَائِرِيَّةٍ فِي إِطَارِ تَعَبْدِي.

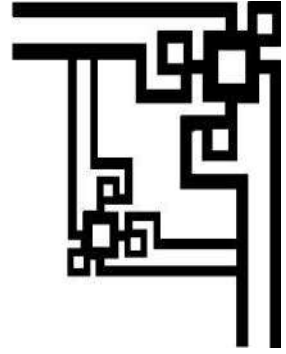
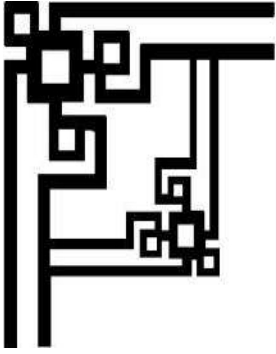
بِالفِعْلِ ذَلِكَ حَصَلَ وَلَقَدْ ضَعُفَتْ هَمَّةُ السِّيَاسَةِ اللُّغَوِيَّةِ المُتَكَاتِفَةِ مِنْ أَجْلِ ضَبْطِ مَنَهْجِي صَارِمٍ يوقِفُ المَدَّ العَبَثِيَّ لِلتَّهْمِيشِ الثَّقَافِيِّ، وَيَحَدِّدُ مِنَ التَّلَوُّثِ اللُّغَوِيِّ الَّذِي صَارَ يَسْمُ حَيَاتِنَا كُلَّهَا. وَمَا بَالُنَا نَشْهَدُ الذُّوبَانَ فِي لُغَةِ الأُخْرَى، اقْنَاعًا بِخَطَرِ التَّنْمِيطِ الثَّقَافِيِّ، مَا بَالُنَا لَا نَرَاجِعُ أَعْمَالِنَا بِالتَّنَادِي بِخَطُورَةِ المَسْأَلَةِ اللُّغَوِيَّةِ، أَلَا يُمْكِنُ أَنْ نوقِفَ هَذِهِ المَسْأَلَةَ، وَيَتَكَاتَفَ الإِعْلَامِيُّونَ وَالتَّخْبَةُ وَالسِّيَاسِيُّونَ وَالمُعَلِّمُونَ لِتَقْدِيمِ وَصُفَاتِ عِلَاجِ الأَخْطَارِ المُحَدَّقَةِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِي عَالَمِنَا اليَوْمِ.

لَا بَدَّ مِنْ إِجْرَاءِ مُحَاوَلَاتِ التَّطْوِيرِ، لَا نَسْتَمِعُ إِلَى خُطَابَاتِ التَّيْنِيسِ، نُبَادِرُ وَنُحَاوِلُ وَسَوْفَ نَهْتَدِي إِلَى الحُلُولِ، وَنُصَلُّ إِلَى مَنَهْجٍ لُغَوِيٍّ يُنَاسِبُ عَصْرَ مُجْتَمَعِ المَعْرِفَةِ، وَنَهْتَدِي إِلَى طَرِيقَةٍ مَا، تَكُونُ فِيهَا اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ تُرْجِمَانُ مَعْرِفَتِنَا وَرِسُولَ أَنْفُسِنَا إِلَى أَرْجَاءِ الأَرْضِ كُلَّهَا. لَا بَدَّ أَنْ نَشْتَغَلَ وَنُصْنَعُ طَرِيقَ المَعْرِفَةِ فِي العَرَبِيَّةِ فِي ذَاتِهَا وَبِدَائِهَا، شَرِيطَةً أَلَا نُوَكِّلُ أَمْرَ تَطْوِيرِهَا لِجَهْلَةٍ؛ لِأَنَّ فَاقِدَ المَعْرِفَةِ لَا يُعْطِيهَا. وَلَا بَدَّ مِنَ الوَعْيِ بِهَذِهِ اللُّغَةِ؛ بِتَقْدِيمِ وَصُفَاتِ بِالاختلافاتِ القَطْرِيَّةِ بَيْنَ المُجْتَمَعَاتِ العَرَبِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ شَيْئًا مُتْجَانِسًا وَمُتَوَازِيًا فِي التَّقَدُّمِ وَالتَّبَوُّغِ أَوْ التَّأخَّرِ وَالخُنُوعِ. وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا بَدَّ مِنْ وَضْعِ سِيَاسَاتٍ مُشْتَرَكَةٍ لِتَطْوِيرِ العِلَاقَةِ النَّفْسِيَّةِ لِشَعُوبِنَا بِالعَرَبِيَّةِ بِشَكْلِ رَئِيسٍ، وَهَذَا فِي إِطَارِ التَّنْمِيطِ المُسْتَدِيمَةِ الشَّامِلَةِ، وَيَتَّبَعُ ذَلِكَ تَجْدِيرَ الفِصْحَى لُغَةَ الثَّقَافَةِ وَالْعِلْمِ وَالاِمْتِيَازِ وَالتَّفَكِيرِ.

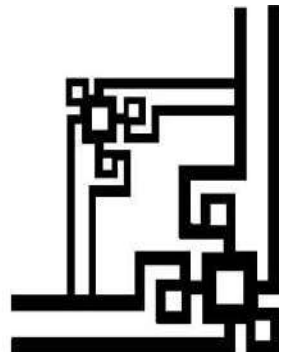
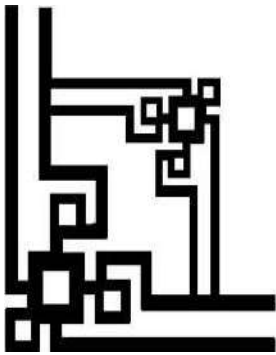
ولا بدّ من تنميّة فكرة مُجتمع المعرفة داخل المُجتمعات النّاطقة بالعربيّة، إضافة إلى ضرورة تعديل سرعة العربيّة وفق آليات العصر. ولا شكّ أنّ تطوير العربيّة أصبح ضرورة حتميّة، ننظر في مُستجدات العصر التي نروم أن تكون بالعربيّة، نريد على مُنبّه يتكلّم لغتنا، وإلى دليل ناطق يقودنا إلى عنوان نجهله، وعندما نصل إلى مكاتبنا نُشغّل كبتاراتنا بالعربيّة، وعندما ندخل على شبكات المعلومات نُشبك بالعربيّة... والآن نريد مُهندساً وعالمًا يُصمّم ويكتب صفحاتنا ومُحرّكات بحثنا باللّغة العربيّة، فهل يوجد من يُنتج لنا برامج سمعيّة بصريّة ذات قيمة فنيّة وأدبيّة وثقفيّة تُمنعنا من الانتقال إلى القنوات الأجنبيّة؟

. أوجاع الحاضر: وبناءً على ذلك فلا نهضة لنا بلغات غيرنا، فوجب إصلاح ذات البين مع لغتنا الأمّ، قبل فوات الأوان، ثم إنّ مُجتمع المعرفة يحتاج لمُحتوى مكتوب، سمعيّ وبصريّ باللّغة العربيّة، يتمّ نشره على الشّابكة، ويكون ذلك بكمّ وبجودّة يُلقيان بلغة عربيّة كانت في وقت مضى مرجعاً للحضارات الإنسانيّة. وفي كلّ هذا ما أحوجنا أن لا تبقى العربيّة سجينّة الماضي التّليد؛ فهي تحتاج أن تخوض المُعاصرة بكلّ ثقة ومسؤوليّة وانفتاح، والتّطوير يحتاج اتّخاذ قرارات حاسمة، وإلى العمل الدّؤوب على إخراج مُجتمع المعرفة العربيّ، ولا يكون ذلك دون توفّر الحرّيّة الحقيقيّة التي هي مَحضن الإبداع، وفي ذات الوقت يجب أن نتفائل ونقول: إنّ العربيّة بخير ما دُمنا نسمّعها، وننطق بها، وما دُمنا نعمل على تطويرها.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



اللغة العربية وأثرها الحضاري على أوروبا*



الديباجة: ينالني فضلٌ كبيرٌ وأنا أوجه هذه الكلمات البسيطات إلى أعضاء مَجْمَعنا العتيد؛ ويحصل لي الشرف أن أخطب مسؤولي أول مَجْمَع عربي يتأسس في سنة 1919م، في سورِيّة العِلْم، في بلدِ الشّام؛ في بلدِ الخير والبركات، في بلدٍ عزيز افتقدناه مدّة. وها هو يعود عبر مُؤسّساته العامرة، وبخاصّة مَجْمَع اللغة العربيّة الذي يعود إلى عُنْته الثّقافيّ الحركيّ الذي كان لا ينقطع نشاطه، يعود بعد نوازل نأمل أنّها لن تعود. سعيد جدًا وأنا عضوُ هذا المَجْمَع الكبير كِبَر أعضائه العالمين: الأعضاء العامِلون والمراسلون يتناسلون ولا ينقطعون، ويكبرون في حجم هذا البلد الصّامد، ويكبرون ويكبرون، بكِبَر أستاذنا السّيد رئيس المَجْمَع الأستاذ الدكتور (محمود السّيد) الذي تعلّمنا على مؤلّفاته، وأخذنا العبرة من تشجيعاته، ونالت العربيّة مواقع جديدة من مؤلّفاته، وكانت أعماله في مجلّة (التّعريب) من أفضل ما كُتِبَ في التّيسيرات التي كانت عصيّة علينا، وفي مجال التّربويّات. وأشهد بأنّ مرافقته لي شخصيًّا فتحت لي أبواب علوم اللغة العربيّة فتحًا مُبينًا، وكانت مَفاتيح البحث ونيل المَقام، فأنعمُ به من عالم!

وأنقل لكم -عبر هذا التّواصل عن بُعد- تحايا المجلس الأعلى للغة العربيّة لزملائي الأعضاء ولكلّ المُحاضرين في يوم عُرُس اللغة العربيّة الثّامن عشر (18) من ديسمبر 2022م، في اليوم العالميّ للغة العربيّة. يومٌ عظيمٌ عرفت فيه العربيّة نقلاّتٍ نوعيّةً لم تُعرفها أيّة لغةٍ منذ ترسيم هذا اليوم العالميّ في سنة 2012م. ونشهد بأنّ العربيّة الآن تترى فيها الدّراساتُ الكُبيرة والمُدوناتُ الرّقميّة، والمشاريعُ المُعطّلة تُعرف الحركة، وزيادة تأسيس مجامع جديدة، وقيام مُؤسّسات دوليّة في

* - أعدت المحاضرة لصالح مجمع اللغة العربيّة بدمشق، في إطار الاحتفائيّة السنويّة لليوم العالميّ للغة العربيّة، 18 ديسمبر 2022م.

خدمة العربيّة، وما نالته المؤسّسات العامّة التابعة للألكسو واليونسكو والإيسيسكو عبر نشاطات كثيرة، وعبر جامعة الدّول العربيّة التي حرّكت دواليها الثّقافيّة والسّياسيّة.

ونرى العربيّة تُشرق من جديد، وتعرف أفق النّشر الإلكتروني، وتُساير الثّقانة وتنال موقعاً خامساً في نوافذ الأمم المتّحدة، وفي وكالاتها الواحدة والعشرين (21) ويكون لها الموقّع الثّاني في الاستعمال الشّابكي، وتُصنّف في القطب الثّاني في اللغات الرّسميّة مُمثّلة في ثلاثٍ وستين (63) دولة كلغة رسميّة أولى، أو لغة أجنبيّة أولى/ لغة أجنبيّة ثانيّة. وهي لغة الكون بما لها من استعمال وتوسّع عند غير أهلها، وما لها من رُتبٍ في تصنيف اللغات العالميّة، ولغات الحضارة الإنسانيّة، بما لها من مجدٍ مُفلق، وحاضرٍ مُغدق، ومستقبلٍ مُشرق. وكلّ الكلمات تخونني، ولا أستطيع التّعبير عن مآلات العربيّة التي نتفاعل بها خيراً إذا اشتدّت همّتنا، ونهضت مؤسّساتنا، وربطنا القول بالفعل، وخرجنا من التّنظير للتّطبيق.

المقدّمة: إنّ المحاور الستّة التي اعتمدها مَجْمَعُنا المُوقّر خلال جلسته العاشرة في 10 من شهر أوت 2022م، لتنمُّ عن نظرة جديدة عالميّة بمُجريات الأحداث اللغويّة المعاصرة، وباستشراف آليات مُستقبل العربيّة الذي لا يكون دون التّماهي في كنف تشخيص الواقع اللغويّ، واقتراح المُبادرات التي تجد الحلول التّوعبيّة لمُضايقات العربيّة، وبخاصّة عندما يقع الاهتمام بالحدّات، وربطها بالأصالة التي كانت الوجه الحدّاثيّ للعربيّة أيّام مجدها الأثيل. ومن خلال هذه الكلمة أوّجّه نداءً للاهتمام بالشّباب، وهم عماد العربيّة في الحاضر وفي المُستقبل. فعلينا -نحن المَجْمَعين- الاستثمار في هذه الفئة، ونرمي بالعربيّة لهم ليُطوِّروها فهم أهل الثّقانة والحكامة الإلكترونيّة.

1. في صُلب الموضوع: لقد اخترت أن يدور موضوعي في المحور الثّاني؛ وهو محور حضاريّ يُعطي القيمة العلميّة المُضافة للعربيّة في الحاضر، كما كانت لغة العولمة في الماضي، بعنوان (اللّغة العربيّة وأثرها على أوروبا) وأراني أختار موضوعاً ذات العلاقة ولم يقع التّنصيب عليه من المحاور الفرعية الثلاثة وقد يقول قائل

هذا موضوع نال دراسات تقرب لهذا من خلال شعار اليوم العالمي للغة العربيّة لسنة 2021م، (اللغة العربيّة والتّواصل الحضاريّ) بالفعل كان ذلك ولكن لم يُشبع بعد، ويحتاج إلى المزيد من الملتقيات والكلمات المُعزّزة بالقوّة الناعمة لمقام لغة الضّاد ودُرّة تاج اللغات، وجمالة الملكة، في السّبق الذي عرفته لمدّ جسور التّواصل بين الشّعوب عبر الثّقافة والعلم والأدب من منظور التّكامل بين الشّعوب، وهذا ما يُظهره بيانُ مُنظمة الأمم المتّحدة للتّربية والثّقافة والعُلوم أنّ الغاية من هذا العنوان إبراز الدّور التّاريخيّ الذي تضطلع به اللغة العربيّة لمواصلة استحداث المعارف وتناقُلها، وهي وسيلة للارتقاء بالحوار وإرساء أسس السّلام في ظلّ تَعوّل العولمة، وتبعات الرّقمنة، وموت اللغات، ونحن بحاجة إلى تعزيز الحوار الثّقافي بين الشّعوب، والعمل على التّقارب اللغويّ الذي يودّي إلى السّماع للآخر.

وباعتبار العربيّة من أكثر اللغات إسهامًا في التّواصل الحضاريّ على مرّ القرون الماضية، وذلك ما تجسّد في ثراء الوجود الإنسانيّ، وما وقع الانتفاع به من الموارد. ومن خلال هذا العنوان أقول: إنّ العربيّة تُتيح الدّخول إلى عالم زاخر بالتنوّع الثّقافيّ بجميع أشكاله وصوّره، وقد كان لها ذلك في ما مضى من الزّمان، ولم يتوقّف مع حدوث بعض الهنات التي علّقته لكثير من السّنين التي عرفت فيها العربيّة الوهن والفشل، وطال الأمدُ لخمس (5) قرون خلت، وتلك الأيّام كانت ظلامًا، ولم نرفع بعض الظّلام بعد.

وها نحن، أهل اللغة العربيّة، نريد أن تعود العربيّة إلى تأثيرها كلغة تواصل يوميّ، ولغة فرنكة أمميّة، وقد أثبتت خصائصها الدّاخليّة تنوعًا للأصول والمشارب اللغويّة أنّها في كامل طبيعتها لغة تواصلية دون خدوش، كما أنّ خصائصها الخارجيّة تظّهر بعولمة جديدة قابلة للتأثير والتأثر، والأخذ والعطاء، وقد كانت لغة التّواصل في طريق الحرير، ولغة أفريقيّة في طريق الملح.

وانّها لغة تحتوي على شواهد تُبيّن الصّلات الكثيرة التي تربطها بعدد من لغات العالم الأخرى، وساعدت على نقل المعارف العلميّة وفلسفة اليونان والرّومان، ونقلتها إلى أوروبا في عصر النهضة. وما يمكن أن نلاحظه في هذا الأمر الحضور

الإسلاميِّ الدَّهبيِّ الأندلسيِّ؛ باعتباره حجَّةً للتَّقارب بين الحضارة المسيحيَّة والإسلاميَّة، وبين التَّراث اليهوديِّ والإسلاميِّ "... وهكذا أصبح استحضارُ الأندلس الإسلاميَّة وبدرجة أقلِّ منها صقليَّة الإسلاميَّة مِنْ المَواضيع المَهِّمة في سياق الخطاب المُتداول حول التَّقارب بين الثَّقافات وحول الوَحْدَة التَّاريخيَّة والحضاريَّة في البحر الأبيض المُتوسِّط وأيضًا بخصوص التَّسامح بين الشَّعوب من مُختلف الدِّيانات". وكانت العربيَّة جِسْرًا عِلْميًّا لثمانية قرون خلت، وأتى عليها الذي أتى على الفردوس المفقود وتذهب مَجربط وإشبيلية وطليطلة وقُرطبة هباءً:

بأربع فاقت الأمصار قرطبةُ ❖ مِنْهُنَّ قنطرة الوادي وجامعُها
هاتان ثنتان والزَّهراءُ ثالثُها ❖ والعلمُ أعظمُ شيءٍ هورابعُها

وكان ذلك من المُتعة الثَّقافيَّة بصيغة مُستفيد من الحضارة الشَّرقيَّة التي كانت شُعلة العالم، وكما قال (Pierre Gory) الحاصل على جائزة نوبل في الفيزياء لسنة 1903م "لو لم تُحرق كُتُبُ المسلمين؛ لَكُنَّا اليوم نتجول بين المَجْرآت". هي منجزاتٌ حصلت من المسلمين، وأتاحت هذه الإسلاميَّة العلميَّة والثَّقافيَّة إقامة الحوار بين الثَّقافات على طول المسالك البريَّة والبحريَّة من الصَّين وسواحل الهند إلى القوقاز وروسيا البيضاء، مُروِّرًا بشبه الجزيرة العربيَّة، وإلى بلاد الهلال الخصيب، ومن توات إلى القرن الأفريقي؛ مُروِّرًا بدُول السَّهل إلى الكاب.

2. لنا السَّبق الحضاريُّ: ما يجب العِلْمُ به أَنَّ الحضاراتِ دُول، وقد كانت حضارةُ العرب الإسلاميَّة بماضيها المُشرق، وبنموذجها المُغدق حضارةً عالميَّة عالميَّة أيام تخبُّط الأُمم في ظلِّمات بعضها فوق بعض. ألم يكن الجغرافيُّ العربيُّ (الإدريسي) أوَّلَ واضعٍ لخريطة العالم، وأنَّ مُكتشفَ الدَّورة الدَّمويَّة الصَّغرى هو (ابن التَّفيس) ومُؤسِّسَ علم الاجتماع (ابن خلدون) وأشهرَ الرِّحالة في القرون الوسطى (ابن بطوطة) ومُؤلِّفَ كتاب (الطَّريق إلى المدائن) (أحمد عادل كمال) وواضعُ النَّحو (أبو الأسود الدَّؤلي) والعالم العربيُّ الذي اكتشف انكسار الضَّوء هو (الحسن بن الهيثم) ومن أعظم أطباء العالم صاحب كتابين: (الجُدري والحصبة + الحاوي) هو الرَّازي، والذي وضع التَّاريخ الهجري هو (عمر بن الخطَّاب) وفاتح بلاد

الصَّيْن (قتيبة بن مسلم الباهلي) وأكبر علماء التَّارِيخ صاحب كتاب (الكامل في التَّارِيخ) (ابن الأثير) وأنَّ فاتحَ القسطنطينيَّة هو (محمَّد الفاتح) ومؤلَّف كتاب (الدَّاء والدَّواء) هو (ابن القيم الجوزية) وأوَّل من وضع مُعجمًا باللُّغة العربيَّة هو (الخليل بن أحمد) وأوَّل من وضع صورته على النَّقود (الإسكندر المقدوني) وأوَّل من أصدر عُملة عربيَّة هو (عبد الملك بن مروان) وأنَّ (الخوارزمي) أوَّل من فتح مَجال الخوارزميات بكتابه (الجبر والمقابلة) وأوَّل خليفة تُرجمت له الكتب السَّريانيَّة والأعجميَّة إلى العربيَّة كتابين: (كليلا ودمنة+ إقليدس) هو (أبو جعفر المنصور) وأنَّ قناةَ السَّويس المجرى المائي الصَّناعي كان بغرض توصيل البحر الأبيض المتوسَّط بالبحر الأحمر، وأنَّ (الزَّجاج) اختراعٌ شرقيٌّ عرفه الأوروبيون أثناء الحروب الصَّليبيَّة فنقلوه إلى أوروبا... والقائمة كبيرةٌ وطويلةٌ من التَّصدَّرات ضمنَ وعي لغويِّ حضاريِّ باللُّغة العربيَّة حصل للعرب، وكانت لهم الريادة.

مع كلِّ ما حصل لا ننكر وجود صدمات بين الحضارتين من مثل معركة (اليرموك) بين المسلمين والرُّوم، ومعركة (ميسلون) بين العرب والإنكليز، وأنَّ الصَّلاح عقد بخصوص إنهاء الحروب جرى بين (صلاح الدِّين الأيوبي) و(ريتشارد قلب الأسد) ملك إنكلترا في صلح سُبيي (صلح الرَّملة) وهكذا دواليك...

ونحن الآن نعيش حضارةً مُعاصرةً؛ وفيها نحتاج إلى وعيِّ حضاريِّ جديدٍ للهَوض؛ ونريد وعيِّ إدراكِ الحضارة المعاصرة بجملة مَظاهر التَّقدُّم الماديِّ والمعنويِّ دون همجيَّة وتوحَّش؛ بتمكين آليات الحداثة اللغويَّة، وبإدراك فقه التَّحضُّر المُعاصر بمَنطق الإسلام والعربيَّة لتشكيل الهَوض، وبتفاعل مَقاصديِّ مع العلوم والظواهر الحديثة؛ دون انعزال عن المُتغيَّرات، وبعامل التَّدافع لكسب مَنظومة الفعاليَّة اللغويَّة، بدل السَّقوط الحضاريِّ، ونحن نعيش الفرصة العائدة من الدَّورة التَّاريخيَّة، فكيف نُعدُّ العُدَّة للوعي بالمستقبل في فقه الهَضة من جميع جوانبه باعتماد اللُّغة المشتركة؟ وإنَّه من الضَّروريِّ استدراك ما فات، وتدارك الأخطاء، والوعي بحضارتنا هو الذي يُحقِّق لنا الشَّهود والموقع والتَّصدُّر والتَّطوُّع، رغم أنَّنا بدأنا من القفار، ولكن أقمنا الحضارة فيها، وكان لنا العزُّ،

وانعكس ذلك في صناعة الرسالة الربانية، وترسخت معالمها التطورية في الواقع المعاصر. إنها حضارة الصحراء والمدائن، وهي حضارة قائمة على التفنن في مختلف جوانبها، وقال فيها (ابن خلدون) "والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجداته والتأنق فيه تختص به، ويتلو بعضها بعضًا، وتتكاثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملذذ والتنعّم بأحوال الترف، وما تتلون به من العوائد. فصار طور الحضارة في الفلك يتبع طور البداوة ضرورة؛ لضرورة تبعية الرفه والملك". هي دورة الحياة تعود، دور الوعي الحضاري لماضيها المشرق؛ بما لنا من قدم النموذج أيام القحط والظلمات، وقد جاء الوعي الحضاري الإسلامي لتصحيح ما كان وكفانا غفوة أُرخت سدولها علينا، فانكمش دورنا فطويت الحضارة على قوم دوننا فكان ما كان. وبقيت الذكرى حبيسة الأسفار يذكرها هذا الزمان، فما الحل لإعادة الحركة في نفوس هذا الجيل؟!!

3. في عمق لغة الضاد: إن العربية من أكثر اللغات جذورًا وامتدادًا في الزمان والمكان، وأغنانَّ كلمات وأوسعهنَّ معاجم، وأبلغهنَّ فنونَ القول والبيان والفصاحة. وأنَّ الإسلام هو البعد الحضاري الذي جعلها تخرج من شبه الجزيرة العربية؛ لتتألَّ حواضر الشرق والغرب والشمال والجنوب في ظرف زمني قصير زمن الفتوحات الإسلامية التي سبقتها التجارات والمقايضات، فانتشرت بما لها من القوة الناعمة التي مكنتها من التغلب على لغات الكثير من البلاد، ويعود ذلك إلى بنيتها الداخلية، ودقة نظامها وقواعدها، وغنى معجمها، وقدرتها العالية على التعبير.

هي عريبة المعجزة الخالدة التي لم تنقرض منذ واحد وعشرين (21) قرنًا، وبقيت مسيرةً لتحديات كثيرات، ومنها التحدي التقني، وهي تُؤكِّد حضورها في وسائل العصر بقوة ذخيرتها الجارية التي تُعطي لها صفات البقاء والخلود. وهكذا لعبت الحضارة العربية الإسلامية بلغة الدين دورًا في التواصل بين الشعوب على مر الزمان، وما تزال آثار تلك الحضارة تترى باستمرارية مُتجدِّدة، وبمنطق الدورات

التاريخية المرتبطة بمركزية الدين، وما يتبعها من إنتاج الأفكار والتحلي بالقيم الأخلاقية، وما يحصل وراء ذلك من تراتب المهام، وأولوية العمل ومنطقه لتحقيق الفعالية. وما يجب علمه أنّ العربية كانت العامل الأساس في إيجاد جسور هذا التواصل الذي أدى إلى بناء علاقات حميمة وتفاعلات حضارية تُقرب بين الأطراف المختلفة. ولماذا اللغة العربية؟ لأنها كانت لغةً نسبية في الاستعمال في طريق الحرير، ولغة كاملة النسبية في طريق الملح، ولغة نسبية تقرب إلى مئة في المئة في الفردوس المفقود، وبمصطلح العصر الحاضر (لغة العولمة) وبذلك اتسعت حضارة الإسلام بها خارج شبه الجزيرة العربية، وكلّ ذلك الانتشار جعلها تسمو في أساليبها، وتدخل فيها ألفاظٌ جديدةٌ تتلاقح مع لغة البلد. ولا أحد ينكر ذلك التأثير اللغوي الحاصل الذي أثمر في العربية تطورًا مُدهشًا ونقلت العربية نقلة نوعية من أدها القديم الجاهلي إلى الأدب الأندلسي المناكف لموروث المعلقات، والوقوف على الأطلال إلى:

جادك الغيث إذا الغيث هَمَا * يا زمان الوصل بالأندلس

وهكذا عرفت اللغة العربية مرحلة التلاقح بزيادة التلقيح من لغات مُجاورة بمكمن الاحتكاك الذي كان ضرورةً حضاريةً تاريخيةً أدى حتمًا إلى تداخلها وعرفت خلال ذلك كلّ المراحل الحضارية التالية:

1/3. مرحلة التأسيس العروبي: وهي مرحلة اللغات العروبية من ثمودية وصفونية ولحيانية ومازيعية... وتظهر في بعض النقائش الباقية التي كشفت عنها بحوث كربون (14)، ولا نملك عنها إلا بعض الصور النحوية المستعملة في اللهجات الباقية.

2/3. مرحلة الساميات والنظائر: وهي مرحلة الترقى بوجهة لغوية مع اللغات الشرقية على غرار: الأمهرية+ السريانية+ المندائية+ العبرية+ الفارسية+ العثمانية+ الأوردية، وهي مرحلة غلبة العربية فيها، وكانت أمّ الساميات، ويقول المستشرق (إرنست رينان/ Ernest Renan) في كتابه تاريخ اللغات السامية/ (Histoire générale des langues sémitiques): "إنّ انتشار اللغة العربية يُعتبر

من أغرب ما وقع في تاريخ البشر، كما يُعتبر من أصعب الأمور التي استعصى حلُّها؛ فقد كانت هذه اللغة غيرَ معروفةٍ بادئ ذي بدء، فبدت فجأةً على غاية الكمال، سلسلةً غايةً السَّلاسة، غنيَّةً أيَّ غنى... وإن اللغة العربيَّة -ولا جدالقد عمّت أجزاء كبرى من العالم".

3/3. مَرحلة الخروج من الأرومة اللغويَّة السَّاميَّة: وهي مَرحلة العصر الجاهلي في شبه الجزيرة؛ حيث كانت لغةُ البُدَاة المُتبدلين في نَجْد والحجاز، لغة سافلة الأعالى وأعالى السَّافلة، ولغة أكلوني البراغيث، وأكَّلة اليرابيع وحرشة الضَّبَاب وما كان ذلك إلا لتصبح صافيَّة فصيحة؛ حيث عبّرت عن الصِّفاء اللغويّ في عترته العفويَّة ذات الطَّبَع الخاصّ.

4/3. مَرحلة الأخذِ والعطاء: وهي المَرحلة التي صاحبت الفتوحات الإسلاميَّة؛ حيث يستدعي التَّعليم والتَّرجمة ونقل العلوم، وقد عرفت العربيَّة وجودًا حضاريًا خارج مواطنها، ونالت المقامات العُلا في الأندلس بجزيرة إيبيريا وفي بلاد السند وتَعوَّلَمَ خطُّها في لغات أفريقيا، وأضححت لغة (Langue Franca) في التَّواصل الحضاريّ، وهذا ما يقرّ به (گوستاف لوبون/ Gustave Le Bon) صاحب كتاب حضارة العرب (La civilisation des Arabes): "... كلِّما تعمَّق المرء في دراسة العربيَّة تجلّت له أمور جديدة، واتَّسعت أمامه الآفاق، وثبت له أنّ القُرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة إلا بوساطة العرب، وأنّ العرب هم الذين مدّنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق". ويقول الباحث (ماكس فان تاجوا/ Vintéjoux Max) في كتابه (المُعجزة العربيَّة/ Le miracle arabe): "الحقّ أنّ مؤرِّخيننا قد حاولوا جهدهم أن يجعلوا من العالم الغربي محورًا للتَّاريخ، مع العلم بأنّ كلّ مراقب يُدرك أنّ الشَّرق الأدنى هو المحور الحقيقيّ لتاريخ القرون الوسطى. إنّ تأثير اللغة العربيَّة قد شكّل تفكيرنا بصورة كبيرة"... والكلام كثير جدًّا، ويظهر ذلك في كثرة الألفاظ العربيَّة في جسم معاجم اللغات اللاتينيَّة واللغات الشَّرقيَّة؛ نتيجة التَّعايش الحضاريّ الذي شكّل مَرحلة العطاء والأخذ، وكان للعرب دورٌ احتكار آليات التَّفكير العلميّ في جانب التَّنظير.

5/3. مَرحلة فرضِ الأمرِ العلميّ: هي مَرحلة التّلاقح العلميّ الذي فرضت فيه العربيّة أنماطها عبر اللغات اللاتينيّة بالخصوص، وقد أسكتت كلّ اللغات السّامية، وأصبحت مرجعيّة في النّحو والمعجم والأدب، وأسست مدارس كُبرى عبر حواضر: بغداد+ مكّة المكرّمة+ القيروان+ القرويين+ بجاية+ تلمسان+ حلب+ القاهرة... وأصبحت مُجمّعات علميّة تُقصد من قبل الغرب، وكان هذا الفعل ظاهرًا في النّقلة المؤسّساتيّة في الأندلس؛ حيث نجد الحضارة العربيّة الإسلاميّة أفادت الحضارة اللاتينيّة وغيرها من الحضارات؛ ممّا جعلها تُطبّق ذلك في مُجالات شتى، وأفادت عقولَ مُفكّريها، وشجّعت البحثَ والعلمَ والمعرفةَ وأنشأت مؤسّسات سادت عصرها، وأثّرت في الحضارة المُعاصرة. إلاّ أنّ الحديث قعد بنا الزّمان من تقاعسنا، رغم كثرة دُولنا ومؤسّساتنا العلميّة والثّقافيّة، وقد ينطبق علينا:

كُثُرٌ، ولكنّ عديد لا اعتدادَ له * جمْعٌ، ولكنّ بديدَ غيرُ مُتّسِقِ
حارت عقائدُنا، زاغت قواعدُنا * أمّا الرّؤوسُ فرأيٌّ غيرُ متّسِقِ

فما هو المُخرج والحلّ؟ لا بدّ من منهج جديد؛ منهجٌ يُخرجنا من الجُمود الفكريّ والتّحجّر العقليّ والتّعصّب للرّأي، والزام النّاس بما لم يلزمهم الله به، وبما يُمكن أن يُقال بأننا أهُمّلنا تواصلنا بلغتنا وثقافتنا، وبماضينا المُشرق، ووجدنا أمامنا حضارة غربيّة وصلت إلى أعالي درجات التّقدّم والاكتشافات النّانويّة. هي حضارة انهار شقّت طريقها بقاعدة إسلاميّة وتجاوزتها، ونحن لا نزال ندور في سطحيّة الأفكار، وجدال أسباب التّخلف، ولم نسطع تحريك العقل العربيّ إلى تدبير جديد ولذلك عشنا الضّحالة في أفكارنا، وغاب الرّجلُ المرجعيّة، وانقطعت الفُدوة، ولكن هناك أمل التّغيير الذي سيتلوه الإصرار على ضرورة الأمل والعمل ثمّ العمل.

4. ضرورة التّواصل الحضاريّ المعاصر: إنّه استمرار لذلك التّعايش القديم بين الحضارات التي سادت في فترة زمنيّة مُحدّدة، وتمثّل ذلك في (التّواصل الحضاريّ واللغويّ/ Cultural communication and linguistic) في تواصل بين الحضارات في تبادل المنافع عن طريق اللغة. وتمثّل ذلك في العربيّة واللاتينيّات في تبادل

الكلمات، وخير من يجسّد الصّورة الحقيقة كتاب Nos ancêtres Ce que notre
 La Jean Provost les arabes. langue leur doit وكذلك كتاب Jack Lang الموسوم
 langue Arabe, trésor de France؛ لنرى ما حفلت العربية، وما سوف تحفل به
 من أُسس استكمال اللبّات التي تجسّدت في القرون الوسطى عندهم، وقرون
 العلم عند العرب، قرون عاصمة العلم بغداد العلماء، بغداد بيت الحكمة،
 وحاضرة الأندلس في ملوكها المسلمين وفي جامعاتها العاملة. قرون الانفتاح والتآخي
 ولكم دينكم وليّ ديني، وهذا ما يُؤرّخ له الشّاعر القروي:

يا حبّذا عهدُ بغداد وأندلس * عهدُ بروحي أفدي عودَه وذوي
 يا قومُ هذا مَسِيحِي يُذَكِّرُكُمْ * لا يُنْهَضُ الشَّرْقَ إِلَّا حُبُّنا الأَخْوِي

وسيطلعنا التّاريخُ على عمق التّأثير العربيّ الإسلاميّ بحضارة شريقيّة: إذ نجد
 فيها العربيّة لسانها الذي فتح صفحةً لالتقاء ثقافتين العربيّة الإسلاميّة واللاتينيّة
 المسيحيّة، اتّصلتا وتفاعلتا؛ فتعرّضنا للتّأثير المتبادل عبر عصور التّعاضل المشترك.
 وهذا الرّخم إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على عمق التّواصل الحضاريّ بين أمة
 شريقيّة عربيّة مُسلمة، وأمة عربيّة نصرانيّة لها حضارتها وثقافتها لا يمكن تجاهل
 مُسلماتها وإيجابياتها. وفي كلّ هذا، فإنّ ما نستنتجه إنّ اللغة كانت المعبر الحقيقيّ
 للقوة التي تستند إليها أيّة حضارة تُريد لنفسها البقاء أو الانتشار خارج موطنها،
 وكانت العربيّة المنطلق التي كرّمها الله بكلمه، وجعلها تستفيد منها اللغات في نقل
 العلوم، وتوصيلها إلى مواطن لم تكن لتصلها لولا الدّين الإسلاميّ والتّسامح
 اللغويّ والتّأثير العلميّ وما كانت لتكون في آسيا، وبلاد الأندلس، ودول البحر
 الأبيض المتوسط، وكانت في أوجّ عطائها في العصور الوسطى، وظلّت لخمسة
 (500) سنة لغة المعرفة والثّقافة والتّقدّم الفكريّ. وتمت ترجمة مُعظم المؤلّفات
 الإغريقيّة الكلاسيكيّة العلميّة والفلسفيّة إلى العربيّة في القرن التّاسع.

وانطلاقاً من هذا الأساس، حقّق العلماء العربُ العديدَ من الكتب في العلوم
 والطبّ والرياضيّات.

وكان تعلّم اللغة العربية شائعاً على نطاق واسع في إنكلترا في العصور الوسطى من القرن الحادي عشر حتى القرن الثالث عشر الميلادي. وكانت للعربية السيادة كلغة عولمة بحماية الدين والعلم، وطلّوها أصبح من الواجب وذلك ما يصرّح به بول ألفارو/ (Paul Alfaro) "المسيحيون مُولعون بقراءة الأشعار والقصص العربية، وهم يدرسون فقهاء الإسلام وفلاسفته، لا ليدحضوا ما يقولون؛ بل لتصحيح لغتهم العربية وتنميق أسلوبهم، وهل لدينا اليوم من غير رجال الدين مَنْ يقرأ التّفسير اللاتينية للكتاب المقدّس، أو مَنْ يدرس الأناجيل أو كتابات الأنبياء والرّسل؟ واأسفاه! إنّ جميع شباب المسيحيين من ذوي المواهب يعكفون على قراءة الكتب العربية ودراستها بحماس".

5. كشف الحقيقة: أيها الجمع الكريم، هناك حقيقة لا بدّ أن تُقال، وهي أنّ الثّقافة العربية كانت وسيلة تواصلٍ عبر المُشتركات الخاصّة، وهي في وُدِّ واحترام للمُشتركات العامّة، فعند احترام المُشتركات العامّة تتحوّل كلُّ المُشتركات الخاصّة بصورة طبيعيّة إلى تواصل والتّقاء وتفاهم واحترام، فإذا سادت أجواء الاحترام لا تحصل أيّة خلخلة في أن يتعلّم مُجتمع لغة قومٍ آخرين، وأن يتواصل معهم من خلالها، ويمكن في هذه الحال أن ينظر إلى كلّ مَنْ أجاد لغة -إلى جانب لغته الأمّ بحسابه جسراً بين شعبين/ أمّتين، وحينها نستطيع إقناع كلّ مَنْ يتعلّم لغة جديدة بأنّه يمثّل جسراً جديداً، فتتكوّن القاعدة التقاربية التّسامحية اللغويّة الحضاريّة بين الشعوب الإنسانيّة. وإنّ عدول الأمة العربية الإسلاميّة المعاصرين حملوا همّ انتعاش التّواصل الحضاريّ بين البشر؛ وعملوا على تجسيده من خلال المخطوطات التي زرعوها فيها أمل التّكامل، وهي التي أبانت عن العروبة والإسلام في لُحمة الحضارة العربية الإسلاميّة، ويصطبغ بطابعها، وبعقول أبنائها، وما شيّدته سواعدهم الفتية؛ ليقدم في التّهاية مُنجز العرب المسلمين لغير المسلمين والمهمّ في ذلك هو وجه الدّين الإسلاميّ واللغة العربية. وهنا تكمن الحاجة إلى إحياء تراثنا وقراءته قراءةً حديثه، وترجمته إلى الغرب؛ لتُحقّق التّرجمة أهدافها وهي بريد اللغات، والتي من أهمّها التّواصل بين الشعوب المختلفة والثّقافات المتنوّعة،

وتصحيح صورة العربيّ، الذي أصبح عندهم لا يُشارك في الحضارة الإنسانيّة إلا مُستهلّكًا، وفي ذات الوقت لا بدّ من الاستفادة من المنجز الغربيّ في الحضارة الحديثة لتتواصل بمبدأ العطاء والأخذ. وهذا ما رأيناه من مَهْمَتنا من خلال هذا الاحتفاء العالميّ باللّغة العربيّة أن نُبرز أهميّة التّواصل الحضاريّ؛ باعتباره عُنصرًا مُهمًّا في إرساء جِوار الحضارات وتواصله؛ وباعتباره خيارًا استراتيجيًّا يُؤدّي بالبشر إلى الأمن والاستقرار بتعزيز احترام التّنوّع الثّقافيّ المُضيف، وإرساء مَسلك تربيّة قبول الآخر؛ بِأسس جديدة للتّعاون للإنسانيّ في راهننا.

ومن هنا، فإنّ واقعًا جديدًا بدأ يبرز في إقامة جُسور التّفاهم بين الشّعوب وحرّيّ بنا تهيئة الأجواء والمُعَدّات بما يحفظ لنا خصوصياتنا الدّينيّة واللّغويّة وضرورة التّماهي في القوى التّفاعليّة الثّقافيّة بمبدأ القوّة النّاعمة، من منطلق رابع رابع.

أيّها الحفل الكريم، إنّ التّواصل الحضاريّ ضروريّ، وليس ترفًا، وكما يقول (مالك بن نبيّ) "... الحضارة هي الحاضنة للتّقدّم والمحيط المناسب لإشاعة ثقافة العلم، حين تعطي الفكرة المبرّرات الدّافعة للبدّ والعقل للاستفادة من الوقت... وتبدأ الحضارة حين يتعلّق الإنسان بمبدأ سماويّ... حيث ينتهي القلق والاضطراب، فإنّ أمن الإنسان يتفجّر فيه ينبوع الإبداع والإنشاء". ويتبعه التّواصل الحضاريّ الذي هو الوصل بين طرفين في إطار التّقريب بينهما أو التّعاون، وهو ضربٌ من التّواصل الرّاقّي الذي ينبثق من الإرادة الجماعيّة والرّغبة المتبادلة والإحساس المُشترك، باعتباره ضرورة من ضرورات التّعايش والتّفاهم بين العديد من الأطراف. وربّما يمكن أن نُسمّيها حَلَف الحضارة المعاصرة المَطْلوب تجسيدها تحقيقًا لتعزيز التّعاون الدّولي عن طريق حوار الثّقافات وتحالف الحضارات؛ تدعيمًا للسلام العالميّ؛ بهدف تلاقي اللغات، وتحقيقًا للاندماج والتّناغم الاجتماعيّ عن طريق تبادل معرّفِيّ وتقنيّ.

ونحن العرب من مصلحتنا تعزيز ثقافة التحالف بين الحضارات؛ كوسيلة للتواصل الحضاري وإعادة صورتنا القويّة في الميزان العالمي بما لنا من دين عالمي غير رهباني، ولغة عالية أصيلة، وتراث ضخم، وعمق وجود. ومن الضروري أيها المجمعيون المتابعون ويا أيها الباحثون، بل المطلوب منا ومنكم الدّفع بكلّ ذلك في اتجاه معرفة الإنسان بما عليه أن يجمع بين الجانب الإيماني أولاً، والجانب الماديّ ثانيًا، وهي غلبة المعادلة الحضاريّة من أجل بناء: إنسان+ تراب+ وقت، على رأي (مالك بن نبي) وهذا ما يجب أن نتّجه به لتحقيق توازن صناعيّ غربيّ عولميّ يحتاج إلى حوارٍ تواصليّ من خلال المحافظة على القوانين العالميّة والنّمط العولميّ من غير السّماح للصّدام أن يكون؛ تحقيقًا لأهداف حضارتنا الشّرقية السّاميّة.

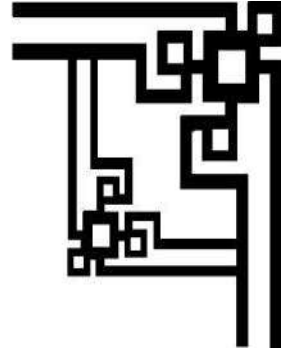
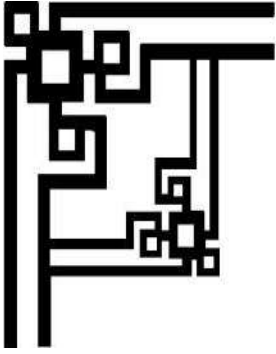
أيها المجمعيون، اسمحو لي أن أقول: من واجب السّياسيين والمجمعيّين والمثقّفين العرب أن يعملوا من أجل تجسيد نقاط الالتقاء بين الشّعوب عن طريق المنطق والعقل، والعمل على بناء أرضيّة مشتركة تعتمد على المصالح المتبادلة والسّعي لتحقيق المثاقفة والتلاقح الفكريّ الذي يسمح بالتأثير والتأثر، وليحلّ التّسامح محلّ نظرة الاستعلاء والاحتقار. وإنّ تحقيق اليوم العالميّ للغة العربيّة يدخل في ضرورة الاعتراف بالاختلاف وبالتنوّع، وبضرورة إشراك الحضارة الإسلاميّة في صنع القرار، وبجعل هذه الحضارة قوّة اقتصاديّة عاليّة؛ ولذا يجب بناء اقتصاد قويّ حتى يكون لنا موقع في صنع القرار.

الخاتمة: إنّ الأصل في الحضارات التّواصل لا الصّراع، وعلينا من خلال هذا الشّعار الالتزام بأداب الحوار، وشروطه وضوابطه، وضرورة احترام المُرْجعيّات والخصوصيّات الثّقافيّة، ليرتقي لقاءنا هذا إلى مستوى سامٍ رفيع، ولا سبيل للتّواصل الحضاريّ الحقيقيّ إلّا بتحقيق قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات (13). وهو سبيل من سبيل التّواصل الحضاريّ، ومن ركائز الدّعوة الإسلاميّة.

ولولا هذه الوسائط الوشيحة التي رسّخها الإسلام لما وصلنا إلى ما قامت تلك الحضارة العربيّة الإسلاميّة التي مدّت جسورها الجامعة بين الشّعوب والحضارات المختلفة، ولولا ذلك ما وصلّت الفنّون والمعارف الإسلاميّة من علوم وبصريات وكيمياء إلى الغرب الأوروبي، في الوقت الذي كانت الجاهليّة تضرب أطناها في عواصم القياصرة والأباطرة.

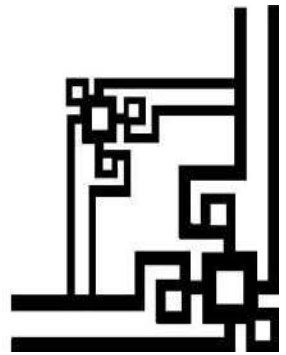
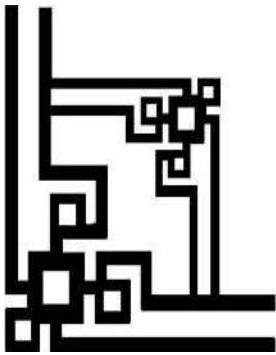
ومن هنا نحتاج إلى مؤسّسات أخرى تعمل في هذا الإطار، مع ما يتبع ذلك من مُنتديات، وأنشطة وجوائز؛ تُعزّز هذا المنحى لِصِفْر صراع في أوطاننا، وتعميق التّعاون لتحقيق المنفعة المتبادلة والفوز المُشترك، وتحقيق الازدهار المتبادل بروح السّمول، وهكذا نُحقّق وصفة الأجداد "الأقوال ورقة، والأفعال ثَمرة": فتعالٍ نُرَمِّمُ الجذور القديمة من أجل الحوار، وتعالٍ نبن جُسورًا جديدةً من أجل الجوار، وتعالٍ نتواصلُ ليجمعنا السّوار، ونستذكرُ حضارتنا ذات الفنار، ولعلّنا نُعيد الكرّة باقتدار.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

54



اللغة العربية قيمة حضارية*



الدَّيْبَاجَة: ليس سهلاً أن تتحدّث عن اللغة العربيّة كقيمة حضاريّة لما لها من ماضي طويلٍ مُبدعٍ، وحاضرٍ غير مُقنعٍ، ومُستقبلٍ مَجهولٍ ومُفزعٍ، في ظلّ المعطيات التي نحتكم إليها كقيمة مَلموسة مُعاصرة. وأمّا إذا نظرنا بالمفهوم الحضاريّ الحقيقيّ، بالفعل إنّ ماضيّ اللغة العربيّة كبيرٌ ومُبدعٌ ومُغدقٌ، ولكنّ حاضرها مشوب بالخوف والقلق، ومُستقبلها في مكان شبه مُغلق. فماذا نقول عن لغة جميلة أصابها الوهم والفشل، لغةٌ فيها كلّ مواصفات الإبداع والتّطوير والجمع بين الأصالة والحداثة. لغةٌ وحيدة يُقرأ فيها وبذاتها ماضيها بحاضرها مع ذلك الامتداد الرّماني الكبير الذي نَيّفَ عن XVII قرناً.

لغةٌ عجزت كلّ الألسنة عن استيعاب تراثها. لغة لها معايير النّجاح في المُستقبل، بما في جيناتها واشتقاقها ومُرادفاتها ما يضمن لها الدّيمومة، وما لها من قُدرة على استيعاب التّقدّم العلميّ واستعدادها للتّنافس، وانتزاعها الأسبقيّة خارج بلادها. لغةٌ سليمة أصيلة سليله أهلها الفطريّين الذين ينطقونها بالاستناد إلى الأغراض التّخاطبيّة حفاظاً على مستويات اللغة: مبنى + معنى + وظيفة. وسليمة غير الفطريّين الذين أبدعوا فيها في بعض المقامات أحسن من الفطريّين؛ فإنّ الكثير من الذين خدموها غير فطريّين في العربيّة. لغة فيها 12.302921 كلمة، ولغة العالم المعاصر الإنكليزيّة تحوي على 600.000 كلمة، والفرنسيّة المعبودة فيها 150.000 كلمة، ولغة الصّناعات الثّقيلة الرّوسيّة فيها 130.000 كلمة.

ألا تلاحظون بأنّ العربيّة 25 ضعف الإنكليزيّة. فهل من مُعتبر؟ ولكنّ لغتنا العربيّة الآن نراها في بعض المقامات تُزفّ إلى النّعش، والمشكلة ليست في ذاتها، بل

* - أُنجِزت هذه الكلمة لثُلّقى عبر التّحاضر المرئيّ بعد في ندوة فكريّة عنوانها (اللغة قيمة حضاريّة) بمُناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة 18 ديسمبر 2022م. وينشّطها خبراء مُتخصّصون من الخرطوم.

في أهلها الذين أضعوا المُمكن، ولم يجدوا المفقود، كما غيّبوا تفعيل الموجود. ولا يزالون يُعلِّون أنفسهم بالمستحيل الذي لم يفعلوه، وبِعقلية أَلَا نبدأ إلاً بنجاح مُسبق يضمنه سوء التفكير دون حُسْن التدبير... ضياع في سراب بقية، والعربية ليس فيها ما يشين ولكن نحن قصّرنا فيها وبدت ضعيفةً تُهين، ونحن الضعاف والنيام، فمتى نستفيق أيها الأنام؟

. اللغة فِكْرٌ وإبداعٌ: لتكون اللغة مفخرةً أهلها، كان عليها أن تُبنى عمّا في نفوس ناطقها من أفكار تعمل على تسهيل أعمال الحياة اليومية، وتكون الأفكار مُتجددة وخاضعة للاختراع والإبداع، وما يتبعها من مؤثرات مُستحدثة بشكل طبيعي على غرار لغات العلم والحضارة التي تجد نفسها تُسائر الفكر والتطور والتجدد، وتقوم بأداء رسالتها تجاه الحضارة. وفي كلّ هذا يكون السعي في ربط اللغة بالفكر لتكون لغة حيّة غنيّة وذات صلة بالتقدّم، كي لا تتأخّر عن التيار الحضاريّ وإلاً لحقها الانهيار والموت.

ويربط الفكر بالإبداع، ومن ثمّ تحصل للغة القيمة الجوهرية الكبرى في حياة الأمم والشعوب. وهذا ما نريد وعيه في العربية أن نُعيد لها وعيها اللغويّ، ونربط ماضيها الأصيل بعصرها المتطور كقيمة حضارية لمواصلة فعل التّحضّر، والرفع من قيمة المُبدعين وكبار السّياسيين الذين كانت لهم بصمات. ومن خلال ذلك نرفع التّزوير عن تاريخنا بلغتنا، ونقول إنّ العرب أسهموا في تحريك عجلة البحث عند الغرب؛ ليكون لهم موقع في الحضارة العالميّة يوم كانت الحضارة العربية منارة العالم، بينما كان الهلع يهزّ (شارلمان) وحاشيته وهم يستمعون لدقائق ساعة هارون الرّشيد المُهداة وأنّ نُعلم أولادنا بأنّ الغرب أعملَ فينا التّدمير، وأنّ (ناپليون) أنجز القتلَ في بلاد مصر، وهو الذي قال "أن الأوان أن يعود اليهود إلى بلادهم".

ومن خلال وعينا اللغويّ يأتي الوعي الحضاريّ، فنكتب عن عمق الحضارة العربية الإسلاميّة؛ بما لها من رجال أسهموا في بنائها، ألم يكن لنا (خالد بن الوليد) الذي حطّم إمبراطورتي: الرّوم والفرس، و(ضرار بن الأزر) المُسعى

(الشيطان عاري الصدر) الذي حطّم مَعنويات عشرين (20) قائدًا غربيًا، أليس لدينا (الققعاع بن عمر التميمي) والجيش العربيّ لا يُهزم بوجوده، و(يوسف بن تاشفين) المنتصر على الصليبيين في الأندلس، والقائد (موسى بن نصير) فاتح شمال أفريقيا والبطل العظيم (طارق بن زياد) الذي دخل الأندلس بقليل من الجُنْد المُتطوِّعين وانتصر و(هارون الرشيد) الذي يحكم من الصَّين إلى الهند و(عمر بن عبد العزيز) الذي كان يزرع القمح في الجبال كي لا تجوع الطيور، ولدينا الكبار: (عبد الحميد بن باديس) (شكيب أرسلان) (محمّد رضا) (محمّد عبده) (مالك بن نبي)... وغيرهم كُثُر يحتاجون إلى تمجيد وافتخار، فمن تاريخنا نستمدّ حضارتنا، فمن لا تاريخ له لا مستقبل له.

وإذا ذكرنا هؤلاء الأماجد؛ يعني نذكر المنجزات الحضاريّة الخالدة، وكان هؤلاء الصّانعون رموزًا لها، إضافة إلى قدرة اللغة العربيّة على الاستجابة لحاجات تلك الحضارة ومستواها العلميّ الرّفيع، ويعني كلّ هذا بأنّ أزمة التّهمزة المعاصرة ليست في اللغة، وإنّما في مَنْ يتعامل مع اللغة.

وهكذا نرى تلازم اللغة بالفكر عندما يحصل التّناغم بين مُنتجّي اللغة (فكر) وصانعي حضارة اللغة (إبداع) يحصل التّناغم عندما يكون المثقّف والسّياسي في خطّ حسن الأداء، تخطيط واستشارة وتنفيذ. وفي ذلك التّناغم حصل التّلازم بين حضارة العرب؛ حيث كانت اللغة العربيّة أداة التّعارف والتّثاقف والتّلاقح بين البشر، وهي ثابتة في أصولها وجذورها وقدرتها على التّلقي والتّفاعل والتّطوُّر فانبتت عن أصلاتها فعلٌ حركيٌّ مستقبليٌّ مُتجدّدٌ، وعمّ مُختلف القارات، وأصبحت العربيّة عالميّة كونيّة بعد انتشار الإسلام في الآفاق. ولكنّ الصّراع المعاصر هو من يملك الحَدَث ويصنعه بحضارته، ومن يصنع الحَدَث يصنع الفكر، وكيف نبعث الفكر في هذا الجيل الذي يعيش بين التّغيير والتّأثير، وكان عليه أن يحسن فِعْل التّدبير، وهذا ما يحتاج إلى استراتيجيّة تغيير الوضعيّات، والأخذ بالمصلحة المُشتركة، وإيجاد آليات حديثة تسير مع الحركة... وهذا ما لم نصل إلى تجسيده بسبب الاستمّزاء بإعداد الاستراتيجيّات، وضعف حبّ الأُمّة والوطن، ونقص

الاهتمام بمنظومة القيم. ولكي يكون ذلك سريعاً، كان علينا الاهتمام بمعالج الأمور، والابتعاد عن المقارنة، والتركيز على الإيجابيات وتعزيزها، والتقاعس عن ذكر السلبيات، والعمل بقاعدة (ضَبَطْتُكَ وَأَنْتَ تُحَسِّنُ صُنْعًا). وهي رسالة تُوجّه لهذا الجيل، وقوة الرسالة في الوسيلة، والوسيلة الحديثة هي شبكات التواصل الاجتماعي. وعلينا التماهي فيها وفي القوة الناعمة لصناعة المعرفة لمجتمع ينشد المعرفة، فنفكر أكثر ممّا نقرأ، ونتدبر الأمر قبل المغامرة، ولا نغامر إلا بمضمون النجاح، ولذا علينا الاستثمار في هذا الجيل، فصناعة الأجيال هي التي تصنع الأوطان.

. الجيل المعاصر والتدوير اللغوي: لقد لحقنا الاستعمار اللغوي المقيت والذي حاربنا في لغاتنا، فما تزال بعض الذهنيات تابعة للانجذاب اللغوي الغربي، ولا تنظر إلا من زاوية لغة فرنسية واحدة؛ فكأن العالم مختصر فيها، ولا يبقى إلا بها. وغنيمة حرب لا تزال بها نفاخر، ولذلك افتقدنا القدرة على أن نكون نحن ولبسنا لباس الغير علنا نكون، وهو بخس ذاتي، فنسعى بقوانا للانفصال الذي أوصى لنا به الكولون، ونفضل الهجرة والاهتجار؛ لأنّ الغير أغرانا، فنركب بواخر الموت لتنتقلنا إلى الضفة الأخرى، والآخر يُسجرتنا، ونستأجر لغته ونترجاه أن يقبل، فأصبح الأجنبي يُملي ما يريد، ونقبل دون مناقشة ما يريد؛ لأننا لا نرى إلا بعين الآخر. فحصلت أزمة في المواطنة اللغوية، فالأزمة أزمة السن وأزمة الفرنسية المعبودة، فكيف نتدبر الأمر؟ وإنّ التاريخ يحدثنا بأنّ الفكر اللغوي العربي بدأ بـ(الخليل بن أحمد) في القرن VIII الميلادي بتأسيس معجم للعربية وتميّز سيبويه بالتقعيد الصوري للنحو، ثمّ جاء بعده الرّجائي بعِلّ والجرجاني في تمثله لعلاقة اللغة بالفكر، وظهرت اللسانيات حديثاً تحمل ثورة معرفية مسّت الذكاء الاصطناعي والعصائيات، فأين موقعنا في الحاضر؟

لقد رحل المبدعون دون أن يكون الخلف في مستوى السلف، وكما قال (ابن حزم) "إنّما يُفيد للغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولها ونشاط أهلها. وإنّ اللغة يسقط أكثرها بسقوط أهلها، ودخول غيرهم عليهم". ومتى نكون مثل الشعوب

المتقدّمة أن نملك اللغة الكونيّة للوصول إلى المعارف الكونيّة، والتحكّم الرّافع في اللغات الوطنيّة التّداوليّة (Lingua franca) للتّواصل البيئيّ من حجم كبير؛ حجم اللغة الأمّ/ لغة المنشأ (Mother tongue) وتسهّل التعلّم المبكر. ومتى يحصل لنا وعي لغويّ خارج فكر وتوجهات المستدمر، ونعلم أنّه لم يرتق شعب بغير لغته، ولا تأهيل ولا مقام دون ألسن الهويّة، والعربيّة تحتاج في هذا الظّرف إلى العمل على تجديد متونها وتطوير أدوات البحث والتّعليم فيها وبها، والتّهوض بمكوناتها وتثمين الذات العاملة على المتون اللغويّة، والعمل على التّرجمة، وتوفير الدّعم السّياسيّ.

كان علينا أن نتدبّر أمر لغاتنا بالبحث عن إعادة النّفس إلى برامجنا ومشاريعنا وإدخال الحماس إلى باحثينا وطلابنا، وعلينا أن نعي بأنّ إقامة مجتمعات المعرفة تحتاج إلى الاستفادة من التجارب المتراكمة، وتحتاج إلى الانفتاح على الآخر. وفي كلّ هذا علينا الخروج من فكر الاستعمار اللغويّ العنيف الذي يستصغر اللغات الوطنيّة، ولا يحترم النّسق الرّمزيّ في تماثلات وطنيّة. ونؤكّد علنًا ضرورة تدير سياسة جديدة في استراتيجيات بناء اللغات الوطنيّة؛ بالخروج من الوضع الهشّ الذي تعيشه، وبخاصّة في قطاعات حيويّة مثل التّعليم العالي، والاقتصاد والتّواصل الخارجيّ والطّب، والهندسة، والفيزياء، والكيمياء، والبيولوجيا، ومختلف علوم الحياة.

كما يمكن أن تحصل مراجعة في المكاسب إذا حصل إضعاف إراديّ للغة بتقليص حجمها في الاستعمال في الإعلام وفي المدرسة، وحصل تفضيل لغة على أخرى، وتقليص وظائفها الإداريّة. فلا خير في القهر اللغويّ ولا خير في اللاعدالة لغويّة، ولا خير في من تخلى عن لغته من أجل الخبز والمال ولا خير في شعب تخلى عن وطنه الثّقافيّ المحليّ في بيئته اللغوية الأولى، أو عوّأ أجداده.

عنّف فرنكفونيّ عندنا يريد إخضاع كلّ السّاكنة لمنطق لغته فقط وهذا نوع من التّجريد من المواطنة، نريده أن يزول، ونسمح فكره من مشهد النّاشئة. ولا ننكر أنّ الفرنسيّة لغة علم من الضّروري الاستفادة منها في حدود قطبها فقط، وأمّا الفرنكفونيّة حركة إيديولوجيّة تسعى لتحقيق مصالح استعماريّة وتوسّعيّة

ثقافية واقتصادية، بغرض الإلحاق والسيطرة والتّمكين للفرنسيّة في غير موطنها ومحاربة اللغات المنافسة لها.

. اللغة العربيّة جوهرة الإسلام: لقد انتشرت العربيّة بقوة الإسلام، واستطاعت أن تأكل مُعظم اللغات القويّة وهَيَمَت على اللغات المحليّة في كثير من البلدان وبخاصّة في شمال أفريقيا، بل إنّ أفريقيا كانت تُلقب (قارة اللغة العربيّة) وأصبح الحرف العربيّ عالميًّا؛ أخذت به مُعظم اللغات، فتعولم وانتشر، ونالت العربيّة موقعا في بلاد الأندلس التي كانت فتحًا للغربيين في ظلمات العصور الوسطى ومن خلالها وبها انبثق فجر ثورة البخاري الغرب.

لقد استوعبت اللغة العربيّة ثقافات وحضارات عريقة على مدى التاريخ، تعاركت معها وتفاعلت، وخرجت منتصرة بما فرضته من خصوصيات جعلت الأمم تحتفي بها وبحضارتها واشتركت مع بعض اللغات في الكثير من المفاهيم والأفكار، وجعلت القرآن ركنًا أساسًا من ثقافتها، ومن لغة القرآن جوهرة الإبداع والتلقي وصياغة الأفكار. وبكلّ ذلك مكّنت العربيّة لتكون قادرة على مواكبة الحضارة الإنسانية، تأخذ من غيرها ما يلزمها، وتعطي لغيرها ما يلزمها، وهي اللغة الوحيدة التي حافظت على وجودها، وأصبحت لغة عالميّة تسير مواكب الحضارة الإنسانيّة. وهكذا فإنّ ما لا يقع فيه خلاف أنّ الحقيقة اللغويّة هي ارتباط اللغة بحضارة أصحابها؛ فاللغة والحضارة تتناسبان طردّيًّا، تنمو وتزدهر بازدهار ناطقي اللغة، وتضعف بضعف أهلها. وكما قال فيخته "اللغة والأمة أمران مُتلازمان ومُتعدلان".

. اللغة العربيّة وتجربة الحضارة الإسلاميّة: انتشر الإسلام بالمحبّة وحُسن مُعاملة التجار في المُقايضات وفي المُعاملات التي نصّ عليها الدّين الإسلاميّ بما له من قيم، ولم يفرض لغته على أيّة أمة، بل كان هناك فراغ لفهم الإسلام وحصل للعربيّة أن تعولمت في كثير من الأمم سيّرًا على قدم وساق مع الإقبال على اعتناق الإسلام الذي يحمل في ذاته إقبالًا على تعلّم اللغة العربيّة، حتى غير المسلمين اتّخذوا من العربيّة لسانًا لهم، وحصلت لها قوّة دعائم الأدب العربيّ والنحو

وصناعة المعاجم ومُختلف المُتون. وبذلك أصبح للعربيّة الرّواج خارج مَواطئها في تواصل لغويّ حضاريّ نفى الأعراق والأجناس والبلدان.

وإنّ تجربة الحضارة الإسلاميّة كانت العربيّة درعَ الإسلام، بما لها من انتماء لحضارة مشرقية عمادها: الإسلام+ العربيّة لغة الإسلام، وهو مظهر من مظاهر الشّعور بالهويّة والتّميّز، بالإضافة إلى المرجعيّات الأخرى من مثل: التّاريخ والدين والاقتصاد إلخ... ونرى هذا التّلازم عنصراً أساساً في بناء هويّة كلّ فرد من هذه الأُمّة العربيّة. هذه اللغة التي اكتسبت أهمّيّتها من الدين الذي ميّزها بالبيان والبالغة والإعراب... وما صاحبها من ابتكار وتجديد، وقدرتها على التّكيف والإبداع في مختلف العلوم.

ومع كلّ هذا، فإنّ العربيّة تستمدّ قوّتها من استعمالها وتوظيفها وتدرّس العلوم بذاتها وفي ذاتها، وتقتضي الضّرورات الحضاريّة وجودها في فضاء العالم الرّقميّ بشكل واسع، لتكون واسطة مثقفة لنقل العلوم إليها ومنها. وليكون لها المحتوى الرّقميّ لا بدّ أن تكون لغةً مرجعيّةً، ولا تبقى في الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربيّة، أو اليوم العربيّ للغة الضّاد؛ وهي تعيش التّضاد من أهلها، ومن لداتها المحليّة والأجنبيّة.

على العربيّة أن تستمدّ قوّتها من قوّة النّاطقين بها؛ كما تستمدّ قوّتها من انفتاحها على ثقافة الآخر، واستيعابها لمفاهيمه ومفرداته وألفاظه. وبذلك تزداد أهمّيّتها بمكانتها بين اللغات، وهو السّبيل الأمثل للإبقاء على مجال للحوار والتّواصل بين الحضارات، ولا يتحقّق من إجماع النّاس جميعاً على لغة واحدة؛ وإنّما يكون في وفرة التّنوع اللغويّ وتعدّد اللغات. وفي هذا المجال من الأهميّة بمكان الحديث عن دعم ورعاية التّرجمة والمسرح والأفلام والأدب العالمي، والنّشر الإلكترونيّ... هي مكوّنات تدعم العربيّة في راهنها الذي يعرف بعض التّأخير.

والحقّ يقال، إنّنا مُطالبون اليوم أكثر من الماضي الاعتبار من نجاح النّهضة العربيّة الحديثة لو لم تُقوّض في السّنوات اللاحقة؛ حيث كان الاهتمام بالعلوم الإنسانيّة، ومنطلقها الطّهطاوي+ الأفغانيّ+ محمّد عبده+ ابن باديس + البشير

الإبراهيمي+ مالك بن نبي... وهذا الرّعيّل قطع شوطًا كبيرًا في عمليّة التّحديث في البنيات الفكرية العربيّة العتيقة بفكر مُستنير؛ عبر خلق توافق بين مُتطلّبات الحياة المدنيّة المعاصرة، وبين الدّين الإسلاميّ وقيمه السّميحة، وكانوا يغرسون الثّقافة العربيّة الوسطيّة من خلال الشّعْر العربيّ واللغة العربيّة؛ كُون العرب كتلةً قوميّةً اغتنت بالتّأثير اللغويّ دون النّوبان في فكر فارس أو تركمان أو هنود أو مازيغ.

والعبّرة في ذلك الجيل أنّهم استلهموا حضارتهم في جانبها الإنسانيّ بدايةً بالفلسفة والمنطق والتّصوّف والأدب، ثمّ تلاها الفلك والطبّ والرياضيّات والجغرافيّة، وكان العقل مُبدعًا مُنفتحًا على معارف مُتنوّعة. هي عظمة استثنائيّة ارتكزت على التّعبئة النّفسيّة، وكانت حتميّة حاملة لمزيد من المفاجآت والمُنافسات، وتتوسّع إمّبراطوريّة العرب بالفكر الفلسفي والرياضي من أرسطو إلى بطليموس، وتصحبها التّرجمة الواعيّة، ووصلت مع نهاية القرن X إلى نهايتها بعد أن استنفدت موادها، وبدأت الأعمال الأصليّة تظهر وتزداد. وكان توسّع الفكر العلميّ مُتمشيًا مع انتشار الإسلام واللغة العربيّة بصفتها لغةً تواصل جديدةً بامتداد كبير وصل إلى الصّين، وأزاحت لغات كانت قويّة مثل السّريانيّة واليونانيّة، فهل يعود بنا الزّمان ليجود بالرجل الرّشيد؛ الذي يقودنا إلى مكمن الحضارة من جديد.

. التّفاعل الحضاريّ بين العرب الموريسكيين والأوروبيين في عصر الظّلّمات: استنادًا إلى كتاب (التّفاعل الحضاريّ بين الأندلسيّين وبين الأوروبيين في العصور الوسطى) للباحثة (ريما محمّد درنيقة) المؤسّسة الحديثة للكتاب، ط 1، 2018م. ونرى بأنّ الحضارة ملُكٌ للإنسانيّة، لأنّ لكلّ أمة إسهاماتها النّسبيّة، إسهامات جديدة أو إسهامات تطوريّة إضافيّة لحضارة خلّت. فلقد عاشت الحضارة العربيّة الإسلاميّة ستّة (6) قرون بزيادة جبارة، أعطت أكثر ممّا أخذت. وهذا بين القرن الأوّل= السّابع الهجري، والقرن السّابع= الثّالث عشر الميلاديّ.

في هذا الوقت كانت أوروبا تعيش عصر الظلمات. وكان الغربيون لا يعرفون الكتابة، وكانت الكتابات الإسلامية عامرةً بالمجلدات، ومكتابات أوروبا لا تحوي إلا على قليل من الكتب الدينية. وحصل تفاعلٌ أوليٌّ في الحروب الصليبية، وعبّر التّجار بين حضارة مزدهرة؛ وهي الحضارة العربية الإسلامية، وبين حضارة غربية مسيحية تعيش الجهل المطلق.

ونستنتج من هذا، إنّه حصل لنا السّبق في تأسيس حضارة راقية عمادها: الدّين الإسلاميّ، ولغتها العربيّة، وكان لأجدادنا موقع في جزيرة إيبيريا ثمانية (8) قرون. ومن صقلية نالت الحضارة العربيّة الإسلاميّة الانتشار. وكانت الأندلس البوابة الكبرى للمدّ الحضاريّ العربيّ الإسلاميّ، وخلال ذلك نتج عطاءً صناعيًّا عربيًّا أنقذ الغرب من تخلفه. كمّ من بعثة علميّة غربيّة أُوفِدت إلى بلاد العرب للتّعلّم والحرفة واقتباس ألوان الحضارة والتّمدّن، كم أعطت العربيّة للغات الغربيّة من مصطلحات ومعارف ونظريات، كم كانت متفتّحة على الأخذ والعطاء كم تفاعلت مع كلّ اللغات دون مشكلة صراع لغويّ.

إنّ التّزيهين من الغربيّين لا ينكرون دور العرب في التّهضة التي أحدثوها في الأندلس تحت لواء الإسلام ومن طوّر مدينة قرطبة التي عرفت الازدهار الأوربيّ، أليس حاكمها عبد الرّحمن الثّالث. 300-350هـ / 912-961م، بلى، وكانت أكثر المدّن رفقة في الثّقافة وأصبحت تنافس مدينة بغداد. وكانت للعربيّة السّيادة في العلوم وفي البحوث وفي الإبداع، واشتهر الطّب العربيّ لحاجة النّاس إلى التّداوي، وكان الإقبال عليه في كلّ مكان. ولا يوجد عالم أندلسيّ لا يعرف العربيّة، هي مؤشّرات الثّقافة الإسلاميّة.

الأندلس أيّام مجد العرب، ظهر (ابن النّفيس) مكتشف الدّورة الدّمويّة، وكتاب القانون (لابن سينا) 25هـ / 1037م، وكان عمدة الدّراسات الطّبيّة في جامعة السّربون إلى غاية 1658م، والصّيدلانيّ المشهور (عبد الله بن أحمد بن البيطار) المالقي 646هـ / 1248م، و(ابن الهيثم) صاحب الكيمياء، والجغرافيّ (الإدريسيّ) محمّد بن أحمد) 560هـ / 1196م. هم علماء عرب بحكم الإسلام، حضارتهم

مشرقيّة، علماء لامعون كانوا في الأندلس وطلبة أندلسيين، وبعضهم هاجر إلى المشرق لتلقّي العلوم. في هذا الرّخم العلميّ حصل إبداع الشعراء الأندلسيين في المؤشّحات والزّجل الذي أخذ شكلاً عروضياً سابقاً من حنين شعريّ يقرب إلى الرومانسيّ في شعر التّروبادور. وكان ذلك جليّاً في تأثير (ابن حزم) الأندلسيّ في هذا الشّعْر من خلال (طوق الحمامة)، وكتاب (حي بن يقظان) لـ (ابن طفيل) الطّبيب الفيلسوف والذي يقول:

شربنا على ذكر الحبيب مُدّامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرمُ

وفي كلّ ذلك حصل التّبادل اللغويّ، ويقول الباحثون بأنّ اللغات الإسبانيّة (القشتاليّة+ البلنسيّة+ القطلونيّة+ البرتغاليّة) تأثّرت بالعربيّة من خلال الشّعْر العربيّ، وذلك ما ظهر في مجامعها، ومن استعمالها الألفاظ العربيّة في حياتهم التّواصلية اليوميّة، أضف إلى ذلك أنّ العربيّة كانت لغة العلم، ولغة عالميّة قادت البحوث العلميّة والرّحلات الاستكشافيّة إلى أمريكا اللاتينيّة، وما صاحب ذلك من عمل التّراجمة الذين جعلوا العربيّة لغة مصادرهم، كما تلوّنت موسيقاهم بالريتم العربيّ، وحصلوا فيها الصّناعة الموسيقيّة بما حسّنه مُراد السّمع، ومرتع النّفس وربيع القلب، ومجال الهوى، وزاد الرّكاب لدرجة أن أصبحت الموسيقى العربيّة ثقافة عامّة الأندلس.

وكذلك تأثّرت فنّ العمارة العربيّة في فنون الرّخرفة، وظهر ذلك في المساجد وفي الحدائق العامّة، وفي القصور وفي الرّهراء، وقصر الحمراء بغرناطة، وقصور إشبيلية التي بناها (المعتمد بن عبّاد) وبقي لحد اليوم في الكاتدراليّات. وهناك أبراج سامقات، وقلاع وحصون وجسور وقباب وأقواس لا تزال تقول: هذا بناء عربيّ إسلاميّ، وهذه أنظمة الرّيّ، وهذه قناة جلب المياه للمنازل والحمامات، وهذه مصانع صناعة الورق والرّجاج والخزف والفخّار والمنسوجات والصّناعات المعدنيّة.

وكما يُقال: آثارهم تدلّ عليهم، وقد مرّوا من هنا. ويقول شاعر:

بأربعٍ فاقتِ الأمصارَ قرطبُهُ * مِنهنّ قنطرةُ الوادي وجامعُها
هاتانِ ثنتانِ والزَّهراءُ ثالثُهما * والعلمُ أعظمُ شيءٍ وهورابِعُها

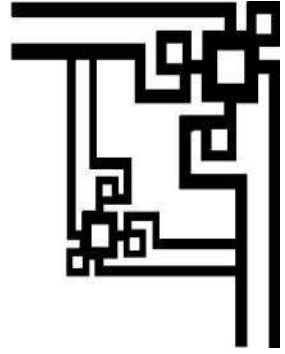
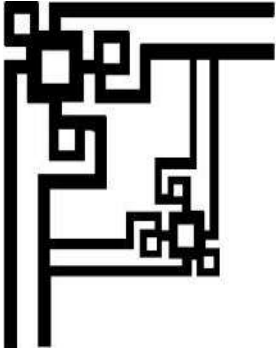
هو تفاعلٌ حضاريٌّ بين ضفتين مُتجاورتين كلٍّ منها أثرٌ في الآخر بمقدارٍ يختلف؛ فالأندلسُ تأثرتُ بالعرب، والأندلسُ أثرتُ في الأوربيين. ونقرّ بأنّه ما من حضارةٍ تظهر لا تنطلق من ذاتها، بل تعتمد على الحضارة السّابقة، وبإسهاماتٍ نسبيّة. وبكلّ ذلك كُبرتِ الأُمّة العربيّة بأثرها في الآخرين، وعظُم مقدارُها بما قدّمته للبشريّة من علوم ومعارف واختراعات؛ أسهمت في رفاهيّة النّاس، وقلّصت من المعاناة، وبذا نرى بأنّ الحضارة العربيّة الإسلاميّة كان لها وقعٌ عند الآخر في العصور المظلمة، وأعطت أكثر ممّا أخذت.

الخاتمة: إنّ أفضل خدمة تُقدّمها للغة العربيّة اليوم هي صناعة المحتوى الرّقميّ النّاطق باللغة العربيّة؛ لأنّ إثراء المحتوى العربيّ على الشّابكة مسؤوليّة كلّ فرد يستطيع صناعة محتوى عربيّ على أيّة منصّة إلكترونيّة، ففي لمسة الفنان والشّاعر والكاتب نصنع الحوار الحقيقيّ الفعّال الذي تَسْقُط فيه الحواجز ويتفاعل فيه المجتمع في حوار داخل اللغة ذاتها من جانب، ومع اللغات الأخرى من جانب آخر. وكان علينا أن نعلم بأنّ اللغة تتأثّر بما حولها، وهي ليست مُجرّدت ثابتة مُنطلقات عامّة، بل هي وسيلة الشّعوب للتعبير عن مُدركاتها وحاجاتها ووسيلتها للتعبير عن الواقع، وبالتالي لا يكون فقرُ لغة ما من المطبوع العلميّ نتيجة عجزها عن استيعاب العلم؛ بقدر ما يكون لضعف الواقع العلميّ أو تدهوره في المجتمع الذي ينطق تلك اللغة.

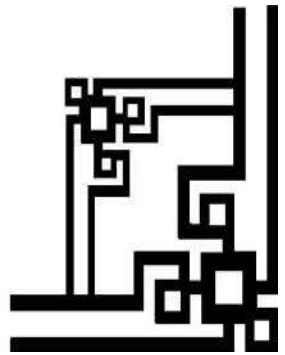
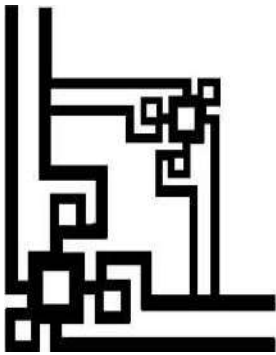
كان علينا أن نعتبر من نهضة أوروبا حديثاً والتي تعلّمت منّا وسارت في مجرى التّغيير والإبداع، فأفلحت، وهي تقود اليوم حضارة العصر؛ بوصفة تطوير فنون العرب؛ فحصل لها الإبداع بدءاً من أواسط القرن VIX الميلادي، وقد اهتمّت أولاً بالعلوم الإنسانيّة، وركّزت على موضوعات: الحرّيّة+ التّعصّب+ التّسامح+ الاهتمام

بالتراث+ خوض ميدان ثورة البخار. فكان مفتاح التطور في إحياء التراث الكلاسيكي، وكان موطنه إيطاليا فعملت إيطاليا على إحياء تراث الرومان، كما حددت مراتب النهضة في التراث الكلاسيكي؛ بالاهتمام بالشعر، والفلسفة والفلك والطباعة وإصلاح الكنيسة، ورعاية علماء النهضة رعاية كاملة من قبل المسؤولين، واستقبال العلماء المهاجرين... وقد شكّل لهم ذلك قوّة مُنتجة للعلم، مكنتهم من الصدارة في ثورة المعلومات. وكانت النهضة الأوربيّة تجربةً إنسانيّةً جيّدةً وفدّةً وخصبةً، وكان محورُها الإنسانَ في تقويم سلوكه قبلَ منوّجه الآليّ، وسيطرته على الآلة لا سيطرة الآلة عليه. وبذلك تحقّق التراث اليونانيّ والرومانيّ، ودُرس دراساتٍ وافيةً أخضعتهُ للنقد، ومن خلاله استلهمت قيمٌ وأفكارٌ جديدةٌ؛ أسهمت في إرساء قواعد الحضارة الأوروبيّة.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



أَنسْتُ حَبِّكَ فاقْبَلِينِي *



الدَّيْباجَة: إنَّه لمن المَسْرَة أن نحتفي بهذه المُناسبة العالَمِيَّة الكَبيرة بِمَلِكة اللُّغات (اللُّغة العَرَبِيَّة) في يَوْمِها بِعنوان اليونسكو (اللُّغة العَرَبِيَّة والهَوِيَّة) ونحن نحتفي به في هذا اليوم الأغرَّ بِإضفاء الرِّعايَة السَّامِيَّة من السَّيد رئيس الجُمهوريَّة (عبد المجيد تَبون) الذي يرعى الشَّهر لثاني سنة، وكان له السَّبِق في هذا المَجال وكانت للجزائر الرِّيادة في الاحتفاء بشهر العَرَبِيَّة. وتعلِّمون تلك المَواقِع التي نلناها السَّنة الماضيَّة في الدَّاخل وفي الخارج، ونعم الدَّكرى الجميلة التي غيَّرت نظرتها تجاه هذه اللُّغة.

اللُّغة العَرَبِيَّة والهَوِيَّة، ماذا عساني أقول، وما أقوله ليس من المكرور، فيا أيُّها الجُمع المُختار، بِكُم اليوم نمناز، في رحاب يوم العَرَبِيَّة الفَخَّار، وفي كلِّ بقاع العالم والأُمصار، تجري احتفائياتٌ على المِقدار، في لغة لها الافتدار، بما لها من فصلُ البيان السَّار.

هي العَرَبِيَّة التي أعشقتها، ولا أشكُّ في قدراتها؛ فهي عِشقي في أوَّل مدرستي، وهي بياني في كتاباتي، وهي الشُّوق في استعمالي وفخري في عِشق شوقي، فشاق شوقي لها، ولما تمنيتُ عِشقها، جاءني عِشقُ العاشقين فتلاقيا، وقال الثَّاني للأوَّل: إذا شككت فيك كمن يشكُّ في نفسه، وكأني بتلك الكلمات الشَّاعرة على لسان هذه اللُّغة تقول لي:

أَكادُ أَشكُّ في نَفسي لأنِّي * لا أكادُ أَشكُّ فيكَ وأنْتَ مِنِّي

* - الكلمة التي ألقاها رئيس المجلس الأعلى للغة العَرَبِيَّة في اليوم العالَمِي للغة العَرَبِيَّة. بتاريخ 18 ديسمبر 2022م، في المكتبة الوطنيَّة بالحامة.

المُقدِّمة: في هذا المقام لا يعلو كلام على قوله تعالى ﴿ووهبنا لهم من رَحْمَتِنَا وجعلنا لهم لسان صدقٍ علياً﴾ مريم 50. ﴿واجعل لي لسان صدقٍ في الآخرين﴾. الشعراء 84. ولقد كانت اللغة العربية مملكة بلا حاكم، حتى جاءها القرآن فأحكمها وعقلها وجعلها معجزة ثابتة في مبنائها، مُتغيِّرة في معناها، فما أصغر حروفها، وما أكبر جذورها، وما أوسع عباراتها، وما لا نهاية في كلماتها وبها اتسعت الرؤيَّة، وعلت الهمة، لعرب الأمة الذين "... لم تفتخر قطُّ بذهبٍ يُجمع، ولا دُخْر يُرفع، ولا قصرٍ يُبنى، ولا عرسٍ يُجنى، إنما فخرها لغةٌ هويَّة تُعلى، وشعرٌ يرقى، ونثر يبقى، وعدوٌّ يُغلب، وثناءٌ يُجلب، وجُزُرٌ تُنحر، وحديثٌ يُذكر، وجوُدٌ على الفاقة، وسماحةٌ بحسب الطّاقة، فلقد ذهبَ الذهبُ، وفنيَ النَّسبُ وتمزقتِ الأثوابُ، وهلكتِ الخيلُ العرابُ، وكلَّ الذي فوق الترابِ ترابُ، وبقيتِ المحاسنُ تُروى وتُنقل، والأعراضُ تُجلى وتُصقل". وأراني في عزِّ هذا اليوم أتحدّث بكلمات مازجًا بين خليط سِقْط اللّوى، ودار عبلة بالجوى، وبتصرّف في الشعر في بعض المقامات، والتي اخترتُ منها بعضَ العبارات، وبين منطِق اللّغة التي حباها الله وفضّلها لتكون وعاءً لكلِّمه، ولساناً ليشرِّه، ومفتاحاً لعلمه:

إنّ الذي مألّ اللّغاتِ محاسناً * جعلَ الجمالَ وسرّه في الضّاد
لغةٌ إذا وقعتْ على أسماعنا * كانت لنا بزداً على الأكباد
وتظللَ رابطةٌ تُؤلف بيننا * فهى الرّجاءُ لناطقٌ بالضّاد

وقال الشّاعر:

لغةُ القرآنِ يا شمسَ الهدى * صانكِ الرّحمنُ من كئيدِ العدى
هلْ على وجهِ الثّرى من لغةٍ * أحدثتْ في مسمعِ الدّهرِ صدى
بكِ نحنُ الأُمّةُ المُثلَى التي * تُوجزُ القولَ وتُزجي الجيِّدا

وإني أحبّ وبعضُ الحبِّ قتالٌ، ولو فتحتم شراييني، لَسَمِعْتَم مَواويل طَبال وما لقلبي إذا أحبّ ما هو جراح، حيث اللّغة ترتاحُ. هي عربيّة القلب واللسان، هي السّحر والوجدان، عربيّة ليست ككلّ اللّغات، لغة قالت فيها الباحثة الألمانية

العالمية (زكريد هونكا/ Sigrid Hunke) "كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم، وسحرها الفريد؟ فجيرانُ العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة". لغةٌ عجيبةٌ بما لها من مرونه لا تجدها في باقي اللغات، وانظر لمثل هذا البيت الذي يُقرأ من النهاية، وهو نفسه من البداية، فما أجملها من لغة!

مَوَدَّتْهُ تَدوْمٌ لِكَلِّ هَوْلِ * وَهَلْ كُلُّ مَوَدَّتَيْهِ تَدوْمٌ

إنَّ العربيةَ بالفعل ليست ككَلِّ اللغات، وتأمَلْ فيها؛ وهي تحمل معاني الحياة والمحبّة والتّواصل والعلم والوجدان، وهذا يتوقّر في اللغات الأخر بنسب متفاوتة وليس بالشكل الكلي والواقعي والعاطفي والتنوّع والمتكامل الذي في العربية والفرق أنّ هذه اللغات التي لها السبق العلمي في الوقت الحاضر لها المريدون الذين يعملون بما يقولون، ولها حُماة العلميون، فهل يتوقّر في بلاد العرب حُرّاس على احترام لغتنا الأمّ؟ وكيف هي علاقتنا اليومية بها؛ طالما أرضعتنا بكلماتها وعباراتها، وأنجدتنا بمعانها التي هي ترجمان مشاعرنا وهمومنا؟ وهل يُمنعنا حبُّ لغتنا الأمّ أن نُحبّ ما طاب لنا من اللغات الأخرّ؟

العربية لغةٌ عظيمةٌ بشواهد ماثلة أمامنا، رغم بعض التسيّب في الاعتزاز بها، وتُعاني في بعض المقامات من وضع بائس، وتولّد جزاء ذلك تحوّل بعض أنماطها إلى لغة شعائرية في إطار تعدي. ضعفت همّة السياسة اللغوية غير المتكاتفه من أجل ضبط منهجي صارم؛ فأين من يوقف المدّ العبيث من التلوّث اللغوي الذي صار يسيّم حياتنا في بعض الأحيان. وما بالنا نشهد الدّوبان في لغة الآخر، ولا نراجع أعمالنا بالتّنادي بخطورة المسألة اللغوية إذا عاشت التهميش. وهنا أكرّر الذي قيل:

اشتدّي أزمه تنفرجي * قد أذن ليألك بالبلج

ومع ذلك، لا بدّ من الخروج من التّيسيس، وإجراء محاولات التطوير، علينا أن نبادر ونحاول وسوف نهتدي إلى الحُلول، ونصل إلى منهج لغويّ تكون العربية فيها

ترجمانَ معرفتنا، ورسولَ أنفسنا إلى أرجاء الأرض كلها. لا بدّ أن نشتغلَ ونصنعَ طريقَ المعرفة في ذاتها وبذاتها، ولا نوكِلَ أمرَ تطويرها للجَهْلَة؛ لأنَّ فاقِدَ المعرفة لا يُعطيكها. ولا بدّ من الوعي بهذه اللّغة؛ بتقديم صفات تجذير الفصحى لغة الثّقافة والعلم والامتياز والتّفكير، ولا بدّ من تنمية فكرة مُجتمع المعرفة داخل المُجتمعات النّاطقة بالعربيّة، إضافة إلى ضرورة تعديل سُرعة العربيّة وفق آليات العَصْر.

نُريد التّماهي والتّفاني في العيشِ ضمنَ مُستجدات العَصْر التي نروم أن تكون بالعربيّة، نُريد مُنمّيًا يتكلّم لغتنا، ودليلاً ناطقًا يقودنا إلى عنوان نجهله ونُريد مُهندسًا وعالمًا يُصمّم ويكتب صفحاتنا ومُحرّكاتِ بحثنا بالعربيّة. وعندما نصل إلى مكاتبنا نُشغّل كبتاراتنا بالعربيّة، وعندما ندخل على شبكات المعلومات نُشكّك بالعربيّة... ولا نهضة لأمة بلغة غير لغتها. ولهذا وجب علينا إجراء مُصالحه مع لغتنا الأمّ، وباحترافيّة عاليّة، وبجهود نيّرة وقرارات حاسمة. ومع ذلك لا نعدم الخير في ما تعرفه العربيّة من تطوير على مُختلف الصُّعد، وبتفاهل ونقول: إنّ العربيّة بخيرٍ ما دُمنا نسمّعها، وننطق بها، وما دُمنا نعمل على تطويرها. هي لغتي أعشقها حدّ النّخاع، ومع ذلك أقول ما قال (ابن الفارض):

زُدني لفرطِ الحبِّ فيكِ تحيّرًا * وارحمْ حبيّ بلظى هواكِ تسحُّرا
وإذا سألتك أن أراكِ حقيقةً * فاسمَعْ، ولا تجعلْ جوايَ لن ترى
يا قلبُ أنتَ وعدتني في حُبِّها * صبرًا، وحاذِرْ أن تضيقَ وتضجُرًا
إنّ الغرامَ هو الحياةُ فمُتْ به * صبرًا، فحقّقْ أن تموتَ وتُعذرا

حبيبتي أنت أيتها العربيّة لغة هُويتي، وأنت أغنيتي ولا أستوضح السبب وأعتبرك سفيني في بحري الكبير، وأنت المرأة التي أقدم لها القرطاس كي أحظى بقرها:

أنتِ النّساءُ جميعًا من امرأة * أحببتُ بعدكِ إلّا خلّتها كذبا
كم مُبحرٍ وهموم البرّ تسكُّنه * وهاربٍ من قضاء الحبِّ ما هربا

هو الحبّ يا لغتي، وأبحرتُ فيك بسفينتي، ووصلتُ إلى طريق النّجاة، وعهدتُك
وفيةً لطموحي، وودتُ لوزرعوني فيك مئذنةً، أو علقوني على الأبواب قنديلاً. ولهذا
لم أسطعُ كنتم أمر حبيّ تجاهك، وقبلتُ أن يُكتب اسمي على ورقك شعراً ويُنقشَ
في الأرض نُقْراً، وأكونَ سادناً أجري جرياً. وأنتِ الوحيدةُ التي تستطيعين إعادة
كراريسي ومدرستي إلى قريتي أيام زمن الحبّ، وليس لي التّبديلا.

هي كلماتٌ شاعريّةٌ تُجبرني البوح بها لجبر خواطري في الاستباق إليك بدل
الانتظار وفي التحالف معك بدل التّناصر، وفي استعمال الذّكاء بدل الحيلة، وفي
الابتكار بك بدل الاحتكار، وفي الاحتراف منك بدل الاجترار، فهلاً أكون ونكون أو لا
نكون، وأنا ونحن نريد أن نكون، وعلينا أن نصنع لأصواتنا نغماتٍ عربيّةً الهويّة
من صميم أوتارنا، ونفخر بالضّاد بقلوبنا، ومن اللّباقة أن نكون فصحاء بلغتنا
وذلك من أفضل الخدّمات التي تُقدّم لأنفسنا، وللعربيّة التي هي جمّعنا، وتريد من
كلّ واحد منّا ترك الأثر، بحروف ربّعنا الأغرّ.

إليكم أيّها الحضور: إنّ اللّغة أداةٌ تغيير العالم وإعادةُ بنائه مع المتغيّرات
التّكنولوجيّة، والعربيّة كانت ذات الوقت عرّفت أوروبا على علم البصّريّات، ولكن
الآن صارت ضيقة بل تكاد تنغلق في الماديّات، ولا نرى من خلالها إلاّ القليل من
المألّات، وأصبحنا في وضعٍ يُحتمّ علينا أن نُطلّ على العالم بالأجنبيّات. كيف لا،
وفي مجال البحث العلميّ في العلوم الأساسيّة لا يُنشرُ أساتدُنا أبحاثهم إلاّ
بالإنكليزيّة، ولا يدرّسون طلابنا إلاّ بالفرنسيّة.

وهكذا العربيّة تعيش في فتح مُعلّبات الموادّ العلميّة، حيث لم يعد لها وجود
عليّ في الحاضر العلميّ، لم تعد مُتواجدة بما يليق بمكانتها في النّشر الإلكترونيّ،
وفي الدّراسات العالميّة، ونرى العربَ يُسارعون في تعلّم لغاتٍ أخرى حتى يتسنى لهم
تطوير مسارات حياتهم في العمل وفي الدّراسة وفي العلاقات الاجتماعيّة. لم يُقرّر
القرارُ لعربيّة الزّمان والجغرافيّة، وعربيّة الثّقافة والتّاريخ، وكيف لنا أن نُنجز
الحاضرَ المعرفيّ بدون لغتنا.

وما دُمنا لم نخرج من الآمال والبُكائيات، ونعترف بأنّ مناهجنا مُغلّقة في أُطر تعقيديّة لا تُمنح طلابنا الكفاءة والليونة؛ لأنّها مُغلّقة بالهزيمة النَّفسية، والشك في صلاحها للعصر؛ بِمَنظور الأفكار الانطباعية التي هي هوى أفراد. وإننا بحاجة إلى مشاريع ذات العلاقة بالرؤية الواضحة لمستقبل العربية علمياً؛ بوصفها مُنطلقاً حضاريّاً يتعلّق به المُجتمع العربيّ تعلّقاً وجوديّاً تحت طائلة أسئلة الانتماء والهوية والمعاصرة والمصير.

مَصير الإنتاج العلميّ الحديث بطائلة الفكر العربيّ الحديث، وعدم الارتكان في كلّ مرّة (كنا وكان الأجداد). ولا بدّ من مشروع التّهوض بالعربية، ومن اعتماد فكرة الاستثمار المعرفيّ وهي في أصلها إرثٌ حضاريٌّ يربطنا باللحمة المُجتمعية التي تجعل خصوصياتنا مُتوافقة مع الحداثة ولا بدّ من رؤية تجاه المُستقبل، ووضع سياسة لغوية حاكمّة، ومُؤسّسات مرجعية وإرادة سياسية فاعلة. ولذا يتطلّب منا رصد مكامن الوعي بالمكانة الحضارية لمشروع التّهوض اللغويّ في هذه اللحظة الفارقة في ظلّ هيمنة اللغات الأجنبيةّ وعلينا التّفكير في استثمار مكامن الأمل؛ لتحقيق عبور ناجح إلى شاطئ الإيجابيات المأمولة للتكامل بين التنظير والتطبيق.

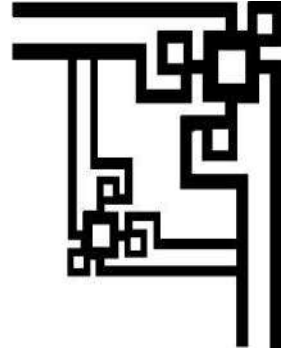
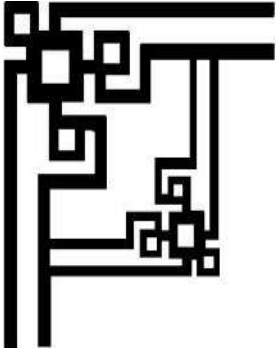
أيها الحضور، أنا جدّ مُتفائل، والعبرة بالقادم، وله علامته النيرة، وكلّما ضاقت واستحكمت حلقات المشكلة، إلّا وفُرجت بالأمل المرتبط بالعمل، وما أضيّق العيشَ لولا فسحة الأمل. ولما كانت الحياة ميزانها العمل، ومنه يتولّد النور وعهدي بذلك العمل المرتبط بالطّموح، وعدم التّقاوس من أوّل فشَل، ولولا أملُ توماس ألفا أديسون/ Thomas Alva Edison (1847-1931م) المشفوع بالعمل والتّجارب المُضنيّة لما اقترن اسمه باختراع المُصباح الضّوئيّ، والأمل المُفعّم بالحياة يُحيل البطالة إلى حركة وإن عزّ العمل ونَدَرَ؛ لأنّ الأمل المُثبت هو في حدّ ذاته سعيٌّ وحركة غير ظاهرة.

والخير موجود في فئة الشّباب الذين يُساندون خِدْمَة العربية في حرّكاتهما الهادفة، ولهذا لا نُسوّد المسألة اللغوية مَهْمَا حصل، وهو أمرٌ طبيعيٌّ علينا أن نَمرّ به، وقد عبّسنا البيات لخمسة (5) قرون وليس سهلاً أن نرفع ذلك في سنوات

قليلات. ولكنّ الأمل مَعقود فيكم وبكم وسنرفع التّحدّي، ونعيش المُضايقات، ونحلّم بأننا سنصل؛ لأنّ سحاب الخَيْر يُطلّل رأس لغة الهُويّة؛ وهي لغة أُمميّة وكونيّة في ظرف عشر (10) سنّوات ولا بدّ من التّضحّيّة والصّبر والعمل؛ لأنّ الحياة علّمتنا أنّه لا نطلب من الأشواك أن تفوح بالعُطور، ولا من الصّحراء أن تُنبِت الرّهُور، ولا من فاقِد الإحساس أن يهتمّ بالشّعور، والأمل في لغتنا المُعوّال، وفي نشاطنا المُنوّال.

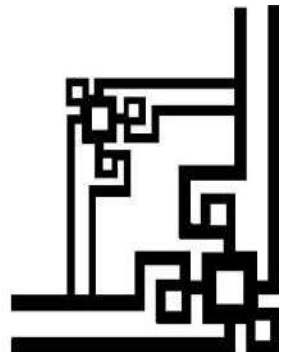
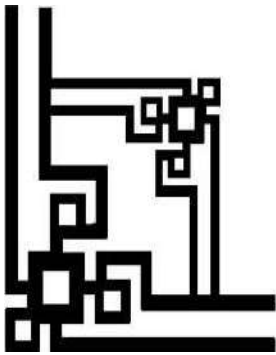
الخاتمة: إخواني، تحضرني بعض عبارات الودّ أنقلها لكم، وأنا لكم شاكر فصادقتكم للمجلس عنوان، ولكم فينا مكان، وودّكم أمان، ووفاءكم جنان. ولقد خانني التّعبير في كثير من الجُمَل، ولكن هي كلمات المودّة حملتها على وَجَلٍ في هذا اليوم الذي أهّل، ونحن معه دومًا جدل. ونفرح بكلّ أحبّتنا المُبجّلين في هذا المُحلّ، وأنتم من صانعي المُعروف والجَلَل، فبِحضوركم صنعتم عربيّة الماضي والحاضر والمستقبل بلا جدل. واسمّحوا لي أصدقائي إنّي مُعرّض للزلل ولكن حُبّي لكم في الحنايا والمُقل، وعسى أنّنا قدّمنا ما علينا من مَطلوب العمل وملتقيكم دائميًا في رحاب لغة الهُويّة والعَدَل.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

56



اللغة العربية والهوية*



الديباجة: سعادة سفير المملكة العربية السعودية، سعادة السفراء الحضور
الزملاء والزميلات، أهل المقام والعلو، أصحاب مهنة الإعلام والإعلان، كلّ الذين
حضروا وحضّروا وللمُحاضرين الذين يُحاضرون، وللشعراء الذين يُغنون المقام،
ويُشغنون الأذان، لكم مّيّ ومن زملائي في المجلس أسمى عبارات التّحايا في هذا
اليوم الخاصّ؛ يوم عيد جلاله الملكة (اللغة العربية) ونرى المُلحقية الثقافيّة
السّعوديّة تقيم حفلها السنويّ للمرّة الرابعة بشراكة مع المجلس الأعلى للغة
العربيّة، وتترى الشّراكات، ونسعد بها، وبخاصّة ما يتعلّق بخدمة اللغة العربيّة
ونراها هذه السنّة يُحتفى بها بعنوان (اللغة العربيّة والهوية).

وانّ المجلس يقدّم تهانيه لأصحاب الفضل في المُلحقية الثقافيّة السّعوديّة في
الجزائر على الجهود العلميّة التي تُقدّمها المملكة العربيّة السّعوديّة لتطوير اللغة
العربيّة، وهي دلالة على ما يُقدّمه جلاله الملك (سلمان بن عبد العزيز آل سعود)
للّهوية اللّغويّة بتأسيس (مجمع الملك سلمان للغة العربيّة) وبرعاية وليّ العهد
(محمّد بن سلمان) في الحفاظ على اللغة العربيّة، وكلّ ما يتّصل بأركانها. ونُبارك
لبلدنا الثّاني كلّ الجهود التي تُنجز في صالح تطوير العربيّة، ونشهد الكثير من
المنجزات ونجد السّعوديّة لها السّبق، ونحن نحفظ ودّهم في التّعاون البيئيّ في
مشاريع مُشتركة وهي في طريق الإنجاز، مع تخطيط لمشاريع لاحقة.

ولا أخفيكم بأنّ المسؤولين السّعوديين هنا في الجزائر وفي المملكة كلّما طلبناهم
في الدّخول في شراكات علميّة إلّا وكانت لهم القوّة النّاعمة في تجسيد الشّراكة،
فأنعم بإخوتنا السّعوديين هنا وفي المملكة!

* - الكلمة التي أُلقيت في المدرسة السّعوديّة بالجزائر، بمُناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة.
بتاريخ 19 ديسمبر 2022م.

1. اللّغة العربيّة في يومها العالميّ: أيّها الحضور الكرام، في هذا اليوم الذي يستدعي الكلام، يضيع الكلام في زحام ما يختار من الكلام، ولا بدّ من حضور بعض الشّعْر من قصائد شعرائنا الكبار الذين أبحروا في غمار مُحيط العربيّة فأغنوها بما دبّجوه من حسن الكلام، ويبقى الشّعْر لا يُلام، وهو يُعلي المقام ويبحر في مسار الدّوام. وماذا أقول في حبّي للعربيّة المفضّال، وإنيّ أحبّها وبعض الحبّ ذبّاح للنّخاع، وقال الشّاعر:

حَمَلْتُ شِعْرِي عَلَى ظَهْرِي فَاتَّعَبَنِي * مَاذَا مِنَ الشَّعْرِ يَبْقَى حِينَ يَرْتَاخُ

فماذا عسانا نقول في مَوْضوع (اللّغة العربيّة والهويّة) في المُشترك الذي لا ينقطع، وفي اللّغة الشّاعرة التي تتراءى فيها طبيعَةُ أهلها ببصماتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم، بما لهم من مُنجز القول الأدبيّ والعليّ عبر سبعة عشر (17) قرنًا، فيا لها من لغة تواصلَ فيها الماضي بالحاضر، وتناسلَ فيها الأجداد في الأحفاد؛ والذين نراهم اليوم يُواصلون المسار على وصفة الكبار.

لغة عملاق بما لها من أسرار تجعلك تقف على عتباتها بانهار، لغة الأُمّة والشّعب والقوم والجماعة والأُمم والكون بما عرفته من حمولة تاريخيّة وحضاريّة وفخر، مع ما عاشته من تحولات ثقافيّة، ومارست فيها مُفردات الذّاكرة في يُسر وسُهولة، وبالسّهل المُمتنع الذي يأسر القلوب، ويشدّ الأسماع، ويريك المُعجم التّاريخيّ مُفرداتٍ دالّة على الهويّة العربيّة الفرديّة والجماعيّة، وهي مُفردات ما زالت حاضرة في الذّاكرة، وفي الاستعمال الحياتيّ والفكريّ رغم هجران بعضها في دلالات تُناسب التّطوّر الحضاريّ للمُجتمع العربيّ. ماذا عسانا نقول في اللّغة والثّقافة ويصعب التّفريق بينهما، وهما رباط حميم، كما لا نتصوّر ثقافة لا تعتمد على وعاءٍ لغويّ يحتويها، ويتفاعل معها وينقلها.

إدًا هما دائرتان مُتشابكتان لا يُمكن الفكاك بينهما، وإنّ اللّغة هي الفكر، والثّقافة هي الفكر وغير مَلموسة في جوانب الكتابة مثل اللّغة، وتُجسّدُها اللّغة من خلال مَكْتوب له دلالة المعنى والمبنى.

إنَّ اللُّغَةَ فِي عَمومِها هي القلب النَّابض لأهلها، وهي هبة الله تَمَيَّزَ بها الكائنُ البشريُّ على ما عداه من الكائنات، يتمُّ اكتسابُها التَّدرِجيَّ مع النَّمو الأوَّل لخلايا الطِّفْلِ من خلال لبن الأمِّ وصوتها، ومن هنا جاء مُصطلح (لغة الأمِّ). وبذلك تصبح لغة تواصل فطريٍّ من خلال الاستجابة لأصوات المحيط، وتكون جزءًا من ناطقها. وأصواتها يُعبَّر بها المُتواصلون عن أغراضهم من خلال حواس الإرسال والاستقبال، ولها قابليَّة النَّمو عبر الزَّمان. وما يُستجدُّ في البيان والاصطلاح.

ومن خلال ذلك تُصبح اللُّغَةُ وعاءً للفكر، وحاملةً لثقافة ومُحتوى وتظلُّ مؤشِّرًا على القوميَّة والانتماء، وترتبط الأمور بالتراث، وكنز الأجداد اللامادي، ويأتي الحفاظ عليها من مُستلزمات البقاء والديمومة في شخصيَّة خاصَّة. وتكون صورة تضمن لفكر الأُمَّة بقاءً وخلودًا. وبذا تظلُّ اللُّغَةُ مُعبَّرَةً عن الوعي الجماعيِّ للأُمَّة، ومُرتبطة بهويَّة أبنائها ووحدَّة أهدافهم بما لهم من اختلاف منهجياتهم. وإنَّ أبرز ملامح التَّهضة البشريَّة تصحبها اللُّغَةُ التي تكون لسانها وهي المنظار الذي تُعبَّر عن تطوُّر الحضارة التي تُضفي على المُجتمع طابعه الخاصَّ. اللُّغَةُ لسان حال، والهويَّة نتاج المعاني التي يُشيدها الأفراد عبر اللُّغَةَ وبذلك تكون اللُّغَةُ عماد هويَّتها.

2. أهميَّة اللُّغَةَ العربيَّة: لا يخفى ما للُّغَةَ العربيَّة من أهميَّة: كونها لغة القرآن الكريم والسَّنة المُطَهَّرة، وجزءًا من ديننا، ولا يقوم الإسلام إلَّا بها، وقد عرفت مُختلف التَّطوُّرات بعدما اختلطت بالحضارات، وصارعت اللُّغات، وبقيت صامدة تجاري الأزمات. وقد أثبتت أنَّها قادرة على استيعاب كلِّ الثقافات "وعدت في أواخر القرن الثَّاني عشر للميلاد لغة العلم والحضارة، وأصبح العلم يتكلَّم بالعربيَّة لمُدَّة تزيد على ثمانِيَّة قرون من عمر الزَّمان، كانت الأُمَّة قوية فقويت معها لغتها وأقبل علماء أوروبا على تعلُّمها وترجمة تراثها العلمي إلى اللاتينيَّة فيما يُعرف بعصر الاستعراب الأوروبي". وكانت العربيَّة آنذاك لغة الهويَّة التي تعني المواطنة والحقيقة المُطلقة بصفات جوهرية، عمادها الاستعمال والعلم والانتشار. كما تعني الهويَّة المُشتركة التي تعود إلى الانتماء، بعد تعايش طويل لأقوام تحدَّد مصيرهم في لغة مُشتركة، ومكانهم الجغرافي، وصاروا مُنتميين للُّغَةَ والمكان بالضرورة والواقع.

3. مَرَكِزِيَّةُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ: يقول أهل الاختصاص: "مطالع العلوم ثلاثة: قلب مُفَكِّر، ولسان مُعَبِّر، وبيان مُصَوِّر". ونرى بأنَّ اللِّسان من مَطالِعِ الجود بما له من فضل الجود على ناطقيه بما فطروا عليه، ونحن فطرنا على قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]. وقوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: "جمال الرَّجُل فصاحةُ لسانه". وقال الثَّعالبيُّ "ما الإنسان لولا اللِّسان إلاَّ صورة مُمَثَّلَة، أو ضالة أو بهيمة مُرسلة". وقال (الجاحظ) "اللِّسان أداة يَظهر به البيان، وشاهد يُعَبِّر عن الضَّمير، وحاكمٌ يُفصل بين الخطاب، وناطقٌ يردُّ به الجواب، وشافعٌ تُدرِك به الحاجة، وواصفٌ تُعرَف به الأشياء، وواعظٌ ينهي عن القبيح، ومُبَشِّرٌ تردُّ به الأحزان، ومُعْتذِرٌ تذهب به الأضغان، ومِلَّةٌ يونق بها الأسماع، وزارعٌ يحرث المودة، وحاصدٌ يستأصل العداوة، وشاكرٌ يستوجب المزيد، ومُؤنِّسٌ يُسلي الوحشة".

وتقف مَرَكِزِيَّةُ العَرَبِيَّةِ في مُشاكلة الثَّقافة المَحليَّة بما لها من أعراف وعادات، وفي المُنتجات الحضاريَّة عبر الأجيال، وفي الارتباط بالثقافة العالميَّة بما لها من قواسم مُشتركة، وخصوصيات. وكذلك كانت العَرَبِيَّة في العيش ضمن هذه الإشكالات التي حافظت على هُويَّاتها التي لم تُعرَف الاندثار، رغم ما عرفته من غيابها عن التَّداول، والسَّببات الذي دام خمسة قرون، وقلة الحيلة في العلوم فبقيت مَرَكِزِيَّةً بما لها من ماضٍ مُغدق، وحاضر مُقلق، ومُستقبل مُشرق، واللُّغات دول، ويوم لك ويوم عليك. وتبقى المَرَكِزِيَّة اللُّغويَّة تشهد على عناية العرب بلغتهم، ولم يكن لهم تمدنٌ مادِّي قديم، ولكن ألبابهم وأفهامهم من لسانهم، ومن يلحن يَسْقُط، واللحن مَثلبُ الفتى، ولا يرقى في أعين النَّاس "وكيف يكون الخطأ في الكلام مُستحسنًا والصَّواب مُستسمجًا، والعرب تُقَرِّب المُعْرَبين، وتُنقص اللاحنين، وتُبعدهم... قوم استُقبِح رميهم: ما أسوأ رميكم، فيقولون: نحن قوم مُتعلِّمين، فيقول: لحنكم أشدُّ عليَّ من فساد رميكم، وسمعت رسول الله ﷺ يقول "رحم الله امرأً أصلح من لسانه". ومَرَكِزِيَّةُ العَرَبِيَّةِ في ثقافتها وتراثها والذي هو خطاب هُويَّة، مَرَكِزِيَّة كائنة بشواهدنا، فهي وثيقة الصِّلَة بقافيتها في صيغها العريقة وأصولها القديمة، وفي سيرورتها القديمة والمُعاصرة. ومَرَكِزِيَّتُها صبغت بثلاث دالات هي ذاتها

غير مُتغيّرة: الدّين+ الدّنيا+ الدّولة. وهو المُعطى الثّابت لهويّة الأُمّة العربيّة داخل المكان أو خارجه. وتحدّدت في الفصحى لا غير، وهي العربيّة في مُتونها القديمة: قرآن+ حديث+ شعر. وهذه المُرَكّزيّة عرفت تطوُّراً في وقتنا الحالي بظهور البحوث وإقامة المؤسّسات، وكلّ ما يشارف بشمُوخ حاجة العصر وضرورات المُستقبل.

ومن هذا المُنتطق تكون مَرَكزيّة اللّغة من خلال الهويّة الثّقافيّة؛ إذ تعتبر الفصل المُهمّ في المكتسب من التّصوِّرات والمعارف المُختلفة المُحيطة بالفرد. فالهويّة الثّقافيّة في أُمّة أو حضارة هي بُمَثابة القدر الثّابت والجوهريّ الذي يُميّز حضارة أُمّة عن غيرها من الحضارات، وهي التي تُمنح الشّخصيّة الوطنيّة قدراً من التّميّز. ولهذا نرى الأُمم تُجاهد من أجل الحفاظ على الهويّة والثّقافة بما لهما من علاقة الوجين لورقة واحدة. فاللّغة ثقافة أُمّة، وهي مَرَكز هويّتها، واللّغة إرث يجب المُحافظة عليه، ومن يفقد إرثه لا يملك الهويّة الفكريّة والدّينيّة. وهنا يُخرجنا هذا الكلام إلى مَرَكزيّة اللّغة فهي سبيل تحصيل الهويّة.

والعربيّة الفصحى هي ماضيها وحاضرنا ومُستقبل أولادنا، وهي هويّتنا، ولا بدّ من استعمال كلّ وسائل تطويرها وحمايتها ممّا يُقرّمها أو يهَمّشها. وقد يحصل هذا إذا طُمِسَت هويّة أُمّة أو وقع التّخليّ عن اللّغة المُشتركة، وعند ذلك هو الفناء والانقراض. وعلينا أن نكون بلغتنا، وهي تُعرّف بعض المُضايقات الثّقانيّة في هذا العصر، ونكون مَعها في المُواجهة العلميّة بوصفها هويّة، وذلك ما يُثير فينا الهمة للتمسّك بها وخدمتها لتقف ندّاً في هذا التّغول اللّغويّ باسم المُثاقفة.

4. اللّغة العربيّة والهويّة: نوجز القول بأنّ اللّغة أقدمُ وسيلة تواصل وشخصيّة وتميّز، وفي ذاتها الهويّة، ولكن الهويّة أعمّ من اللّغة، لأنّ للهويّة تجلياتٍ أُخرى غير اللّغة؛ فبينما تعدّ اللّغة هويّة، فإنّ الهويّة ليست لغة، ورغم ذلك فإنّهما وجهان لشيء واحد. وتكمن العلاقة في أنّ اللّغة مُجرّد كلمات وألفاظ، وتنجليّ في كونها وعاءٌ يحوي مُكوناتٍ وجدانيّةٍ ومُعتقداتٍ وخصوصياتٍ لذلك المُجتمع، وهي الهويّة في معناها العامّ.

وتكمن أهمية اللغة في توحيد ناطقها، وفي نشدان المشترك وبناء النهضة، والوقوف بالندية، والإسهام في الحضارة البشرية. والهوية هي التي ترفع مُسلمات (اللغة الأم) من خلال تمسك أهلها بها، وهي التي تُعطي لهم الشخصية وما يتبعها من التميز؛ لأنها الفكر والهوية، وهي الماضي والحاضر والمستقبل. ولهذا تضع كل الأمم سياجاً يحمي خصوصياتها اللغوية؛ لأنّ ذاكرتها فيها، وتسنّ طرائق حفظ/ إنقاذ الهوية بما أُوتيت من وسائل الحماية من خلال المدرسة ووسائل الإعلام والمحاضرات والمُلتقيات والندوات...

وهذا ما يجب أن نتنادى، نحن العرب، للمحافظة على اللغة المعيارية المشتركة الفصيحة التي تجمعنا، وهي لغتنا الشاعرة، لغتنا التي نحملها بسماحة هويتنا، نحملها باستعمالها وتطويرها وجعلها لغة الحياة السائرة، نحملها في مرافقنا العمومية، بل والخاصة نحملها بتخطيطاتنا اللغوية، وإعلامنا وبمشاريعنا، ونعضّ عليها بنواجذنا بأننا نكون بها، وبدونها لا نكون، نحملها بنقلها صافية لأحفادنا، ونُحافظ عليها كما نُحافظ على جمال عُيوننا.

نحملها بترسيخ المواطنة اللغوية في أفضل ما يكون من تبادل المنافع اللغوية، والتماهي في العولمة بحفظ الخصوصيات، نحملها بالانتماء؛ والإنسان مُنتمٍ بالطبع، نحملها بالأمل المصحوب بالعمل، نحملها بتجسيد الفصحح الحامل للطّموحات، وتسبيح التصدّعات، نحملها بالمشاريع البينية التي تربط القول بالفعل... ويجب أن نعلم بأنّ أيّ تصدّع أو انهيار في جدران الهوية يصدر عنها تصدّعات في جدران الهوية والمكان واللغة. نحملها بشعرنا الفصحح، وبما له من جودة تصيح:

زراعة القلب تُسفي بعض عشقوا * وما قلبي إذا أصيب جراح

5. العربية والمستقبل: أيها الأفاضل، كلام كثير يمكن أن يُقال، وعهدي أنّ اليوم خاصّ بمفصل الكلام، ونحن لسنا هنا في موقع الشك في لغتنا، بقدر ما نحن في موقع الأمل منها، فلم يثبت أنّ أمة تقدّمت بلغة غيرها، ولنا تجارب علينا أخذ العبرة منها، وأنتم تعلمون كيف اهتمّ بها غير العرب، ومن طورها من غير

العرب، وكيف سحرت غير العرب من الفرس والتُّرك والأمازيغ والرومان... فتخلَّوا عن لغاتهم وتبنَّوا العربيَّة التي رأوها أهلاً لحاضرهم ومستقبلهم، وفضَّلوا أن يُهجوا بها من أن يُمدحوا بلغتهم. ذلك هو الحقُّ، وهذا ما تجسَّد في كثير من الأمم، ولم تكن الجزائر لتصنع الحدث، بل هي وريثة صناعة الخير بهذه اللُّغة العجيبة التي صنعت الاستثناء. وكان الشَّعب بطلاً في تمسَّكه بهُويَّته من خلال ثلاثيَّة لا تنفصل: الجزائر وطننا، والعربيَّة لغتنا، والإسلام ديننا، ومن خلاله جاءت الدَّالات الثَّلاث: العربيَّة لغة الدِّين والدُّنيا والدَّولة، وهذا ما زاد في تمسَّكه بهُويَّته وثقافته وقيمه العريقة.

أيُّها الجمع الكبير، ما أحوَجنا إلى صناعة الغد، بلغة الجدِّ، وهي مصداق هُويتنا، فإن نكون بها أو لا نكون، ولا بقاء لأمة تتخلَّى عن لغتها، وإنَّ الشعب يفتقرُ ويُستعبَد عندما يُسلب اللِّسان الذي تركه الأجداد وعندها يضيع إلى الأبد. وإنَّ الشَّر لا يأتينا من المحكِّيات أو المحلِّيات أو الأجنبيات، بل من الانسلاخ من الانتماء، ومن مُغريات مَشاريع تعلِّم الأجنبيات، والتَّخلي عن الوطنيات، مع ما يتبعها من الوهن والفسل والشُّك المصحوب بالتَّعقيم الإعلاميِّ بضرورة استعمال الأجنبيات على أنَّها لغات العصر وتجاري الحداثة، والعربيَّة تفتقر للبقاء ولا يمكن توصيل المعارف بها. وما فهمنا الأمر أنَّ المسألة غير مُستقرَّة في الوعي العربيِّ، بأنَّ المواطن العربيِّ ينشأ في بلده العربيِّ، ولكنَّه لا يتحدَّث لغة بلده، وهل يمكن أن يحصل في فرنسا؛ بأنَّ فرنسيًّا يولد في فرنسا، ويعيش فيها دون معرفة أو استعمال الفرنسيَّة، غير معقول وغير مقبول، بل إنَّ هؤلاء الغربيين يشترطون على غير المواطنين إتقان لغتهم للاندماج والحصول على الجنسيَّة.

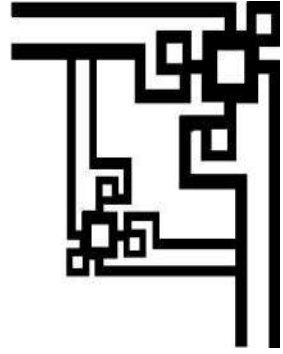
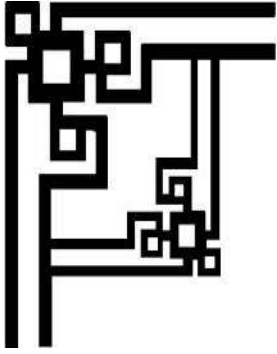
والحقيقة بأنَّ التَّحدَّث بلغة الأمِّ والتَّعلُّم بها أمر طبيعيٌّ وبديهيٌّ في نظر مواطن تلك البلاد، لذا يعدُّ الابتعاد عن اللُّغة الأمِّ هو عدم الرِّغبة في الإسهام في المنجزات الثَّقافيَّة والعلميَّة للحضارة في عصرنا. ومع كلِّ هذا فالعربيَّة لا تعرف أزمة في المبنى ولا في المعنى، بل أزمة أفكار ومنهجيات، أزمة تأصيل الهُويَّة وتعميق الانتماء لمُواجهة التَّحدِّيات، وهذا يستدعي تفجير طاقة العربيَّة في ذاتها؛ لاكتشاف قدراتها

العلمية، والإفادة من الانفجار المعرفي للغات الأجنبية، والتّحاور في تبادل المصالح اللغوية المُرسلة، والمناهج العلمية المتطورة، من خلال الهندسة اللغوية الحديثة، وما تكتزه الشّابكة من ضخّ المعلومات. وهذا ما يتطلّب من العرب بناء مآكنهم العلمية وفق منهجيات حديثة في مفاتيح الحواسيب.

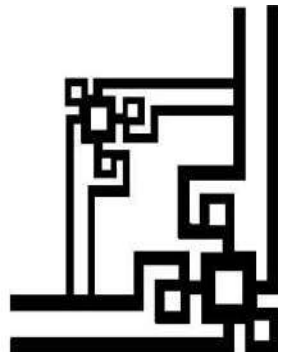
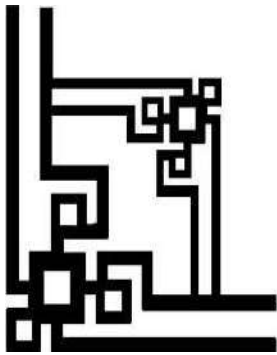
الخاتمة: إذا كانت اللغة هي الهوية والثّقافة، ووظيفتهما التّواصل في الأساس، كان علينا سدّ الثّغرات في ما تعرفه حاليًا من تجاذبات في معنى الهوية ومعرفة قواسم التّلاقي والافتراق، ومُصطلح القداسة، وما يتبع ذلك من كلام حفظ الله للغة، والتّاريخية والجغرافية والحضارية والثّراء المفرداتي... كلّها تحتاج إلى احتياط لغويّ من أصحاب الجِرفة اللّغوية. ولكنّ سبيلنا الحاضر هو عدم التّماهي المُفرط في الاقتداء بالغالب كما يقول (ابن خلدون) "المغلوب مولىّ أبدأً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيّه ونحلته، وسائر أحواله وعوائده فحسب". وهذا ما يزيد في ضعف الوعي اللّغويّ الذي نراه عاد لأوطاننا العربيّة، وما على الله بعزیز. فهناك صحوة ونهوض لغويّ لا نعدم الكثير من إيجابياته، والقادم أفضل. وأختم بقول نزار قباني:

أُقاتلُ القبحَ في شعري وفي أدبي * حتى يُفتحَ نوازوقـدَاخُ





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



العربيةُ نحتفي بشهرها*



الدَّيباجة: هو يوم ليس ككلِّ الأيام في الحصاد، نحتفي بجلالة الملكة في وادي سوف الأمجاد، وفي جامعة حمّة لخضر العِماد، جامعة لها حسن التَّنَاد وإليها جننا بالوداد، في عرس أمِّ اللِّغات والآحاد، وفي مقام لغة الضَّادِ، مع صُحُبنا الأشهاد، ويُعرِّفون بالكرم والأجناد، وفي الجهاد كانوا بالزَّناد، وحصلت لهم المكرمات بين الزَّهاد، ولا مَجال في هذا اليوم يُزاد، على ساكنة الوادي أهل الرِّأي والسَّداد. وفي الوادي أنشد الشَّاعر (قيصر مصطفى) كلامًا من الأطواد للأمجاد:

أَقمتُ بها على سَعَةٍ وحَدبٍ * بحيث لقيتكم في خير وادي
جمعتم من خصال الخير ما قد * صفا بين الحواضر والبوادي
وإني قد أتيتُ لكم مُحِبًّا * وفي الأحداق مِمي الحبِّ بادي
بحثت فلم أجد في الكون شبرًا * صفا طهرًا كأرضك يا بلادي

في هذا اليوم الكريم، نلتقي على عنوان اليونسكو (اللغة العربية والهوية) للاحتفاء بلغة لها الإجلال والسَّوية، لغة الإعمار النَّديّة، لغة الأجداد بالفطرة، لغة الأولاد والأحفاد بالصَّنعة، لغة الماضي والحاضر والمُستقبل والهويّة. وعلى عنوان مُلتقاكم نقول ما كتبناه بالرَّويّة، وإليكموه سماعًا إخواني في الكليّة.

هي مَسيرة حافلة بالمُنجزات، وخلال ثمانين (80) سنة بعد الإسلام، بلغت العربيةُ الأندلسَ الغربيّ، والصَّينَ الشَّرقيّ، بما لها من مَسيرة تاريخيّة لا توجد في غيرها. مَسيرة حافلة، وما وصل إلينا من مَحصول فكريّ يتعلَّق بالشَّعر وأسماء السَّيف والمدح والغزل، وقفنا نبيك، ويغيب الثَّراث العلميّ، وتلك الثَّورة اللُّغويّة

* - الكلمة التي أُلقيت في الاحتفاء باليوم العالميّ للغة العربية، جامعة حمّة لخضر، بوادي سوف، بتاريخ: 20 ديسمبر 2022م.

التاريخية التي منحت اللفظ العربي امتدادًا في المدلول، وبه اتسعت الدلالة فعبرت عن واقع إبداعي وعلمي لكل مستحدث، وما كان ليكون فيها عجز إلا من خلال مستعملها العاجزين عن الاستنباط.

وها هي العربية تستوعب كل مصطلحات المحصول الفكري للدين الإسلامي، وتُبدع ذلك في عشرات المُجلّدات بمُصطلحات الفقه والأصول والحديث والفرائض. وصاحبها ثورة في المُصطلحات العلمية استوعبتها من الفارسية والهندية واليونانية والرمانية، بمُصاحبة حركة الترجمة غير المسبوقة في التاريخ العالمي. فما خذلت العربية أهلها عبر الزمان كما أمّدت غير أهلها بما فيها من علم وبيان. وما لبثت "أن أصبحت لغة العلم والعلوم على امتداد العالم، وأصبح على من يريد تعلّم الطب والهندسة في أوروبا وفي أي بقعة من العالم، أن يقصد بغداد أو قرطبة ليتعلّم العربية أولاً، فإن أتقنها ونجح في امتحان الكفاءة فيها (بما يشبه اليوم امتحان التوفل للغة الإنكليزية) باشر تعلّم ما يريد من علوم الطب والهندسة والفيزياء والكيمياء والفلك وغيرها" وكانت شمس حضارتنا لا تغيب عن العالم إلى غاية سقوط الفردوس المفقود وعاشت لمدة عشرة (10) قرون سيّدة اللغات، تُعطي الكثير، ولا تأخذ إلا القليل.

هي لمحة مُقتضبة عن مسيرة العربية علمياً، وكان حرياً بنا توضيح علميتها بما قمّشناه من مصادر عالمة لا تبخس العربية مقامها. وكانت البداية من عصر الانحطاط الغربي والذي كنّا نعيش العصر الذهبي، وكانت العربية العمدة في إنقاذ الغرب من سباته والتكفير بلغاتهم، واتّخاذ العربية مرجعاً، وحقّقوا من ذلك إنجازات مُهرة في مجال العلوم، وترجموها للغاتهم، ونسبوا لهم، وفاخروا بها الأمم على أنّهم اخترعوا العجلة قبل غيرهم. وطالنا السّبات، ونحن في غفلة النّسيان، وتبعة لغة الغلبان.

1. المَحصول العلمي للعربية: يجب أن نكون على دراية بأنّ العربية تملك المئات من المعاجم العلمية التي أنجزتها المَجامع اللّغوية والمؤسّسات ذات العلاقة، وأنّ ما يقرب من المئتي مُعجمًا مُوحّدًا من مَنّتوج مَكتب تنسيق التّعريب+ المَركز

العربيّ للتأليف والترجمة والنشر+ اتحاد الأطباء العرب، دون الحديث عن منتوج الكثير من اللجان العربيّة المنتجة للمصطلحات العربيّة العلميّة فاقت الملايين مُصطلحًا في مُختلف فنون العلوم، وما قام به بعض الأفراد يصعب حصرها لكثرتها.

وهل ندرى الآن أنّ بعض الدول العربيّة عزّبت كلّ العلوم وتستعمل العربيّة في التدريس، وما نجاح سوربة إلاّ دليل على علميّة العربيّة ونجاح المدارس العليا بامتياز، وهي إضافة نوعيّة لمكسب تعميم استعمال العربيّة في العلوم. هي مُنجزات مدعاة للفخر، ولم تضعف العربيّة يومًا أمام اللغات، ولم يكن طلابنا يتأخرون في التصدّر في الخارج وهم يحملون أكثر من لغة، والعربيّة لغة المنشأ والتعليم القاعديّ والجامعيّ والبحث العلميّ.

ونفتخر أيّما فخر بأنّ إعلامينا يمتازون بما يضيفونه لوسائل الإعلام العربيّ والغربيّ في مُختلف الوسائل الإعلاميّة الناطقة بالمقدرة الفائقة للغة العربيّة في التعبير عن كلّ المجالات العلميّة. ولا تغيب مجلاتنا العلميّة عن لحاق العلم الحديث من خلال مجلة (العلوم) في الكويت، ومجلة (العلوم والتكنولوجيا) في الجزائر، ومجلات ساينس/ Science الأمريكيّة المترجمة، والمعلوماتيّة السوريّة، ومجلة ناشيونال أبو ظبي المترجمة بلغة علميّة من السهل المُمتنع، ومحطّة الجزيرة الوثائقيّة والمجد الوثائقيّة...

وهذه الشواهد ترينا بأنّ العربيّة فائقة التعبير عن العلميّة بأفضل أسلوب وأفصح كلام، دون أن ينقص ذلك من بساطتها وبلاغتها وقدرتها على التعبير. ونراها دائمًا ترفع التحديّ العلميّ للوفاء بمُستجدات العصر بالتركيز على إعادة مجدنا العلميّ بلغتنا العربيّة بحكم أن اللغة العربيّة تُعدّ من أهمّ لغات العالم، ويدعم ذلك القرآن الكريم، والحديث النبويّ الشريف، إضافة إلى أنّها من أكثر اللغات في العالم ثراء بالمُفردات والكلمات، وميّزتها في هذا التراء أنّها جدّ دقيقة؛ حيث تصف الشيء المطلوب بكلّ دقة ووضوح، ولهذا ليس صعبًا أن تعود العربيّة إلى واجهة النشر العلميّ. ولكنّها تحتاج إلى تمكينها في الاستعمال في كلّ مناحي

الحياة؛ لتُعتمَد لغةً علميَّةً في المُلتقيات والمؤتمرات العلميَّة والكتب والنَّشرات البحثيَّة في المُستقبل القريب.

وعلى جامعاتنا الرِّفع من القدرة الإنتاجيَّة والبحثيَّة التي تجعل مُحتواها الرِّقبيَّ يهَب لها الحياةً من جديد، وضرورة تأسيس مراكز للتممير تعطي شهادات التَّميِّز وفق المعايير العالميَّة، وعلى الجامعات تأسيس كراسي بحثيَّة تختصّ في دعم العربيَّة في النِّطاقات الرِّقميَّة بالعربيَّة؛ لتكون الواجبة العلميَّة من جديد، ولا يعني الانغلاق على الإنكليزيَّة لغة العولمة ونحن في أشدّ الحاجة للتَّماهي فيها وبها لتطوير آليات العربيَّة.

2. عدم تبخيس العلوم الإنسانيَّة: هي قصَّة وعبرة وعظة علينا الاستفادة من تجربة الأوروبيين الذين اتَّخذوا العلوم الإنسانيَّة عمادًا للتَّهوض، وجمَّعوا بين الجانب الرُّوحيِّ والماديِّ، كما اهتمُّوا بلغاتهم الأمِّ؛ حيث لا تُفهم العلوم دون السَّيطرة التَّامة على اللُّغة. ولهذا كلَّ اللُّغات تقوم في مبدئها على العلوم القاعديَّة التي يكون مبدؤها المهارات الأربع: الاستماع+ القراءة+ الحوار+ الكتابة، وعن طريقها تُكتسب آليات اللُّغة في مناحيها الفقهيَّة القاعديَّة، وبها يحصل الانطلاق في العلوم البحثية. وعلوم اللُّغات كثيرات، وبالنسبة للعربيَّة يمكن الاستدلال بمقولة الشَّيخ (مُحمَّد بن عبد الباري الأهدل) الذي قال: "علوم العربيَّة اثنا عشر علمًا: علم اللُّغة؛ علم أصول اللُّغة ومُفرداتها، وضبط دلالة الألفاظ على المعاني+ علم التَّصريف+ وعلم النَّحو+ وعلم المعاني+ وعلم البيان+ وعلم البديع+ وعلم العروض+ وعلم القوافي+ وعلم قوانين الكتابة+ وعلم قوانين القراءة+ وعلم إنشاء الرِّسائل والخطب+ وعلم المُحاضرات ومنه التَّواريخ" وقد نظَّمها العلامة (ابن الطَّيِّب المغربي) في أبيات أوردها في حاشيته على القاموس المُحيط المُسمَّاة بإضاءة الرِّاموس:

حُدَّ نَظْمٌ آدَابٍ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا * فَطَوَى شَدَا الْمَنْثُورِ حِينَ يَضُوعُ
لُغَةً وَصَرَفٌ وَاشْتِقَاقٌ وَنَحْوُهَا * عِلْمُ الْمَعَانِي بِالْبَيَانِ بَدِيْعُ
وَعَرُوضٌ قَافِيَةٌ وَإِنْشَاءٌ نَظْمِهَا * وَكِتَابَةُ التَّأْرِيخِ لَيْسَ يَضِيْعُ

لا تبخسوا علوم العربيّة في جانبها الأدبيّ، وعليها قامَت العلومُ البحتة، ولولاها ما أنتجنا مُصطلحًا ولا بنينا نظريّة، تراث أدبيّ زاخر في ميادين شتى واختصاصات مُختلفة. والعربيّة تستقبل الشّعْر الجاهليّ والإبداع الفنيّ في المُعلّقات، وفي شعر الصّعاليك، ويزيدها القرآن سحرًا، والحديث النبويّ الشريف حلاوة ويتلوها نصوص المُفضليات والأصمعيّات، وجمهرة أشعار العرب ومُختارات الشّعراء والنقاد. كما زاد الجمال جمالًا ما جاء من مظاهر الإعجاز اللغويّ القرآنيّ في علم المعاني عند الجرجاني والباقلاني...

وقد ترجمت تلك الدخائر البلاغيّة في أعلى مُستوياتها مجازًا وفصاحةً وتعبيرًا ونظمًا ومقصديّةً فعجز المُبدعون والمُثقفون العرب عن مُحاكاتها والسير على منوالها. ومع كلّ عصر هناك ميزة إضافية تزيد من إشعاع العربيّة الأدبيّة عبر معابر مُنتوج العصر الأمويّ، ثمّ العباسيّ، فعصر الدويلات، إلى العصر الحاضر، وكان الجمع بين المحاسن باديًا في تلك اللّغة الرّاقية التي عرفت ألّقها الحضاريّ بما أضافته لخزينة العربيّة من مُنتوج الاحتكاك بالسنّة غير العرب، ورفعت لواء المُثاقفة التي جعلت العلم يظهر في الرياضيات والفلك والمنطق والزّراعة والفلسفة والاقتصاد والصّناعة... وصولًا إلى البحث العلميّ والاختراع والتّجريب والتّحصيل المعرفيّ في شتى المجالات.

ومع كلّ هذا فقد تأخّر العرب والمُسلمون، وعاشوا سباتًا دام خمسة قرون، حتى جاء العصر الحاضر الذي عاد فيه بعض الوعي للعرب في مواصلة سير السّلف الصّالح بالاهتمام باللّغة الأمّ المشتركة، وهي العربيّة الفصيحة التي أقيمت لها الكثير من المؤسّسات، ونراها تتعافى بشباب يعملون على تراسلها وتحديثها ورفع الوهن عليها، والمُنافحة من أجلها باستغلال الوسائل الحديثة التي تجعل لها المقام التّديّ بين اللّغات. ونشهد ظهور حسن الاستعمال، والتّحكّم في قواعدها، بتوظيف آليات الفصاحة والبلاغة وروعة البيان والبديع وجودة النّظم والتّركيب.

3 هل تصلح العربية أن تكون لغة العلم؟ في الحقيقة لا يجب أن نطرح هذا السؤال، ولكن كثرة تداوله كان علينا الإجابة عنه، بالقول الفصل. لا توجد لغة عالمة، ولغة غير عالمة، ولا لغة أفضل من لغة، بل هناك رجال أكفاء يقومون على علمية اللغة بما أوتوا من إبداع، وبما سطرّوه من معالجة أسباب التأخير والضعف، وما هي آليات الاستدراك، وتحضير وسائل الأجراء اللغوية في ذات اللغة لتكون لسان حال العلم. ولا بدّ من تحضير وصفة رفع الغبن والفسل، وسوء تقدير الثقة في اللغة الأمّ وما يتبع ذلك من مُثبّطات الفسل والتبعية التي تجعل الفرد مشلولاً واهناً لا يقدم على المبادرات، وتظهر الصغائر ضخمة، ويعود القهقري، ويعيش التبعية اللغوية التي سبقت الولع بلغة الآخر، وأنّ لغته محدودة ولا موقع لها بين لغات العلم.

هي مُثبّطات علينا رفعها والتخلي عنها بمشاريع البحث، وبفارق نشيطة، وبصبر وتخطيط وبتؤدة مضمونة، كان على الشباب التطوّع من أجل ذلك. تعالِ نُبادر ونُواصل حيث وقف السّابقون، تعالِ نضع الإبداع التكنولوجي بالعربية، بالتّماهي مع اللّغات المتقدّمة، بحفظ الخصوصيات ونكون مُبدعين لا مُستهلكين، نستورد الضّروريات، ونترفّع عن الكماليات، تعالِ نرفع العوامل الداخليّة المثبّطة التي كانت السّبب وراء عدم قدرتنا على الإبداع والإنتاج العلميّ والثّقافيّ باللّغة العربيّة.

إنّ العربيّة صالحة لتكون أداة العلم والتكنولوجيّة، إذا كنّا في مُستوى تطويرها الخارجيّ، وأمّا الداخليّ فهي تملك زاداً لا ينتهي، بما لها من اشتقاق ونصاعة ألفاظ، وجزالة كلماتها، وصرامة تركيبها، فقد كانت لغة العلوم في ما مضى وكيف لا تكون الآن؟ ألم تكن عالمة في مؤلّفات: ابن رشد+ ابن سينا+ ابن الزّهري+ الخوارزمي+ ابن النّفيس، ابن الأصعب... إذا اللّغة العربيّة جاهزة، ولكن يصنعها البحث العلميّ وأنّ الفكر جسد اللّغة، وتاج الإبداع، والمال عصب الإنتاج ونحتاج إلى الجُمع بين هذه الأشياء ليحصل للعربيّة التطوير.

إنّ العربيّة الآن لا تحتاج إلى مُنافعَات، بل إلى عمليّات، وإلى الصناعات وبأبها العمل بالتخطيط العلميّ المُواكب للعصر، والانفتاح على كلّ لغات العلم لتبادل المصالح المُرسلة؛ حيث العلم لا وطن له، واللّغة تُهاجر ألفاظها، وتستفيد منها البشريّة، وأنّ الحقائق العلميّة لا لغة لها، فهل يعقل التّسليم بأنّ العربيّة لا تقبل العلم. العربيّة لغة العلم والعلوم، ولكنّها تحتاج إلى الاعتزاز بها، وجعلها لغة التّدرّيس والتّداول ولغة المنابر والمؤسّسات والتّواصل الخارجيّ.

العربيّة لغة العلم تصلح لتدريس الموادّ العلميّة المتنوّعة، والمهمّ أن تُرمَى في ميدان التّدرّيس بالقوّة النّاعمة التي تُثري ساحتها بالمخترعات والمعارف والاكتشافات والنظريات، ولكي تكون كذلك نحتاج إلى الانطلاق من جديد من قوّة لغة العولمة، ومن فلسفة قوميّة إسلاميّة تستهدف الوعي والاعتزاز والمُواطننة اللّغويّة، ولا سبيل لنا للوصول إلى امتلاك العلم دون ركب قطار اللّغة الأمّ، فهي الأمان وطريق البقاء باطمئنان.

4. وصفة التّهوض: لا بدّ من سكة جديدة تُناسب مسار القطار السّريع، يبدأ من نظرة جديدة لمسألة تعميم استعمال العربيّة في الوعي بأهميّتها وقدرتها لمُسايرة البحث العلميّ، ومن ثمّ جعلها وعاءً للتّدرّيس بها في مراحلنا التّربويّة، واعتماد مسار التعريب الحقيقيّ المبني على الآماد الثّلاث؛ بتهيئة الأجواء الصّافيّة لكلّ مُدّة، وتفعيل الجامعات والمجامع والمؤسّسات البحثيّة للتّنسيق بينها، ودفع الطّلبة والباحثين نحو الإبداع والإنتاج، كما يستدعي المزيد من البحث العلميّ وتخصيص الإمكانيّات لدعمه وأجرأته ميدانيّاً وتطبيقيّاً. وضرورة الاستهداء باستراتيجيّة قوميّة مُستقبليّة لتطوير اللّغة العربيّة وتهذيبها وترقيتها وتحسين أساليبها، والعمل على تحسين أداء المنظومة التّربويّة التّكوينيّة العلميّة نشرها اقتداء بالشّعوب التي نجحت منظوماتها التّربويّة، وهي تعيش الرّفاهيّة اللّغويّة وبصفر مُضايقات.

وما أحوجنا إلى مكنتات رقميّة بالعربيّة وإلى تشبيك المعلومات بالعربيّة، وإلى ربط العربيّة بالتّحوّل الرّقميّ، وإلى حكامه عربيّة في رجال رشيدون يجمعون بين الوعي بالمسألة اللّغويّة والقرار السّياسيّ. ما أحوجنا اليوم إلى بناء سياسات تنمويّة

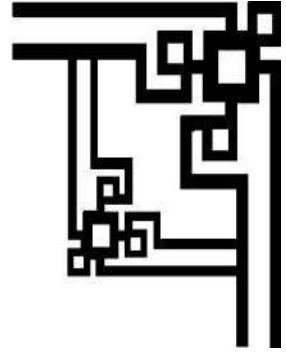
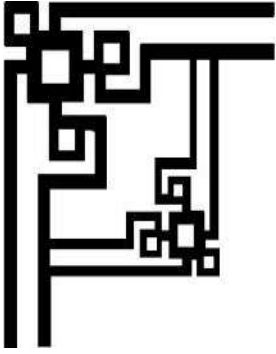
مُستديمة تقوم على البحث العلميّ، وحُسن التَّمسّك بلغتنا الجامعة التي نروم أن تبنى لها مُدن العلوم والحداثات العلميّة العربيّة على غرار ما يُبنى من ملاعب.

ما أحوجنا إلى تنظيم ورشات عمَل حول مُنافسة المُنتوج المُستورد بمَنُتوج الوطن، وإقامة دعائم بين القطاعين: العامّ والخاصّ والجامعات في مجال البحث العلميّ ما أحوجنا إلى لفت الانتباه إلى أهميّة اللّغة العربيّة والقيمة العاليية التي تُحظى بها على مدى التّاريخ، نظرًا إلى مكانتها في الحضارة البشريّة وإسهاماتها في التّطوّر العلميّ ماضيًا.

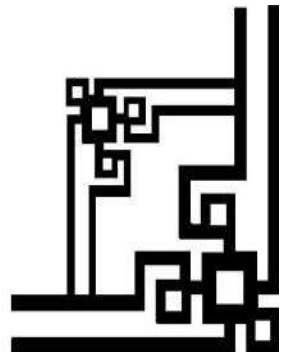
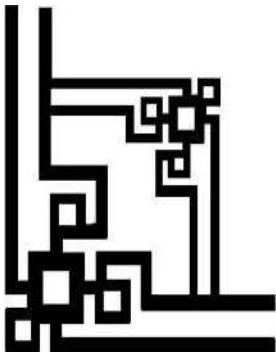
الخاتمة: إنّ إحياء اللّغة العربيّة في يومها العالميّ، وفاءً لعلمها، وتقديرًا لدرجة استعمالها أمميًا، وقيمةً ما تحمله من مكانز، وفي ذات الوقت دعوةً لنا بضرورة التَّمسّك بالهويّة العربيّة، ووجوب غرسها في بناء النّاشئة. وإذ ننجز هذا الحفل الاحتفائي العلميّ نروم بناء وعي لغويّ يخصّ العربيّة بالاهتمام الواجب على العرب أن يُؤلّوها ما تستحقّه من مكانة في التّعليم، لأنّها عماد الحضارة والتّقدّم.

ومن خلال شهر العربيّة سنفتح أبواب التّكامل البيئي لجعل العربيّة عماد العمل الجماعيّ لكافة الدّول العربيّة في تعاملها مع لغة الدّين والدّنيا والدّولة. ولا يسع المُقام للاستفاضة في مَوْضوع شائق كهذا، وأنا أتقدّم بالشّكر الجزيل لكلّ من أسهم في تنظيم هذا اليوم الذي ننال فيه شرف خدمة العربيّة، ويدخل في واجبنا الوطنيّ والقوميّ أن نزيد من رفع ترسيخ الوعي بين العموم والخصوص بتاريخ اللّغة العربيّة وثقافتها وتطوّرها، ونبني اعتقادًا راسخًا أنّ لغتنا القوميّة هي أساس هويتنا. وأشكر لكم فضلكم وأنا مدين لكم بحسن تدبير برنامج هذا اليوم وملامح النّجاح ظاهرة في البدء، والتهاية - لا شكّ - ستكون أفضل.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



اللغة العربية والتنوع الثقافي*



الدّيباجة: أشكر السيّد المدير العامّ للمنظمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم الأستاذ (محمّد بن عمر) على هذه الدّعوة لحضور فعاليات المؤتمر الدّوليّ الثّانيّ الموسوم (اللّغة العربيّة والتنوع الثّقافيّ) وتحايا المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى تونس الخضراء، وإلى الإخوة المحاضرين، وإلى كلّ العاملين على نجاح هذه الفعاليّة التي تأتي في الوقت المناسب، ونحن نحتفي باليوم العالمي للغة العربيّة/ شهر اللّغة العربيّة عندنا في الجزائر، بمُسمّى اليونسكو (مساهمة اللّغة العربيّة في الحضارة والثّقافة الإسلاميّة).

ونحن في الجزائر قطعنا أشواطاً في فعاليات هذا الشّهر، وكثراً في مُختلف المحافل للاحتفاء بشهر اللّغة العربيّة؛ والذي أضفى عليه السيّد رئيس الجمهوريّة (عبد المجيد تبون) الرّعاية السّاميّة وهذا للمرّة الثّانيّة. ونسعد أن نكون مع مُنظمتنا العربيّة للتّربيّة والثّقافيّة والعلوم وهي تُجري فعاليات هذا المؤتمر الدّوليّ تمجيداً للعربيّة في يومها العالمي 18 ديسمبر من كلّ سنة. وإنّ المجلس الأعلى للغة العربيّة في الجزائر يعضد أعمالكم، وهو شريك معكم في ما يجمعنا من مُشترك، والعربيّة تجمّعنا، مثلما تجمّعنا المنظمة. وسعداء بهذا اللّقاء لتقديم كلمتي افتراضاً في عنوان الملتقى الدّوليّ.

1. كلام في المقام: إنّها سانحة دوليّة أن نحتفي بلغة أمميّة وعربيّة وإسلاميّة وحضاريّة، هي لغة قديمة قُدمى لما أعطته للحضارة عامّة، والغربيّة خاصّة من أسباب النهوض، لغة ماجدة بنزول القرآن بكلمها ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشّعراء: 195]. وإقرار القرآن باختلاف الألسنة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ

* - ألقيت هذه الكلمة عن بُعد، لصالح المنظمة العربيّة للتّربيّة والثّقافة والعلوم (الألكسو) بمناسبة اليوم العالميّ للغة العربيّة. مؤتمر الألكسو بتاريخ 20 و 21 ديسمبر 2022م.

أَلَسِنَتِكُمْ وَأَلَوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿ الرُّوم 22. وهكذا يحتفي العالم في 18 ديسمبر من كلِّ عام باليوم العالميِّ للغة العربيَّة؛ باعتبارها أحد أهمِّ أركان التَّنوع الثقافيِّ للبشريَّة، ولغة الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة، ولغة العلوم والمعرفة والآداب. إنَّها لغة خالدة لم تندثر ولم تتلاشَّ وبقي حاضرها يتواصل بماضها دون صعوبات مُعجميَّة، نظرًا لخصائصها التي حمَّتها من كلِّ ما يعمل على تلاشيها، وانقراضها أو تحوُّلها، وهي لا تزال تعيش ثراءً لغويًّا جديدًا، وإشباعًا في الأساليب والمسكوكات وقضايا المُصطلحات.

لغة تتوفر على مواصفات لا توجد في غيرها من حيث: الامتداد في الزَّمان وفي المكان وفي الثَّراء والبقاء والارتباط بالسماء. وهي الآن لغة الدِّين والدُّنيا والدَّولة. هي لغة المحسوس والمجاز وما هو من الكلام السطحيِّ، وما يرفده من العميق، لغة لها الماضي المُعَدَّق، والحاضر المُقلَق، والمستقبل المشرق رغم ما عرفته من بيات دام خمسة (5) قرون أسبغ عليها وعلى أهلها الفشل والوهن وسوء تقديرها، ومن ثمَّ التَّشكيك فيها. لغة تجاوزت الأمصار وعاشت ملكة في جزيرة إيبيريا، ووصلت إلى أعتاب النَّمسا، ودخلت بوردو الفرنسيَّة، وكانت لغة العالم يستهدي بها غيرُ العرب في جامعات وحواضر عربيَّة، ولا نُحدِّثكم عن بجاية الرياضيات، وتلمسان الاجتماعيات، والقيروان والقرويين الإلهيات، والأزهر القرآنيات، والزيتونة الفاتحات، أنعمَ بها من مؤسَّسات!

2. عالميَّة اللُّغة العربيَّة: لقد ظهرت عالميَّتها في محتواها الأدبي القديم، وما عاشته من تلاقح ثقافيِّ جعلها صامدة، وبقيت لغة العلم لزمان طويل، وما تملكه من طواعيَّة ذاتيَّة للتطوُّر بما يناسب مُستجدَّ العلم الحديث ومقامها الحالي في أدبيات لغة الأمم ولغة الكون. وظهرت عالميَّتها في احتوائها معظم اللُّغات الحاميات، وأثرها التَّفصيليِّ في السَّاميات، ومحوها لبعض المحلِّيات، وما فعلت فِعْلها في فقه اللِّسانيات، بأن تعولم خطُّها حتى في المحكيات.

إنَّ عولمة العربيَّة تجاوزت حدود شبه الجزيرة العربيَّة، ولغة البداوة وقفا نبيك، إلى لغة أعطت أكثر ممَّا أخذت، ويخبرنا المقام أنَّ الحضارة الغربيَّة المسيحيَّة في

التطبيقات عكست أحوال العربية في التنظيرات. عربية علمية بعدد أهلها الفطريين، ومن مستعملها غير الفطريين الذين يصلون إلى مليار وثمان مئة مليون، ورتبتها الخامسة أمة، واستعمالها في الشبكة في المرتبة الثانية، بله الحديث عن مكانتها في القارات الخمس.

لغة علمية بحضارتها الشرقية، وكانت أم تلك اللغات، حيث احتوتها بسهولة وتحول أهلها مدافعين عن العربية متخلين عن قومياتهم ومخكياتهم، فذاوبا ذوبان الثلج في أتون نهر العربية الكبير. ذابت تلك الشعوب الزاخرة بالتنوع الثقافي وذوي الأصول والمشارب والمعتقدات. وأصبحت العربية خزان المعارف تستقي منها تلك الثقافات واللغات في مختلف مجالات العلوم العلمية والفلسفية واليونانية والرومانية، وانتعشت أوروبا في عصر النهضة وأتاحت إقامة الحوار بين الثقافات على طول المسالك البرية والبحرية لطريق الحرير، وطريق الملح إلى القرن الأفريقي.

العربية لغة عولمية بما لها من ماضٍ له الامتداد، واتساع رقعتها الجغرافية واستعمالها في خريطة اللغات، وفي تواصلها مع الحضارات. لغة رئيسة في القطب الثاني بعد الإنكلوساكسونية بعدد ثلاثة وستين (63) دولة تستعملها لغة رسمية، ولغة شعائرية لدى عدد من الكنائس المسيحية في الوطن العربي، كما كتبت بها كثير من أهم الأعمال الدينية والفكرية اليهودية في العصور الوسطى. لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون.

لغة سكتت ثمانين (80) سنة وهي لغة مستقبلية، وبعدها أضحت المحيط الذي يغذي مختلف اللغات بعدما أصبحت لغة الدين والدواوين والسياسة والإدارة والحساب والتعليم، وأجاد فيها العرب وغير العرب، وكانت لسان حال الهوية العربية بفخر واعتزاز. لغة التثاقف لما حصل الامتزاج بين العرب وأهل الأندلس في موريسكيات التواصل والأخذ والافتباس. لغة الأمم المتحدة بما لها من توظيف في وكالاتها الأممية الواحدة والعشرين (21) والموزعة عبر العالم. هذه هي العربية لغة الأم التي نحتفي بها هذا اليوم، وعالميتها تشهد على حضارتها. العربية لغة علمية بما لها من وجود في المنازلات الرياضية العالمية، وفي الشبكات الدولية.

3 . اللّغة العربيّة والتّنوّع الثقافيّ: يعدّ محور هذه النّدوة مظهرًا من مَظاهر تعزيز ثقافة الحوار والتّعايش والتّنوّع والتّعدديّة اللّغويّة، وبناء السّلام العالميّ، في إطار تبادل المَنافع للعيش معًا بشعار اليوم العالميّ الذي نحتفي به كلّ سنة في 16 مايو، كما نحتفي باليوم العالميّ للتّنوّع الثقافيّ في 21 مايو من كلّ سنة من أجل الحوار والتّنميّة، ولإبراز ثراء ثقافات العالم في تحقيق السّلام والتّنميّة المستديمة. وهذا ما تشير إليه الأحكام المتعلّقة بالتّنوّع الثقافيّ، وممارسة الحقوق الثقافيّة الواردة في الوثائق الدّولية التي أصدرتها اليونسكو، ومن خلالها نجد أنّ الثّقافة تحتلّ مكان الصّدارة في المناقشات المعاصرة بخصوص الهويّة والتّماسك الاجتماعيّ، وتنمية اقتصاد قائم على المعرفة.

وهكذا نرى العربيّة بما قدّمت للبشريّة دون إجبارها على المعيّة والتّبعية قد أفادت منها تلك الأقوام التي اتّخذتها لغة رسميّة، وأبقت على احترام تنوّع الثّقافات، وجسّدت التّسامح والحوار والتّعاون، في جوّ من الثّقة والتّفاهم، وكان ذلك خير وسيلة للتّعايش العامّ، ومنطلقه الدّين الإسلاميّ، ولغة الإسلام، وهم الذين جسّدوا المَقولة (ما لا يُفهم به الواجبُ فهو واجبٌ).

إنّ اللّغة العربيّة بما لها من مُبادلات سابقة، وبما لها من انتشار بين الشّعوب؛ وهي تحمل ثقافات وتعددية لغويّة تكون قد صانت تلك المبادئ التي اعتمدها الإعلان العالميّ للتّنوّع الثقافيّ. هي وصفة الأجداد الذين تعاملوا مع الهويّة والتّعدديّة بصيغة التّنوّع الثقافيّ بوصفه تراثًا مُشتركًا للإنسانيّة، وعاملًا من عوامل التّنميّة المُستديمة لما يوفّره الاستقرار الجمعيّ من تنوّع وحقوق وواجبات أخلاقيّة تجاه مُختلف الثّقافات، وصيانة للذّات البشريّة من الاندثار.

هي حقوق أقرّها وصفة الأجداد المُستمدّة من الدّين والعرف واللّغة العربيّة وهي جزء من الحقوق العامّة، ولا تتجزّأ الحقوق الثقافيّة بوصفها إطارًا مُلائمًا للتّنوّع الثقافيّ. وبذلك حملت الوصفة تنوعًا سهلًا مُتاحًا للجميع في تمكين كلّ الثّقافات من التّعبير عن نفسها والتّعريف بنفسها بما لها من وسائل التّعبير القديم والحديث، وما لها من انتشار في الدّاخل والخارج.

إنّ اللّغة العربيّة أثّرت التّنوّع الثّقافي لما حملتها حروف العربيّة، وقد حافظت عليها وأخرجتها من الضّيّق القبليّ، إلى الازدهار والانتشار بوصفها سلماً وخدمات تحتاج إلى استهلاك. إنّ العربيّة لم تكن ضيّقة في التّعامل مع التّنوّع الثّقافيّ بقدر ما نظرت مُستقبلات ثقافيّة تكامليّة مع الآخر، والقائم على التّنافس الشّريف، حيث إقامة الشّراكات مع المُجتمع المدنيّ بما له من أعراف وخصوصيات، بحفظها إذا كانت في مُستوى تقديم الجديد الذي يعمل على الوعي الجمعيّ، وعلى مُلاحقة وسائل العصر.

4. الحاضر المُقلق: بالفعل لم نُحافظ على لغتنا العربيّة منذ خروجنا من الفردوس المفقود، ففقدنا تراثنا، وتماهينا في غيرها من الأجنبيّات، وعشنا سهلاً في شذر مذر المذهلات، وبقيت العربيّة تُعاني المُضايقات بلا مُنافسات. ضعُف الطّالبُ والمطلوبُ، فلا مُجير لطرف يُواجه التّحدّيات، واتكلنا على اللّهجات، فضاعت حقيقة المعياريّة حتى في المنابر والمُرافعات. حاضر مُقلق لا تسير لغتنا مع التّقانة والتّكنولوجيا، ولا قبلنا التّحوّل الرّقميّ في المعلومات، ولم نُواكب حركة التّرجّمات، فضاعت منّا فرص المُنافسات، وما اسطعنا فرض كفاية المُحاضرات.

هي شكاوى نرفعها لأنفسنا في ضرورة وضع سكّة جديدة لقطار جديد فائق السّرعة، يحتاج إلى منافسة اللّغات الأجنبيّة وبخاصّة في التّعليم والبحث العلميّ، وإنّ قطار الرّقمنة يستدعي آليات الأتمتة، واكتشاف المزيد ممّا تُتيحه التّكنولوجيا الحديثة من اكتشافات وبرمجيات وتطبيقات وإنشاء المنصّات. هو حاضر مقلق إذا لم تتّماه في العوامة بحفظ الخصوصيات، ولهذا حرّيّ بنا العيش ضمن نطاق التّطوّر السّريع لتكنولوجيا الإعلام والاتّصال الجديدة، وإن كانت قد تشكّل خطراً على التّنوّع الثّقافيّ بمفهوم الأمركة، فهي تهرئ الطّروف الملائمة لإقامة حوار مُتجدّد في ما بين الثّقافات والحضارات، ويبدولنا بأنّ ذلك يدخل في صون الذّاكرة الوطنيّة والدّعوة إلى حفظ الخصوصيّة ضمن التّنوّع المُثمر للثقافات.

بالفعل إنّ حاضرها مُقلق؛ حيث لم تخرج لغتنا خرجات نوعيّة من سوق الأدب إلى حقل العلوم، فلم تكن على ما كان ماضيها من إغداق، ولم تدخل غمار المنافسة التّوعيّة كلغة أُمميّة لها مستقبل في المُعسكر العالميّ المُستقلّ ولغة القطب في النّظام اللّغويّ، بقينا ننشد ودّها ولم نقم بما يجمع شتاتها وتنجزها المشاريع. تقلّص دورها الحاضر، وبقي في الآمال وخطاب المنابر، ويجب الذي يجب، وأضحت لدى فطريها لغة ثانية وغير متداولة، ويكاد حرفها يندثر في وسائل التّواصل المُعاصر.

5. اللّغة العربيّة والمُستقبل: بناءً على القلق الذي نعيشه الآن، هناك وعيٌ لغويّ جديد، وعيٌ غير مُستقل عن أبناء العربيّة وعن النّاطقين بها من غير العرب، نراه تعيش المخاض الذي يأتي بالجديد، باعتبار الوعي يزرع بذور التّهوض، ونرى الكثير من الوقائع تترى بسلالة حفظ مُكوّنات الهويّة والثّقافة وهذا الوعي يُمنح أهلها وغير أهلها بأنّه لا تفاضل بين اللّغات، رغم أنّ الكثير من وسائل التّفاضل موجود في جينات العربيّة بحُكم الفِطرة. تتفاضل بمُحتواها الشّاسع، وبمضامينها الأدبيّة والعلميّة، وما تكتسبه يوميًا من وسائل التّنميّة، وما تقوم به من رُفّع تحديّات العيش ضمن المشاريع الحديثة، وبخاصّة ما له علاقة بالتّقانات الحديثة.

هناك وعي لسياسيّة لغويّة جديدة، هناك اهتمام بالمنظومات التّربويّة العربيّة للاستثمار في لغة التّلميذ. هناك مُجاهة التّحدّيات، وخوض غمار الرّهانات أن تكون أو لا تكون، وسوف تكون بما يقدّمه الباحثون من ركام معرفيّ في مُختلف مجالات الحياة اليوميّة للّغة العربيّة. هناك أمل الخروج من ندبان حظنا، والعيش في البُكائيات والتّواكل، وفي الأُمنيات. هناك مُعطيات الفِكاك من الوهم والوهن والفضّل الذي شلّ قدراتنا، هناك مُؤسّسات بدأت تخرج من عديماتها وبطنها. هناك مُسوّغات استدراك الإهمال، ورفع التّرّدّد، ومُحاربة شتيمة الظّلام، ونحن لم نشعل الشّمعة.

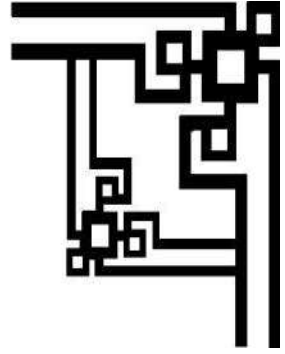
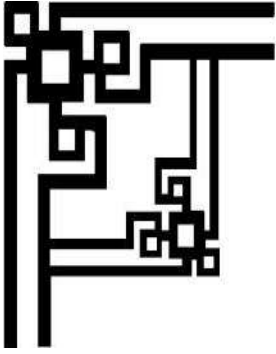
ولهذا علينا الخروج من جلد الذات، والإقرار بالاستدراك، وليس بعيداً أن نقع على المطلوب، وننجح كما نجح سلفنا، ليس بعيداً تجنيد أفكارنا ومشاريعنا، ونقيم هبةً عربيةً كبيرةً نُعيدنا إلى صحننا الطبيعيِّ ومقامنا العالميِّ. لا يجب تسويد الأمور، ونقول الحقيقة بأنّ الفاعلين قائمين، وأنّ الحاضر عبرة وعظة للمستقبل المنتظر أن يكون مُشرقاً عندما نخرج من التّينيس والتّبخيس والاحتقار اللّغويِّ لمورثنا التّليد فلقد "حظيت اللّغة العربيّة بما لم تحظ به لغة أخرى من عوامل القوّة والبقاء فهي اللّغة التي ولدت في مهد الأبجديّة الأولى في تاريخ الإنسان، وورثت بعض عناصر أمهاتها وأخواتها من لغات الشّرق القديم، وهي لغة العرب قبل الإسلام تظهر مُكتملة ناضجة في الشّعْر الجاهليِّ لا يكاد ينقصها شيء. وهي بمجيء الإسلام لغة القرآن ولغة الإسلام؛ الدّين الكونيّ الذي نزل للنّاس كافة، ولكن لغته الدّينيّة والرّسميّة هي العربيّة".

العربيّة لغة المُستقبل؛ بالنّظر إلى شباهها المُتجدّد، وإلى مُحتواها الحضاريِّ المُتنوّع على مرّ العصور، فأية لغة استمرت حيّة مثلها؟ وأيّة لغة تمكّنت من تثبيت بعض قوانينها وطبائعها ولم تتسامح حيال التّغْيير مثلها؟ هي عربيّة المُستقبل بعدد ناطقيها والمُحتاجين إليها وبعلميتها وقُربها من لغة العولمة، وتعايشها مع كلّ اللّغات الطّبيعيّة، وما يربطها من منطوق وتأثير. العربيّة لغة المُستقبل على توقّع الكاتب الإسباني (كاميلو جوزي سيلا) الحائز على نوبل عام 1989 أنّ اللّغات القادرة على الصّمود في وجه تغيّرات العصر أربع لغات: الإنكليزيّة والإسبانيّة والعربيّة والصّينيّة.

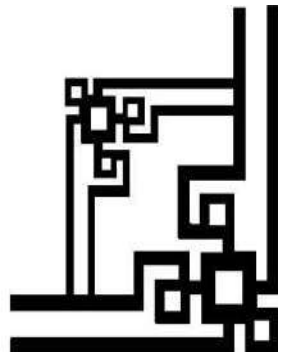
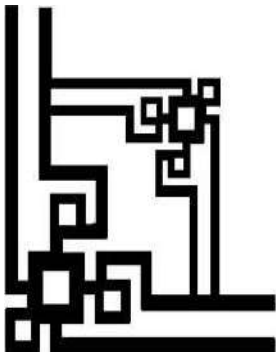
الخاتمة: لا يجب أن نقف في المدح، بقدر ما نقف في نقطة جدّ مهمّة حين نعرض للعربيّة بأنّها تحتاج إلى أدب، ولكنّها تحتاج أكثر إلى علم وتقانة وإعلام وبحث علميٍّ؛ لاستكمال مجالات تعميم استعمالها في تكنولوجيا المعلومات وغيرها، ونحن نحتاج إلى تراجمّة ومعلوماتيين ومخلصين لبلدانهم لتوطين العِلْم الذي يجعل منّا أمة.

إننا في مرحلة حرجية تجعلنا نصنع الأوليات ونقدّم المشاريع المُستعجلات،
ونتفاعل مع المُستجدّات، والعمل على إبراز لغة الضّاد في العبقريات، وصولاً إلى
نشدان عالم المعرفة بأفضل المنهجيات. ذلك ما يستدعي منا شدّ العزيمة
بالتُحضيرات، مع صدق الضّمّانات، وربط القول بالفعل بالعزيمات، تعايشاً مع
العصر بالتّخطيطات.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ



الاعتزاز اللغوي*



الدَّيْباجَة: ماذا عساني أقول، وأنا في بلاد الشَّناوة/ الشَّنوة الأماجد، بين أصدقائنا وطلابنا الذين جعلوا للصِّداقة عنواناً، وللأحبَّة مكاناً، وللوفاء تطبيقاً. وها أنذا في مدينة سياحيَّة تجمِّع بين زرقة البحر، واخضرار الجبال، وكنوز الآثار. فأنعمُّ بها من بلدةٍ طيِّبة!

وفي حضرة هذا المركز الجامعيِّ (مُرسلِي عبد الله) نستحضر التَّاريخ في ما نراه من أثر الرُّومان في موريتانيا التَّابعة لسيزار وما قام به الفينيقيون من إقامة المعابر التي سُمِّيَت عليها المدينة تيفاسا/ تيباسا هي تيبازة الحاملة للضَّريح الملكي الموريتاني، وما لها من معالم أثرية لا تزال ظاهرة في الأقواس والمدرجات والمعابد ومعالم أثريةٍ محلِّيةٍ مما جعل اليونسكو تدرجها ضمن مَواقِع التَّراث العالميِّ.

تیبازة الشَّعر التي اختيرت أكثر من مرَّة لاحتضان التَّظاهرات الثَّقافيَّة، وها هي اليوم تحتفي باليوم العالميِّ للغة العربيَّة بعنوان اليونسكو (مُساهمة اللُّغة العربيَّة في الحضارة والثَّقافة الإنسانيَّة) وهو عنوان مُثير للكلام حول العطاء الثَّقافيِّ للحضارة العربيَّة الإسلاميَّة التي أعطت أكثر ممَّا أخذت، ويكون المَجلس الأعلى للُّغة العربيَّة في هذا المركز شاهداً على الحركة العلميَّة، بإمضاء الاتِّفاقيَّة الثَّنائيَّة لنشُدان المُرافقة البينيَّة في لاحقٍ من الزَّمان، وهذا مُبتغانا لتبادل المَنافع العلميَّة التي ترقِّي المُواطنة اللُّغويَّة، والعمل على رفع القيمة العلميَّة للُّغة العربيَّة التي تأتي من العلماء والباحثة، وكلِّ مَنْ ينشد تطوير العربيَّة؛ باعتبارها لُغةً جامعَةً مانعةً لدالات ثلاث: الدِّين والدُّنيا والدُّولة ثلاثيِّ أصيل يعود إلى وصفة عبد الحميد بن باديس: الجزائر وطننا، والعربيَّة لغتنا، والإسلام ديننا.

* - الكلمة التي أُلقيت في اليوم الدَّارسي حول الاعتزاز اللُّغويِّ، في المركز الجامعيِّ، تيبازة، مُناسبة شهر اللُّغة العربيَّة، بتاريخ 24 ديسمبر 2022م.

المُقدِّمة: تعرف اللُّغات كلُّها أيَّامها الوطنيَّة كلُّها في اليوم العالميِّ للُّغة الأمِّ بتاريخ 21 فبراير من كلِّ سنة، وتعرف اللُّغات الأُمِّميَّة أيَّامها العالميَّة بتاريخ حدَّدتها الأُمم المتَّحدة تقديراً وتبجيلاً لتلك اللُّغات العلميَّة والعالميَّة عرفاناً واحتراماً لتراثها وقيمتها تواصل حضارتها مع مُختلف الشُّعوب واللُّغات بصورة العطاء أولاً، ثمَّ الأخذ ثانياً. وتُلقى فيها الكلمات المُنافحات، والتَّمجيد والاعتزاز الحامل للصِّفات المائزات.

وهي سنَّة جيِّدة واحترام مُستحقَّ يقع فيها الاعتزاز بلغة الأمِّ وباللُّغة الأمِّ، وبخاصَّة إذا كانت اللُّغة لها مُواصفات دينيَّة؛ حيث يقع تقديسها لدى كافة الشُّعوب. وحديثنا في هذا المدخل يتركِّز على اللُّغة العربيَّة التي تجمَع بين مُواصفات لا توجد مُجمعة إلا فيها: لغة أمِّ/ اللُّغة الأمِّ/ لغة مُختارة/ لغة مُقدَّسة/ لغة مُصنَّفة/ لغة رسميَّة/ لغة الكوْن/ لغة أُمِّميَّة/ أقدم لغة باقيَّة/ لغة الدِّين الإسلاميِّ/ لغة كُتبت بها كلُّ الدِّيانات/ لغة تُتلى بها ديانات غير الإسلام/ لغة الامتداد الزمانيِّ والمكانيِّ/ لغة الضَّاد/ لغة 18 ديسمبر/ لغة يتواصل ماضيها بحاضرها/ لغة الماضي المُعَدَّق، والحاضر المُقلَق، والمُستقبل المُشرق/ لغة 16800 جذر/ لغة 80 ألف مادة/ لغة 12 مليون وزيادة من الكلمات...

1. مقام اللُّغة العربيَّة: لا يغيب عن أذهانكم ما تحمله العربيَّة من قوَّة ومن حمولة ذهنيَّة، وما يقع حولها من أهميَّة؛ كونهَا لغة القرآن الكريم والسُنَّة المُطهِّرة. وقد عرفت تطوُّراتٍ كبيرةً عبر القرون الماضيَّة، وعاشت المُجاورة اللُّغويَّة في العطاء والأخذ من الحضارات السَّالفة، وسجَّلت الريادة أيام عصر الظُّلمات وكان لها السَّبْق العلميِّ في مُختلف المُجالات. هذا كلُّه يدفع بنا إلى القول: إننا بحاجة إلى المزيد من خدمتها إجلالاً للاعتزاز بها، وغرس حبِّ تحبيبها، والرَّغيب فيها والدِّفاع عنها، والحرص على جمالها.

وبذا نحتاج إلى قناعات تأكيديَّة تُثبت عظمة هذه اللُّغة التي لا مثيل لها بين اللُّغات؛ نظراً لخصائصها التَّاليَّة:

1/1. العربيَّة والدِّين الإسلاميِّ: لقد سارت العربيَّة مع انتشار الإسلام بالقوَّة النَّاعمة، وعرفت ذات الانتشار عن طريق القوَّة العلميَّة والدِّينيَّة؛ فابتلعت لغات

الشُّعوب التي دخلها الإسلام، وتكلّم بها وفيها غيرُ الفُطريين وأبدعوا في أدبياتها وازدهرت أيّما ازدهار بعدما استوعبت لغاتِ الشُّعوب المُتناهيّة في العلم.

2/1. العربيّة وقدرة الاستيعاب: استوعبت مُختلف الحضارات، وأبدعت في ذاتها ومن أجل ذاتها لتكون لغة العلوم، وأضحّت لغةً مُنتجةً بخصائصها اللّغويّة الصّرفيّة والنّحويّة والدلاليّة والمُعجميّة، وأقبل غير العرب على تعلّمها والانتفاع منها؛ باعتبارها لغة الحضارة والعلم، فنهلوا منها مُختلف العلوم، وترجموا علومها إلى لغاتهم. ونرى الكثير من الشُّعوب تتخلّى عن لغاتها الأمّ، وتبنت العربيّة الفصحى، وبخاصّة في أفريقيا التي لُقبت بقارة اللّغة العربيّة؛ حيث تعولّت وأصبحت اللّغة السّائرة في مَجالات عدّة، وتَعولّم خطّها في كتابة اللّغات المحليّة.

2. الاعتزاز اللّغويّ: ويتمثّل في صنْع المجد من الهويّة التي ترفع من قيمة الوطن والمواطن عندما يستعمل لغته في مُختلف تواصله وبصورة عفويّة امتناناً لهويّته اللّغويّة، واعتزازاً بأصالته وكيّنونته وتميّزه. وإنّ كلّ الشُّعوب تفتخر بخصوصيتها الهويّاتيّة، ونضرب مثلاً بأنّ اليابان أُملت عليها وثيقة شروط الاستسلام، ولكنّها رفضت التخلّي عن لغتها في الإمضاء على وثيقة شروط الاستسلام؛ لأنّها لم تُكتب بلغتها اليابانيّة. كورية الجنوبيّة التي تخلّت عن لغة المُستدّمر، وأعلنت ثورة الشّارع على كلّ ما له علاقة باللّغة الأجنبيّة في الإدارة والمُحيط والعلوم، واعتمدت لغتها الكوريّة وحدها، وأضحى لها المقام الكبير في الاقتصاد العالميّ، وبلغتها الكوريّة تُنتج وتُبدع أعلى الصّناعات، وقسّ على ذلك الفيتناميين الذين تخلّوا عن الفرنسيّة في سنة فقط، بعد الاستقلال، وأحلوا الفيتناميّة لغة مُشتركة عالميّة ولغة الإنتاج والمُستقبل...

وإليكم ما بصّرنا به من أفكار في الاعتزاز بالعربيّة:

1/2. العربيّة والهويّة: نَعلم بأنّ اللّغة مُرتبطة بالفكر، والهويّة تتمثّل في الفكر وفي وسائل التّواصل، وفي لغة الباحثين والمُبدعين. ويبدأ الاعتزاز من البيت، ثمّ المدرسة وما تحمله كتبها التّربويّة من نصوص وطنيّة تراثيّة حضاريّة تاريخيّة ممجّدة للماضي والحاضر والمُستقبل.

واللغة في كلِّ حال هي مُمارسة اجتماعيّة من قبل أهلها، والاهتمام بها يجعلها متطوّرة. وإنَّ ما تعرفه العربيّة من حاضر مُقلق يعود إلى عدم استعمالها، وضعف التّماهي في حسن استعمال تجليّاتها الفصيحة في كلِّ المرافق، ولا يستعمل حقّها الفصيح الذي يجمعنا في وحدة لغويّة وأصبحت تعرف التّردّي والقهقري والتّلهيج، وهذا لا يعمل على بناء اللّغة المُشتركة العامّلة على التّوحيد اللّغويّ، وما يتبع ذلك من اعتزاز الانتماء للّغة الأُمّة.

2/2. العربيّة والمُواطننة: لا يُمكن أن يكون لدينا استقلال تامّ إلّا بلغة الوطن، فاللّغة وطن يأوي الجميع، ولغة الوطن هي الموطن الذي نحسّ فيه بالأمن والاستقرار وبحقوقنا الكاملّة. فاللّغة لها تأثير في ترسيخ المُواطننة لا الاغتراب ولا يكون للفرد المُقام إلّا بلغته، وإذا ذُلت لغته ذُل "ما ذُلت لغة شعبٍ إلّا ذُل، ولا انحطّت إلّا كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ". ولهذا نروم الاعتزاز والولاء والانتماء للعربيّة التي تبلور فيها شخصيتنا الوطنيّة باعتبارها لغة لها استقلاليّة، ونملك حقّ الانتماء للّغتنا في موطننا كلغة جامعة ولغة الدّين الإسلاميّ.

3/2. العربيّة والحماية: لا بدّ من حماية العربيّة من التّغول اللّغويّ، والعمل على صيانتها بالإبداع وبسنّ القوانين التي تحميها من الغزو اللّغويّ، ومن التّلهيج والتلوث، ومن كلّ الحوادث اللّسانيّة التي تُعيق عمليّات الأداء على مُستوى لغة الانقباض. وحمايتها واجب والتزام والزام من مُنتجي الأفكار بشراكة أصحاب القرار؛ باعتبار اللّغة السّياج المتين الذي يعطيها الإنّيّة والخصوصيّة والمقام بين الأمم والشّعوب، وفي ذات الوقت هي احترام لنا -العرب والمُسلمين- والإقرار بالجوانب المُضيئة للحضارة العربيّة الإسلاميّة في الماضي وفي الحاضر وفي المُستقبل.

4/2. العربيّة والاعتزاز الحضاريّ: إنّ اللّغة حضارة، وحضارتنا سليمة كانت لها المّقامات العُلا في تاريخ الشّعوب، فقد أعطت أكثر ممّا أخذت، ألم تكن لغة الإشعاع العلميّ في الفردوس المُفقد؟ ألم يحصل بها التّواصل في عصر ظلمات أوروبا؟ ألم تكن جوهرة اللّغات التي أُفيدت منها كلّ اللّغات في ميادين العلوم والتي جعلتها قاعدة الانطلاق؟ ألم تكن بكرة العرب وخوارزيمات (الخوارزمي) ورياضيات (جابر بن

حيّان) هي مُنطلق ثورة البُخار؟... لا بدّ من الاعتزاز بالعربيّة وقد كانت تشقّ طريقها في الاستعمال النَّسبيّ في طريق الحرير من آسيا نحو أوروبا الشَّرقيّة، وفي الاستعمال الكليّ في طريق المِلح من توات إلى جنوب أفريقيا.

3. وصفات الاعتزاز: هي وصفات مُتغيّرة تبعاً للمُستجدات وللأحوال التي لا تستقرّ، ولكن يبدو أنّ الاهتمام بالأمن الثَّقافي/ اللّغويّ مكسب كبير نريده أن يخضع للسيادة السّياسيّة، وهي سيادة ثقافيّة، ولا يكون لك مَوْقع من خلال لغة الآخر إلاّ بفهمه ومعرفة حباله. ولهذا رأينا أنّ هذه الوصفة تقوم على الرُّكائز التّاليّة:

1/3. إعادة النَّظر في أخطاء الماضي وتصحيحها في الحاضر: فقد نالت اللّغة العربيّة مِنّا بعض المُضايقات ونقص الثّقة، ورُميها في سقَط المتاع. ألغينا مُنافحاتها وعلميّها، همّشنا مخطوطاتنا وكفّرنا بماضيها، وتساھلنا مع مَنظوماتنا التّربويّة ومع مُحيطننا وإعلامنا، ولم نربط اقتصادنا بلغتنا. إهمال كبير نالته العربيّة مِن أهلها، ولم تنله مِن غير النّاطقين بها، فهم يُمجّدونها ويُنزلون العرب في سلّم البشر المتميّزين، لما يحملونه من لغة الكون (العربيّة الماجدة).

2/3. العربيّة والاعتزاز بالمبادرات: هي خدمة تطويعيّة، وفيها يحصل الاعتزاز أنّك تقوم بمهمّة خدمة لغة الوطن التي تحتاج إلى جهود المُخلصين وأنت منهم عندما تقوم على الرّفْع مِن سويّتها بمبادراتك في تطويرها، فلا ينكسر بالك وأنت تحمل فِطرة الاعتزاز وهي في دمك طاغية دافعة للوجود، وهي قوّة الأُمّة المُجسّدة فيك كفرد يحمل همّ الأُمّة، وهذا ما تقوم به النّخب في المُجتمعات النّاهضة التي تريد اللّحاق، وتريد للغتها المَقام والانعقاد من الوهم والفسل وسوء تقدير المآلات. وحن وقت الاعتزاز اللّغويّ فهل نُعزّ لغتنا لنكون عزيزين، أو نُهينها لنكون أذلاء؟ ولدينا نماذج للاعتزاز اللّغويّ، ألا يمكن احتذاء بعض مُواصفات الاعتزاز من دول أقامت وجودها العليّ والحضاريّ بعزّة لغتها، ألم تكن تجربة كوريّة الجنوبيّة ناجحة؟ والنّمودج المُغدق من الفرنسيين الذي لا يتساهلون في اللّغة الفرنسيّة التي تلقى كلّ الاهتمام، وتحافظ على خصوصياتها ولا يقولون: Week-end ويقولون: Fin-de-semaine، كما

لا يقولون: OK، بل يقولون: D'accord. والنموذج الإسرائيلي الذي أحيا اللغة الميتة من خلال المبادرات النوعية، وشعارهم "لا حياة لأمة دون لغة الأمة"...

3/3 اعتزازنا بالعربية في عولمتها في شوارعنا: هي مبادرة كان علينا أن نمسح الغزو الثقافي في شوارعنا كأننا في باريس، وما يُجزه تجارنا من تفران في جماليات الأضواء باللغة الأجنبية، ولا يدرون أنهم يُسوقون لحضارة غير شرقية، وهي حضارة لا تقبلنا لما لنا من خصائص. والعجب في هذا أن الأمم الأجنبية لا تقبل بالعربية في بلادها، ولماذا نحن نقبلها، بل تنماهى معها، فهل لا تزال التبعية الثقافية مُجسدة رغم زوال التبعية الاقتصادية، وحصولنا على الاستقلال.

4/3 ضرورة الإعجاب والتماهي في أدبيات الثقافة الوطنية: من أدبيات الدفاع عن العربية أن تكون مُعجبا بها في المقام الأول كلغة عالمة، ولغة الحضارة ولغة المستقبل، والحلول في حسن التحكم في حسن استعمالها. ولا يكون ذلك وحده مُجدياً إلا إذا اقترن بالتفوق الثقافي في المنتج الأدبي والعلمي، وفي التماس القوة الناعمة، وهي القوة الفكرية التي تغزو بها من تريد حتى يتبناها، وهي التي تعمل على تحبيبها والترغيب فيها عن قناعة وبصيرة على أن العربية تُنشد من أجل علمها ومنتوجها، وما تملكه من خصائص لا توجد في غيرها، وعلينا أن نقرأ (الروض المسلوف في ماله اسمان إلى ألوف) لنرى العجب من هذه اللغة المتناثرة العجيبة.

5/3 العربية ومآلات المستقبل: هي مآلات نعمل على تجسيدها للمحافظة والاعتزاز بها، في مجال التقانات المعاصرة، وفي الهوية الاجتماعية، وفي الاستعمال الحي للغة التي نسمّعها في الشارع. فكيف يقع الاعتزاز بالمواطنة اللغوية إذا بقيت فراغات المستقبل تنادي بالفقر اللغوي، وتحتاج إلى تقديم مشاريع، ونحن عنها لاهون. فإلى أين مصير العربية في ظل التغيير التقني والتغيير الاقتصادي، وتحديات العولمة المفترسة لكل لغة لا تُنتج العلم. كيف نحافظ على مستقبل العربية ضمن مسار المنافسة الشرسة التي لا تقر إلا بالندية، ولا تحصل الندية للعربية إلا بالإنتاج العلمي والأدبي وبراءات الاختراع، وبالانتشار المستمر في أوطانها وخارج أوطانها.

الخاتمة: يقول (ابن خلدون): "إِنَّ قُوَّةَ اللِّغَةِ فِي أُمَّةٍ مَا، تعني استمراريّة هذه الأُمَّة بأخذ دورها بين بقية الأمم، لأنّ غلبة اللّغة بغلبة أهلها ومَنزَلتها بين اللّغات صورة لمَنزلة دولتها بين الأمم". ومن هنا ندعو لتجديد كلّ وسائلنا ومُعطياتنا الثّقافيّة والإعلاميّة للحفاظ على العربيّة ومُواجهة كلّ المُضايقات التّقانيّة بالحلول العلميّة التي تأتي بها التّطبيقات المُعاصرة لنشهد النّهضة من جديد، وهذا أملنا في الاعتزاز اللّغويّ الذي يصحبه العمل الفكريّ بدءاً من التّعلّم والتّعليم وما يلحقه من حمايات علميّة تقانيّة للإشباع الفضول المُعاصر.

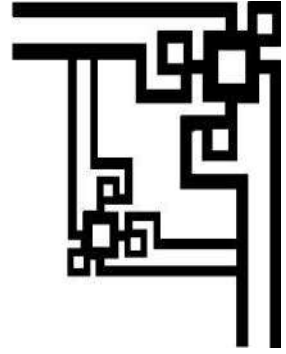
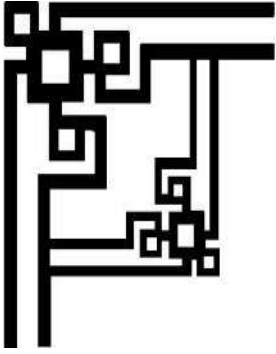
واشتدي أزمة تنفري، فعندما يقع التّدرّيس بها في كلّ مراحل التّعليم وفي كلّ مجالات العلوم، ويقع الانفتاح على تعدّدية لغويّة مُضيفة، والترجمة المُفيدة هي الحماية والاعتزاز، وهي الخميرة للتّطوّر. ومهما قدّمنا من مُقترحات نروم فقط أن تخضع للتّطبيق المُرحليّ، وتعالِ نُبادر؟ هنا تكن عظيمة الاعتزاز باللّغة. والعربيّة تنادينا لتطويرها عن طريق التّخطيط التّربويّ، الذي يقع التّركيز فيه على برامج الأطفال وفي أدبهم على العموم؛ ليكون بالفصح الجيّد، وتعميم استعمالها في كلّ مرافق الحياة اليوميّة، والحرص على استعمال الفصحى في جميع وسائل الإعلام المُختلفة، والمسلسلات الإذاعيّة والتلفازيّة، وفي شبكات التّواصل الاجتماعيّ وتفعيل دورات لغويّة للتكوين المُستمرّ في مُختلف الميادين، وتسهيل مناهج تعليمها للفطريين ولغير الفطريين، هذا في المُقام العامّ، وفي المُقام الخاصّ لا بدّ من السّعي الحثيث في توسيع العربيّة بإدخال المُصطلحات العلميّة، وتشجيع الترجمة الشّخصيّة والآلية لسدّ الفجوة العلميّة الناتجة عن تضخّم الإنتاج العالميّ الثّقافيّ الغربيّ، وقلة في الإنتاج العربيّ، دون الحديث عن قلة الحيلة في إنتاج البرمجيات والتّطبيقات الخاصّة التي تجعلها في مأمّن وأمان.

وهذا مبدأ من مبادئ الاعتزاز اللّغويّ علينا استيعابه لخدمة العربيّة، ولا نكون تواكبين، وندعو الآخرين لخدمة لغتنا. ستأكلنا العولمة إذا لم نُعد النّظر في تأسيسنا ومآساتنا، وعدم إحداث رجوع الصّدى، ولم نُفكر في حُطة قوميّة مُشتركة تهدف إلى المُحافظة على لغتنا المُشتركة، وهي لغتنا ديننا التي شرفنا الله بها؟ أليس فينا رجال

رشيدون ينتصرون للعربية؛ بتقديم أفكار تكسر الانكسار، وتوقف الوهن
والانحدار. بلى هنا طلاب جيدون رشيدون ينتجون الأفكار ولا يقبلون الإدبار، وفي
فكرهم حسن التدبير، بفن التسيير.

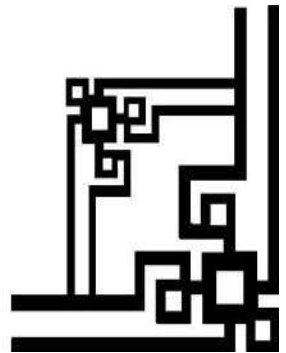
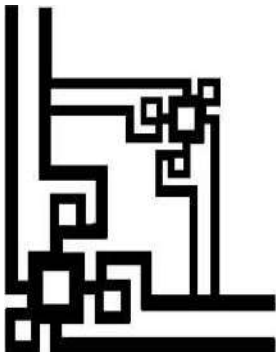
وهؤلاء هم أنتم أيها الطلاب، وعليكم فقط رفع الأفكار المسبقة عن ضعف
العربية، وجعلها في الاستعمال بالعزيمة، والتي تبدأ منكم بمبادرات ترونها ضرورية،
فبادروا وبادروا وارفعوا اليأس والتئيس، والطريق تصنعه أقدام التأسيس وتوكلوا
على الله، وما ضاع حق وراءه طالب.





مُنَاسِبَةٌ وَكَلِمَةٌ

60



تفعيل مشروع الذخيرة اللغوية: إلى من يهّمه الأمر



الدّيباجة: إنّ ما دفعني لإعداد هذا التّقرير في المشروع العربيّ الكبير (الذخيرة اللّغويّة) هو ذلك التّواصل بيني وبين مُمثّل الجزائر في وزارة الخارجيّة الجزائريّة والمكّلف بالجامعة العربيّة، الذي طرح عليّ فكرة تفعيل مشروع الذخيرة اللّغويّة، بشرط التّشبّث بالمشروع؛ ونحن بحاجة إلى تواجدنا في الجامعة العربيّة بقوة المُفترحات، وتجسيد المشاريع على حساب أنّنا من المُسهمين مادّيًا، فلا بدّ أن يكون لنا موقع علميّ في خريطة جامعة الدّول العربيّة التي ننتمي إليها منذ الاستقلال. وهذا التّواصل جعلني أُعدّ دراسة جدوى؛ أقدمها لمن يهّمه الأمر علّه يصنع قرار التّفعيل المُؤدّي إلى التّغيير، وحسن التّدير في مشروع الذخيرة العربيّة الذي كان صناعةً جزائريّةً بامتياز، بل نفتخر به كونه ذخيرةً لغويّةً شاملةً يلبي مطالب كلّ راغب يريد البحث في العربيّة من زمن اللّغات العُروبيات إلى العربيّة المُعاصرة في وقتنا الحاضر، وبخاصّة لغة الصّحافة وألفاظ الحياة اليوميّة.

1. المُقدّمة التّاريخيّة: لقد لمستُ ركودًا كبيرًا في مُنجزات علميّة مُنتظرة من مشروع الذخيرة اللّغويّة على المدى المُستعجل في بداية الأمر، ومن ثمّ تأتي مُنجزات كبرى تُثري في سلسلة من الأفكار حول العربيّة وبالعربيّة، ولكن لم يكن ليتحقّق ذلك رغم أنّ الهيكل قائم، وأنّ الموظّفين يحضرون ويتقاضون رواتبهم وأنّ المُسؤولين قائمون ولهم مكافآتهم، وأنّ لجانًا وطنيّة في الجزائر وفي بعض الدّول العربيّة وقعت تسميتها، كما أنّ الهيئة العليا للذخيرة العربيّة قائمة اسميًا ولكن كلّ ذلك عبارة عن حركات وهميّة من أجل التّمثيل فقط، والحصول على المُوافقة العربيّة، مع غياب تامّ لأبعاد المشروع علميًا على الآماد الثّلاث: المُستعجل + المُتوسّط + الطّويل.

إذا أُجريت دراسةٌ جدوى تقيميّة، تجد أنّ الكتلة الماديّة الكبيرة التي تقدّمها دولة المقرّ، وجامعة الدّول العربيّة لا تساويها النّتائج وهذا أمر بالغ الخطورة؛ فما الفائدة من وجود هيكل بلا روح، وتمويل دون نتيجة. وهنا لا بدّ من التّنادي للتّغيير، ودقّ ناقوس الخطر بُغية تفعيل هذا المشروع الحُلم والمُنْتَظَر، والذي في أصله بُني بناءً رصينا ليكون خيرَ مُعبّر عن العربيّة من غابر الرّمان إلى وقتنا الحاضر.

ومنذ أكثر من ثلاثين (30) سنة؛ ونحن نسمع بهذا المشروع الذي كان مُنطلقه بمُسمّى (الدّخيرة العربيّة) ثمّ تحوّل إلى مُسمّى (الدّخيرة اللّغويّة). إنّه مشروع مُهمّ، ننتظره لما سوف يُقدّمه من حلول عالقة للغة العربيّة، مشروع يجمع بين الأصالة والحداثة؛ يأتي على رصّد تراث العربيّة ومُستجداتها عبر العصور، وفي مُختلف أقطار الدّول العربيّة، برصد تحركات العربيّة عبر التّاريخ وفي كلّ المجالات. إنّه المشروع الذي وُضعت لبنائته عبر العديد من المُلتقيات، وأشير لها باعتباري أسهمت في تحضير إشكالياتها، ودعوة الأساتذة للمُشاركة، وهي:

1. النّدوة التّحضيريّة التي تمّت في المدرسة العليا للأساتذة بالقبّة سنة 2000م.

2. ملتقى وطني في فندق المرسى بسيدي فرج.

3. ملتقى الأعواط بتاريخ 26.28 فبراير 2005م

4. ملتقى وطني في جامعة تلمسان.

5. ملتقى وطني في جنان الميثاق.

6. ملتقى دولي في نادي الجيش الوطنيّ الوطنيّ في 4 يناير 2017م، ويومها دُعيت ضيف شرف باعتباري رئيسًا للمجلس الأعلى للغة العربيّة، وكان رئيس اتّحاد المُجامع اللّغويّة العربيّة (حسن الشّافعي) حاضرًا.

كلّ هذه المُلتقيات قامت على أفكار كنتُ أقدمها لأستاذي (عبد الرحمن الحاج صالح) باعتباري أستاذًا باحثًا في المَرَكز العلميّ والتّقنيّ لتطوير اللّغة العربيّة الذي كان أستاذنا مُديره العامّ، ثمّ أصبحت رئيسًا للمَجَلِس العلميّ لذات المَرَكز من سنة

2004 إلى سنة 2007م. وكلّ ذلك كان يدفعني ضرورة نجاح المشروع القوميّ الذي تُعقد عليه الآمال لجعل العربية يُعيد لها مجدها، وتصبح لغةً علميّةً يُرفع عنها الغبن والتأخّر في مجال التّقانات. وباعتبار أنّ مُنجزات المشروع تجعل العربية تخرج من مُضايقاتها التّقنيّة، وما تُعانيه في مجال فوضى المُصطلحات وضعف المُختصرات، ومُضايقات الكتابة، وجدل العوملة... وكنا ندافع عن تيسير تعليم العربية والسّير بها إلى مَصاف اللّغات العالميّة، كما كنا خطّطنا لهذا المشروع أن يخرج في نسخ ثلاث: نسخة ورقية+ نسخة إلكترونيّة+ نسخة شبكيّة... ولكن للأسف لم نلاحظ تحقيق ما خطّطنا له، كما لم نلاحظ نسبة بسيطة في مُنجزات هذا المشروع الذي يدور في هيكل ميّت، فأين الخلل؟ ولا بدّ من منهجيّة جديدة لتفعيل هذا المشروع.

وأتقدّم بدراسة الجدوى هذه؛ لإخراج المشروع من الأوهام والأحلام والأقوال التي لا تُقدّم إلّا السّراب، وعدم تحقيق الموعود وفق مُعطيات المشروع الذي هو إنترنت عربي/ الشّابكة، أو بنك آلي من قاعدة المُعطيات المحوسبة؛ يُليّ كلّ المعلومات التي يحتاجها التّلميذ من الابتدائيّ إلى الطّالب الجامعيّ، ويعمل على رفع مُستوى المواطن العربيّ والتهوض باللّغة العربيّة، كما يُطلع المُختصّين على ما يجدّ من جديد في العلوم. علمًا أنّ القضايا الإداريّة تمّت تصفيتها، وصدر قانونه الأساسيّ في الجريدة الرّسميّة الجزائريّة بتاريخ 14 أوت 2011، برقم 45. كما تمّت المُصادقة على النّظام الدّاخليّ بميسم/ مُسمّى (الهيئة العليا للذّخيرة العربيّة).

2. حيثيات المشروع: لقد أحسستُ أنّ هذا المشروع سوف يضيع بهذه الطّريقة التّقليديّة التي تجري به وتيرة الأعمال في الحياة التّقليديّة التي تستغرق في كتاب واحد شهرين أو أكثر، مع ما يلحقه من أخطاء الطّباعة، في الوقت الذي نجد ذات الكتاب مُرقّمًا ويحتاج فقط إلى تحميل ثمّ المُراجعة اللّغويّة. وهذا كان مرفوضًا في منهجيّة مشروع الذّخيرة اللّغويّة باعتبار الكتب المُرقمنة تحمل الكثير من الأخطاء، وهذا يعيدنا إلى عصر آلة الرّقن البرازيليّة التي تجعلك تدقّ محارفها بدل الذّهاب إلى الحواسيب، وخوض ميدان الذّكاء الصّناعيّ.

قلت: لم نرَ ما يجعلنا نطمئن من مُخرجات هذا المشروع الذي بدأ في تخزين المادة، مع أن الرّمن الذي انطلق فيه المشروع كافٍ لأن نرى الكثير من النّتايج؛ حيث جاوز اثنتي عشرة (12) سنة، وهي جدّ كافية في تحصيل النّتايج الكبيرة، والتّفكير في مُلحقات الدّخيرة. ولكن بقيّ المشروع قيد التّمنيات، ويفترض أن المُدّة تجاوزت حدودها بما توقّر من تمويل ووسائل، وما قابله من مُخرجات لم تكن مُتكافئة، أضف إلى ذلك تلك الخُرجات خارج الوطن، وتمثيل المشروع في اتّحاد المُجامع اللّغويّة العربيّة في القاهرة، ومُهندس المشروع انسحب من اتّحاد المُجامع، وبعد (الحاج صالح) ظهر تمثيل الدّخيرة في هذا الاتّحاد بتمثيل جزائريّ لا بمنتوج في المُعجم التّاريخيّ.

ومرّة أخرى أتقدّم بدراسة جدوى لهذا المشروع لمعرفتي الكبيرة بفكرة المشروع الطّموحة، وبوتيرة أشغال هذا المشروع الذي أتى عليه السّباب الطّويل، بأنّ الجامعة العربيّة تُدعّمه، والحكومة الجزائريّة وضعت له هياكل داخل (المُجمع الجزائريّ للغة العربيّة) ويتمتع بشخصيّة معنويّة، وباستقلال ماليّ، ويحتاج فقط إلى الرّجل الرّشيد الذي يُحدّث عمليات الجراحة في جسم هذا المشروع حتى يكون له دور كما خُطّط له في النّدوات التي كنّا نحسب لها ألف حساب.

لقد قام المشروع على فكرة اقترحها أستاذنا (عبدالرحمن الحاج صالح) قبل نهاية القرن الماضي، وكان يدافع عنها في مُختلف المحافل العربيّة، حتى نال الإقرار من جامعة الدّول العربيّة أوائل هذا القرن. وآخر لقاء في (اتّحاد المُجامع اللّغويّة العربيّة) أكتوبر 2004م، طالب صاحب المشروع اتّحاد المُجامع اللّغويّة العربيّة بالإسهام والانضمام للمشروع، ورفض مُعظم الحضور الفكرة، وتنادوا إلى نظرة واحدة هي ضرورة تحضير قاعدة (الدّخيرة اللّغويّة) وهي: إنجاز معلّمتين (2) هما: المُعجم الكبير+ المُعجم التّاريخي للغة العربيّة، ثمّ يأتي دور الدّخيرة اللّغويّة. وهنا رفض (عبدالرحمن الحاج صالح) وأعلن انسحابه من المشروعين، وانسحابه من الاتّحاد.

واجتمعنا في القاهرة بمقرّ مجمع اللغة العربيّة في فبراير 2009م لاستكمال (المُعجم الكبير) والتّحضير (للمُعجم التّاريخي للغة العربيّة)، وغاب الأستاذ (الحاج

صالح) الذي سبق أن انسحب من مشروع (المُعجم التَّاريخي للغة العربيَّة) سنة 2004م. وحضرت اللِّقاءات التي تتالت بعد ذلك باعتباري عضوًا عاملاً في مَجْمع اللِّغة العربيَّة في القاهرة، وعضو مَجْمعي: طرابلس+ مَجْمع اللِّغة العربيَّة في سورية، ومُرشِّحًا لعضويَّة المعجم التَّاريخي للغة العربيَّة، مُمثلاً للجمهورية الجزائرية.

ومن هنا بدأ الشَّرخ يحدث على مُستوى رؤساء المَجامع والمَجالس العليا العربيَّة، وانفردت الجزائر ممثلة في رئيس المَجْمع الجزائري للغة العربيَّة، ورئيس الذَّخيرة اللغويَّة، وكان ذلك أوَّل الصِّدع في مشروع الذَّخيرة اللغويَّة الذي أُصيب في مَقْتله، لغياب الإجماع والتَّمثيل العربيِّ المَطْلوب لدعم المشروع عربيًّا.

إنَّ مشروع الذَّخيرة اللغويَّة الآن في دولة الجزائر؛ يُحظى بدعم ماديٍّ مُعتبرٍ من الجزائر، وبدعم آخر من جامعة الدَّول العربيَّة، ويحتوي مقرّه على أجهزة جِبارة للتَّخزين، وله العدد الفائض من المُسؤولين، ومن مُمثلي الوزارات والوكالات وكذلك أرمادة من المُوظَّفين... ومع كلِّ تلك الأرمادة التي وُضعت لخدمة المشروع، فلا يزال يُراوح مَكَانه، فلم تظهر أيُّ نتيجة تُطمئن على صدق مسيرة هذا المشروع، وبات كلِّ ذلك في خبر كان، وبالخصوص عدم الإجماع العربيِّ حوله، فبقيت الجزائر وحدها مُنعزلةً تعمل بصفة فرديَّة، أضف إلى ذلك أنَّ التَّسيير العلميَّ ليس في المُستوى المَطْلوب ما لم تظهر التَّواتج، فضاع الطَّالب والمَطْلوب، وضاع المشروعُ في الأحلام، وتسمع كلامًا "إننا نعمل" ولكن النتيجة غير ظاهرة، وحزَّ في نفسي أن يَعْرِف المشروع الكبير الشَّبكة العربيَّة/ Google عربي تعطيلاً طالَ عليه الذي طالَ على لُبِّد.

ولهذا أوَّكد أهميَّة هذه الدِّراسة وأرفعها إلى أصحاب القرار بغية تفعيل هذا المشروع بنظرة الاستمراريَّة المُتجدِّدة ويكون إنقاذ المشروع المُهمِّ من الجعجعة التي لا تُقدِّم الطَّحين، هذا من جهة ومن جهة أخرى ألمي تعطيل مشروع الذَّخيرة اللغويَّة الطَّموح أشدَّ الألم، لعدَّة اعتبارات:

1/2. توقَّف المشروع علميًّا، ولم تظهر نتائج الفرق الموجودة داخل مبنى المَجْمع الجزائري للغة العربيَّة، مع أنَّ مشروع الذَّخيرة ليس مُرتبطاً بالمَجْمع في نصوصه وفي قانونه الدَّاخلي، وهذا ما تنصَّ عليه المادة الأولى (1) "الهيئة العُلْيا للذَّخيرة العربيَّة

منظمة حكومية عربية ذات طابع ثقافي علمي تعمل في إطار جامعة الدول العربية، تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي، وتُدعى في صلب النص (الهيئة العليا للدخيرة العربية). يعني بربط سير المشروع ولا يعود لتعيين رئيس المجمع الجزائري للغة العربية.

2/2. هناك مُسير تنفيذي لهذا المشروع منذ ما ينيف عن عشر (10) سنوات، ووقع تعيينه، من اقتراح رئيس المجمع، وكان مُمثلاً لكلية الآداب واللغات لجامعة الجزائر (أبو القاسم سعد الله) وأن المادة الرابعة والعشرين (24) من النظام الداخلي تنص صريحة "تنتخب الجمعية العامة مديرًا عامًا لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة، على أن يكون اختياره على أساس وظيفي يُراعى فيه التزامه بالعمل القومي وكفاءته الفنية وقدرته على القيادة الإدارية دون أي اعتبارات سياسية أو جغرافية أو قطرية. وكلمة (على أساس وظيفي) يعني لا يزال يُمارس عمله في إدارته السابقة؛ يعني لا يزال يمثل/ يعمل/ مندوب... وليس مُحالًا على التقاعد/ المعاش، أضف إلى ذلك الشروط العلمية والأكاديمية، وبخاصة العضوية الجمعية. وهنا نقطة كان يجب أن تتحقق لإعطاء المشروع صبغة التمثيل الإداري والمجمعي.

3/2. لم يقع احترام تطبيق النظام الداخلي المُعد لتسيير (الدخيرة اللغوية) في تأسيس المجلس التنفيذي+ تأسيس الجهاز العلمي والإداري+ المدير العام ينتخب لعهد واحد قابل للتجديد مرة واحدة فقط+ تغييب تنفيذ مهام الجهاز العلمي والإداري+ عدم تطبيق القانون الداخلي في أبعاده الكبرى.

4/2. كُون مشروع الدخيرة اللغوية علميًا طموحًا، ويحلّ كلّ إشكالات ومضايقات العربية بدءًا من مباشرة رقمته، ووضِع بعض أجزائه في الشبابة وهذا غائب في المواقع العالمية، وليس له منصة أكاديمية مُعتمدة داخل المنظمات العربية التابعة لجامعة الدول العربية.

5/2. طال به الزمان قبل فقدان/ موت صاحب المشروع، وبعده لا كلام يُذكر.

6/2. كوني أحد المؤسسين لهذا المشروع، وكنتُ إلى جانب أستاذي (عبد الرحمن الحاج صالح) في كلّ ندوات التأسيس، ولكّني انسحبتُ من عضوية المشروع، وكنتُ المُسيّر الخاصّ له لغاية سنة 2009م، وكان لي مكتب في مقرّ المجمع الجزائري، وعملتُ اللازم تحت إمرة (عبد الرحمن الحاج صالح) رئيس المجمع الجزائريّ للغة العربيّة، ولكّني انسحبتُ لاعتبارين:

1/6/2. عدم نيل المشروع الإجماع العربيّ، وبقيت الجزائر تنافح عن الموضوع، وغياب الحوار مع الدّول العربيّة لإقناعها بالمشاركة، هناك تسيير فرديّ.

2/6/2. العمل في حيازة مادة مشروع الدّخيرة اللّغويّة بطريقة تقليديّة عفا عليها الزّمان، وهذه الطّريقة ضايقتني كثيرًا لأنّه لا يمكن السّيطرة على المشروع إلّا بعد خمسة (5) قرون، والحياة تعرف الجديد، فكيف يمكن السّيطرة على الرّكام المعرفيّ الكبير دون العودة إلى المُنتجات الرّقميّة، والعمل على نسخها بعد مُراجعتها، وهنا وقع الخلاف الذي جعلني أقدمُ استقالتي، وأعيدُ للأستاذ (الحاج صالح) مفتاح المكتب، وعدتُ إلى جامعتي بتيزي-وزو.

7/2. مع كلّ ذلك رأيت من واجبي الوطني والقومي ضرورة تفعيل/ تحريك المشروع لضمان تقديم خدمات للغة العربيّة بمنهجية مُعاصرة تلبي مُستجدات العصر، وبرأيّ حصيف لمُسيّر المشروع.

3. منهجية تفعيل مشروع الدّخيرة اللّغويّة: تقوم على المُرتكزات التّاليّة:

أولًا: إحداث تغيير جذريّ على مُستوى التّسيير، وتفعيل النّظام الدّاخليّ للهيئة العليا للدّخيرة العربيّة، وفق بنوده الثّمانيّة والثلاثين (38) مع إمكانيّة عرض بعض القضايا التي تحتاج إلى تغيير على المجلس التّنفيذيّ الذين تنتخبهم اللّجان العربيّة.

ثانيًا: ضرورة العودة إلى النّظام الدّاخليّ للهيئة العليا للدّخيرة اللّغويّة، بتطبيق أبعادها القانونيّة وفق بنود القانون.

ثالثًا: على من يُهمّه الأمر أن يعملوا على تفعيل تسيير هذا المشروع بانتهاج سياسة لغويّة جديدة؛ تستجيب لروح مشروع الدّخيرة اللّغويّة، وهو مشروع سياسيّ علميّ

أريد له تحقيق هويّة اللّغة العربيّة في بلادها، وتعميم استعمالها، وربطها بالإرادة السّياسيّة، والرّهضة اللّغويّة المنشودة. وأنّ اللّغة العربيّة لها رصيد كبير يحتاج إلى صناعة حديثة يربطها بالمعرفة التّقانيّة المعاصرة، وبالتّقافة العربيّة التي جعلنا نخرج من الانجذاب اللّغويّ تجاه لغات المُستدرم ولم نأخذ منها إلّا سراب بقيعة. وهذا المشروع العربيّ سوف يُزيل نقاط السّود التي علقت على العربيّة من أهلها ومن غير أهلها، وسوف يُسقط كذلك دعوات التّخلف في اللّغة العربيّة، وما تعشعش في أذهاننا من غزو ثقافيّ جعلنا تواكبين انهزاميين.

رابعًا: ضرورة إحداث تغيير قانونيّ في إلحاق مشروع الدّخيرة العربيّة بالمجمع أو بمؤسسة أخرى عضوة في اتّحاد المجامع اللّغويّة العربيّة والمؤسّسات العلميّة. أضف إلى ذلك أنّ المجلس الأعلى حاليًّا يقود الفريق الجزائريّ في مشروع (المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة) وهذا المشروع يقطف ثماره من خلال منجزات الحروف من الألف إلى الدّال. وما هو مطبوع حاليًّا في ست+ وثلاثين (36) مجلّدًا. وهذا سند وذخيرة لغويّة يتكامل مع مشروع الدّخيرة.

خامسًا: الإبقاء على تحقيق المنجزات من حيث القوانين، وما أجمعت عليه جامعة الدّول العربيّة وباسم (الهيئة العليا للدّخيرة العربيّة) بميسم جديد هو تشكيل الدّخيرة اللّغويّة.

سادسًا: يأخذ المشروع صبغة معاصرة تحت هذا الغطاء الرّسمي لمؤسسة جامعة الدّول العربيّة، ووسم دولة المقرّ، مع شعار الدّخيرة اللّغويّة.

سابعًا: ضرورة التّواصل مع اتّحاد المجامع اللّغويّة، ومع رؤساء المجامع اللّغويّة العربيّة، والمجالس العليا، والأكاديميات، وبيت الحكمة، والجامعات العربيّة؛ للإسهام في هذا المشروع، وأن تُفتنم فرصة مُخرجات اجتماع القمّة العربيّة لملوك ورؤساء وأمراء الدّول العربيّة، بتذكير ممثليهم بمراسلة من الهيئة العليا للدّخيرة اللّغويّة للانضمام الفعليّ للعمل ضمن هذا المشروع.

ثامناً: وضع منصة رقمية للمشروع، مُجهزةً بذكاء صناعي وبنظام OCR يستجيب لخصوصيات العربية في مناحيها الإملائية والنحوية والأسلوبية. وهذه المنصة سوف تكون حسب المجالات العلمية للغة العربية، وسوف يقع فيها تحديد الأبعاد المكانية للعربية، والأبعاد الزمانية، والأعصر التي نراها هي: عصر الساميات+ العصر الجاهلي+ العصر الإسلامي+ العصر العباسي الأول ثم الثاني، ثم الثالث+ عصر الدويلات والإمارات+ العصر الحاضر، ويقسم إلى مرحلتين: مرحلة النهضة العربية، ثم المرحلة الراهنة.

تاسعاً: الرهان كلّ الرهان على التماهي والتعامل مع أنظمة الحواسيب الحاملة للبرمجيات لتدعيم ورقمنة وحوسبة العربية، وجعل الذكاء الصناعي يحوز على أمانة التّكميش للمادة اللغوية، بمِنطاق عالي الدّعم، وبطاقة تخزينية كبيرة وبحوسبة صرفيّة تفوق (الترليون) عمليّة في الدّقيقة.

عاشراً: العمل بقاعدة المطابقات العالمية، وباعتماد المنهجيات العالمية في أنظمة الحواسيب المُعتمدة في الخوادم الكبرى/ Datacenter التي تُنتج في كبرى شركات الكارتل العالمية.

أحد عشر: الدّعوة العلنيّة من قبل دولة المقرّ لكلّ المعنيين للاجتماع بالجزائر: بغية الاتّفاق على منهج عمل مُشترك، وتحديد طريقة تخزين المادة اللّغويّة لمتن الدّخيرة اللّغويّة.

اثنا عشر: توثيق عرى التّعاون العلميّ مع المؤسّسات ذات العلاقة والمنضوية تحت إمرة الجامعة العربيّة؛ وبخاصّة المنظّمات/ المراكز/ المكاتب/ الجمعيات ذات العلاقة من مثل المنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم/ ALECSO المركز العربيّ للترجمة والتّأليف والنّشر، مكتب تنسيق التّعريب، مراكز المخطوطات...

ثلاثة عشر: ضرورة التّنسيق العربيّ مع مُختلف الأجهزة الثّقافيّة العربيّة وبخاصّة مع اتّحاد المُجامع اللّغويّة والمجالس العليا، ومقرّه ستّ (06) أكتوبر بالقاهرة، واتّحاد الجامعات العربيّة ومقرّه في المملكة الأردنيّة الهاشميّة.

أربعة عشر: العمل دون هوادة على حصول الإجماع العربيّ للإسهام في المشروع، بخطاب تآلفي جمعيّ يلمّ شملَ العرب يختلف عن الخطاب السّابق. وتنصيب لجان عربيّة على مُستوى المؤسّسات التي تقترحها الدّول العربيّة، وكلّ لجنة تشترك في تخزين المادة اللّغويّة عندها وفق ما تنصّ عليه المنصّة الرّقميّة. واستحداث لجنة علميّة عربيّة لتوجيه العمل؛ تتكون من العلماء الكبار الذين تقترحهم المجمع اللّغويّة، والمجالس العليا، واتّحاد الجامعات العربيّة لمتابعة التّقييم والتّقييم. ويكون لها اجتماعات دوريّة عن طريق الزّوم/ Zoom واجتماعات سنويّة في دولة المقرّ. ووضع منصّة رقميّة ذكيّة تستجيب لخصوصيّة المشروع؛ وهذه المنصّة تُبنى وفق مُتطلّبات مشروع الدّخيرة اللّغويّة العربيّة. ولا مانع من الاستهداء بمنجزات رقميّة في هذا المجال، على غرار تجربة فذّة في بناء المنصّات الجبّارة والمنصّة الرّقميّة لكلّ من: منصّة مَعْلَمَة المخطوطات الجزائريّة+ منصّة المكتبة الرّقميّة+ منصّة المعجم الثّقافي الجزائريّ+ منصّة المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة+ منصّة مُعجم ألفاظ الحياة العامّة+ منصّة الأمثال الشّعبيّة+ منصّة الموسوعة الجزائريّة... ومن ثمّ تخزين ما تمّ نسخه من مادة على مستوى الطّابعين الذين يعملون حاليًا في المشروع على مستوى المجمع الجزائريّ للغة العربيّة.

وهكذا يحصل تفعيل المشروع من حيث التّقليل من الإطارات، والتّركيز على الباحثين العاملين والمتقنين لفنّون فقه اللغة العربيّة بنيل الشّهادات، وبمنتوج علمي يشهد لهم تواجدهم في المواقع العلميّة، والذين لهم دراية في علم المَعْلوميّات، والخروج من نَمَط التّمثيل الإداريّ الذي علقَ به المشروع أثناء التّأسيس؛ وهو يأتي على استهلاك الميزانيّة دون نتائج علميّة. وضرورة التّواصل الآلي عبر الشّبكات، واستحداث مجموعات واتسابيّة/ WhatsApp مُختصّة تعمل على جمع وتخزين الدّخيرة اللّغويّة عن بُعد، مع تعهّد لتثمين جهودهم حسب ما تحدّده القوانين في هذا المجال. ولا بدّ من ترشيد النّفقات، مع الاستهلاك المعقول وحسب الحدود المَعْمول بها ووفق قوانين جامعة الدّول العربيّة ودولة المقرّ، وما تنصّ عليه بنود القانون الدّاخليّ للهيئة العليا للدّخيرة اللّغويّة العربيّة؛ على أن يخضع كلّ شيء للمناقصات

العَلَنِيَّة التي تُديرها اللجان، بمبدأ أقلّ السَّعر، مع الجودة، وسرعة الأداء، وحسن الخدمة.

هذا ما بصُرت به من أفكار ترشيديَّة بخصوص تفعيل المشروع الطَّموح الكبير ونأمل أن يقع الاهتمام بأمثال هذه المشاريع التي تعلي من مقام العربيَّة، وتجعلها تنال المحتوى الرِّقمي، وتعيش مرحلة النَّهوض بعد هذا السَّبات الذي طال أمده.



